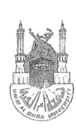
المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي
مركز بحوث الدراسات الإسلامية
مكة المكرمة



سلسلة بحوث الدراسات الإسلامية
(٢١)

حروب محمد علي في الشام
وأثرها في شبه الجزيرة العربية
١٢٤٧ ـ ١٢٥٥ هـ ـ ١٨٣١ ـ ١٨٣٩ م

دكتور
عايض بن خزام الروقي
أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر المساعد
بجامعة أم القرى

١٤١٤ هـ

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي
مركز بحوث الدراسات الإسلامية
مكة المكرمة



سلسلة بحوث الدراسات الإسلامية
(٢١)

حروب محمد علي في الشام

وأثرها في شبه الجزيرة العربية

١٢٤٧ ـ ١٢٥٥ هـ ـ ١٨٣١ ـ ١٨٣٩ م

دكتور
عايض بن خزام الروقي
أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر المساعد
بجامعة أم القرى

١٤١٤ هـ

أصل هــــذا الكتاب رسالــة علميـة مقدمــة لنيل

درجـة الماجستير في التاريـخ الإسلامي الحديث

مـن جامعـــة أم القــرى بمـكة المكرمـــة

وحصلت على الدرجة العلمية بتقدير ممتاز

بتاريخ ١٩/٥/١٤٠٦ هـ ـ ٢٩/١/١٩٨٦ م

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة وسوابق الموضوع

أ ـ الحالة في شبه الجزيرة العربية بعد ١٢٣٣ هـ / ١٨١٨ م.

ب ـ علاقة محمد على بالسلطان محمود الثاني .

جـ ـ سياسة أوربا نحو الدولة العثمانية :

خطة التدخل ... وسياسة التكامل .

مقدمـــة :

الحمد لله الذي هدانا إلى طريق الخير والصلاح ، ونسأله دوام التوفيق والنجاح ، والصلاة والسلام على رسوله المصطفى الذي دعا إلى طلب العلم ، وبشر بالجنة طالب العلم .

كانت لدى رغبة قوية لدراسة التاريخ ، وتاريخ الجزيرة العربية بشكل خاص ، فالتحقت بقسم التاريخ الإسلامي بجامعة أم القرى ، وتتلمذت على أيدى أساتذة كرام ، ما بخلوا عنى بشيء من هذا العلم وبدأ الحلم يتحقق فالتحقت بالدراسات العليا وازداد ميلى للتاريخ الحديث وفروعه .

وعند انتهاء السنة المنهجية والتخطيط لتقديم موضوعٍ لرسالة الماجستير ، كان تفكيرى منصبا على اختيار موضوع في الجزيرة العربية ، وفي عصرها الحديث بالذات ، وغنى عن القول كما نعرف أن جل تاريخ الجزيرة العربية في العصر الحديث ، هو تاريخ الدولة السعودية في مراحلها الثلاث ، تلك الدولة الفتية التي استمرت منذ ظهورها في النصف الثاني من القرن الثاني عشر الهجرى وحتي اليوم تؤثر وتتأثر ، بشكل مباشر وقوى ، في أحداث شبه الجزيرة العربية بشكل خاص ، وأحداث العالم الإسلامي والعالم أجمع بشكل عام .

من هذا المنطلق كان لا بد لنا أن نتعرف على بعض المؤثرات الخارجية التي أثرت على مسيرة هذه الدولة ، التي وحدت أهم أقاليم الجزيرة العربية في دولة مستقلة لأول مرة في التاريخ منذ عهد الخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم .

وبالبحث والتمحيص ، وبتوجيهات أستاذى الكريم بعد توفيق الله تعالى ، تم التوصل إلى طرق موضوع هذه الرسالة ، والتي تحمل عنوان : « حروب محمد على في الشام وأثرها في الجزيرة العربية » للفترة من ١٨٣١ ـ ١٨٣٩ م ١٢٤٧ ـ ١٢٥٥ هـ ، وعنوان هذا البحث ربما يغنى القارىء عن الشرح والتعليل لمحتوياته .

فكما هو معروف أن محمد على باشا ـ والى مصر ـ حينذاك ، قد حاول خلال هذه الفترة أن يبسط هيمنته على كل أنحاء شبه الجزيزة العربية ، ليحقق بذلك شيئا من طموحاته السياسية ، تلك الطموحات التي اصطدمت بعقبات كثيرة أدت إلى فشلها في نهاية المطاف .

وعلى الرغم من أن محمد على باشا ، ابان حروب الشام تلك ، كان قد بلغ من القوة والنفوذ ما استطاع من خلاله أن يهدد القسطنطينية عاصمة الدولة العثمانية ، إلا أن وضع الدولة العثمانية في ذلك الوقت ، والموقف الأوروبي تجاهها قد حتم على محمد على باشا أن يوقف الحرب ، وهذا ما سنعرفه في ثنايا البحث .

لقد كانت هذه الحرب فرصة ثمينة لمحمد على باشا ليمد نفوذه إلى الجزيرة العربية ، ويتطلع إلى مياه الخليج العربي ، ثم الصعود إلى البصرة وبغداد ، ليكون بذلك حلقة مغلقة من أملاكه في دولته التي يعتزم انشاءها ، إلا أن حكمه في شبه الجزيرة العربية قد ووجه بثورات مضادة في نجد ، فقد عاد النفوذ السعودى إلى المنطقة وسيطر عليها ـ وهي الدولة السعودية الثانية ـ التي كانت حرب الشام فرصة ثمينة لها لتقوم على دعائم قوية وبطموحات كبيرة .

أما في الحجاز فقد كانت تمردات العربان والأشراف ، تلك التمردات التي امتدت إلى عسير ، في شكل ثورات عنيفة ضد قوات محمد على باشا ، أضف إلى ذلك ثورة قوات محمد على باشا الغير نظامية في الحجاز والتي شاركت بشكل واضح وقوى في هذه الثورات وتأجيجها .

أما في الخليج العربي وفي اليمن فقد كان هناك بعد آخر مضاد لأطماع محمد على باشا ، ألا وهو بريطانيا العظمى ، سيدة البحار في القرن التاسع عشر ، والتي كانت سياستها تنطلق دائما من مصلحتها ، تلك المصلحة التي حتمت عليها في نهاية هذه الحرب أن ترغم محمد على باشا على الانسحاب من الجزيرة العربية ، مخلفا وراءه أوضاعا مختلفة ، سنعرفها أيضا من خلال هذا البحث .

وقد وجدت أنه من الواجب أن أستقى معلوماتي لهذا البحث من منابعه الأصلية التي تتمثل في الوثائق الانجليزية والوثائق العثمانية بشكل مباشر ، وكذلك المراجع العربية والأجنبية ، وخاصة كتب الرحالة والباحثين المعاصرين لتلك الأحداث ، فقمت برحلة علمية إلى لندن وتمكنت بفضل الله من الحصول على كثير من الوثائق الأصلية والمراجع العامة من :

سجلات حكومة بريطانيا في الهند India Office Records .

وأرشيف السجلات البريطانية العامة Public Record Office .

والمكتبة البريطانية The British Library, Reference Division .

وأخذت في اعتبارى أن الوثائق البريطانية ليست مما لا يرقى اليها الشك ، فهى ربما تمثل وجهة نظر معينة ، إلا أنها مع ذلك تحمل في طياتها معلومات حقيقية ، على جانب كبير من الأهمية ، فترجمتها بدقة وعناية ، وتفحصت ما تحويه ، وما تهدف اليه ، وأخذت ما يفيدني منها في بحثي ، ثم عرجت في رحلتي العلمية تلك إلى القاهرة حيث تمكنت من الحصول على عدد لا بأس به من الوثائق العثمانية والعربية المحفوظة بدار الوثائق القومية ، بقلعة صلاح الدين الأيوبي ، وقد أخضعتها للبحث والتمحيص كسابقاتها من الوثائق الانجليزية .

بعد ذلك عمدت إلى الأخذ وجمع المعلومات المتوفرة في الوثائق العثمانية التي أخذتها من قسم المخطوطات بدارة الملك عبد العزيز بالرياض ، وكذلك الكتب ـ من مصادر ومراجع عربية وافرنجية ـ مما توفر لدى ، أو مما استطعت الاطلاع عليه .

وقد حاولت جهدى أن أتخلص أثناء الكتابة من العوامل النفسية التي ربما تدفع الباحث إلى الحب أو الكره ، فينساق خلفها ويصدر أحكاما ربما تكون عاطفية أكثر منها علمية وواقعية ، واعتمدت في ذلك على الله سبحانه وتعالى ثم على ما توفر لدى من وثائق جيدة ، ومصادر ومراجع على درجة كبيرة من الوضوح والاتزان ، وأخضعتها جميعا للمقارنة والتحليل العلمي الخالص ، مستعينا بتوفيق الله تعالى ثم بمشورة أستاذى الجليل المشرف على هذه الرسالة الدكتور محمد عبد اللطيف البحراوي ، جزاه الله عنا كل خير وتوفيق .

أما بالنسبة لمراحل البحث وتوزيعه ـ أي خطته العلمية التي سار عليها فقد كانت على النحو التالى :

ـ المقدمة : وسوابق الموضوع :

حيث ألقى البحث ـ تحت هذا العنوان ـ الضوء على الحالة في شبه الجزيرة العربية بعد عام ١٢٣٣ هـ وحتى عام ١٢٤٧ هـ = ١٨١٨ ـ ١٨٣١ م ، وهي المرحلة التي أعقبت سقوط الدرعية على أيدى قوات محمد على باشا ـ والى مصر ـ حين كان تابعا للدولة العثمانية يأتمر بأوامر السلطان ، ومن خلال ذلك تطرق البحث إلى علاقات محمد على بالسلطان محمود الثاني ، في تلك الحقبة الزمنية ، وتطرق كذلك إلى سياسة أوروبا نحو الدولة العثمانية ، أو ما عرف بخطة التدخل وسياسة التكامل التي انتهجتها أوروبا ازاء الدولة العثمانية في ذلك الوقت ، أما في الفصل الأول ، فقد تناولت موضوع حرب الشام ، وفي هذا الفصل يلقى البحث بعض الضوء على حروب محمد على الأولى في الشام ، وتقدم قواته إلى مدينة عكا ، وبيلان ، وقونية ، ثم ما أعقب ذلك من اتفاقية لوقف هذه الحرب ، وهي ما عرف باتفاقية كوتاهية سنة ١٢٤٨ هـ = ١٨٣٢ م ، أو الهدنة المسلحة ، ان جاز لنا تسميتها بذلك ، وسنعرف سبب هذه التسمية في ثنايا هذا البحث ، الذي تطرق كذلك إلى نظرية القشرة الواقية للهند ، أو بتعبير أصح لموقف بريطانيا وسياستها تجاه طريق مواصلاتها ، وبالذات مع محمد على باشا وحروبه التوسعية سواء في الشام أو في الجزيرة العربية ، ثم انتقلت بعد ذلك إلى الكلام عن حركة محمد أغا « تركجه بيلمز » ، لأنها جاءت في وقت خطط محمد على باشا فيه للمسير إلى الشام ، ورمى بقوته كلها في تلك الجهة ، وإذا به يفاجأ بأن جنوده الغير نظاميين يثورون عليه ، مما جعله يفكر جديا للقضاء على هذه الثورة وبالتالى يتوغل في وسط الجزيرة العربية وجنوبها ، وقد تطرق الحديث إلى انسحاب الجند الثائرين إلى الحديدة ، كعامل سير محمد على جنوبا ، ثم هروب قائدهم بيلمز ، إلى البصرة بمساعدة من بريطانيا .

ولم أتبع في الفصل الثاني طريقة السرد التاريخي التقليدية لقيام الدولة السعودية الثانية ، فقد أشبع هذا الموضوع كلاما ، وألف كثير من المؤرخين بعض الكتب عن قيام الدولة السعودية الثانية ومؤسسيها ، وجهودهم الجبارة في تدعيم أركانها ، ولكن البحث هنا سيتطرق وفق خطة الرسالة العامة إلى أهم الملامح والأحداث التي أثرت وتأثرت بها الدولة السعودية الثانية في أواخر عهد الإمام تركى بن عبد الله بن محمد بن سعود مؤسس هذه الدولة ، وكذلك عن اعادة بناء الدولة وتدعيم أركانها في عهد الإمام فيصل بن تركى وهذا بطبيعة الحال تم وتبلور قبيل وأثناء حرب الشام الأولى ، ثم نتحدث عن الموقف في الشام وأثره في تطور أحوال الدولة السعودية الثانية وعلاقاتها مع الدولة العثمانية ، وبالذات الولاة العثمانين في بغداد .

ويعتبر الفصل الثالث أهم فصول الرسالة بشكل عام ، وفيه تطرق البحث إلى أهداف محمد على باشا التجارية وأطماعه التوسعية في الخليج العربي والمحيط الهندى ، ثم إلى تقدم قواته نحو الاحساء والبحرين ، وسياسته التوسعية تجاه وسط الجزيرة العربية وسواحلها الشرقية .

ويناقش البحث بعد ذلك خطط محمد على بالنسبة للبصرة وبغداد ، وأهدافه تجاهها ، ووسائله للسيطرة على تلك الجهات ، وموقفه المعلن والغير معلن ، ودوافع ذلك الموقف وأسبابه ، ثم يختتم هذا الفصل بالحديث عن الحوار البريطاني حول الحرب أم الديبلوماسية تجاه محمد علي وسياسته ، ذلك الحوار الذي تمثل في الرسائل والتقارير التي كانت متداولة بين وزير خارجية بريطانيا وقناصلها ، في كل من عاصمة الدولة العثمانية ، ومصر ، والخليج العربي ، وبغداد ، ووجهة نظر كل منهم ، وموقفه ضد محمد على وتوقعاتهم لأهدافه وسياسته ، وموقفهم من تلك الأهداف والسياسة ، وكيف سيتم الوقوف أمامه

في ذلك الجزء من العالم الذي يعتبر في نظرهم قشرة واقية لدرة التاج البريطاني الهند .

ويعتبر الفصل الرابع فصلا ، أو جزءا هاما من المسألة الشرقية ، وهو آخر فصول الرسالة ، وأطلق عليه هذا العنوان لأنه تكلم عن أكثر من مشكلة فيما يعرف في التاريخ الحديث ، بالمسألة الشرقية ، ذلك الجزء الذي نطلق عليه أيضا نحن مؤرخى التاريخ الحديث ، المسألة المصرية ، باعتبارها جزء من المسألة الشرقية ، وخلال هذا الفصل تطرق البحث لاحتلال عدن عام ١٢٥٤ هـ = ١٨٣٩ م ، من قبل الانجليز ، ومدى مساهمة حروب الشام في هذا الاحتلال ، أو بتعبير أدق ، أطماع محمد على في المحيط الهندى والبحر الأحمر وتجارتهما ، لتكون بذلك عامل استعجال يدفع الانجليز لاحتلال عدن في أقرب وقت .

ثم تطرق البحث إلى حرب الشام الثانية عام ١٢٥٥ هـ = ١٨٣٩ م ، أو نهاية المطاف بالنسبة لمحمد على ، وانشقاقه عن الدولة العثمانية ، وما نتج عن هذه الحرب من تدهور الأوضاع في الأستانة ، وخروج منشور كلخانة - بدء تنظيمات - ، إلى حيز التنفيذ ، وكيف استغل الأوربيون هذه الحرب ، ليصدر السلطان هذه التنظيمات لمصلحتهم ، وهو ما يمكن أن نصفه بأنه أول انحراف للدولة عن نظمها الأولى .

ثم يناقش البحث بعد ذلك موقف انجلترا ، أو مؤتمر لندن ومعاهدة لندن عام ١٢٥٦ هـ /١٨٤٠ م وهو ما عرفناه بالحل الدولى ، وهو المؤتمر الذي وضعت فيه بريطانيا كامل ثقلها السياسي لتحقيق مصالحها الاستراتيجية والسياسية بالنسبة للدولة العثمانية ولأوروبا ومحمد على باشا وأطماعه التوسعية خارج مصر .

وأخيرا تطرق البحث لانسحاب محمد على باشا من شبه الجزيرة العربية ، وما خلفه من أثار سيئة عليها تخبطت فيها طوال القرن الثالث عشر الهجري ، التاسع عشر الميلادى ، حتى قيض الله لها ذلك الفارس المغوار جلالة الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن بن فيصل بن تركى آل سعود ، في بداية القرن الرابع عشر الهجرى ، وبداية القرن العشرين الميلادى ، وانتشلها من براثن الفوضى والتمزق ، وأعاد بناء دولة آل سعود في مرحلتها الثالثة ، وأقام دعائمها على نهج أسلافه الأماجد ، فتوحدت الجزيرة العربية والتأم شملها ، وهذا ما نراه الآن في عصرنا الزاهر .

وفي نهاية البحث تم التوصل إلى كثير من النتائج والحقائق عن هذه الحروب وما أثرته على الجزيرة العربية من سلبيات وايجابيات وهو ما سيتطرق له البحث في الخاتمة والنتائج ، وهنا لا بد أن أشير إلى تأثرى بمنهج أستاذى المشرف من حيث اعتبار الخاتمة أهم أجزاء الرسالة ، فهي تحتوى على تحليل تاريخي للفترة الزمنية للبحث إلى جانب النتائج العامة التي هي في حقيقتها جوهر الرسالة والاضافات الجديدة .

وختاما لا يسعنى إلا أن أقدم شكرى الجزيل لكل من مد يد المساعدة لى ، لاظهار هذا الجهد العلمي المتواضع إلى حيز الوجود خاصة الجامعة الفتية التي انتسب اليها ، جامعة أم القرى وكلية الشريعة والدراسات الإسلامية وقسم التاريخ الإسلامي وقسم الدراسات العليا للتاريخ والحضارة ، واستاذى المشرف والاستاذين الفاضلين عضوى لجنة الفحص والمناقشة .

راجياً من الله أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه تعالى ، وأن يكون مساهمة منى لخدمة هذا الوطن الغالى ، الذي نكن له كل حب ووفاء ، والله الهادى إلى سواء السبيل .

أ ـ الحالة في شبه الجزيرة العربية بعد ١٢٣٣ هـ ـ ١٨١٨ م

أما عن الحالة في شبه الجزيرة العربية بعد ١٢٣٣ هـ / ١٨١٨ م ، وهي ما أسميناها سوابق الموضوع ، فقد عاشت الجزيرة العربية منذ أوائل القرن التاسع عشر أوضاعا اقتصادية واجتماعية وسياسية متدهورة ، منذ تدمير الدرعية سنة ١٢٣٣ هـ / ١٨١٨ م ، عاصمة الدولة السعودية الأولى(١) ، تلك الدولة التي حاولت اعادة الأمن والاستقرار ، والحياة الاجتماعية الآمنة إلى ربوع الجزيرة العربية ، ولكن الدولة العثمانية سعت جاهدة لتحطيم هذه القوة الإسلامية الفتية ، وكان لها ما أرادت على أيدى قوات محمد على باشا ـ والى مصر ـ(٢) ، الذي فتحت أمامه هذه الحرب أبعادا أخرى للتوسع والسيطرة ، امتدت فيما بعد لتصل إلى الشام ، وتهدد الدولة العثمانية في عقر دارها ، وعلى الرغم من أن الجزيرة العربية « قد شهدت تطورات جديدة وجذرية تمخض عنها قيام وحدة سياسية لم تشهد الجزيرة العربية لها مثيلا منذ صدر الإسلام الأول

---

(١) د . عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم : محمد على وشبه الجزيرة العربية ، ص ٢٥ .

(٢) ولد محمد على في مدينة قولة من بلاد مقدونية ، وتعرف عند اليونان بمدينة نيابوليس ، أي البلد الجديدة ، وذلك سنة ١١٨٢ هـ ، الموافق سنة ١٧٦٩ م ، توفى والده وهو صغير ، فرباه عم له حتى بلغ أشده ، حيث اشتغل في بداية حياته بتجارة الدخان ، ثم أتى مع جنود الدولة العثمانية الذين قدموا لمحاربة الفرنسيين ، وعين قائد فرقة ، واستطاع بعد ذلك أن يكسب ثقة الأهالي والسلطان العثماني ، ليعين واليا على مصر ، ويحقق أهدافه وطموحاته بمختلف أساليب الدهاء والسياسة حتي صار أقوى من السلطان نفسه ، وقد توفى بالقاهرة في ١٣ رمضان سنة ١٢٦٥ هـ ، الثاني من أغسطس سنة ١٨٤٩ م ، ليدفن في الجامع الذي بناه في قلعة صلاح الدين الأيوبي بالقاهرة .

ـ محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ٣٩٠ .

متمثلا في قيام الدولة السعودية الأولى عبر كفاح طويل ومرير استغرق أكثر من ستين عاما »[1] . إلا أن السلطان والمحيطين به قد رأوا في انتصار الدعوة السلفية بقيادة الأئمة من آل سعود خروجا عن طاعة الخليفة ، وانفصالا عن الدولة العثمانية[2] ، وبالتالى فَقْدُ أهم دعائم مركزها في العالم الإسلامي ، وهو فقدان شرف حماية الحرمين الشريفين في مكة المكرمة ، والمدينة المنورة .

لقد حكم إبراهيم باشا الدرعية حكما ارهابيا تعسفيا استمر تسعة أشهر، حاول خلالها أن يعامل أفراد الأسرة السعودية معاملة احترام وتقدير ، غير أن الحال اختلف بالنسبة للعلماء وأفراد الهيئات العلمية ، فقتل بعضهم وعذب الآخرين[3] ، إضافة إلى أن إبراهيم باشا كان يهدف إلى إشاعة الرعب في قلوب الناس أملا بذلك أن يقضى على كل مقاومة لطغيانه ، فكثرت الاضطرابات ونهبت الأموال ، وسل سيف الفتنة[4] ، كما أن محمد على باشا نفسه لم يف بعهود ابنه إبراهيم باشا في شروط الصلح التي عقدها مع عبدالله ابن سعود[5] ، فأرسل إليه قبل مغادرته إلى مصر يأمره بهدم الأسوار والحصون والقصور ، فأرسل شراذم من قواته إلى مختلف أنحاء نجد ، نفذت أوامره بطرق وحشية وأساليب همجية ، أما هو فقد أمر أهل الدرعية بالرحيل ، وهدم القصور وردم الآبار ، وقطع الأشجار ، وأشعل النيران في النخيل

---

(١) د . سليمان محمد الغنام : قراءة جديدة لسياسة محمد على باشا التوسعية ، ص ١٢٤ .

(٢) محمد حسين زيدان : مجلة الدارة ، العدد الثاني ، السنة الأولى ، ص ١٦٣ .

(٣) جاكلين بيرين : اكتشاف جزيرة العرب ، ص ٢٤٢ ، سنت جون فلبى : تاريخ نجد ، ص ١٦١ .

(٤) عثمان بن بشر ، عنوان المجد في تاريخ نجد ، جـ ١ ، ص ٢١٢ ــ ٢١٣ ، محمد بن عمر الفاخرى : الأخبار النجدية ، ص ١٥٠ .

(٥) عبد الرحمن الرافعي : عصر محمد على ص ١٥١ .

والمزارع[١] ، حتى أنه لم يبق لتلك المدينة إلا أطلالا خاوية تخيف من يراها بعد أن كانت منارة علم ، وحضارة لأبناء الجزيرة العربية ، ويبدو أن حافزا آخر حث إبراهيم باشا على هذا العمل الذي يتصف بالبطش والغرور ، فطالما أنه لم ينوِ احتلال هذه المنطقة بشكل مستمر فمن الضروري أن يحكم عليها بالدمار[٢] ، إلى درجة أنه لا يتوقع لها في المستقبل من ضم الشمل وتكوين الدولة .

ثم سار إبراهيم باشا بعد ذلك إلى ضرمى[٣] ، وبدأ يشن الغارات على القبائل الرحل ، وفي معركة مع قبيلة العجمان ضرب بخنجر كادت أن تودى بحياته ، ولكنه سلم منها ، كما أقدم حسين أغا على ارتكاب جناية بشعة حين قام بقتل أربعة من آل سعود كانوا يسكنون الخرج ، فاستدرجهم إلى وليمة وأعطاهم الأمان ، وقتلهم ، ثم قتل رؤساء آل عفيصان ، ونهب خزائنهموأموالهم[٤] .

ثم عاد إبراهيم باشا إلى مصر تاركا بعض الحاميات من جيشه في المدن النجدية ، فبدأت هذه القوات تثير حفيظة الأهالى باعتداءاتها المتكررة ، وطغيانها المستمر[٥] ، مما أدى إلى انتشار الفوضى وحدوث المذابح للأتراك على أيدى القبائل ، وعمت الفوضى وأضطرب الأمن ، وضعف مركز الولاة من

(١) إبراهيم بن عيسى : تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد ، ص ١٤٦ .

(٢) جورج ، فورستر ، سادلير : رحلة عبر الجزيرة العربية خلال عام ١٨١٩م ص ٦٢، ٨١، ١٠٨.

(٣) واسمها محرف عن قرماء ، وكانت لبنى ظالم بطن من بنى نمير ، ولها شهرة تاريخية . عبدالله ابن خميس ، المجاز بين اليمامة والحجاز ، ص ٤٠ .

(٤) عثمان بن بشر ، عنوان المجد في تاريخ نجد ، جـ ١ ، ص ٢١٧ .

(٥) د . رأفت الشيخ : في تاريخ العرب الحديث ، ص ٢٠٩ .

قبل دولتهم ، على الرغم مما عرف عن بعضهم من القسوة والشدة[1] ، وتعذر السفر بين القرية والأخرى ، وقطعت الطرق حتى أن علية القوم لم يكونوا يجرؤون علي الانتقال من مكان إلى آخر في المدينة دون أن يواكبهم حرس[2] ، وقد أجمعت المصادر التاريخية على أن الفوضى والاضطراب قد عمت شبه الجزيرة العربية بصورة لم يسبق لها أن تعرضت لها في يوم من الأيام[3] .

وأصبحت المنطقة كما يقول المؤرخ المعروف ابن بشر : « ... فلما حل القضاء وانتهى الأمد المكتوب وانقضى ، انحل نظام الجماعة والسمع والطاعة ، وتطايرت شرر الفتن في تلك الأوطان ، وتعذرت الأسفار بين البلدان ، وعاثت فيها العساكر المصرية فقتلوا صناديد الرجال ، وصادروا أهلها ، فأخذوا ما بأيديهم من الأموال ، وقطعوا الحدائق الضليلات ، وهدموا القصور العاليات ، ... وتفرقت علماؤهم وخيارهم ما بين طريد وشريد ، وثارت في غالب البلدان الفتن والقتل والمحن ، وظهر المنكر وعدم الأمر بالمعروف ، وصار الرجل في جوف بيته وجل مخوف ، وتذكروا ما بين أسلافهم من الضغائن الخبيثة والقديمة ، وتطالبوا بالدماء ، ... فتقاتلوا على سنن ما أنزل الله بها من سلطان ، وهجر كثير منهم الصلاة، وأفطر في رمضان، وجر الرباب والغناء في المجالس ، وسفت الذرارى على المجامع والمدارس »[4] ، وهذا يؤكد دون شك أو ريب أن

---

(١) د . محمد عرابى نخلة : تاريخ الاحساء السياسى ، ص ٣٦ .

(٢) حافظ وهبة : جزيرة العرب في القرن العشرين ، ص ٢٣١ .

(٣) جورج فورستر سادلير رحلة عبر الجزيرة العربية خلال عام ١٨١٩ م ، ص ٩٨ .

(٤) عثمان بن بشر : عنوان المجد في تاريخ نجد ، جـ ٢ ، ص ٤ .

سقوط الدرعية كان ذا تأثير مباشر على جميع مناطق شبه الجزيرة في علاقاتها المحليةوأحوالها الداخلية[1] .

ومما زاد الأمر سوءا أن الأتراك الذين تركهم إبراهيم باشا كقادة للحاميات التي وزعها على قرى نجد قد اقترفوا أعمالا منكرة كان الغرض منها القضاء على الشخصيات البارزة في المنطقة ، كى لا يتمكنوا في المستقبل من إعادة الحياة إلى بلادهم[2] ، فبدأوا يديرون الحكم بغاية التسلط والاستبداد وفرض مطالبهم بمختلف الأساليب ، ولم يتورعوا من أخذ النساء والأطفال وبيعهم في أسواق مصر[3] ، إضافة إلى فرض الضرائب الباهظة المستمرة ، بمناسبة وبدون مناسبة حتى اضطر الأهالى إلى الهرب بأنفسهم إلى الأودية والجبال ، وبدأت الأسر تتخذ من البساتين والنخيل منازل لها[4] .

وفي هذه الأثناء ، وبعد خلو الساحة من حكام نجد الأصليين أصحاب الدولة والعقيدة القوية ، انتهز محمد بن مشارى بن معمر الفرصة وانتقل إلى الدرعية وبدأ يدعو الناس إلى مبايعته ، فبادر تركى بن عبد الله بن محمد بن سعود ، وأخوه زيد إلى مساعدته ، فبدأ أهل المنطقة ينضمون إليه[5] ، إلا أن بعض رؤساء أهل البلدان طلبوا إلى ابن عريعر رئيس الاحساء السير إلى ابن

---

(١) د . عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم : محمد على وشبه الجزيرة العربية ، ص ٥ .

(٢) سنت جون فلبى : تاريخ نجد .. ، ص ١٦٦ .

(٣) عبد الرحمن الجبرتى : عجائب الآثار في التراجم والأخبار ، جـ ٤ ، ص ٣٢٦ ، جورج فورستر سادلير : رحلة عبر الجزيرة العربية ... ، ص ٥٦ ، ٦٣ ، ١١٩ .

(٤) جورج فورستر سادلير : المرجع السابق ، ص ٨٢ .

(٥) عثمان بن بشر : عنوان المجد في تاريخ نجد ، جـ ١ ، ص ٢٢٠ ـ ٢٢١ .

معمر وإخراجه من الدرعية ، فلما علم ابن معمر بذلك لجأ إلى أسلوب المداهنة وأرسل الهدايا إلى ابن عريعر ، وأكد له أنه حاكم باسم الدولة العثمانية ليس إلا ، فتراجع ابن عريعر واستفحل أمر ابن معمر في الدرعية والمناطق المجاورة لها إلا أن أمره لم يطل فقد وصل مشارى بن سعود إلى الدرعية في جمادى الثانية سنة ١٢٣٥ هـ(١) ، وانتزع الامارة من ابن معمر بلا مقاومة ، وبايعه ابن معمر ، فاستقام الأمر لمشارى بن سعود ، وبدأ يؤسس امارته ويعيد الحياة إلى مدينة الدرعية ، إلا أن ابن معمر الذي ذهب إلى سدوس وأقام بها ، قد ندم على مبايعته لمشارى بن سعود ، فدخل الدرعية وغدر بمشارى بن سعود ، وقبض عليه ، ثم عقد حلفا مع ـ أبوش آغا ـ القائد التركي الذي يقيم في عنيزة على أن يسلِّم مشارى بن سعود لهم ، فكتب اليه القائد التركي وأقره في الامارة(٢) ، إلا أن تركى بن عبد الله بن محمد بن سعود قد وضع خطة محكمة استطاع من خلالها القبض على ابن معمر وابنه ، والقائهما في السجن ، جاعلا اطلاق سراحهما مرهونا باطلاق سراح ابن عمه مشارى بن سعود ، ولكن سبق السيف العذل ، فقد قام أنصار ابن معمر أهل سدوس ، بتسليم مشارى ابن سعود للأتراك ، فقام تركى بن عبد الله بقتل ابن معمر وابنه(٣) ، وقد انزعج السلطان العثماني فأرسل أوامره إلى محمد على لاتخاذ الاجراءات السريعة للقضاء على أية محاولة لاعادة النفوذ السعودى للمنطقة ، فبدأت الامدادات

---

(١) محمد عبد الله الأحسائى : تحفة المستفيد بتاريخ الأحساء في القديم والجديد ، ص ١٤٥ .

(٢) محمد بن عمر الفاخرى : الأخبار النجدية ، ص ١٥٣ ـ ١٥٤ .

عثمان بن بشر : عنوان المجد في تاريخ نجد ، جـ ١ ، ص ٢٢٣ .

(٣) عثمان بن بشر : المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ٢٢٤ .

العسكرية تتلاحق في الوصول إلى المنطقة بقيادة حسين بك وأبوش آغا [١]، وتمركزت القوات المصرية العثمانية التي بلغت ٧٠٠ فارس في حصن الرياض[٢] ، وكأن الدولة العثمانية ومحمد علي يريدون القضاء على أي مدينة أو حصن يتم تشييده في المنطقة ، لكي لا تقوم قائمة لهذه المنطقة وأهلها ، وقد بدأت هذه القوات تتبع أسلوب العنف والشدة مع أهالي البلدان النجدية المختلفة ، والقبائل المجاورة لها ، وليس أدل على ذلك مما قام به حسين بك سنة ١٢٣٦ هـ الذي أمر أهالي الدرعية الذين عادوا اليها بعد خروج إبراهيم باشا ، أمرهم بالمسير إلى ثرمداء[٣] ، وهناك أمر بقتلهم جميعا وكان عددهم مائتين وثلاثون رجلا ، وترك نساءهم وأموالهم ، بدون ذنب اقترفوه .. إلا أن يقولوا ربنا الله[٤] ، ثم بدأ القائد التركي في فرض الضرائب الباهظة ، وراح ينهب ما لدى الشعب من أموال ومتاع ، حتى أن حلي ومصاغ النساء لم تسلم من ذلك البطش[٥] والنهب .

وحين قدم القائد التركي الآخر حسن بيك « أبو ظاهر » سنة ١٢٣٧ هـ ، إتجه إلى جبل شمر وادعى أنه لا يريد سوى الزكاة المفروضة وبعد أن احتل الحصون وسيطر على المنطقة ، طلب الزكاة منذ رحيل إبراهيم باشا إلى يومه ،

(١) د . عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم : محمد علي وشبه الجزيرة العربية ، ص ١٣ .

(2) S. R .B .G. No. XXIV. P.437.

(٣) مدينة تقع جنوبي الوشم ، وقيل هي أول الوشم ، وقيل أنها خير موضع بالوشم وإليه تنتهي أوديته . محمد بن بليهد : صحيح الأخبار ، جـ ٢ ، ص ١٨٤ . الهمداني : صفة جزيرة العرب ، ص ٣١٠ .

(٤) إبراهيم بن صالح بن عيسى : تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد ، ص ١٥ .

(٥) صلاح الدين المختار : تاريخ المملكة العربية السعودية ، جـ ١ ، ص ٢١١ .

وعلى الرغم أنها دفعت له خوفا من بطشه إلا أنها لم تكفه من السلب والنهب وأخذ الأموال بالقوة ، وختم أعماله تلك بقتل ستين رجلا ظلما وعدوانا [1] ، وفي سنة ١٢٣٨ هـ ضاق أهل نجد بطغيان حسين بك وجنوده ، فثار عليه أهل عنيزة وأخرجوه هو ومن معه من البلد ، ثم أتبعوه بجنوده الذين تركهم في قصر الصفا [2] ، والحقيقة التي لا تقبل الجدل أن عدم وجود سلطة قوية في منطقة نجد تخلف الدولة السعودية الأولى أدى إلى نشوب الفتن ، وانتشار الفوضى والمنازعات بين رؤساء البلدان بعضهم بعضا ، وساءت الأحوال الاقتصادية ، كما أن الأعمال التعسفية التي قامت بها الحاميات التركية ضد الأهالى قد ملأت النفوس حقدا ، وجعلتها في حالة استعداد تام للانتقام ، والعودة إلى حالة الفتن والحروب الأهلية [3] ، مما يؤكد أن الإدارة المصرية في نجد كانت أضعف من أن تسير الأمور [4] ، بل أنها شاركت في افساد الأخلاق ، واباحة المحرمات، ومحاربة الدين وتعاليمه ، والفتك بعلمائه وحملته ، ومحاربتهم حرب ابادة وافناء [5] ، وكانت جيوش محمد على تضم تحت لوائها عددا من الأطباء والصيادلة الفرنسيين والايطاليين [6] ، الذين دخلوا إلى الجزيرة العربية المسلمة بكفرهم وفجورهم والحادهم ، وبالتالى خدموا أهداف أوروبا سواء في افساد العقائد والأخلاق ، أو في مخططاتها الاستعمارية ، لأنهم ساعدوا في اكتشاف

(١) عثمان بن بشر : عنوان المجد في تاريخ نجد ، جـ ١ ، ص ٤٦١ ـ ٤٦٣ .

(٢) إبراهيم بن صالح بن عيسى : المصدر السابق ، ص ١٥٣ .

(٣) د . عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم : محمد على وشبه الجزيرة العربية ، ص ١٦ ـ ١٧ .

(٤) د . أحمد مصطفى أبو حاكمة : تاريخ الكويت ، القسم الأول ، جـ ٢ ، ص ٤٤ .

(٥) أمين سعيد : تاريخ الدولة السعودية ... ، ص ١٣٢ .

(٦) جاكلين بيرين : اكتشاف جزيرة العرب ، ص ٢٥٣ .

الجزيرة العربية بالنسبة لأوروبا ، وعلى أية حال فقد فقدت نجد وحدتها الإدارية، التي نالتها في عهد الاصلاح السعودي الأول ، وليس لدينا ما يحملنا على الاعتقاد بأن السلطات المصرية التي قبضت على زمام الأمور في نجد ، قد قامت بأي عمل من شأنه تحسين حالة السكان ، وزيادة الانتاج الاقتصادى ، أو حتى محاولة نشر الأمن والاستقرار في المنطقة ، ومن المؤسف حقا أن نجد بعض رؤساء البلدان في نجد قد شاركوا في الفتن ، والسلب والنهب ، وتدمير القرى والمدن لمجرد تحقيق رغباتهم الذاتية[1] ، فمثلا نرى أن محمدا وماجدا أبنا عريعر قد شاركا في مساعدة إبراهيم باشا أثناء حصار الدرعية ، فهاجما الاحساء والقطيف ، وساعدا على أخذ ما في بيت المال ، وقتل القاضى ، وأئمة المساجد في المنطقة ، إلا أنهما خافا أن تمتد إليهما يد البطش التي فتكت بأهل المنطقة فلاذا بالفرار[2] ، ولم يعودا إلى المنطقة إلا بعد رحيل قوات إبراهيم باشا من الأحساء ، ومع ذلك استمرت المنازعات فيما بينهم وبين رؤساء الأقاليم المجاورة[3] .

ولنا أن نتساءل الآن عن أهداف إبراهيم باشا في إرسال بعض قواته إلى الأحساء ؟ فبخلاف ما تذهب إليه بعض المراجع المعاصرة من أن الباشا كان ذا أطماع توسعية في تلك الجهات حينذاك ، إلا أن القرائن والأحداث تؤكد أن مهمة إبراهيم باشا كانت تقتصر على الدرعية وتدميرها ، ولكن الحاجة الشديدة

---

(١) سنت جون فلبى : تاريخ نجد ... ، ص ١٦٤ .

(٢) محمد عبد الله الاحسائي ، تحفة المستفيد بتاريخ الاحساء في القديم والجديد ، ص ١٤٤ ـ ١٤٥ .

د . محمد عرابي نخلة : تاريخ الاحساء السياسي .. ، ص ٣٥ .

(٣) د . عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم : محمد على وشبه الجزيرة العربية .. ، ص ٢٥ .

إلى المال والمؤن التي يحتاجها جيشه الكبير جعلته يرسل بريدا إلى الأحساء والقطيف للحصول على ذلك(١) ، إلا أن بعض المؤرخين يذهب إلى الاعتقاد بأن داود باشا الوالى العثماني في العراق قد طلب من السلطان إصدار فرمان إلى محمد على باخلاء الأحساء وتسليمها لرجال داود باشا(٢) .

ان عدم تقدم قوات إبراهيم باشا إلى سواحل الخليج العربي ، وإلى واحة البريمى التي كانت مركزا للدولة السعودية الأولى يؤكد ما ذهبنا إليه ، ويؤكد ذلك أيضا عدم التعمق في الأحداث التي استمرت بين مشيخة الشارقة ومشيخة أبو ظبى ، على الرغم من أن السيد سعيد بن سلطان ، حاكم مسقط كان في غاية السرور والارتياح عند علمه بسقوط الدرعية ، وذلك لتحقيق أطماعه التوسعية في البحرين(٣) ، ومع ذلك لم يحرك إبراهيم باشا(٤) ساكنا تجاه هذه المناطق .

أما في الحجاز فما كادت قوات محمد على باشا تنهى عملياتها العسكرية في الدرعية ، حتى عمل الباشا على إقامة حكومة قوية في الحجاز

---

(١) جورج فورستر سادلير : رحلة عبر الجزيرة العربية ... ، ص ١٠٨ .

(٢) د . عبد العزيز نوار : تاريخ العراق الحديث ... ، ص ١٨٨ .

(٣) د . عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم : محمد على وشبه الجزيرة العربية ...، ص ٢٩ ـ ٣١ ، ٣٤٩ ، محمد على الشيخ : صراع العمالقة في القرن التاسع عشر ، ص ١١٠ .

(٤) ولد إبراهيم باشا في قولة من بلاد اليونان سنة ١٢٠٤ هـ ، وأصدر السلطان العثماني أمرا باسناد ولاية مصر إليه سنة ١٢٦٤ هـ ، عندما ضعفت القوى العقلية عند محمد على باشا ولم يعد يصلح للولاية ، إلا أن إبراهيم باشا توفى سنة ١٢٦٥ هـ ، حيث لم يستمر طويلا في الحكم ، رغم ما قام به من جهود حربية كبيرة لتحقيق آمال وطموحات والده في الشام والجزيرة « خليل مردم بك : أعيان القرن الثالث عشر ... ، ص ١٢٠ ـ ١٢١ » .

للمحافظة على الهدوء والاستقرار في الحجاز ، إلا أن أسلوب محمد على في الحجاز قد أثبت فشله وظل يعاني الكثير من تمردات العربان ، ويظهر ذلك من المراسلات المتبادلة بين محمد على والمحافظين المعينين على المناطق الحجازية[(١)] ، وقد تحمل والى مصر متاعب كبيرة ، وصرف نفقات هائلة[(٢)] ، لاخماد هذه الثورات التي كانت تقوم بين الفينة والأخرى ، سواء من العربان القاطنين بين مدن الحجاز ، أو من الأشراف أصحاب المراكز الاجتماعية المهمة في المنطقة ، والذين تصارعوا من أجل السلطة وبالتالى انقسموا على أنفسهم ، وتبعا لذلك انقسم العربان لانقسامهم ، وغنى عن القول أن العامل الاقتصادى المتدهور في المنطقة من جراء حروب الباشا في الجزيرة العربية كان هو المحرك الأساسي لتلك الثورات ، ويؤكد ذلك ما رواه أحد المعاصرين لرحيل إبراهيم باشا حيث وصف مشاعر أهالى جدة وبهجتهم التي ظهرت على وجوههم عند مغادرته ، بل أكد أن الأهالى بدأوا يرددون عبارات السرور والفرح في تجمعاتهم[(٣)] ، وثار الأهالى واشتبكوا مع الجنود المصريين سنة ١٢٣٩ هـ / ١٨٢٤ م ، ثم قامت ثورة أخرى بين الأشراف والجنود المصريين سنة ١٢٤٢ هـ / ١٨٢٧ م[(٤)] ، كما شاركت قبائل حرب في هذه الثورات واعلان العصيان على الحكم الاستبدادى من قبل جنود محمد على[(٥)] ، حتى أن محمد على قد أرسل إلى

(١) د . عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم : محمد على وشبه الجزيرة العربية ... ، ص ١٢٨ ــ ١٢٩.

(٢) د . فاروق عثمان أباظة : الحكم العثمانى في اليمن ١٨٧٢ ــ ١٩١٨ م ، ص ٣٥ .

(٣) جورج فورستر سادلير : رحلة عبر الجزيرة العربية ، ص ١٣٥ .

(٤) عبد الرحمن الرافعى : عصر محمد على ، ص ٣٠٩ .

(٥) سيديو : خلاصة تاريخ العرب ، ص ٢٨٥ .

والى الشام رسالة شرح له فيها سوء الأحوال واختلال الأمن بين مكة المكرمة والمدينة المنورة ، وبالتالى انقطاع المواصلات وعدم وصول الذخيرة إلى مكة والمدينة من جدة وينبع البحر[١] ، وقد جاء توقيت هذه الاضطرابات متوافقا مع الاضطرابات التي تشهدها منطقة نجد ، فاتخذت سلطات مكة والمدينة كامل الاحتياطات وبدأت في استخدام أساليب البطش والتعذيب تجاه القبائل الثائرة ، ولكن تيار الثورة اتسع واستفحل أمرها ، فامتدت إلى معظم قبائل الجزيرة العربية ، حيث شملت قبائل حرب وعتيبة ، وهذيل وثقيف ، ووصلت إلى وادى الدواسر ، وقبائل عسير من ناحية ثانية[٢] ، فبدأت قوات أحمد باشا يكن ، والى الحجاز حينذاك في الزحف إلى عسير ، ووصل إلى بيشة سنة ١٢٣٨ هـ / ١٨٢٣ م ، وارتكبت قواته كثيرا من أعمال القتل والتشريد محاولة بذلك السيطرة على الزعماء العسيريين[٣] ، إلا أن تلك الأعمال وما بذل لأجلها من جهود للاستيلاء على منطقة عسير قد ذهبت أدراج الرياح ، بعد أن صمد سكان هذه المنطقة لتلك الهجمات ونجحوا في صدها ، مما يؤكد لنا بالدليل القاطع على أن الوضع في منطقة عسير ابان حكم محمد على لشبه الجزيرة العربية ، لم ينعم مطلقا بالاستقرار ، بل كان مليئا بالاضطرابات والحروب المستمرة[٤] .

---

(١) وثيقة رقم ٤١ أصلى ، ٩ حمراء ، محفظة ٢٦٧ عابدين ، محافظ الحجاز رقم ٨ ، دار الوثائق القومية بالقاهرة .

(٢) د . عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم : محمد على وشبه الجزيرة العربية ، ص ٥٢ ، ١١١ .

(٣) جاكلين بيرين : اكتشاف جزيرة العرب ، ص ٢٦٦ ، محمد بن أحمد العقيلي : تاريخ المخلاف السليماني ، جـ ١ ، ص ٥٣٢ .

(٤) د . عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم : من وثائق شبه الجزيرة العربية في عصر محمد على ، جـ ١ ، ص ٣٦٧ ، ٤٤٨ ، كارل بروكلمان : تاريخ الشعوب الإسلامية ، ص ٥٥٦ .

كذلك الحال لدى بعض القبائل اليمنية التي سادها الاضطراب في أعقاب سقوط الدرعية ، وتكاتفت مع قبائل عسير في جبهة واحدة ضد حكم محمد على في شبه الجزيرة العربية ، الذي أثر عدم مد نفوذه في المناطق اليمنية ، خاصة وأنه قد ألزم إمام صنعاء بدفع ضريبة سنوية من البن باسم السلطان العثمانى[١] ، ومع ذلك استمرت الأوضاع المضطربة تسود أنحاء مختلفة من اليمن حتى أن الشريف على بن حيدر أمير أبو عريش ، بدأ يرتكب كثيرا من المظالم ضد أهالى منطقته ، مما جعل أهل صبيا يثورون عليه بمساعدة الزعيم العسيرى على بن مجثل ، مما حدا بمحمد على إلى إرسال عدد كبير من العساكر من مصر مباشرة لانقاذ حليفه الشريف ابن حيدر[٢] ، ومع ذلك استطاع الأمير على بن مجثل محاصرة صبيا والسيطرة عليها ، وكذلك أرغم الأمير على بن حيدر على التنازل عنها ، بعد أن حاصره في عاصمته أبى عريش سنة ١٢٤٣ هـ ، واستمر الزعيم العسيرى في اجتياحه لتلك المنطقة ، حيث غزا تهامة اليمن ، والمخلاف السليمانى ، وأخذ الأموال والسلاح ، وعاد إلى عسير بهذا النصر[٣] ، على مرأى ومسمع من قوات محمد على في تلك المنطقة التي لم تحرك ساكنا تجاه هذه الاضطرابات على الرغم من كثرة الامدادات العسكرية التي يرسلها الباشا ومحافظ الحجاز ، خاصة إذا عرفنا أن محمد على كان يبذل نوعا من الجهد للتفرد بالنفوذ في هذه المناطق[٤] .

---

(١) د . عبد الحميد البطريق : من تاريخ اليمن الحديث ١٥١٧ ـ ١٨٤٠ م ، ص ٥١ .

(٢) د . عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم : المرجع السابق ، جـ ١ ، ص ٣٧٩ .

(٣) محمد بن أحمد العقيلي : تاريخ المخلاف السليماني ، جـ ١ ، ص ٥٣٢ .

(٤) د . عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم : محمد على وشبه الجزيرة العربية ، ص ٥ .

وربما كان لانشغاله بالحرب اليونانية ، وعملياته المستمرة في السودان تأثير مباشر على الجزيرة العربية ، وسيطرته عليها ، مما جعل قبضته العسكرية تتراخى نوعا ما[١] .

ولم يذهب بعض المؤرخين إلى هذا الرأى ، مؤكدين حرص محمد على على اتخاذ الاجراءات الكفيلة للدفاع عن سواحل البحر الأحمر ، وتأكيده على حاكم الحجاز باتخاذ التدابير اللازمة لذلك [٢] ، ولكن الأحداث التاريخية ، والقرائن المصاحبة لها تثبت أن إبراهيم باشا لم ينتبه إلى مشكلة الوجود البريطاني في الخليج العربي حينذاك[٣] ، فعلى الرغم من أن بريطانيا قد قامت بمساعدة مسقط بارسال حملتها الأولى سنة ١٢٢٩ هـ / ١٨١٤ م ، إلا أن سقوط الدرعية ، والقضاء على الدولة السعودية الأولى ، وهي القوة العربية التي كانت تخشاها بريطانيا في تلك المنطقة ، قد أتاح لها فرصة إرسال حملتها الحربية سنة ١٢٣٢ هـ / ١٨١٩ م، تلك الحملة التي أضعفت الساحل العماني ، وأوهنت قواه العسكرية ، حتي أرغمت شيوخ المنطقة على معاهدات جعلت من بريطانيا صاحبة النفوذ في تلك المنطقة ، والاحتفاظ بحق السيطرة على مقدراتها [٤] ، ومع ذلك أرادت بريطانيا استغلال الظروف لصالحها فبادرت بارسال تهنئتها إلى إبراهيم باشا ، طالبة منه التعاون للقيام بعمل مشترك ضد

---

(١) أمين سعيد : تاريخ الدولة السعودية ، ص ١٤٦ .

(٢) د . فاروق عثمان أباظة : عدن والسياسة البريطانية في البحر الأحمر ، ص ١٠٩ .

(٣) د . عبد العزيز نوار : تاريخ العرب المعاصر ـ مصر والعراق ـ ، ص ١١٢ .

(٤) د . عبد العزيز عبد الغنى ، علاقة ساحل عمان ببريطانيا ، ص ٢٤١ ، ٤١٢ .

القواسم باعتبارهم حلفاء السعوديين[١] ، ومع أن المبعوث الانجليزي لم يقابل الباشا إلا في المدينة المنورة ، إلا أنه من المؤكد أن انسحاب القوات المصرية كان من مصلحة بريطانيا في المقام الأول[٢] ، إذا استمرت في توطيد نفوذها في بلدان الخليج دون وجل أو منافس ، مما يؤكد لنا « أن قضاء الحملة المصرية على الدولة السعودية الأولى التي كانت تضم اليها امارات الخليج العربي ، قد أوجد فراغا سياسيا وعسكريا في شبه الجزيرة العربية فجاء الانكليز بقواتهم العسكرية لملء بعض هذا الفراغ ، مبتدئين من البحرين » ، إلى أن دمروا مدينة البدع « الدوحة » عام ١٢٣٧ هـ ، وبالتالي ادخالها في معاهدة حماية مع البحرين[٣] .

وهكذا كانت الحملة المصرية التي قادها إبراهيم باشا وقضت على الدولة السعودية الأولى قد مهدت الطريق أمام الانجليز ليسيطروا على امارات الخليج العربي التي كان معظمها يشكل جزءا لا يتجزأ من الدولة السعودية الأولى[٤] .

ويقول أمين الريحاني نقلاً عن هوغارث : « لم يكن يطمع محمد على بضم البلاد العربية إلى ملكه ، لذلك لم يحسن معاملة أهلها ، وجل ما ابتغاه أن يظلوا كما كانوا قبل ظهور المذهب الوهابي ، نهب الشقاق والفوضى »[٥] ، إلا أن الباحث يدرك من خلال ذلك ، أن أبناء الجزيرة العربية لم يكن من السهل

---

(١) جون . ب ـ كيلي : بريطانيا والخليج ، جـ ١ ، ص ٢٣٣ .

(٢) د . فائق حمدى طهبوب : تاريخ البحرين السياسي ، ص ٩٢ .

(٣) محمود شاكر : البحرين ، ص ١٩٤ .

(٤) أحمد عسه : معجزة فوق الرمال ، ص ٣٥ .

(٥) أمين الريحاني : نجد وملحقاته وسيرة عبد العزيز آل سعود ، ص ٩١ .

عليهم أن يتقبلوا أي حكم وافد من خارج منطقتهم ، لأن القبائل العربية من « أصعب الأمم انقيادا ـ بسبب ـ الأنفة وبعد الهمّة والمنافسة في الرئاسة . فقلما تجتمع أهواؤهم فإذا كان الدين بالنّبوّة أو الولاية ، كان الوازع لهم من أنفسهم ، وذهب خُلُقُ الكِبْرَ والمنافسة منهم ، فسهل انقيادهم واجتماعهم ، وذلك بما يشملهم من الدين المُذْهِب للغلظة والأنفة، الوازع من التحاسُدِ والتنافس »[١] ، ويؤكد تاريخ الدرعية أن القبائل العربية لا تعطى ولاءها إلا لسلطة دينية ، حتي أننا نجد أنه بالرغم من أن الدولة السعودية الأولى قد انتهت من الوجهة والمفهوم السياسي ، إلا أن الدعوة الاصلاحية السلفية ظلت في أذهان الناس ، واستمر المجتمع يكن الولاء والاحترام للأسرة السعودية التي تبنت هذه الدعوة ودافعت عنها[٢] .

يقول أحد المعاصرين للأحداث « صرح بدو نجد وكل أولئك الذين اجتمعت بهم من البدو دون استثناء أنهم على مذهب أهل السنة ، وهم حريصون جدا على عباداتهم ، ولا يهملون أيا من الصلوات المفروضة مهما كان المسير طويلا في أسفارهم ، وتحت أشق أنواع الحرمان والعوز »[٣] .

وعلى أية حال فقد توالت الانتفاضات التي تهدف إلى إعادة حكم آل سعود ، بالرغم مما كان يقابلها من أعمال استفزازية وارهابية لاخمادها[٤] ، وكان أبرز تلك الانتفاضات ما قام به الإمام تركى بن عبد الله بن محمد

(١) عبد الرحمن بن خلدون : المقدمة ، ط ٤ ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، ص ١٥١ .

(٢) د . عبد الفتاح أبو عليه : الدولة السعودية الثانية ، ص ٢٤ .

(٣) جورج فورستر سادلير : رحلة عبر الجزيرة العربية خلال عام ١٨١٩ م ، ص ١٤٩ .

(٤) د . عبد الفتاح أبو عليه : المرجع السابق ، ص ٢٥ .

ابن سعود منذ سنة ١٢٣٨ هـ ، وحتى سنة ١٢٤٠ هـ ، التي استطاع فيها التضييق على الحامية المصرية العثمانية في قصر الرياض ، حتي طلبوا الصلح، على أن يرحلوا من جميع بلاد نجد ، فصالحهم الإمام تركى على ذلك ، وأمنهم على دمائهم وسلاحهم ، فخرجوا إلى ثرمداء ، ومنها إلى المدينة المنورة ، واستولى الإمام تركى بن عبد الله على الرياض ، وامتد سلطانه في نجد[1] .

ومنذ ذلك التاريخ بدأ الأمر يستقر في وسط الجزيرة العربية ، وبدأ الإمام تركى بن عبد الله بن محمد بن سعود ، يؤسس دعائم الدولة السعودية الثانية ، التي سنتحدث عنها في فصل لاحق من هذا البحث .

وهكذا كانت نجد بوجه خاص ومعظم أقاليم الجزيرة العربية بوجه عام منذ سقوط الدرعية ، وحتي بداية حروب الشام الأولى ، مسرحا داميا للحروب ، وكأنها قطعت على نفسها عهدا بأن تلفظ ما هو غريب عن أرضها ، مؤكدة التزامها بالدعوة الاصلاحية ، وبرعاتها من آل سعود ، حتى أننا نجد أنه عندما بدأت جهود محمد على باشا تتجه خارج الجزيرة العربية وتخف وطأة جيوشه عنها ، تلتف الجزيرة العربية مرة أخرى حول الإمام تركى بن عبد الله آل سعود الذي أسس الدولة السعودية الثانية ، ولكن ما أن توقفت حرب الشام الأولى ، حتي عاد محمد على باشا إلى الجزيرة العربية، ولكن هذه المرة بأسلوب جديد ، ورغبات ودوافع مختلفة عما كان عليه في حملاته الأولى ، وهذا ما سنعرفه في الفصول القادمة من البحث .

---

(١) إبراهيم بن صالح بن عيسى : تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد ، ص ١٥٤ ، محمد عبد الله الأحسائي ، تحفة المستفيد بتاريخ الأحساء في القديم والجديد ، ص ١٤٨ .

ب ـ علاقــة محمـد علـى بالسلطان محمود الثاني

عندما نلقى نظرة جادة على الأحداث التاريخية التي صاحبت حملة محمد على باشا إلى الجزيرة العربية والأحداث التي أعقبت تلك الحملة مرورا بحروب اليونان ، وحربي الشام الأولى والثانية وما تمخض عن ذلك من نتائج ، يجدر بنا أن نتوقف برهة عند عنصر من عناصر تلك الأحداث ، والمتمثل في علاقة محمد على باشا والى مصر ، بالسلطان العثماني محمود الثاني ، لنتعرف على تلك العلاقات ، وما أفرزته من نتائج سلبية وإيجابية على الطرفين ، وعلى الأحداث التاريخية في تلك الحقبة الزمنية .

فكما هو معروف فإن محمد على باشا الذي أرسله العثمانيون على رأس فرقة من الروملى إلى مصر[١] ، لإخراج الفرنسيين منها ، قد استطاع أن يكسب ثقة العلماء في مصر حتى أن السلطان العثماني لم يجد بدا من الموافقة على تعيينه واليا على مصر ابتداء من ٢٠ ربيع الأول سنة ١٢٢٠ هـ الموافق ١٨ يونيو سنة ١٨٠٥ م[٢] .

وعلى الرغم من أن محمد على قد أبدى حماسا شديدا لكى يصبح خادما مطيعا للسلطان[٣] ، وأبدى في سبيل ذلك كثيرا من عبارات التذلل والخضوع

---

(١) د . أحمد السعيد سليمان : تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة ، ص ١٦٥ .

(٢) د . سليمان بن محمد الغنام : قراءة جديدة لسياسة محمد على باشا التوسعية ، ص ١٧ .

(٣) د . جاد طه : سياسة بريطانيا في جنوب اليمن ، ص ٤٧ .

للسلطان ودولته [١] ، إلا أن السلطان كـان على وشك أن يدرك أبعـاد هذه العبارات ، مظهرا بذلك تخوفه من هذا الوالي الجديد ، فأمر بنقله عن ولاية مصر ، إلا أن تدخل العلماء مرة أخرى قد جعل السلطان يصدر فرمانا آخر بتثبيته على ولاية مصر في ٢٤ شعبان ١٢٢١ هـ ، ٦ نوفمبر ١٨٠٦ م [٢] .

من هنا بدأ محمد على في تدعيم مركزه الشخصي وتثبيت الولاية في شخصه، وبالتالي في سلالته [٣] ، فبدأ يصانع رجال الدولة وسلطانهم من جانب ، وانشاء قوة حربية وبحرية من جانب آخر [٤] ، ثم أخذ يبذل جل همه لاستمالة السلطان ومراضاته ، وتنفيذ توجيهاته ، مستخدما في ذلك الدهاء السياسي ، واضفاء الشرعية العثمانية على ولايته [٥] .

فعلى الرغم من خضوع محمد على باشا للسلطان العثماني ، واستعداده لتنفيذ أوامره وتوجيهاته ، إلا أنه كان مدركا لأهدافه وخططه التوسعية [٦] ، بدليل أنه أثناء تكليفه بحملاته العسكرية الموجهة للدولة السعودية الأولى كان ينطلق من أهدافه هو لا من أهداف الدولة العثمانية [٧] .

---

(١) وثيقة تركى رقم ٥٠/١ ــ ٢٤٨ في ٢١ ربيع الأول ١٢٣٠ هــ دارة الملك عبد العزيز الرياض ، وثيقة تركى رقم ١٣٨/١/٥ ، دارة الملك عبد العزيز ـ الرياض .

(٢) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ٣٩١ .

(٣) جورج كيرك : موجز تاريخ الشرق الأوسط ، ص ١٥١ .

(٤) محمد كردعلى : خطط الشام ، جـ ٣ ، ص ٥٠ .

(٥) د . عبد العزيز نوار : مصر والخليج العربي في القرن ١٩ ، مجلة الهلال المصرية ، عدد ١١ ، السنة ٧٢ ، ص ١٦١ .

(٦) د . عبد العزيز نوار : تاريخ العرب المعاصر ، ... ، ص ١٠٩ .

(٧) أحمد عسه : معجزة فوق الرمال ، ص ٢٥ .

فنراه يراود السلطان العثماني على عزل والى الشام ، ويطلب اسنادها إلى صديق له[1] ، بحجة أن ذلك يساعد على انجاز مهمته في الحجاز ، ولكن عندما رفض طلبه هذا طالب بضم ايالة الشام بكاملها إليه ، انطلاقا من حرصه على انفاذ مهمة شبه الجزيرة العربية ، التي أوكلها له السلطان العثماني[2] ، كما يدعى ذلك ، وكان علاقة محمد على باشا في تلك الفترة بالسلطان العثماني ليست علاقة الوالى بسلطانه ، حيث نرى فيما بعد أن السلطان نفسه لم يعد يثق بطلبات محمد على ، التي يتغنى بها لتنفيذ مهمته في الجزيرة العربية ، فنراه يخاطب والى الشام في ذلك ويطلب منه التحرى عن أهداف محمد على في الشام[3] ، ثم يحول نفس الموضوع إلى مجلس الشورى « الذي أخذ يناقش الطلب ويقلبه على جميع الوجوه ... ، وقد عبر الحاضرون عن تخوفهم من زيادة طغيانه ، وتوجه هذه القوة نحو الدولة العثمانية »[4] ، كما أن والى الشام اتفق في وجهة نظره مع مجلس الشورى ، ومن خلال هذا الاطار كانت علاقة التابع بمتبوعه علاقة يشوبها الحذر ، وكما ذهب أحد المؤرخين عندما قال : « ولعله ـ يعنى السلطان العثماني ـ كان حريصا على هزيمة محمد على أكثر من حرصه على هزيمة السعوديين ، لأن محمد على أقرب إلى النيل من الدولة العثمانية منه إلى السعوديين »[5] ، وعلى أية حال فقد استجاب محمد على لطلب السلطان

(١) د . لطيفة محمد سالم : الحكم المصرى في الشام ... ، ص ٢٣ .

(٢) وثيقة تركى رقم ١/٥٠ ـ ٢٤٨ ، ووثيقة تركى رقم ٢/١ ـ ٢٢٠ ، دارة الملك عبد العزيز بالرياض.

(٣) وثيقة تركى رقم ٢/١ ـ ٢٢٠ ، أصلى رقم ١٩٥٩٤ ـ أ ، دارة الملك عبد العزيز بالرياض .

(٤) وثيقة تركى رقم ٢/١ ـ ٩٤ ، أصلى رقم ١٩٥٧٨ ، دارة الملك عبد العزيز بالرياض .

(٥) محمد حسين زيدان ، الوثائق تتكلم ، مجلة الداره ، العدد الثاني ، السنة الأولى ، ص ١٦٤ ، ١٧٥ .

ووجه حملاته إلى الجزيرة العربية ، وكان خلال هذه الحملات يأتمر بأمر السلطان العثماني ، فنراه يسحب جيوشه من الأحساء عندما صدر فرمان إليه بذلك ، حتى أن إبراهيم باشا قد أكد بنفسه جهله بأهداف حملته العسكرية الموجهة للدرعية، وأنها تمت بأوامر من الباب العالى[١]، وكأنه بذلك يؤكد أن هذه الحملات تمت بناء على فرمانات خاصة من الباب العالى لاستعادة الحرمين الشريفين ، وقوات الباشا ما هي إلا قوات السلطان العثماني ، ورغم أن إبراهيم باشا حاول أن يعبر للمندوب البريطاني جورج فورستر سادلير G. F. Sadleir عن أسفه لعدم سير الأمور بشكل ينسجم مع خططه ، إلا أنه وقف موقفا يتسم وعلاقته الوطيدة مع السلطان العثماني ، حين أكد لوالده أن بريطانيا تريد تخريب بعض الموانىء والمرافىء على الخليج العربي[٢]، ومما يؤكد صدق تبعية محمد على للسلطان العثماني في تلك الفترة ، تيقظه للسياسة البريطانية تجاه السواحل اليمنية مثبتا بذلك ولاءه للباب العالى ، طالبا منه السعى في وقف تلك التحركات الانجليزية بالطرق الدبلوماسية[٣] .

كما أن الباب العالى نفسه كان لديه شىء من التأكيد عن الولاء الذي يحمله محمد على باشا لسلطانه ، فنجد أن الصدر الأعظم يكتب لمحمد على

---

(١) جورج فورستر سادلير : رحلة عبر الجزيرة العربية ... ، ص ١٠٨ .

الباب العالى ـ ترجمة لفظية لعبارة تركية هي ـ باب همايون ، وهو عبارة عن ثلاثة أبواب في قصر السلطان ، الباب الأول هو المدخل ، ثم توجد ثكنة للجيوش الانكشارية ، والباب الثاني حيث وجدت السرايا ومقر السلاطين ومكاتب الوزراء ، والباب الثالث وكان يسمى بالتركية « المابين الهمايوني » وهو باب الحريم ، أما الاصطلاح الشائع للفظة الباب العالي فيقصد به مقر سلطة الدولة العثمانية . د . زاهية قدورة : تاريخ العرب الحديث ، هامش ص ٣٤٣ .

(٢) جورج فورستر سادلير : المرجع السابق ، ص ١٨٠ ، ٢١٥ ، ٢١٦ .

(٣) د . فاروق عثمان أباظة : عدن والسياسة البريطانية في البحر الأحمر ... ، ص ١٠٨ .

رسالة بتاريخ ١٦ جمادى الثانية سنة ١٢٣٥ هـ ، الموافق ٣١ مارس سنة ١٨٢٠ م ، يحذره فيها من أعمال الانجليز التي ينوون القيام بها في الخليج العربي [١] ، كما أن الباب العالي قد طلب من واليه القوى سنة ١٢٣٦ هـ / ١٨٢١ م ، التوجه إلى العراق للوقوف ضد الفرس ، الذين بدأوا يحاصرون مدينة بغداد ، وعلى الرغم من أن محمد على كان حريصا على اثبات ولاءه للسلطان ، إلا أنه اعتذر عن هذه المهمة بلباقة سياسية استطاع من خلالها اقناع السلطان العثماني [٢] ، من القيام بهذه المهمة ، والمحافظة على علاقته الجيدة مع الباب العالي ، وكان محمد على خلال هذه الفترة « يحاول بما أوتى من قوة أن يدخل النظم والطرق الأوروبية إلى مصر » [٣] ، مدخلا بذلك حركة اصلاح شاملة على حكومته ودولته بشكل عام ، تلك الحركة التي أصبحت ذات « أهمية خاصة من حيث أنها أثارت لدى السلطان محمود الثاني قدرا كبيرا من الخوف والغيرة ، وجذبت انتباهه ، حتى بدا لدى الكثيرين مقلدا لواليه في بعض عناصر حركته الاصلاحية كما بدا محمد على عند آخرين مقلدا للسلطان في بعض الأحيان ، أي أنه كان هناك تأثير متبادل بين الحركتين وبين القائدين » [٤] .

---

(١) جورج فورستر سادلير . رحلة عبر الجزيرة العربية ... ، ص ٢٧٤ ـ ٢٧٧ .

(٢) د . عبد الحميد البطريق : محمد على ومشروع غزو العراق ، مجلة كلية الآداب الجامعة الأردنية ، العدد الأول ، يناير سنة ١٩٦٩ م ، ص ٥٠ ـ ٥١ .

(٣) د . نجلاء عز الدين . العالم العربي ، ص ١٠٩ .

(٤) د . محمد عبد اللطيف البحراوى · حركة الاصلاح العثماني في عصر السلطان محمود الثاني . . . ، ص ١٦١ .

وبما أ السلطان محمود الثاني يعتبر واضع أساس الحكومة المركزية الحديثة في الدولة العثمانية[1] ، فإنا نراه يبذل محاولات اصلاحية ، منطلقا من خلالها لتقليد أوروبا عسكريا ، على اعتبار أن انتصار الغرب على بقية العالم كان عسكريا أصلا[2] ، فأطلق على قواته الجديدة اسم « العساكر المنصورة المحمدية » ، وطلب من محمد على إرسال بعض المعلمين لتدريب الجند ، ولكن محمد على رفض ذلك ، ففكر السلطان في الاتجاه إلى فرنسا باعتبارها قد ساعدت محمد على في تكوين جيشه الجديد « نظام جديد »[3] .

وعلى الرغم من اهتمام والى مصر بشؤون بلاده ، وإدخال النظم الجديدة بها لم يكن بأي حال من الأحوال أقل من اهتمام السلطان محمود الثاني في اصلاح دولته ، التي تعتبر مصر إحدى ولاياتها[4] ، إلا أن هناك شبه تماثل بين الإصلاح لدى القائدين ، ففي الوقت الذي أرسل محمد على بعثة كبيرة إلى باريس في سنة ١٢٤١ هـ / ١٢٤٢ هـ = ١٨٢٦ م ، نرى أن السلطان محمود الثاني يكثر من إرسال البعثات إلى أوروبا في السنة التالية ، وما قيل عن تلك البعثات يمكن أن يقال عن أول مدرسة للطب في بيرا ، والتي فتحت سنة ١٨٢٧م، بعد أشهر قلائل من فتح محمد على لمدرسة مشابهة في أبى زعبل[5] ، ونصل

(١) د . عبد العزيز محمد عوض : التنظيمات العثمانية في الولايات العربية ، مجلة الداره ، العدد الثالث ، السنة الثالثة ، ص ٨٥ .

(٢) أرنولد توينبي : تاريخ البشرية ، جـ ٢ ، ص ٢٤٦ .

(٣) د . محمد عبد اللطيف البحراوى : حركة الاصلاح العثماني في عصر السلطان محمود الثاني ، ص ١٦٣ ـ ١٨٦ .

(٤) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ٢٤٨ .

(٥) د . محمد عبد اللطيف البحراوى : المرجع السابق ، ص ٢٠٠ ، ٢٢٠ .

من خلال ذلك إلى أن « اصلاحات محمد على ونهضته بمختلف المرافق في مصر ـ قد أثارت ـ مخاوف استامبول ، وأصبح السلطان محمود الثاني يخشى أن يتخطى محمد على حدوده ، ويصبح خطرا على الدولة العثمانية ، إن عاجلاً أو آجلاً ، ولكن محمد على اتبع في هذا المجال سياسة حكيمة ، جعلت السلطان العثماني ، يرضى عن مسلكه ، بل ويتخذه نصيرا له في معاركه ، ... ولعل إرسال إبراهيم بالأسطول المصرى للقضاء على ثورة الموره كان أكبر دليل على استعداد محمد على للتعاون مع السلطان العثماني »[(١)] .

وتحركت القوات المصرية ، واستولت على كريت سنة ١٨٢٤ م ، وبدأت تخضع المدن اليونانية الواحدة تلو الأخرى[(٢)] ، ويحق لنا أن نتساءل هنا عن أهداف وغايات محمد على وابنه في هذه الحرب ، خاصة إذا عرفنا أن السلطان قد أصدر فرمانا[(٣)] في أوائل شهر رجب سنة ١٢٣٩ هـ الموافق ٦ مارس سنة ١٨٢٤ م ، يقضى بتعيين إبراهيم باشا واليا على جزيرة كريت وموره ومنحه الحرية التامة في العمل على إعادة النظام فيهما ، ويمكننا أن نأخذ بالرأي القائل : « أن تدخل إبراهيم في اليونان ، ابتداء من ١٨٢٤ م ، لم يكن فرض طاعة يؤديه ، وإنما نتيجة معاهدة فعلية بين تركيا ومصر ، أمضى السلطان شروطها المجحفة ، متخليا رسميا لقائده عن كريد وموره ... »[(٤)] .

---

(١) د . محمد كمال الدسوقي : الدولة العثمانية والمسألة الشرقية ، ص ١٦٣ .

(٢) ج . ج . لوريمر : دليل الخليج ، القسم التاريخي ، جـ ٣ ، ص ١٦٣٩ .

(٣) فرمان : كلمة فارسية الأصل ، معناها الأمر ، وكانت تستعمل في الدولة العثمانية للأوامر السلطانية ، أو ما يسمى اليوم بالمراسيم الملكية .

محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ١٩ .

(٤) محمد صبرى : تاريخ مصر الحديث من محمد على إلى اليوم ، ص ٦٢ .

وقد اختلف المؤرخون عند تعليل أهداف محمد على باشا في اشتراكه في أخماد الثورة اليونانية ، فمنهم من قال ان هاجس تقسيم الدولة العثمانية ومحاولة محمد على الوقوف إلى جانبها لتظل صامدة ضد الدول الأوروبية ، هو الدافع له للاشتراك في هذه الحرب[١] ، ومنهم من قال ان هذا الاشتراك لم يكن « حبا في السلطان ولا كراهية لليونان ... وإنما أراد أن يجعلها صفقة يجبر الدول بها على الاعتراف به وبقوته »[٢] ، كما ذهب آخرون إلى أبعد من ذلك كله مؤكدين أنه لم يشترك في هذه الحرب إلا بعد أن وعده السلطان محمود الثاني باعطائه جزيرة كريت ، بعد القضاء على ثورة اليونان[٣] .

وعلى أية حال فقد « بدأ التدخل المصرى ضد اليونانيين في أول الأمر كأنه ينذر بالقضاء التام على أمانيهم ومطامحهم ، فقد اكتسح جيش مصر شبه جزيرة الموره ، وسيطر أسطولها على بحر أيجه ، ثم أذيع على أثر ذلك في الدول الغربية أن الأسرى اليونانيين يباعون كأرقاء في القاهرة ، وأن سكان القسم الأكبر من بلاد اليونان مهددون بخطر الفناء »[٤] .

وإذا أدركنا مدى ما تتمتع به اليونان من مكانة ذاتية لدى أوروبا بشكل عام ، ناهيك عن موقعها الاستراتيجي للدول الأوروبية في تلك الفترة ، فإنه ليس من المستغرب أن تدور المحادثات في لندن بين بريطانيا وفرنسا وروسيا ،

---

(١) د . عبد العزيز نوار : تاريخ العرب المعاصر ... ، ص ١٢٢ ـ ١٢٣ .

(٢) حسين مؤنس : الشرق الإسلامي في العصر الحديث ، ص ٢١٢ .

(٣) د . محمد كمال الدسوقي : الدولة العثمانية والمسألة الشرقية ، ص ١٤١ .

(٤) هـ . أ . ل. فيشر : تاريخ أوروبا في العصر الحديث ، ص ١٢٨ .

حـول المسـألـة اليونانيـة ، وبالتالي انعقاد بروتـوكول في أوائل شهر شعبان سنة ١٢٤٥ هـ الموافق الثالث من شهر فبراير سنة ١٨٣٠ م[1] ، بعد أن سُبِقَت المحادثات تلك بتدخل قوات تلك الدول ضد الأسطول المصرى ـ العثماني في موقعة نافارينو Navarino الشهيرة وحطمته[2] ، إلا أن هذه الهزيمة لم تنل من طموحات محمد على التي جعلته تابعا للسلطان العثماني منذ أمد بعيد ، تبعية اسمية ، فبدأ يلح على السلطان باعطائه بلاد الشام نظير اشتراكه في حروب اليونان ، مما جعل السلطان محمود الثاني يظهر غيرة وارتيابا ضد هذا التابع الجرىء[3] ، ومن هنا بدأت العلاقات بين محمد على والسلطان محمود الثاني تأخذ طابعا آخر ، ففى الوقت الذي عبرت فيه أوروبا بشكل عام وبريطانيا بشكل خاص عن أسفـها ، لما حدث في نافارينو Navarino للأسطول المصرى ـ العثماني ، نرى محمد على يتفق مع بريطانيا وفرنسا في أواخر شهر محرم سنة ١٢٤٤ هـ المصادف للثالث من أغسطس سنة ١٨٢٨ م ، على سحب جيوشه ، واخلاء شبه جزيرة المورة ، مما مهد لاستقلال اليونان[4] ، بينما أصر الباب العالى على رفض مطالب الدول الأوروبية المتحالفة ، بل ذهب إلى أبعد من ذلك ، إذ طالبها بتعويضات مالية ، عما لحق أسطوله من دمار في معركة

---

(١) عبد الرحمن الرافعي : عصر محمد على ، ص ٢١٣ ، د . السيد رجب حراز : المدخل إلى تاريخ مصر الحديث من الفتح العثماني إلى الاحتلال البريطاني ، ص ٢٦٢ .

(٢) خليل مردم بك : أعيان القرن الثالث عشر .. ، ص ١٠٥ ، جورج كيرك : موجز تاريخ الشرق الشرق الأوسط ، ص ١١٨ .

(٣) أ . ج . جرانت وهارولد تمبرلى : أوروبا في القرن ١٩ ، ٢٠ ، جـ ١ ، ص ٣٢٣ ـ ٣٣٤ .

(٤) محمد فريد بك ، تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ٤٢٨ ، محمد صبرى : تاريخ مصر الحديث ... ، ص ٦٤ .

نافارينو Navarino [١] ، وبذلك بدأ النزاع بين محمد على والسلطان محمود الثاني ، ففي الوقت الذي يرى محمد على « ضآلة المكافأة التي أعطاها أياه السلطان ثمنا لتدخله في بلاد المورة » ، وهي تعيين ابنه إبراهيم باشا على جزيرة كريت فقط [٢] ، يزداد السلطان محمود الثاني حذرا وحقدا على تابعه القوى ، وتأثر السلطان بمشورة أناس من خصوم محمد على الشخصيين [٣] ، الذين حالوا بين السلطان وتابعه الطموح ، ليقضوا بذلك على أية بارقة أمل للتعاون فيما بينهما [٤] ، ومن هنا بدأت العلاقة بين السلطان محمود الثاني ، ومحمد على باشا تتوتر بسرعة عجيبة ، وكأن الأزمات التي بدأت تعيشها الدولة العثمانية قد أخذت تعجل بوقوع حرب بين الطرفين ، وتباعد بينهما .

فلما طلب السلطان العثماني من محمد على إرسال الأسطول المصري لدخول الحرب ضد روسيا ، امتنع محمد على من تلبية هذا الطلب [٥] ، وبدأ في اتخاذ سياسة تختلف عن سياسة السلطان [٦] ، في نفس الوقت الذي يحاول فيه عدم اغضاب السلطان ، ومحاولة استرضائه بمبلغ من المال ، ليصفح عنه ، لعدم تلبية طلبه في المشاركة في الحرب الروسية ، في الوقت الذي شرع فيه في

---

(١) عبد الرحمن الرافعي : عصر محمد على ، ص ٢١٣ .

(٢) د . محمد كمال الدسوقي : الدولة العثمانية والمسألة الشرقية ، ص ١٦٤ .

(٣) أ . ج . جرانت وهارولد تمبرلى : أوروبا في القرنين ١٩ ، ٢٠ ، جـ ١ ، ص ٣٣٤ .

(٤) د . محمد عبد اللطيف البحراوى : حركة الاصلاح العثماني في عصر السلطان محمود الثاني ، ص ٢٥٥ .

(٥) عبد الرحمن الرافعي : المرجع السابق ، ص ٢١٦ .

(٦) د . عبد العزيز نوار : تاريخ العراق الحديث ... ، ص ١٩١ .

تقوية جيش مصر وأسطولها وكأنه بدأ مرحلة التحدى العسكرى ضد السلطان[1] ، وهنا أصبحت الدولة العثمانية تتعرض للتهديد ، ليس من الشمال فحسب ، وإنما من الجنوب أيضا ، من جانب محمد على التابع القوى في مصر[2] ، وقد اغتنمت فرنسا الفرصة بعد معاهدة أدرنة ، وحاولت أن تكسب محمد على إلى جانبها ، ليتعاون معها في غزو الجزائر ، على أن تستصدر له أمرا من الباب العالى بانجاز هذه المهمة[3] ، معللة ذلك بعدم وجود معارضة من السلطان العثماني ، والدول الأوروبية[4] ، ولكن محمد على كان يدرك تماما أن بريطانيا تقاوم كل سياسة أو خطة من شأنها تدعيم النفوذ الفرنسي في الشرق[5] ، خاصة بعد أن عهدت إلى قنصلها في مصر باشعاره على اعتراضها في تنفيذ هذه الخطة ، سواء بترخيص من الباب العالي أو بدونه[6] ، كما أنه قد « وازن بين القيمة الاستراتيجية لهذا القطاع ، وتلك التي للشام والعراق ، فاختار ثانيهما من أجل التجارة مع الهند »[7] ، خاصة وأنه « كان يجمع بين الطموح وبعد النظر بدرجة لا مثيل لها ... »[8] ، لذا فقد كان شديد الحرص للعمل في تحقيق أطماعه وطموحاته التوسعية ولو على حساب الدولة العثمانية .

(١) د . محمد كمال الدسوقي : الدولة العثمانية والمسألة الشرقية ، ص ١٦٣ ، ١٦٥ .

(٢) جون ب . كيلي : بريطانيا والخليج ... ، جـ ١ ، ص ٤٦٥ .

(٣) د . محمد البحراوى : حركة الاصلاح العثماني ... ، ص ١٥٢ .

(٤) د . محمد كمال الدسوقي : المرجع السابق ، ص ١٥٧ .

(٥) د . السيد رجب حراز : المدخل إلى تاريخ مصر الحديث .. ، ص ٢٦٤ .

(٦) د . أحمد عزت عبد الكريم : دراسات في تاريخ العرب الحديث ، ص ٣٧٤ .

(٧) د . محمد البحراوى : المرجع السابق ، ص ١٥٣ .

(٨) جورج كيرك : موجز تاريخ الشرق الأوسط ، ص ١١٥ .

وكانت ظروف الدولة العثمانية حينذاك ، وما تعانيه من ضعف نتيجة لتوالى الأحداث الكثيرة ، كاختفاء الانكشارية ، وحروب اليونان ، وأخيراً الحرب مع روسيا قد شجعت محمد على ، على تنفيذ مقاصده بالقوة(١) ، خاصة بعد معاهدة أدرنة Adrianople سنة ١٢٤٥ هـ ، ١٨٢٩ م ، التي تعتبر أسوأ نقطة في عصر محمود الثاني ، والتي بدأت حوادث محمد على تأخذ طابع الظهور في أعقابها(٢) ، فراح يرنو ببصره إلى الشام التي لم تغب عن مخيلته يوما من الأيـام ، سـواء فـي أثناء حـروب الجزيرة العربية ، أم حروب اليونان ، فطلب مـن السلطان اسنادهـا إليـه بعـد حـروب اليـونان ، ثم حـاول شـراءها من الباب العالى ، ولكن السلطان رفـض هـذيـن المطلبين ، فكأن سوء النية قد جمـع بين السلطان وتابعـه(٣) ، فالأول يخشى مـن اتساع نفوذ الثـاني في أملاك الدولـة العثمانية ، مما يساعد على زيادة ضعفها ، بينما الثاني يخيل إليه أن مركزه في خطر داهـم بين الفينـة والأخـرى ، وأن أنجح علاج لذلك هو شن حرب وقائية ضد السلطـان للاستيلاء على الشام(٤) ، فاستحل محمد على باشا سوق جنوده على سلطانـه بحجة التـجاء بعض أهـالى مصر إلى والى عكا(٥) ، دون أن يعلـن عـداءه للسلطان(٦) ، حتى أنـه عندمـا سيطر على

---

(١) جرجى زيدان : تاريخ مصر الحديث ... ، جـ ٢ ، ص ١٦٨ .

(٢) د . محمد البحراوى : حركة الاصلاح العثماني .. ، ص ٢٤٣ .

(٣) د. لطيفة محمد سالم : الحكم المصرى في الشام ... ، ص ١٩ .

(٤) أ . ج . جرانت وهارولد تمبرلى : أوروبا في القرنين ١٩ ، ٢٠ ، ص ٣٣٤ .

(٥) الميرالاى إسماعيل سرهنك : حقائق الأخبار عن دول البحار ، جـ ١ ، ص ٦٨٧ .

(٦) د . محمد بديع شريف وآخرون : دراسات تاريخية في النهضة العربية الحديثة ، ص ٢٧ .

عكا ، أرسل مندوبا من قبله للمفاوضة مع الباب العالي ، طالبا منه فرمانا بولاية سوريا[١] .

وعلى الرغم من أن مصر قد « أرْخَت علاقاتها مع الدولة العثمانية في القرن التاسع عشر ، ووثقت صلاتها بأوروبا »[٢] ، إلا أن السلطان محمود الثاني كان قد « تميز بالإصرار في معالجته للحركات الإنفصالية في الدولة ، واهتم بتأييد موقفه بفتاوى المفتين العثمانيين التي جعلت الولاة الإنفصاليين خوارج على الخلافة والمسلمين »[٣] ، فنراه عند اندلاع حرب الشام الأولى سنة ١٢٤٧ هـ = ١٨٣١ م ، يأمر بعقد مجلس شرعي في الأستانة بحضور المشائخ والعلماء ويصدر المجلس الشرعي حكمه بتجريد محمد على ، وابنه إبراهيم من جميع المراتب والمناصب الديوانية ، وألقاب الشرف الممنوحة له ، وبالتالي جواز محاربته[٤] .

وعند ذلك استصدر محمد على من علماء الأزهر بيانا ينادى فيه بعدم صلاحية السلطان محمود الثاني للخلافة ، ووجه النداء إلى المسلمين لانقاذ الإسلام[٥] ، وأثيرت بذلك الحرب النفسية بين السلطان وتابعه ، ومع أن السلطان محمود الثاني كان يرى أطماع محمد على في الدولة العثمانية منذ حروب

(١) محمود كامل : الدولة العربية الكبرى ، ص ٤٠٢ .

(٢) د . نجلاء عز الدين ، العالم العربي ، ص ١١١ .

(٣) د . محمد عبد اللطيف البحراوي : حركة الاصلاح العثماني ... ، ص ٢١٤ .

(٤) صبحي وحيده ، في أصول المسألة المصرية ، ص ١٤٣ .

(٥) د . لطيفة محمد سالم : الحكم المصرى في الشام ... ، ص ٥٧ .

الجزيرة العربية ، إلا أن اعترافه بالولاء للسلطان ، ودفعه للجزية السنوية ، وعدم جرأته على اعلان استقلاله عن السلطان[1] ، قد جعلته يمنع رجال دولته من التدخل في حل مشاكله مع تابعه ، محاولا أن يظهر لسفراء الدول أنه جانح للسلم ، كاره للحرب ، على أمل أن يتوصل مع الفرنسيين إلى حل يرضى تابعه القوى ، ولا يؤثر على كيان دولته[2] ، في نفس الوقت الذي أرسل خليل باشا ليعرض على محمد على ولاية فلسطين وطرابلس وعكا بدلا من الشام وأطنه[3] ، ويطالبه بالتوقف عن الحرب ، ولكن محمد على بدأ يماطل المندوب العثماني ، متظاهرا بالإخلاص للدولة العثمانية مطالبا بتحقيق آماله كلها[4] ، وفي الوقت الذي أرسل السلطان العثماني فرمانا إلى قائد الجند الثائرين على محمد على في الحجاز ـ تركجه بيلمز ـ يقره واليا على الحجاز نكاية بالباشا لحروبه التي يشنها في الشام[5] ، إلا أن انتصارات محمد على في الشام جعلته لا يعترف بهذا الفرمان ، وبالتالى بدأ في القضاء على هؤلاء الثوار بالتهديد حينا وبالترغيب حينا آخر[6] ، مبديا لهم آثار انتصاراته على الدولة العثمانية ، وأنه قادر على القضاء عليهم ، خاصة وأن الدولة العثمانية قد رضخت لمطالبه ،

---

(١) د . محمد فؤاد شكرى وآخرون : بناء دولة مصر محمد على « السياسة الداخلية » ، ص ٢٦٥ ـ ٢٦٦ .

(٢) ميخائيل شاروبيم بك : الكافي في تاريخ مصر القديم والحديث ، ص ٦٠ ـ ٦١ ، ٦٧ .

(٣) محمد صبرى : تاريخ مصر الحديث ... ، ص ٦٨ .

(4) Document : F. O. 78 / 227. No. 9. 60952.

(٥) د . فاروق عثمان أباظة : عدن والسياسة البريطانية في البحر الأحمر ، ص ١١٢ .

(٦) وثيقة تركى رقم ١٥٦ ، دفتر معيه تركى ٤٤ ، ص ٣٤ ، دار الوثائق القومية بالقاهرة .

وأرسلت الرسل لعقد الصلح معه[1] ، مما يجعلنا نؤكد هنا أنه بالرغم من اهتمام محمد على بتوسيع نفوذه ، ومحاولته الاستيلاء على الشام ، فهو حريص على عدم الانفصال عن جسم الدولة العثمانية ، إذ أن ذلك الانفصال كفيل « باثارة الأهلين وهم إذ ذاك متعلقون بالعرش العثماني ، وبالخلافة الإسلامية »[2] .

وهذا عكس ما ذهب إليه بعض المؤرخين من أن محمد على كان يفكر في انشاء امبراطورية عربية تحت حكمه في ذلك الوقت ، إلا أنه لم يعلن استقلاله عن الدولة العثمانية[3] ، في تلك الفترة ، حتى أن القناصل الغربيين في مصر اختلفوا عند هذه النقطة ، فبينما نرى كامبل Campbell في رسالته المؤرخة في ١١ نوفمبر سنة ١٨٣٤ م ، والمرسلة إلى وزير خارجيته اللورد بالمرستون Lord, Palmerston ، يؤكد حرص محمد على ، على الاستقلال ويطلب معرفة الجواب من الحكومة البريطانية [4] ، كان القنصل الروسي دوهاميل Duhamel قد قدم براءة الباب العالى إلى الباشا عندما قابله بصفة رسمية كقنصل لدولته في أواخر شهر رمضان سنة ١٢٤٩ هـ الموافق ٣٠ من

(١) د . عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم : من وثائق شبه الجزيرة العربية في عصر محمد على ، جـ ١ ، ص ٤٥٢ ـ ٤٥٢ .

(٢) أ . محمد شفيق غربال : منهاج مفصل لدروس في العوامل التاريخية في بناء الأمة العربية ... ، ص ٩٣ .

(٣) سهيل زكار : بلاد الشام في القرن ١٩ ، دراسة وتحقيق : مشهد العيان بحوادث سوريا ولبنان للدكتور ميخائيل مشاقة ، ص ٢٠٤ .

د . أحمد حسن جوده : المصالح البريطانية في الكويت ... ، ص ٣٤ .

جورج أنطونيوس : يقظة العرب ، ص ٨٥ ـ ٨٦ .

(4) Document : F. O. 78/247. P. P. 109 - 120.

يناير سنة ١٨٣٤ م[١] ، ومهما يكن من اختلافات في الرأي ، إلا أن النزاع بين محمد على والسلطان محمود الثاني ، بدأ يحتدم وكأنهما قد عزما على حل خلافهما بالقوة الحربية ، فاستمر إبراهيم باشا في متابعة الزحف العسكري في الأناضول حتى وصل إلى كوتاهية ، وكان يشيع بين الناس أن مقصده من هذا الزحف هو توطيد دعائم السلطنة[٢] .

وإذا كان الأمر كذلك في نظر إبراهيم باشا ، فلا ريب أن محمد على كان أحرص من ابنه على تماسك الدولة العثمانية ، ولا غرو في ذلك ، إذ نرى أنه كلما زاد دنو قواته من الأستانة ، كلما قل حديثه عن الخلافة العربية ، وزاد تأكيده بعدم تفكيره في الاستقلال عن السلطنة[٣] ، ويبدو أن الدهاء السياسي ومحاولة محمد على عدم تمكين الأجانب من معرفة أهدافه ومنهجه السياسي قد جعله يحرص على إظهار التضارب في سياسته[٤] ، حتى أن الكولونيل كامبل Colonel, Campbell ، القنصل البريطاني في القاهرة ، أشار في رسالة إلى وزير خارجيته اللورد بالمرستون Lord, Palmerston ، أن التسهيلات التي يقدمها الباشا لقوافل الحجاج الآتية من اسطمبول ، تنطلق من أهداف سياسية أكثر منها دينية[٥] ، وذهب إلى ذلك الرأى أحد المعاصرين للأحداث، حيث قال :

---

(١) د . محمد فؤاد شكرى وآخرون : بناء دولة مصر محمد على « السياسة الداخلية » ، ص ٢٩٢ ـ ٢٩٣ .

(٢) محمد كرد على : خطط الشام ، جـ ٣ ، ص ٥٥ ـ ٦٦ .

(٣) د . السيد رجب حراز : المدخل إلى تاريخ مصر الحديث ، ص ٢٦٥ .

(٤) د . أحمد مصطفى أبو حاكمة : تاريخ الكويت ، ق ١ ، جـ ٢ ، ص ١١٣ .

(5) Document : F. O. 78 / 247. P.P. 109 - 120.

« استطاع محمد على باشا ، أن يلجأ إلى الخداع ليجعل من نفسه شخصاً محترماً وذا شأن عظيم في العالم الإسلامي .. »[١]، وعلى أية حال فقد ، « كبر محمد على وابنه إبراهيم بطريقة هائلة ، جعلت السلطان محمود الثاني شغوفا للتقليل من شأنهما ، والاجهاز عليهما »[٢] ، فبلغت الحرب الدبلوماسية ذروتها بين الباب العالي ومحمد على ، وأنشأ كل من الطرفين صحيفة لمهاجمة الطرف الثاني ، وتفنيد الاتهامات التي تكيلها صحيفة الطرف الآخر[٣] .

مما يظهر لنا أن علاقة السلطان محمود الثاني مع تابعه القوى محمد على ، لم تكن على نمط واحد ، إذ خضعت للمتغيرات التي مرت بها الدولة العثمانية ، وتطورت تبعا لتطور الأحداث ، إلا أن قصب السبق كان من نصيب محمد على ، الذي واكب تلك المتغيرات ، وكسبها إلى جانبه ، حتى خاض حرب الشام الأولى ، التي وضعت النقاط على الحروف في كنه هذه العلاقة ، وحددت الأبعاد السياسية التي يسير عليها الطرفان .

---

(١) جورج فورستر سادلير : رحلة عبر الجزيرة العربية ... ، ص ١٥٥ .

(2) H. Temperley and L. M. Penson; Foundations of British Foreign Policy. P.P. 122 - 123.

(٣) د . محمد عبد اللطيف البحراوى : حركة الاصلاح العثماني ... ، ص ٢٠٣ .

جـ « سياسة أوربا نحو الدولة العثمانية »
خطة التدخل ... وسياسة التكامل

أصبحت الدولة العثمانية في أوائل القرن الثالث عشر الهجرى ، أواخر القرن الثامن عشر ، وأوائل القرن التاسع عشر الميلادى في موقف يستدعى نظرة شاملة في كل شئونها[1] ، فقد أصبحت الدول الكبرى حينذاك تنظر للدولة العثمانية من زاوية مصالحها الخاصة ، « فكانت بعض الدول ترى مصلحتها في التعجيل بتحطيم الدولة للحصول على الأجزاء التي ترغب فيها ، بينما يرغب البعض الآخر في المحافظة عليها ، على أن يكون لها النفوذ الراجح ، ونشأ ما سمى باسم : سياسة التدخل ، وتقابلها ما أسميت باسم سياسة التكامل ... وفي السنوات الأولى من القرن التاسع عشر اضطرتهم حروب نابليون إلى مساعدة أو معارضة تركيا طبقا للظروف الطارئة ، من غير مراعاة للقواعد العامة ، فروسيا تريد الخروج من سجنها بالقارة ، وانجلترا تريد ابعاد روسيا عن طرق الهند ، والنمسا ترى في القسطنطينية وسالونيك مركزا هاما لها ، فكان هناك وفاقا بين سياسة الروسيا والنمسا ، وعكس ذلك بين سياسة انجلترا والروسيا »[2] .

وعندما اختار نابليون مصر كنقطة لانطلاقه خارج أوربا ، أقلق ذلك بريطانيا بصورة جعلتها تقيم علاقات سياسية مستديمة مع الدولة العثمانية ،

(١) الاستاذ محمد شفيق غربال : منهاج مفصل لدروس في العوامل التاريخية في بناء الأمة العربية ... ، ص ٨٥ .

(٢) د . محمد عبد اللطيف البحراوى : حركة الاصلاح العثماني في عصر السلطان محمود الثاني ... ، ص ٦٣ ـ ٦٤ .

لتقف بذلك في وجه هذه الانطلاقة ، لكي لا تقترب من حدود الهند والمداخل البحرية للخليج العربي والبحر الأحمر[1] ، وهما الشريان المائي المؤدي إلى درة التاج البريطاني ، إلا أن احتلال نابليون لمصر قد أدخل العلاقات الفرنسية مع الدولة العثمانية في مرحلة جديدة ، فلم يعد الدور الفرنسي ينحصر على حماية الكاثوليك كما كان سائدا قبل ذلك ، بل بدأت المصالح التجارية والمصالح السياسية تأخذ طابعا مميزا لتشترك بذلك مع الدول العظمي كبريطانيا وروسيا والنمسا [2] ، فروسيا التي وضع بطرس الأكبر أساس سياستها تجاه الدولة العثمانية ، والتي سارت عليها من بعده كاترين الثانية ، واسكندر الأول ، والتي كانت تؤكد على احتلال القسطنطينية واخراج الترك من أوروبا ، فكأن « علاقة روسيا بتركيا ... علاقة دوله محبوسة بدولة بيدها المفتاح » ، مما يؤكد لنا أن هذه العلاقة وما ترتب عليها من مشكلات قد نشأت عن موقع الدولة في تلك الفترة ، التي « كان المستقبل فيها للبحر ، والتوازن الدولي في اتجاهه اليه ، ونظرية التجارة الحرة وحرية البحار في عصر القنوات تقوى وتنتشر »[3] وقد حاولت كاترين الثانية اغراء النمسا للموافقة على اقتسام الدولة العثمانية ، في نفس الوقت الذي أخذت فيه تثير القلاقل في بلاد القرم ، حتي

(١) جون ـ ب ـ كيلي : بريطانيا والخليج ١٧٩٥ ـ ١٨٧٠ ، جـ ١ ، ص ٩٦ .

(٢) أ . محمد شفيق غربال : منهاج مفصل لدروس في العوامل التاريخية في بناء الأمة العربية ... ، ص ٨٤ .

زين نور الدين زين : الصراع الدولي في الشرق الأوسط وولادة دولتي سوريا ولبنان ، ص ٣٤ .

(٣) د . محمد عبد اللطيف البحراوى : حركة الاصلاح العثماني في عصر السلطان محمود الثاني ، ص ٦١ ـ ٦٤ .

تنازل لها السلطان عن شبه جزيرة القرم ، وأعطى لروسيا حق إقامة كنيسة أرثوذكسية في القسطنطينية ذاتها[1] .

وفي الوقت الذي كان فيه نابليون حريصا على اقتسام الدولة العثمانية لاعتقاده بأن في ذلك فرصة لتوجيه ضربة قوية ضد بريطانيا في الهند ، حاولت روسيا سنة ١٢٢٢ هـ / ١٨٠٧ م ، اقناعه باقتسام الدولة العثمانية على أن تعطى النمسا طعما من تلك الغنيمة[2] ، إلا أن الغموض الذي كان يكتنف سياسة روسيا ، والخوف الذي سيطر على نابليون حال دون ذلك التقسيم[3] ، ورغم ذلك ومع وجود بعض الفتور في علاقات الدولة العثمانية وبريطانيا خلال السنوات ١٢٢٢ ـ ١٢٢٤ هـ = ١٨٠٧ ـ ١٨٠٩ م ، إلا أن بريطانيا لم تغفل عن الخليج العربي ، وطرق الهند ، فأرسلت بعثاتها إلى فارس وعقدت معاهدة معها ، للوقوف ضد النفوذ الفرنسي ، ومن ثم ضد النفوذ الروسي سنة ١٢٢٩ هـ / ١٨١٤ م[4] ، وكأن انجلترا بذلك تترجم للواقع سياستها تجاه الدولة العثمانية ، معتبرة إياها مع فارس منطقة عازلة للهند البريطانية ، ووقوع أي جزء من تلك الدولتين ، وبالذات الدولة العثمانية في أيدى الدول الأوروبية حرى به تعريض الهند للخطر[5] ،

(١) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ٣٦٠ .

(٢) د . محمد كمال الدسوقي : الدولة العثمانية والمسألة الشرقية ، ص ١٠٥ .

(٣) د . عبد الحميد البطريق : التيارات السياسية المعاصرة ١٨١٥ ـ ١٩٦٠ م ، ص ١١٨ .

(٤) ج . ج . لوريمر : دليل الخليج القسم التاريخي ، جـ ١ ، ص ٢٧٩ .

(٥) جون . ب . كيلى : بريطانيا والخليج ... ، جـ ١ ، ص ٤٤٣ .

فالمحافظة على كيان الدولة العثمانية وتماسك ممتلكاتها هو ديدن السياسة البريطانية منذ مؤتمر فينا سنة ١٢٣٠ هـ / ١٨١٥ م[١] ، فلا غرو إذ ذاك أن نرى عدة اتفاقات مع الدولة العثمانية تضمن لبريطانيا التحرك بيسر وسهولة في الأجزاء الشمالية من الخليج العربي ، ناهيك عن المساعدة الحربية للوقوف إلى جانب الدولة ضد الاعتداءات الخارجية وبالتحديد ضد فرنسا وروسيا[٢] ، ولا أدل على ذلك من التهاني التي زفت لإبراهيم باشا عند انتصار قوات الدولة العثمانية في الجزيرة العربية سنة ١٢٣٤ هـ / ١٨١٩ م[٣] ، أما النمسا التي كانت تميل دائما إلى جانب الدولة العثمانية ، وجعل مبدأ الحقوق الشرعية أساسا لأية تسوية للمشكلات الطارئة ، فقد تزعم مستشارها مترنيخ[٤] ، الدعوة إلى « تحطيم أية ثورة تقوم ضد الحاكم الشرعي في أي مكان في أوروبا ولو أدى الأمر إلى التدخل العسكرى »[٥] ، حتى أن رجال الدولة العثمانية قد فطنوا إلى أطماع دول أوروبا ، مبدين تخوفهم من اعطاء الشام لمحمد على

(١) د . سليمان بن محمد الغنام : قراءة جديدة لسياسة محمد على باشا التوسعية .. ، ص ٤٧ .

د . محمد كمال الدسوقي : الدولة العثمانية والمسألة الشرقية ، ص ١٤٤ .

(٢) د . عبد العزيز عبد الغني إبراهيم : علاقة ساحل عمان ببريطانيا .. ، ص ٧٦ .

(٣) جورج فورستر سادلير : رحلة عبر الجزيرة العربية .. ، ص ١٦٠ .

(٤) مترنيخ : سياسي نمساوى شهير ، ولد سنة ١٧٧٣ م ، وتقدم سريعا ، فنراه وزيرا في سكسونيا سنة ١٨٠١ م ، ثم سفيرا في برلين سنة ١٨٠٣ م ، وفي باريس سنة ١٨٠٦ م ، وأخيرا تسلم وزارة الخارجية النمساوية سنة ١٨٠٩ م ، إلى أن اعتزل الأعمال بعد حركة سنة ١٨٤٨ م ، وبقى معتزلا حتي توفى سنة ١٨٥٩ م ، د . عبد العزيز نوار والدكتور عبد المجيد النعنعي : التاريخ المعاصر ، أوروبا ... ، ص ١٥٤ ـ ١٥٥ .

(٥) د . عبد الحميد البطريق : التيارات السياسية المعاصرة ١٨١٥ ـ ١٩٦٠ م ، ص ٢٤ .

خشية تدخل دول أوروبا لصالحه ، وتزويده بالرجال والسلاح خفية مما يحدث ارباكا للدولة ، وفتح ثغرة في جسمها هي في غنى عنها[١] .

وعلى أية حال فقد كانت الثورة اليونانية بمثابة الشرارة التي أشعلت نار التنافس الأوروبي مجددا حول الدولة العثمانية ، فكان القيصر الروسي الاسكندر الأول Alexander I يبذل المساعدة لليونانيين ، على الرغم من تردده في بداية الثورة ، ولكنه مات قبل أن يرى ثمرات مساعداته ، فخلفه نيقولا الأول Nicholas I ، والمعروف بنزعاته الحربية[٢] ، واعتزمت روسيا التدخل إلى جانب اليونان لمفردها لتحقق أطماعها في الدولة العثمانية ، وتؤكد للثوار اليونانيين حمايتها للأرثوذكس[٣] ، ولكن الدول الأوروبية الأخرى لم تترك لها الحبل على الغارب ، بل هبت للوقوف في وجه هذا التدخل الروسي .

فالنمسا التي بدأت تدرك خطورة هذا التدخل ، واحتضان روسيا للثورات في الأقاليم التي يشملها نفوذها ، أسدت النصح للسلطان العثماني بأن يستعين بواليه القوى على مصر ، للقضاء على هذه الثورات في مهدها ، ناشدة بذلك الوقوف في وجه هذا الزحف الروسي ، حتى أنه

---

(١) وثيقة تركى رقم ٢/١ ـ ٩٤ ، الأصلى ١٩٥٧٨ ، ص ٢ ، دارة الملك عبد العزيز بالرياض .

(٢) د . سليمان بن محمد الغنام : قراءة جديدة لسياسة محمد على باشا التوسعية .. ، ص٦٨ ـ ٧٠ .

(٣) عبد الرحمن الرافعي : عصر محمد على ، ص ٢٠٤ .

د . محمد عبد اللطيف البحراوى : حركة الاصلاح العثماني في عصر السلطان محمود الثاني ... ، ص ١٣٨ .

في أثناء تواجد قــوات محمـد على في اليونان لم تبخل النمسا باسداء النصح لهذه القوات ، وحاول مترنيخ إقناع محمد على عن طريق مندوبيه بسرعة الاجهاز على الثورة اليونانية[١] ، أما فرنسا فقد ظلت سياستها غير واضحة المعالم ، وبدأ يظهر عليها الاضطراب في أهدافها ، فعلى الرغم من أنها قد أعارت محمد على بعثة حربية وعشرة ضباط بحريين لمرافقة القوات المرسلة لاخماد ثورة اليونان ، إلا أن هؤلاء الضباط سرعان ما انسحبوا من أسطول الباشا عندما عزمت الدول الأوروبية على تدمير الأسطول المصري العثماني في نفارينو Navarino[٢] ، كما أن هذا الأضطراب وعدم الوضوح قد ظهر في الصحافة الفرنسية ذاتها[٣] ، ولكن وزير خارجية بريطانيا جورج كانتج George Canning ، « كان يعتبر النزاع العثماني ـ اليوناني ، مسألة خاصة بالعثمانيين واليونانيين وحدهم ، وأن واجب الدول الكبرى أن تحول دون إقدام دولة من الدول على التدخل ، واستخدام القوة لفض أو تسوية النضال القائم »[٤] .

(١) د . محمد كمال الدسوقي : الدولة العثمانية والمسألة الشرقية ، ص ١٤١ .

(٢) نفارينو : ميناء مجرية في بلاد اليونان ، وتقع شمال مودن ، وإلى الجنوب الغربي من بيرة جك ، وتكتب ناورين باللغة التركية .

محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ٤٥٣ ، وهامش ص ١٨٥ .

(٣) بيير رنوفان : تاريخ العلاقات الدولية في القرن ١٩ ، القسم الأول ، ص ١٢٢ ، جورج كيرك : موجز تاريخ الشرق الأوسط ، ص ١١٨ .

(٤) د . السيد رجب حراز : المدخل إلى تاريخ مصر الحديث ... ، ص ٢٥٧ .

غير أن تدخل القوات المصرية في حرب اليونان ، وبالتالي سيطرة القوات العثمانية على الموقف ، مما دل على أن هذه الثورة ستكبح بقوة من قبل الدولة العثمانية وواليها القوي ، مما يجعل اشتراك روسيا أمرا شبه مؤكد ، وهذا بطبيعة الحال سيُكّون أضرارا مباشرة على المصالح البريطانية في البوسفور والدردنيل ، كل هذا جعل كاننج Canning ، يبعث الدوق ولنجتون Duke Wellington ، إلى بطرسبرج للتفاوض حول المسألة اليونانية ، والوصول بها إلى بر الأمان ، قبل استفحال أمرها ، واحداث كثيرا من المشاكل التي تخل بالتوازن الدولي(١) ، وليس هناك من شك في تعاطف الأوروبيين بشكل عام مع اليونان ، ولكن السياسة البريطانية التقليدية التي تدعو للمحافظة على كيان الدولة العثمانية ، كانت تحتم على الساسة الانجليز السير في هذا الاتجاه(٢) .

وعلى أية حال فقد بعثت بريطانيا وروسيا وفرنسا بأساطيلها للقضاء على الأسطول العثماني ـ المصري في نفارينو Navarino ، وتم لهم ذلك أواخر شهر ربيع الأول سنة ١٢٤٣ هـ المصادف للعشرين من أكتوبر سنة ١٨٢٧ م(٣) ، تلك المعركة التي كانت نتاجا طبيعيا لمعاهدة لندن ، التي أبرمها كاننج Canning في أوائل شهر ذي الحجة سنة ١٢٤٢ هـ الموافق السادس من يوليو سنة ١٨٢٧ م ، مع روسيا وفرنسا ، والتي تهدف في النهاية إلى انشاء

---

(١) د . محمد كمال الدسوقي : الدولة العثمانية والمسألة الشرقية ... ، ص ١٤٥ ـ ١٤٩ .

(٢) بيير رنوفان : تاريخ العلاقات الدولية في القرن ١٩ ، القسم الأول ، ص ١٢٢ .

د . السيد رجب حراز : المرجع السابق ، ص ٢٥٨ .

(٣) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ٤٢٧ .

دولة يونانية تتمتع بالحكم الذاتي تحت سيادة السلطان[1] ، وقد كانت الحرب اليونانية ذات آثار وخيمة على الدولة العثمانية ، وأصبحت سياسة أوروبا حيالها حينذاك تنفذ وفق رغبات الدول ذاتها ، في الوقت الذي أصبح الباب العالي لا يملك من اتخاذ القرارات إلا ما توافق عليه الدول الأوروبية ، ففي ٢٠ المحرم سنة ١٢٤٤ هـ الثالث من أغسطس سنة ١٨٢٨ م ، اتفقت فرنسا وبريطانيا مع محمد على على سحب جيوشه من اليونان[2] ، أما الجيش الروسي فقد شن حربا ، على القوات العثمانية ، ودخل أدرنة ، ولم يمنعه من دخول القسطنطينية إلا عدم رغبة أوروبا في ذلك ، مما حدا بالسلطان العثماني إلى توقيع معاهدة أدرنه Adrianople في أوائل ربيع الأول سنة ١٢٤٥ هـ المصادف للرابع عشر من سبتمبر سنة ١٨٢٩ م[3] ، ولا غرو في ذلك إذا عرفنا أن سقوط أدرنة Adrianople ، التي تعتبر الخط الدفاعي الأخير من العاصمة أستانبول ، جاء بعد أن اجتازت القوات الروسية نهر الطونة واخترقت جبال البلقان ، ونهر الطونة ، هو حد الأمان للدولة العثمانية طوال تاريخها[4] ، وقد « أحس الكونت بولينياك Polignac وزير خارجية فرنسا بتدهور أوضاع الدولة ، فتقدم بمشروع تحالف مع روسيا لتقسيم أملاك الدولة ، تقسيما كاملا ولاعادة تخطيط حدود

---

(١) هـ . أ . ل . فيشر : تاريخ أوروبا في العصر الحديث ، ص ١٢٨ ـ ١٢٩ .

(٢) محمد صبرى : تاريخ مصر الحديث .. ، ص ٦٣ .

(٣) د . محمد عبد اللطيف البحراوى : حركة الإصلاح العثماني في عصر السلطان محمود الثاني .. ، ص ١٥٠ ، ٢٤٤ .

أدرنة : تسمى أدرنة بالرومية ، أدريانا بوليس نسبة للأمبراطور أدريان الرومي ، الذي أجرى فيها عدة تحسينات ، أوجبت اطلاق اسمه عليها ، محمد فريد بك : المرجع السابق ، ص ١٢٩.

(٤) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ٤٣٣ .

الدول الأوروبية في ضوء هذا التقسيم »[١]، ولكن التوقيع على معاهدة أدرنة قطع عليه حبل الأمل ، وأخيرا أرغم الباب العالى على المصادقة على استقلال اليونان ، وفق ما جاء في معاهدة لندن ، وذلك في أوائل شهر شعبان سنة ١٢٤٥ هـ ، الموافق الثالث من فبراير سنة ١٨٣٠ م[٢]، حتى الولايات المتحدة الأمريكية استفادت هي الأخرى من هذه الحرب ونتائجها ، وحاولت الحصول على مكاسب اقتصادية وتجارية نظير موقفها من الثورة اليونانية ، وتوجت ذلك بمعاهدة ١٢٤٥/١٢٤٦ هـ الموافق ١٨٣٠ م ، حققت بموجبها كثيرا من الامتيازات باعتبارها الدولة المفضلة[٣] .

ومع أ بريطانيا قد أبدت قلقها من معاهدة أدرنة Adrianople واعتبرتها ذات أثر سلبي فيما يتعلق بعبور المضائق ، ويتناقض تماما مع الاتفاقية التي عقدتها بريطانيا مع الدولة العثمانية سنة ١٢٢٤ هـ / ١٨٠٩ م[٤]، إلا أن روسيا قد انتهجت سياسة مغايرة لسياستها التقليدية تجاه الدولة العثمانية ، وذلك بناء على ما توصلت اليه اللجنة المشكلة بأمر من القيصر نيقولا Nicholas ، والتي رأت أنه من الأصلح لروسيا ابقاء كيان الدولة العثمانية على حالته الراهنة ، وعدم اللجوء إلى تقسيم أملاكها ، بأي حال

---

(١) د . محمد كمال الدسوقي : الدولة العثمانية والمسألة الشرقية ، ص ١٥٠ .

(٢) عبد الرحمن الرافعي : عصر محمد على ، ص ٢١٣ .

السيد رجب حراز : المدخل إلى تاريخ مصر الحديث ... ، ص ٢٦٢ .

(٣) د . نورى عبد البخيت السامرائي : من تاريخ الوجود الأمريكي في البحر المتوسط في أواخر القرن ١٨ ، أوائل القرن ١٩ ، مجلة المؤرخ العربي عدد ٢٣ ، ص ٢٣٣ .

(٤) د . سليمان محمد الغنام : قراءة جديدة لسياسة محمد على باشا التوسعية ... ، ص ٨٨ .

من الأحوال خاصة أجزاءها الأوروبية ، ولها أن تتجه إذا شاءت إلى أرمينيا وبغداد [١] ، وأسر نيقولا Nicholas بآرائه تلك إلى النمسا ، فنال بذلك تأييد مستشارها مترنيخ طوال العشر سنوات التي أعقبت معاهدة أدرنة ، ولم يشرح تلك الآراء لبريطانيا ، مما جعلها على طرفي نقيض مع روسيا من الوجهة البريطانية على الأقل ، وحريٌ بالوزير البريطاني اللورد بالمرستون Lord, Palmerston [٢]، أن يدرك ذلك من مظاهر الود التي كانت بين النمسا وروسيا خلال تلك الفترة ولكنه لم يفعل [٣] .

أما فرنسا فقد حاولت جاهدة الاستفادة من الوضع الذي تعيشه الدولة العثمانية ، لتضم بلاد الجزائر اليها ، واضعة نصب عينيها عدم المساس بالأمن الأوربي ، وحاولت اغراء محمد على بذلك ، ولكن بريطانيا وقفت دون ذلك

---

(١) أ . ج . جرانت وهارولد تمبرلى : أوروبا في القرنين ١٩ ، ٢٠ ، جـ ١ ، ص ٣٣٢ ـ ٣٣٣ .

بيير رنوفان : تاريخ العلاقات الدولية في القرن ١٩ ، القسم الأول ، ص ١٣٢ .

(٢) بالمرستون : سياسي انكليزي شهير ، ولد سنة ١٧٨٤ م ، وبعد أن أتم دراسته في مدرسة كمبردج العليا ، انتخب في مجلس العموم سنة ١٨٠٦ م وانضم إلى حزب المحافظين ، وفي سنة ١٨٣٧ م تحول عنهم وانخرط في سلك الأحرار ، وصار وزيرا للخارجية من سنة ١٨٣٠ م إلى سنة ١٨٤١ م ، ومن سنة ١٨٤٦ م إلى سنة ١٨٥١ م ، ومن سنة ١٨٥٥ م إلى سنة ١٨٥٨ م وأخيرا من سنة ١٨٥٩ إلى تاريخ وفاته سنة ١٨٦٣ م .

محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، هامش ص ٤٥٩ .

(٣) أ . ج . جرانت وهارولد تمبرلى : أوروبا في القرنين ١٩ ، ٢٠ ، جـ ١ ، ص ٣٣٣ .

الأمل[١] ، كما أن محمد على نفسه لم يقتنع به لعدم جدواه لأهدافه التوسعية التي يرمى إليها[٢] .

ويذهب بعض المؤرخين إلى أن أطماع فرنسا في الشمال الأفريقي ما هي إلا نتيجة تعاون روسى فرنسي « فحواه مساعدة فرنسا لروسيا في بسط حمايتها على رومللي مقابل مساعدة روسيا لفرنسا في ضم البلجيك وغزو الجزائر ، ومكافأة لها على حملة الموره ، وفي ١٨٣٠ م كان واضع أساس هذا التحالف وهو دى بوليناك DePolignac ، وهو أيضا صاحب مشروع تغيير خريطة أوروبا على أساس طرد العثمانيين منها ، وحل مشاكل أوروبا دفعة واحدة »[٣] . ولكن بريطانيا كانت تقاوم كل سياسة أو خطة تساعد في زيادة النفوذ الفرنسي في الشرق ، وترفض كذلك أي محاولة للقضاء على كيان الدولة العثمانية[٤] ، خاصة إذا كانت على يدى محمد على باشا وبايعاز من فرنسا التي ستصبح بعد ذلك صاحبة الكلمة الفصل في الشرق العربي ، والذي يتحكم في طرق التجارة إلى الهند .

ومع أننا نجد بعض رجال السياسة البريطانيون ، ومنهم اللورد بونسنبى Lord, Ponsonby سفير بريطانيا في الأستانة ، والقنصل كامبل Campbell في

(١) د . أحمد عزت عبد الكريم : دراسات في تاريخ العرب الحديث ، ص ٣٧٤ .

جورج كيرك : موجز تاريخ الشرق الأوسط ، ص ١١٨ .

(٢) د . محمد كمال الدسوقي : الدولة العثمانية والمسألة الشرقية ، ص ١٥٧ .

(٣) د . محمد عبد اللطيف البحراوى : حركة الإصلاح العثماني في عصر السلطان محمود الثاني ... ، ص ١٥١ .

(٤) د . السيد رجب حراز : المدخل إلى تاريخ مصر الحديث ، ص ٢٦٤ .

مصر ، يذهبون للقول : بأن قوات محمد على يمكن الاعتماد عليها في صد محاولات التوسع الروسي[١] ، إلا أن بالمرستون Palmerston يرفض ذلك من مبدأ المحافظة على تكامل الدولة العثمانية ، وعدم تعريضها لحروب قد تشترك فيها دول أوروبا قاطبة وربما كانت نتيجتها وبالا على الجميع وأكد ذلك القنصل البريطاني في العراق الذي أبدى خوفه من انهيار الدولة العثمانية ، فحذره بالمرستون Palmerston بعدم تدخله فيما لا يعنيه[٢] ، كما كرر بالمرستون Palmerston نفس الأسلوب مع الحكومة الايرانية التي حاولت أن تساعد ثورة عزيز أغا ضد على باشا رضا ، نكاية بالدولة العثمانية[٣] .

« لأ بريطانيا لا زالت تعتبر أن الدولة العثمانية ـ مع ضعفها ـ وليست مصر ، هي الحاجز الطبيعي ضد التوسع الروسي »[٤] ، وليست بريطانيا فحسب هي التي تحافظ على الدولة العثمانية ، وانما جميع الدول الأوروبية باتت تشترك في هذه المحافظة كل من زاويته[٥] ، وقد أشار إلى ذلك أحد المؤرخين حين قال : « ... وكلما تقدم إبراهيم ، نحو عاصمة الدولة ـ العثمانية ـ كلما اهتز والده في مصر ، وتجمعت حوله الأخطار واعتبرت أوروبا محمد على كنابليون ... »[٦] ، وكأن حروب الشام الأولى التي قادها إبراهيم باشا بأوامر

(1) Document : F. O. 78 / 246, 61070, NO. 42.

(٢) جون . ب . كيلي : بريطانيا والخليج ١٧٩٥ ـ ١٨٧٠ م ، جـ ١ ، ص ٤٦٣ .

(٣) د . عبد العزيز نوار : تاريخ العراق الحديث ... ، ص ٦٢ .

(٤) د . سليمان بن محمد الغنام : قراءة جديدة لسياسة محمد على باشا التوسعية ... ، ص ٨٩ .

(٥) جون . ب . كيلي : بريطانيا والخليج ١٧٩٥ ـ ١٨٧٠ م ، جـ ١ ، ص ٤٦٤.

(٦) د . محمد عبد اللطيف البحراوى : حركة الاصلاح العثماني في عصر السلطان محمود الثاني ... ، ص ١٥٣ .

والده ، قد بدأت تسير بالدولة العثمانية إلى مرحلة أشد تعقيدا من حروب اليونان ، خاصة في علاقاتها مع أوروبا ، وهو ما نريد الوصول إليه في هذا البحث .

فعلى الرغم من التلميحات التي أطلقها محمد على لقناصل الدول الأوروبية ، وتأكيده لهم بأنه تابع للسلطان ، وحروبه تلك ما هي إلا لإصلاح الدولة العثمانية ، والوقوف في وجه السيطرة الروسية كما قال ، مما يجعل ذلك في مصلحة فرنسا وبريطانيا ، وأن أي تدخل قد يحدث من تلك الدول سيؤدي إلى حرب دينية بين المسلمين والمسيحيين(١)، إلا أن روسيا قد نظرت إلى الموقف بصورة مختلفة عن بقية دول أوروبا ، فسارعت بارسال الجنرال مورافيف Muraviev ، في مهمة خاصة إلى استانبول والاسكندرية(٢) ، وتلاه ظهور الأسطول الروسي في مياه البوسفور ، مما جعل فرنسا وبريطانيا تتدخلان بين السلطان وتابعه ، خشية من تفاقم الوضع ، وسوء عاقبة تدخل روسيا عسكريا (٣) ، على الرغم أن هاتين الدولتين عندما استحثهما السلطان محمود الثاني في بداية الأزمة ، لم تبديا أي تأييد ، مع أن السفير البريطاني قد حاول اغراء حكومته لمساعدة السلطان ضد تابعه ، ولكن اللورد بالمرستون

---

(١) جون . ب . كيلي : المرجع السابق ، جـ ١ ، ص ٤٦٦ .

صبحى وحيده : في أصول المسألة المصرية ، ص ١٤٥ .

(٢) عبد الرحمن الرافعي : عصر محمد على ، ص ٢٥٢ .

ميخائيل شاروبيم بك : الكافي في تاريخ مصر القديم والحديث ، ص ٥٤ .

(٣) د . على حسون : تاريخ الدولة العثمانية ، ص ١٣٥ .

رزق الله منقريوش الصدفي : تاريخ دول الإسلام ، جـ ٣ ، ص ٣١٩ .

Palmerston ، رفض طلبات السفير مشيرا إلى تردده ، وعدم استطاعته الدخول منفردا في هذه الأزمة الحساسة [1] ، مكتفيا باسداء النصح للسلطان العثماني بضرورة الصلح مع محمد على بدون وساطات الدول الأوروبية[2] ، ولكن عندما اتجه السلطان في ساعة يأسه « إلى عدوه التقليدى طالبا العون .. معبرا بذلك لأحد مستشاريه بقوله : ان الغريق يتعلق بالحية ، فتعلق السلطان بروسيا »[3] ، عندئذ فزعت بريطانيا وفرنسا ، وخَشيتا من بسط روسيا لنفوذها على الدولة العثمانية ، كما انضمت اليهما النمسا وأرغمت محمد على باشا على الصلح مع السلطان العثماني[4] .

وبذلك نصل إلى أن تدخل الدول الأوروبية سنة ١٢٤٧ / ١٢٤٨ هـ / ١٨٣٣ م ، بين محمد على والسلطان العثماني ، إنما كان تدخلا لتحقيق مصالحها الذاتية من مبدأ سياسة خطة التدخل وسياسة التكامل ، التي تفرضها على الدولة العثمانية متى شاءت ، فعندما خشيت روسيا من مجاورة دولة قوية ربما تسد الطريق في وجهها عن تحقيق أطماعها ، تدخلت سياسيا أولا ، ثم عسكريا ثانيا ، أما بريطانيا التي كانت تحسب ألف حساب لطريق الهند من السويس والفرات ، وخشيتها من امتداد نفوذ محمد على أو حليفته

(١) جون . ب . كيلي : بريطانيا والخليج ١٧٩٥ ـ ١٨٧٠ م ، جـ ١ ، ص ٤٦٥ ، ٤٧٣ .

(٢) د . السيد رجب حراز : المدخل إلى تاريخ مصر الحديث ... ، ص ٢٦٧ .

(٣) أ . ج . جرانت وهارولد تمبرلى : أوروبا في القرنين ١٩ ، ٢٠ ، جـ ١ ، ص ٣٣٤ .

(٤) جورج كيرك : موجز تاريخ الشرق الأوسط ، ص ١١٩ .

محمد على الشيخ : صراع العمالقة في القرن ١٩ ، ص ١١٧ .

فرنسا ، أو روسيا التي بدأت تقف عسكريا إلى جانب السلطان ، فقد غيرت حساباتها وتدخلت في حل المشكلة بين الوالى وتابعه[(١)] ، خاصة وأن روسيا قد تمكنت بواسطة مبعوثها الخاص الكونت الكسيسي أورلوف Alexisorloff من عقد تحالف ، تضمن عقد اتفاقية دفاعية هجومية بين الطرفين العثماني والروسي ، هي اتفاقية انكيار سكليسي Unkiar Skelessi ، في النصف الأخير من شهر صفر سنة ١٢٤٩ هـ ، الموافق للثامن من يوليو سنة ١٨٣٣ م ، ولمدة ثماني سنوات[(٢)] ، وكأن سياسة روسيا منذ ذلك التاريخ قد بدأت تأخذ طابع الحماية للدولة العثمانية ، لا طابع المحافظة عليها ، ولا غرو عندئذ فيما قاله أحد المؤرخين عندما علق على هذه المعاهدة حين قال : « ولو نفذت المعاهدة فعلا ، لغدت تركيا دولة تابعة لروسيا بكل معانى الكلمة »[(٣)] .

من هنا « فقد نظرت كل من بريطانيا وفرنسا إلى تلك المعاهدة على أنها أداة تجعل من الدولة العثمانية دولة تسير في ركاب روسيا »[(٤)] ، وهذا ما لا ترضيانه ، ولا تقرانه مهما كانت النتيجة ، خاصة إذا عرفنا أن المادة السرية الملحقة بهذه المعاهدة قد أعفت السلطان العثماني ، من أعباء المساعدات المادية واكتفت بالتزامه « باقفال مضيق الدردنيل أي

---

(١) الميرالاى إسماعيل سرهنك : حقائق الأخبار عن دول البحار ، جـ ١ ، ص ٦٨٧ .

محمد صبرى : تاريخ مصر الحديث ... ، ص ٦٧ .

(٢) بيير رنوفان : تاريخ العلاقات الدولية في القرن ١٩ ، القسم الأول ، ص١٣٣

زين نور الدين زين : الصراع الدولى في الشرق الأوسط ... ، ص ٢٥ .

(٣) أ . ج . جرانت وهارولد تمبرلى : أوروبا في القرنين ، ١٩ ، ٢٠ ، جـ ١ ، ص ٣٣٥ .

(٤) د. عبد العزيز الشناوى : الدولة العثمانية ـ دولة إسلامية مفترى عليها ، جـ ١ ، ص ٢٢٠ .

بـأن لا يسمح لأي سفينة حربية أجنبية أن تدخله لأى سبب من الأسباب »[١]،
وقـد أكـد ذلك البـارون دى بوالكمـت Baronde Boisle Comte المنـدوب الفرنسي لهذه المهـمة في حـديثه لإبراهـيم باشا ، حيث قال : « ان سموكم يؤكد بحديثـه المخـاوف التـي ألمحت اليـها فـي كلامـي ، فإن مـا كنتم تنوون احداثه هو ما كنا نعمل على منعه ، ـ إلى أن قال ان ذلك ـ يفضى إلى مشاكل قد تشعل نار الحرب في أوروبا بأسرها »[٢] .

ومع أن الحكومـة البـريطانية أبلغت فرنسـا بتـحرك أسطولهـا إلى مـياه الاسكندرية ليكون تحت تصرف القنصـل البريطـاني ، الـذي ربمـا استعملـه في منع الامـدادات لإبراهيم باشا أن هو لم يتوصل إلى حـل مرضى مع الباشا في مصر ، إلا أن هذا الاجراء العسكري كان قد سبق باجراء دبيلوماسي في مناصب القناصل الانجليز في مصر ، إذ صدر قرارا من الوزارة الانجليزية في شهر رمضان سنة ١٢٤٨ هـ الموافق للسابع من يناير سنة ١٨٣٣ م ، يقضى بتعيين الكولونيل باتريك كامبل Colonel, Patrick, Campbell قنصلا في مصر ، لأن باركر Barker ، القنصل السابق « لا يستطيع اقناع الباشا بضرورة عقد السلام مع تركيا بسبب موقفه العدائي ازاء محمد على » ، كما يقول وزير خارجية فرنسا[٣] .

(١) د . سليمان بن محمد الغنام : قراءة جديدة لسياسة محمد على باشا التوسعية ... ، ص ١٥٢.

(٢) د . محمد كمال الدسوقي : تاريخ أوروبا الحديث ١٨٠٠ ـ ١٩١٨ م ، ص ٩٢ .

عبد الرحمن الرافعي ، عصر محمد على ، ص ٥٧١ .

(٣) د . محمد فؤاد شكرى وآخرون : بناء دولة مصر محمد على « السياسة الداخلية » ، ص ٢١٥ ، ٧٤٩.

جورج أنطونيوس : يقظة العرب ، ص ٩٢ .

وكان بريطانيا بعد معاهدة انكيار سكليسى Unkiar-Skelessi ودخول المشكلة إلى مجلس العموم البريطاني ، الذي أكد أحد نوابه أن الطريق أصبحت مفتوحة أمام الروس للهيمنة على الدولة العثمانية[١] ، بينما هي تعلق أهمية كبيرة على الاحتفاظ بكيان الدولة العثمانية لاعتباره من العوامل المؤثرة جدا في التوازن الدولى ، وضمانا لطرق التجارة الموصلة إلى الهند ، فكأن بريطانيا حينذاك قد باتت تميل إلى تدويل المشكلة لتشترك الدول الأوروبية في ايجاد حل لها ، حتى لا تنفرد روسيا بالعمل وحدها[٢] ، وقد وضح بالمرستون Palmerston موقف حكومته بعد تلك المعاهدة ، واهتمامها بالمحافظة على كيان الدولة العثمانية في رسالته إلى كامبل Campbell القنصل البريطاني في مصر ، والتي بعثها في النصف الأول من شهر رمضان سنة ١٢٤٨ هـ الموافق الرابع من فبراير سنة ١٨٣٣ م[٣] .

ومما يهمنا هنا أن تلك المعاهدة قد أضعفت الدولة العثمانية في الجزيرة العربية ، والخليج العربي ، مما يجعل الطريق إلى الهند في خطر داهم سواء من قبل روسيا ، أو حتى محمد على وأطماعه التوسعية المرتقبة[٤] ، كما زاد من قلق بالمرستون Palmerston ، التقرير الذي بعث به بونسنباى Ponsonby السفيرالبريطاني في الأستانة ، والذي أكد فيه على استمرار الحشود العسكرية

(١) د . عبد العزيز سليمان نوار : الشعوب الإسلامية (الأتراك ـ الفرس ـ الهند) ، ص ١٨٣ .

(٢) د . محمد فؤاد شكرى وآخرون : بناء دولة محمد على ، ص ٧٤٩ .

(٣) د . محمد فؤاد شكرى : مصر والسودان ـ تاريخ وحدة وادى النيل ، ص ١٤ .

(٤) جورج كيرك : موجز تاريخ الشرق الأوسط ، ص ١١٦ .

الروسية في البحر الأسود ، والتهديدات المستمرة من إبراهيم باشا [1] ، وكأن ذلك نذير بوصول الخطر إلى منطقة الخليج العربي ، وتهديد الوجود البريطاني فيها ، وبالتالي تمزيق شمل الدولة العثمانية والقضاء على سياسة التكامل التي ينتهجها بالمرستون Palmerston وحكومته [2] ، ومع أن فرنسا والنمسا قد استطاعتا التوصل إلى عقد اتفاق صلح بين السلطان ومحمد على في أواخر شهر ذى الحجة سنة ١٢٤٨ هـ ، الموافق لأوائل شهر مايو سنة ١٨٣٣ م ، يتم بموجبه ايقاف الحرب وانسحاب القوات الروسية من الأراضي التركية ، ويتنازل السلطان عن ولايتي سوريا وأطنة لمحمد على ، وبالرغم من انسحاب القوات الروسية في شهر محرم سنة ١٢٤٩ هـ الموافق لشهر يونيو سنة ١٨٣٣ م ، وما تبع هذا الانسحاب من عقد معاهدة انكيار اسكليسى Unkiar-Skelessi [3] ، إلا أن روسيا كانت مدركة للموقف البريطاني من سياستها تجاه الدولة العثمانية وتأثيرها على مصالحها الحيوية ، فاتجهت إلى النمسا لتكسبها إلى جانبها تدعيما لموقفها ، ولما تمتاز به النمسا من وضع استراتيجي بالنسبة للمواصلات البرية بين الدولة العثمانية وروسيا ، وتوصلت في أوائل عام ١٢٤٩ هـ ، أواخر عام ١٨٣٣ م ، إلى توقيع معاهدة ميونيخ – جريتز Munchen, Gratz ، « التي تعهدت فيها روسيا بالمحافظة على كيان الدولة العثمانية ، وأن أي

(1) Document : F. O. 78/224, 61070. No. 57.

(2) Document : F. O. 78/227, 60952. 24/5/1833.

Document : (I. O. R.) L/p, S/9/115. No. 26.

(٣) جون . ب . كيلي : بريطانيا والخليج ... ، جـ ١ ، ص ٤٧٣ .

تقسيم لأملاك الدولة عند الضرورة لن يتم إلا بالاتفاق بين روسيا والنمسا »[١]،
وقد بذل المستشار النمساوي مترنيخ محاولات عديدة لاقناع فرنسا وبريطانيا
للدخول في هذه المعاهدة ، ولكن انعدام الثقة في روسيا ، جعل محاولاته
لا تلقى التأييد من الحكومتين ، ومع ذلك اقترح على الدول الأوروبية
عقد تحالف رباعي بين روسيا والنمسا وانجلترا وفرنسا[٢] ، ولا غرابة
في ذلك إذ أن مترنيخ في ذلك الوقت هو رجل الأحداث الأول ، ناهيك
عن معرفته بأهداف الدول المتنازعة ، وموقفه المتميز من تلك الأحداث ،
ورغم ذلك فإن السياسة البريطانية لم تعدم الوسائل التي تواجه بها
معاهدة انكيار سكليسي Unkiar-Skelessi ، لتحافظ على كيان الدولة العثمانية ،
والحيلولة دون أي تدخل خارجي من أوروبا ، قد يؤدي إلى اختلال
التوازن الأوروبي لتخرج في نهاية الأمر بنصيب الأسد من هذه المسألة
التي شغلت أوروبا بأسرها ردحا من الزمن ، وقد علق المؤرخ الفرنسي
درايولت Driult على ذلك بقوله : « لقد كانت كل المزايا من نصيب
بريطانيا ، فصدت محمد على وفرنسا من الجنوب ، كما صدت روسيا
من الشمال ، وبذلك أفسحت المجال لاعادة الطريق البري إلى الهند
مستقبلا عن طريق العراق ، كما أنها ضمنت توسيع نطاق نفوذها
على طول هذا الطريق ، وصارت بالاختصار صاحبة اليد الطولى في

---

(١) د . محمد كمال الدسوقي : الدولة العثمانية والمسألة الشرقية ، ص ١٧٢ ، محمد على الشيخ : صراع العمالقة في القرن ١٩ ، ص ١١٧ .

(٢) د . محمد كمال الدسوقي : المرجع السابق ، ص ١٧٣ ـ ١٧٤ .

الشرق الأدنى »[1] ، ومهما يكن الأمر فإن أوروبا التي اختلفت أهواؤها ، وتضاربت مصالحها ، قد أجمعت على أمر واحد هو المحافظة على كيان الدولة العثمانية[2] ، وأن بريطانيا كانت في مقدمة تلك الدول خدمة لمصالحها الاقتصادية والاستراتيجية على حد سواء[3] .

وهكذا اتضح لنا من هذا العرض أن هذه الفترة التي تسبق المدى الزمني لموضوعنا قد اتسمت سياسة الدول الأوروبية فيها تجاه الدولة العثمانية ، بالتعقد والتشابك والتداخل ، كما اتضح لنا تفوق الدبلوماسية البريطانية فيها ، وتبنيها للحلول الدولية في أخطر المواقف ، وحرصها على سياسة التكامل نحو الدولة العثمانية في أوروبا ، وعلى العكس من ذلك في البحار العربية ، وعلى أطراف شبه الجزيرة العربية .

---

(١) جورج كيرك : موجز تاريخ الشرق الأوسط ، ص ١٢٣ .

(٢) د . السيد رجب حراز : المدخل إلى تاريخ مصر الحديث ... ، ص ٢٣٤ ـ ٢٣٥ .

(٣) أمين الريحاني : ملوك العرب ، المجلد الأول ، جـ ١ ، ص ٤١٣ .

الفصل الأول
حـــرب الشـام الأولى

أ ـ عكا ، بيلان ... والتقدم إلى قونيه .

ب ـ اتفـاقـيـة كـوتاهـيـة ١٢٤٨ هـ ـ ١٨٣٣ م ، الهدنة المسلحة .

جـ ـ انجلتـرا وسـيـاسة : منتصف الطريق ، نظرية القشرة الواقية للهند .

د ـ حركة محمد أغا « تركچه بيلمز » Turki Bilmaz.

١ ـ عصيان قوات محمد على في الحجاز أثناء حرب الشام .

٢ ـ انسحاب العصاة بقيادة بيلمز إلى الحديدة .

٣ ـ بيلمز في البصرة .

أ ـ عكا ، بيلان ... والتقدم إلى قونيه

منذ أن تبوأ محمد على باشا مركز السلطة في مصر ، أصبح جل اهتمامه منصبا على تأييد مركزه الشخصى ، وتدعيم قوته في البلاد للاحتفاظ بها لذاته ولذريته من بعده ، وعندئذ فقد جعل منها قوة حربية ذات بأس شديد ، وبدأ في بناء جيشه على النمط الأوروبي الحديث ، واستأثر في سبيل ذلك بمعظم الدخل الوطني للشعب المصرى ، ولو أنه حاول تنمية الموارد الاقتصادية في البلاد بشكل جيد وجديد ، إلا أن ملكية معظم الأراضي أصبحت في يده(١) ، كما أنه أدخل كثيرا من الصناعات التي لم تعرفها البلاد قبل ذلك التاريخ ، وبذلك زاد الانتاج الزراعي في مصر في الوقت الذي بدأت المشروعات الحربية والتسليح الجيد الجديد يظهر إلى حيز الوجود ، في نفس الوقت الذي يؤكد أن لمحمد على أطماعا توسعية وطموحات كبيرة في توسيع ممتلكاته في مصر أولا ، وخارجها ثانيا وليس أدل على ذلك من إدراكه بضرورة ضم ولايات الشام إلى ممتلكاته ، لأهمية الشام لمصر سواء من الناحية الاستراتيجية ـ الأمر الذي يترتب عليه أمن البلاد وبالذات عن طريق السويس ـ خاصة إذا سلمنا بهذا المبدأ الذي راود أكثر حكام مصر قبل محمد على باشا (٢) ، ثم أهميته

---

(١) د . محمد فؤاد شكرى وآخرون : بناء دولة مصر محمد على « السياسة الداخلية » ، ص ٢٣٧ .

د . السيد رجب حراز : المدخل إلى تاريخ مصر الحديث ، ص ٢٣٢ .

(٢) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ٣٧٥ ، عبد الرحمن الرافعي : عصر محمد على ، ص ٢١٨ ، د . محمد بديع شريف وآخرون : دراسات تاريخية في النهضة العربية الحديثة ، ص ٢٧ .

الاقتصادية التي تمثل الأخشاب المستعملة لبناء السفن الحربية والتجارية عمودها الفقرى ، يتبعها الموارد الأخرى التي يتميز الشام بوجودها في أراضيه ، إضافة إلى ما يمكن إضافته من الجنود لجيش الباشا من سكن لشام[١] ، ومن هنا فلا غرو أن يمد الباشا نظره إلى الشام منذ تسلمه مقاليد الأمور ، وسيطرته التامة على مجريات الحكم في مصر ، وبروز شخصيته من خلال ذلك ، حتى أن القنصل الفرنسي في مصر قد تنبأ بذلك في رسالة بعثها إلى حكومته سنة ١٢٢٦ هـ / ١٨١١ م قال فيها : « إن محمد على يطمع في ولاية سورية ، وقد قال لي يوما أنه لا يستبعد أن ينالها مقابل مبلغ من المال سبعة أو ثمانية ملايين قرش يدفعها لخزانة السلطان[٢] ... » ، ولكن مع هذا كله فقد كان الدهاء السياسي هو ديدن محمد على باشا في تطلعاته وطموحاته تجاه الشام ، ففي الوقت الذي يؤكد في رسالة بعث بها إلى السلطان العثماني على أن انهاء مهمته في الحجاز يتوقف على اسناد ولاية الشام له لمدة عام ، وأن الانتهاء من تلك المهمة يتوقف على وجود ولاية الشام في عهدته ، لتوفير الجمال التي يمكنه من خلالها حمل القوات إلى الجهة المرسلة لها ، ونراه يتذلل ويبدى علامات الخضوع والعرفان للسلطان ويبدى عدم رغبته في تلك الولاية ، معللا ذلك بخضوع القبائل والعشائر لسطوة السلطان وقوته ، وعدم الخروج عن طاعته[٣] .

(١) د . لطيفة محمد سالم : الحكم المصرى في الشام ، ص ٢٠ ـ ٢١ ، حسين مؤنس : الشرق الإسلامي في العصر الحديث ، ص ٢٢١ .

(٢) عبد الرحمن الرافعي : المرجع السابق ، نفس الصفحة .

(٣) وثيقة تركى رقم ٥٠/١ ـ ٢٤٨ ، رقمها الأصلى ١٩٥٩٣ ـ أ في ٢١ ربيع الأول سنة ١٢٣٠ هـ دارة الملك عبد العزيز بالرياض .

فكأنه وهو يتجه بقواته إلى شبه الجزيرة العربية لمحاربة الدولة السعودية الأولى يساوم الباب العالى على ولاية الشام ، مقابل استعادة الحرمين الشريفين ، دون أن يثير أية شبهات حول أهدافه[1] ، إلا أن الباب العالى قد تنبه إلى أطماع محمد على وتحركاته المخيفة ، فبدأ يجس نبضه عن طريق والى الشام ، حين بعث له رئيس الكتاب رسالة يسأله فيها عن أهداف محمد على من أيالة الشام ، وما هي الغاية التي يتقصدها المشار اليه من طلب إيالة الشام[2] ، وقد أكد والى الشام للباب العالى « أن وراء ذلك أطماعا أخرى ، فلن يكتفي محمد بأن يضع يده على الشام وحدها بل سيتطلع إلى صيدا ، وحلب وأذنه ... »[3] .

أحال الباب العالى القضية إلى مجلس الشورى الذي بدأ في مناقشتها وتقليبها على جميع الوجوه ، ثم عبر الحاضرون عن تخوفهم من زيادة طغيانه ، وأن هذه القوة قد توجه نحو الدولة العثمانية ، وطلب المجلس « تدارك مطلوبه من الجمال وارسالها اليه بوجه آخر ، ذلك لأنه يبدو أن في اعطاء إيالة الشام إليه بعض المحاذير الكلية »[4] .

---

(١) د . زاهية قدوره : تاريخ العرب الحديث ، ص ٣٤٣ ، د . عبد العزيز نوار : مصر والخليج العربي في القرن ١٩ ، مجلة الهلال المصرية ، عدد ١١ ، السنة ٧٢ ، ص ١٦١ .

(٢) وثيقة تركى رقم ٢/١ ـ ٢٢٠ ، والرقم الأصلى ١٩٥٩٤ ـ أ ، دارة الملك عبد العزيز بالرياض .

(٣) وثيقة تركى رقم ١٩٥٩٣ في ٩ ربيع الأول سنة ١٢٣٠ هـ ، مجلة دارة الملك عبد العزيز ، العدد الثاني ، السنة الأولى ، ص ١٧٤ ـ ١٧٥ .

(٤) وثيقة تركى رقم ٢/١ ـ ٩٤ والرقم الأصلى ١٩٥٧٨ ، دارة الملك عبد العزيز بالرياض .

وبالفعل ظهرت تلك المحاذير التي خافها مجلس الشورى العثماني ، ولكن محمد على جعلها كنار تحت رماد ، فلم يجاهر بعدائه للدولة العثمانية في بداية الأمر ، بل نفذ أوامرها وقام بحملاته على شبه الجزيرة العربية ، ووطد دعائمه في الجناح الغربي منها ، ثم بدأ باستمالة رجالات الشام البارزين[1] ، وتقريبهم اليه ، بل أكثر من ذلك تدخل في توليتهم المناصب وبذل جهودا لدى السلطان بشأنها ، كما منح بعض أهالى الشام أراضى زراعية لتربية دودة القز وصناعة الحرير في مصر[2] .

وعندما نشبت حرب المورة لم يكن محمد على متحمسا للاشتراك فيها ، بجانب السلطان ، ولكن التلويح له باعطائه جزيرة كريت وولاية الشام بعد الحرب جعله يدفع بقواته لاخماد ثورة اليونان ، ومساعدة الجيش العثماني[3] ، ولا غرو في ذلك فالشام حلم يراود محمد على منذ فترة طويلة ، وكريت من المناطق الغنية بالأخشاب التي يحتاجها اسطول محمد على باشا الذي دمر في نفارينو Navarino ، مما زاد تحمس الباشا لتحقيق أطماعه في الشام لبناء أسطوله البحرى ، خاصة وأن انجلترا قد أبدت أسفها عن تلك الحادثة ، وعقدت مع الباشا اتفاقا في أواخر شهر محرم سنة ١٢٤٤ هـ ،

(١) د . عبد العزيز نوار : تاريخ العرب المعاصر ـ مصر والعراق ، ص ١٣٢ .

(٢) د . لطيفة محمد سالم : الحكم المصرى في الشام ، ص ٢٣ ـ ٢٥ .

(٣) د . محمد كمال الدسوقى : الدولة العثمانية والمسألة الشرقية ، ص ١٤١ .

جون . ب . كيلى : بريطانيا والخليج ، جـ ١ ، ص ٢٦٥ .

أوائل شهر أغسطس سنة ١٨٢٨ م ، انسحب على أثره من اليونان[١] ، والحقيقة أن قبول محمد على للاعتذار البريطاني ، وبالتالى انسحابه من ساحة الحرب دون أذن من السلطان العثماني الذي لا يزال الباشا يدين له بالولاء ، يجرنا إلى أكثر من علامة استفهام ، من أبرزها التصورات التي كانت في ذهن الباشا عن الوضع في الدولة العثمانية بعد القضاء على الانكشارية ، وكأنه بذلك بدأ فعلا بالتفكير الجدى لتوسيع أطماعه ، والسعى للاستقلال عن سلطة الباب العالي ، أضف إلى ذلك إدراك الباشا للثقل البريطاني في الصرا ع الدولى حينذاك ، وخاصة فيما يمس طريق مواصلاتها إلى الهند ، مما جعله يحاول عدم الاصطدام بها مباشرة ، وعلى أية حال فإن حرب اليونان وانسحاب قوات محمد على منها ، كانت الشرارة التي أشعلت نار الفتنه والقطيعة بين الباشا والباب العالي ، فقد أعقب ذلك دخول الدولة العثمانية في حرب ضروس مع روسيا ولكن محمد على تخلى عن الدولة العثمانية محتجا بعدم تلبية طلباته في اعطائه الشام نظير اشتراكه في حرب اليونان .

وقد أضافت الحرب الروسية ارباكا آخر للدولة العثمانية ، وبدأت الأحداث الكبيرة في التتابع على الدولة العثمانية ، بدءا من الغاء الانكشارية سنة ١٢٤٢هـ / ١٨٢٦ م ، ومرورا بحرب اليونان ، والحرب مع روسيا ، التي انتهت بمعاهدة أدرنة سنة ١٢٤٥ هـ / ١٨٢٩ م[٢] ، وكأنها

(١) محمد صبرى : تاريخ مصر الحديث ، ص ٦٦ .

د . محمد كمال الدسوقى : المرجع السابق ، ص ١٤٩ .

(٢) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ٤١٦ .

د . أحمد السعيد سليمان : تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة ، ص ١٦٦ .

د . فيليب حتى : تاريخ العرب ـ مطول ـ ، ص ٨٥٣ .

بذلك تسعى لتسهيل مهمة محمد على باشا ، لتحقيق أطماعه وأهدافه التوسعية ، والتي كان الشام يمثل نقطة الارتكاز فيها ، حتى أنه بدأ في عرض المال للباب العالي مقابل استيلائه على الشام أو تعيين ابنه عليها[١] ، ولا شك أن محمد على لم يكن يقصد الشام لوحدها لتحقيق أطماعه وتطلعاته ، وليس أدل على ذلك من إرساله لجيوشه إلى الجزيرة العربية ، ومحاولاته بسط نفوذه عليها في الوقت الذي تسير استعداداته على قدم وساق للسيطرة على الشام بالقوة الحربية[٢] .

كان محمد على مدركا تماما أن الدولة العثمانية بعد القضاء على الانكشارية ، وحروب اليونان ، وحروب البلقان ، تمر بأزمة عسكرية في الجيش الجديد الذي لم يتم بعد التدريب والتسليح ، في الوقت الذي أصبح جيشه هو يتفوق على جيش الدولة عددا وعدة[٣] ، وعندئذ عول على تحقيق أهدافه عن طريق الحرب ، بعد أن اتسعت هوة الخلاف بينه وبين السلطان العثماني[٤] .

وكان محمد على بذلك قد استغل الآثار والنكسات المتوالية التي أحاطت بالدولة العثمانية ، بعد أن نجح هو في تدعيم مركزه في الجزيرة

---

(١) د . لطيفة محمد سالم : الحكم المصرى في الشام ، ص ١٩ ، محمد على الشيخ : صراع العمالقة في القرن التاسع عشر ، ص ١١٦ .

(٢) وثيقة رقم ٨٢٣ ، دفتر ٤٠ معية تركى ، ص ١٣٠ ، دار الوثائق القومية بالقاهرة .

(٣) د . محمد كمال الدسوقى : الدولة العثمانية والمسألة الشرقية ، ص ١٦٤ .

(٤) د . عبد العزيز نوار : تاريخ العرب المعاصر ، ص ١٣٢ .

العربية والسودان ، وسيطر على البلاد المقدسة بدرجة جعلت شريف مكة يخضع له أكثر من السلطان العثماني[(١)] ، وبذلك فإن التهديد الذي كانت تتعرض له الدولة العثمانية ، لم يكن يأتيها من الشمال فحسب ، بل بدأ يأتي من الجنوب ، ومن تابعها القوى محمد على باشا[(٢)] .

وقبل أن يخوض محمد على غمار الحرب ضد الدولة العثمانية كان يحسب ألف حساب للدول الأوروبية ، التي ما فتئت بين الفينة والأخرى تزج بنفسها في أي مشكلة تكون الدولة العثمانية طرفا فيها ، فها هي فرنسا التي تحاول اغراءه بالتوجه إلى المغرب بدلا من الشام ، لأن ذلك لن يغضب السلطان العثماني ، ولا الدول الأوروبية كما تقول ، وهي التي فتحت ذراعيها لستقبل بعثات محمد على العلمية ، وأرسلت من رجالها من ينظم جيشه على الطرق الحديثة ، وينشىء البحرية المصرية[(٣)] ، وها هي بريطانيا التي تقف وترفض باصرار أي سياسة أو خطة تؤدى إلى دعم نفوذ فرنسا في أملاك الدولة العثمانية ، وبالذات كل ما له علاقة بطريق الهند[(٤)] ، لذا فإن محمد على قد أدرك أن سياسته قد تصطدم بعقبات كثيرة وصعبة في آن واحد .

(١) د . محمد عبد اللطيف البحراوى : حركة الإصلاح العثماني ، ص ١٥٣ ، د . عبد الرحيم عبدالرحمن عبد الرحيم : تاريخ العرب الحديث والمعاصر ، ص ١٥٨ .

(٢) جون . ب . كيلى : بريطانيا والخليج ، جـ ١ ، ص ٤٦٥ ، بيير رنوفان : تاريخ العلاقات الدولية في القرن ١٩ ، القسم الأول ص ١٢٨ .

(٣) جورج كيرك : موجز تاريخ الشرق الأوسط ، ص ١١٨ ـ ١١٩ ، د . فيليب حتى : تاريخ العرب ، مطول ، ص ٨٥٢ ـ ٨٥٣ .

(٤) د . السيد رجب حراز : المدخل إلى تاريخ مصر الحديث ، ص ٢٦٤ .

وقد حاول السلطان العثماني حينذاك ارجاء انفجار الحرب ، وعرض على محمد على اعطاءه جزيرة كريت ، في أوائل عام ١٢٤٦ هـ / أواخر عام ١٨٣٠ م حين علم بعزم الباشا على ارغام والى عكا على إجابة طلباته بالقوة(١) ، ولكن محمد على الذي كان يبحث عن وسيلة ينفذ من خلالها إلى خوض غمار الحرب ، وتحقيق آماله وطموحاته ، لم يلق بالا لهذا العرض ، فهو لم يصدق خبرا بهروب مجموعة من الفلاحين المصريين الذين ضاقت بهم أحكام محمد على ، وتسخيرهم للجندية ، وتحميل كواهلهم بالضرائب وأعباء السخرة ، والتجائهم إلى والى عكا عبد الله باشا الجزار فأمر بإعداد الجيوش وتجهيزها بالأسلحة والعتاد (٢) ، متخذا من هذه القضية مبررا كافيا لغزو الشام بحجة أن عبد الله باشا الجزار ، لم يعد هؤلاء الفارين إلى مصر ، وخشيته من أن يلحق بهم عددا آخر(٣) ، ومهما كانت المبررات التي استند اليها الباشا لغزو الشام ، بحيث كانت الشرارة التي أشعل منها تلك الحرب ، إلا أن الشيء المؤكد أنه قد اغتنم فرصة تكالب الأحداث المتتالية على الدولة العثمانية ، بدءا من الغاء جيش الانكشارية على أيدى السلطان محمود الثاني ، وخروج الدولة من حروب اليونان وروسيا (٤) ،

---

(١) سهيل زكار : بلاد الشام في القرن ١٩ ، دراسة وتحقيق ـ مشهد العيان بحوادث سوريا ولبنان : د . ميخائيل مشاقه ، ص ١٤٩ .

د . السيد رجب حراز : المدخل إلى تاريخ مصر الحديث ، ص ٢٦٤ .

(٢) الميرالاى إسماعيل سرهنك : حقائق الاخبار عن دول البحار ، جـ ١ ، ص ٦٨٧ ، رزق الله منقريوش الصدفى : تاريخ دول الإسلام ، جـ ٣ ، ص ٣١٨ .

(٣) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ٤٤٩ .

(٤) عبد الرحمن الرافعي : عصر محمد على ، ص ٢٢٠ .

لينطلــق حينـذاك ، ويحــقق أهدافه وأطماعه التوسـعيـة ، فتقدمــت قواتـه سنة ١٢٤٧ هـ / ١٨٣١ م ، متجهة إلى الشام عـن طريـق البر والبحـر في وقت واحد ، وكأنــه بذلك يريد حصار عكا من الجهتين قبل أن يأتيها المدد ، مستفيدا بذلك مما حصل لنابليون ، واستمرت القوات البرية في فتح المدن ، الواحدة تلو الأخرى ، حتى التقت مع القوات البحرية وضربت الحصار حول مدينة عكا مــن البر والبحـر في ٢٠ مــن جمادى الآخرة سنة ١٢٤٧ هـ ، ٢٦ نوفمبر سنة ١٨٣١ م[(١)] ، في نفس الوقت الذي بعث فيه إبراهيم باشا برسالة إلى الأمير بشير الشهابي يستحثه فيها على التقدم اليه مع أعوانه ليتداول معه الرأى حـول كيفية حــصار المدينة ، ولكن الشهابي كان متردداً في بداية الأمر ، مما جعل إبراهــيم باشا يخبر والده بذلك ، فغضب محمد على وكتب إلى الأمير الشهابي يتهدده ويتوعده إن هو تأخر عن الحضور لمساعدة إبراهيم باشا ، فسارع بالانخراط هـو ورجاله في قوات إبراهـيم باشا ، مما أكسبها قوة ، إذ سرعان ما توحدت الجهود في حصار المدينة ، وأسندت الأمــور في الجبل إلى الأمير بشير الشهابي[(٢)] ، بينما حوصرت المدينة من البحر والبر ، وقطعت عنها

(١) السيد أحمد بن السيد زينى دحلان : الفتوحات الإسلامية بعد مضى الفتوحات النبوية ، جـ ٢ ، ص ١٩٧ ، الميرالاى إسماعيل سرهنك : حقائق الاخبار عن دول البحار ، جـ ١ ، ص ٦٨٧ ، محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ٤٤٩ .

(٢) طنوس بن يوسف الشدياق : أخبار الأعيان في جبل لبنان ، ص ٥٦٧ ، د . لطيفة محمد سالم : الحكم المصرى في الشام ، ص ٥٠ ـ ٥١ . بشير الشهابي : تولى الحكم في لبنان عن أحمد باشا الجزار ، وكان في أول أمره مسلما ، ثم اعتنق النصرانية ، وصار مارونيا ، حالف محمد على باشا ضد الدولة العثمانية ، وقد نفاه الانجليز إلى مالطه ، وتوفي في الأستانة سنة ١٨٥٠ م .

خليل مردم بك : أعيان القرن الثالث عشر ، هامش ص ١١٩ .

الامدادات من أي جهة واستمرت القوات المصرية في اتصالها بالثغور المصرية عند الحاجة ، حتى سقطت مدينة عكا في أيدى قوات إبراهيم باشا في ٢٧ ذى الحجة سنة ١٢٤٧ هـ (١) ، الموافق ٢٧ مايو سنة ١٨٣٢ م ، وكان سقوطها بمثابة المفتاح الذي سهل طريق قوات محمد على للاستيلاء على الشام (٢) ، وكان الباب العالى قد اضطرب عند سماعه زحف الجيوش المصرية على الشام ، وطلب من محمد على التوقف عن هذه الحرب ، وتقديم طلباته للسلطان ليحكم فيها بينه وبين والى عكا بالطرق السلمية (٣) ، ولكنه لم يستجب لذلك إلا بعد أن احتل القسم الجنوبي وطالب بسرعة اقطاعه ولايتي عكا ودمشق (٤) ، عندها غضب السلطان ، وأصدر فرمانا بعصيان محمد على وابنه بناء على فتوى من مشاهير العلماء والمدرسين الذين عقدوا مجلسا بناء على طلب السلطان ، وجرد محمد على وابنه من جميع الرتب والمناصب الديوانية (٥) ، ثم أصدر السلطان أمرا إلى والى حلب عثمان باشا بتجهيز الجيوش ، وإيقاف إبراهيم باشا عند حده قبل سقوط عكا ، ولكنه لم

---

(١) عبد الرحمن الرافعي : عصر محمد على ، ص ٢٢٨ ، سهيل زكار : بلاد الشام في القرن ١٩ ، ص ١٥٤ ، ويقول في الهامش أن سقوط مدينة عكا كان في ٢١ آيار سنة ١٨٣٢ م .

(٢) أ . ج . جرانت وهارولد تمبرلى : أوروبا في القرنين ١٩ ، ٢٠ ، جـ ١ ، ص ٣٣٤ .

(٣) الميرالاى إسماعيل سرهنك : حقائق الأخبار عن دول البحار ، جـ ١ ، ص ٦٨٧ ، السيد أحمد ابن السيد زيني دحلان : الفتوحات الإسلامية بعد مضى الفتوحات النبوية ، جـ ٢ ، ص ١٩٧.

(٤) محمد صبرى : تاريخ مصر الحديث ، ص ٦٦ .

(٥) د . عبد العزيز الشناوى : الدولة العثمانية دولة إسلامية ، جـ ١ ، ص ٤١١ ، صبحى وحيده : في أصول المسألة المصرية ، ص ١٤٣ .

يستطع تحقيق ذلك إذ تفوق عليه إبراهيم باشا حين باغته قبل أن يصل إلى عكا المحاصرة ، ورده على أعقابه [١] ، مظهرا بذلك تفوق جيشه على الجيش العثماني الذي وضع في موقف حرج ، فهو لم يعتد قتال المسلمين ، ولا يقاتل إلا الكفار تحت قيادة سلطانه ، ولكن هذه الحرب غيرت مفاهيم الجيش العثماني .

ثم أرسل الباب العالى جيوشا أخرى تحت قيادة حسين باشا ، وكأنه بذلك يؤكد عزمه على الاستمرار في الحرب إلى أن يخضع هذا التابع الثائر ، في حين أن محمد على لم يقتنع بعكا حين سقوطها في أيدى قواته فقد سلمت له دمشق في ١٤ محرم سنة ١٢٤٨ هـ ، ١٥ يونيو سنة ١٨٣٢ م ، في حين أن اسطوله البحرى قد استمر في فتح مدن السواحل الشامية كاللاذقية وبيروت وصيدا [٢] ، ثم سار إبراهيم باشا بجيوشه والتقى بمقدمة جيوش حسين باشا عند مدينة حمص ، وانتصر عليها ، ثم دخل مدينة حلب في شهر صفر سنة ١٢٤٨ هـ ، الموافق يوليو سنة ١٨٣٢ م ، وقد كان لسقوط عكا وحلب تأثيرا على أفكار محمد على باشا ، وعلى تبلور أهدافه وأطماعه التوسعية ، إذ نراه حين يرسل للجند الثائرين في مكة يتساءل باستغراب واستعلاء عن أهدافهم من هذه الثورة ، وجيوشه قد فتحت عكا وحلب ، وكأنه يؤكد لهم بذلك أنه صاحب الأمر في الشام وفي الحجاز [٣] ، في نفس

(١) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ٤٤٩ .

(٢) د . محمد كمال الدسوقى : الدولة العثمانية والمسألة الشرقية ، ص ١٦٥ .

(٣) وثيقة رقم ٨٢٤ ، دفتر ٤٠ معية تركى ، ص ١٣٠ ، دار الوثائق القومية بالقاهرة .

الوقت الذي يرسل المدد والدعم المادى والعسكرى لابنه إبراهيم باشا ، للسير في طريق الحرب للسيطرة على الشام[١] .

ولما علم حسين باشا بانهزام مقدمة جيوشه في حمص ، وسقوط مدينة حلب ، تقهقر إلى الخلف ، وتحصن في مضيق بيلان بجبال طوروس[٢] ، علمه بذلك يستطيع تنظيم صفوف جيشه والتغلب على جيوش إبراهيم باشا ، ولكنه لم ينل طائلا من تلك المعركة ، بل كان النصر حليفا لإبراهيم باشا الذي استطاع حسم الموقف لصالحه في ٢٧ صفر سنة ١٢٤٨ هـ ، الموافق ٢٩ يوليو سنة ١٨٣٢ م ، عندها عاد حسين باشا إلى الوراء متخليا بذلك عن أهم المواقع الاستراتيجية للسيطرة على سوريا الشمالية[٣] .

انفتح بذلك الباب أمام جيوش إبراهيم باشا للسيطرة على آسيا الصغرى ، عند ذلك دعت الدولة العثمانية أعظم قادتها وأمهرهم ، الصدر الأعظم رشيد محمد باشا ، وأسندت إليه قيادة الجيش العثماني لصد إبراهيم باشا ، ولكنه وقع أسيرا بيد الخيالة المصريين ، نتيجة لسوء الأحوال الجوية التي ساعدت على دخوله إليهم ظانا أنهم من عساكره ، وعند انتشار الخبر بين جنده ، اختل نظامهم وانهزموا في تلك المعركة في الثامن والعشرين من شهر رجب سنة ١٢٤٨ هـ ،

---

(1) Document : (I.O.R.) L/P, S/9/95, No. 31, 52, 53.

(٢) تقع مدينة بيلان جنوبي الاسكندرونة ، وشمالى المضيق والجبل المعروفين باسمها ، ويصل إليها طريقان ، طريق من كليس ، وطريق من أنطاكية ، ويقترب الطريقان في سفح الجبل ، بحيث يفصل بينهما نحو ثلاثة آلاف متر ، ثم يلتقيان في المضيق جنوبي بيلان ، فيصبحان طريقا واحدة تصل إلى المدينة . عبد الرحمن الرافعي : عصر محمد على ، ص ٢٢٧ .

(٣) السيد أحمد بن السيد زيني دحلان : الفتوحات الإسلامية بعد مضى الفتوحات النبوية ، جـ ٢ ، ص ١٩٧ ، د . على حسون : تاريخ الدولة العثمانية ، ص ١٣٥ .

الموافق ٢١ ديسمبر سنة ١٨٣٣ م ، وهي معركة قونية الشهيرة[١] ، والتي تعتبر تحولا حاسما في حروب الشام الأولى التي خاضها محمد على ضد الدولة العثمانية ، لما ترتب عليها من نتائج وتبعات جعلت أبواب القسطنطينية مفتوحة أمام هذا التابع القوى ، وبالتالى فتحت المجال أمام الدول الأوروبية لتحقيق أطماعها المبيتة ضد الدولة العثمانية ، مما يعنى أن انفتاح الطريق أمام جيوش إبراهيم باشا إلى عاصمة الدولة ، ومضيقي البوسفور والدردنيل هو انفتاح لطريق الخطر الذي يهدد الدولة العثمانية[٢] .

وعلى الرغم من أن السلطان محمود الثاني يعتبر من أعلام الإصلاح العثماني ، وهو منشيء العساكر المنصورة المحمدية التي شكلها بعد قضائه على الانكشارية ، إلا أن حروب الشام الأولى قد جاءت في وقت مبكر ، لم تجد الدولة الفرصة الكاملة لبناء عساكرها الجديدة ، مما أتاح لمحمد على الانتصار في تلك الحروب[٣] .

---

(١) الميرالاى إسماعيل سرهنك : حقائق الأخبار عن دول البحار ، جـ ١ ، ص ٦٨٧ ، محمد صبرى : تاريخ مصر الحديث ، ص ٦٦ ـ ٦٧ ، د . لطيفة محمد سالم : الحكم المصرى في الشام ، ص ٥٥ ، جرجي زيدان : تاريخ مصر الحديث من الفتح الإسلامي إلى هذا العصر ، جـ ٢ ، ص ١٦٩ .

(٢) ج . ج . لوريمر : دليل الخليج ، القسم التاريخي ، جـ ٣ ، ص ١٦٤٠ ، بيير رنوفان : تاريخ العلاقات الدولية في القرن ١٩ ، القسم الأول ، ص ١٣٢ ـ ١٣٣ .

(٣) د . عبد العزيز محمد عوض : التنظيمات العثمانية في الولايات العربية ، مجلة الداره ، عدد ٣ ، السنة ٣ ص ٨٤ .

وكان محمود الثاني قد خالفه التوفيق في توقيت القضاء على الانكشارية إذ أن الفراغ الناشيء عن اختفائها مع عدم وجود البديل القوى قد فتح على الدولة أبوابا لم تستطع اقفالها ، فثورات اليونان ، وحروب روسيا التي أعقبتها ، ثم نزول فرنسا إلى الجزائر سنة ١٢٤٦ هـ / ١٨٣٠ م ، وأخيرا حروب محمد على في الشام ، كلها أحداث جسام ، أحاطت بالدولة العثمانية ، منتهزة هذا الفراغ لتصل إلى أهدافها من خلال هذا الارتباك الذي تعيشه الدولة ، وعلى أية حال فقد تقدم إبراهيم باشا ليحتل كوتاهية في أواخر عام ١٢٤٨ هـ ، أوائل عام ١٨٣٣ م ، والتي تبعد ١٥٠ ميلاً عن استانبول[١] ، عندئذ لم يجد السلطان العثماني بدا من الارتماء في أحضان عدوه التقليدي قيصر روسيا ، الذي كان قد أرسل القائد مورافيف Mouravieff ، إلى السلطان مبديا استعداده للوقوف في وجه محمد على ، وحماية الدولة من أطماعه ، ولكن السلطان حينذاك كان يطمع خيرا في بريطانيا وفرنسا ، وعندما لم يجد ذلك استجاب لمساعدة روسيا ضد تابعه القوى[٢] .

توقفت عندئذ قوات الباشا وقررت التراجع إلى الوراء بعد أن شاهدت تحركات الأسطول الروسي باتجاه الشاطىء الآسيوي للبوسفور[٣] ، مدركة

(١) عبد الرحمن الرافعي ، عصر محمد على ، ص ٢٥٥ .

د . سليمان محمد الغنام : قراءة جديدة لسياسة محمد على باشا التوسعية ، ص ٩٢ .

(٢) د . السيد رجب حراز : المدخل إلى تاريخ مصر الحديث ، ص ٢٦٦ ـ ٢٦٧ .

بيير رنوفان : تاريخ العلاقات الدولية في القرن ١٩ ، القسم الأول ، ص ١٣٢ ـ ١٣٣ .

(٣) صبحى وحيده : في أصول المسألة المصرية ، ص ١٤٥ .

جون . ب . كيلي : بريطانيا والخليج ، جـ ١ ، ص ٤٧٣ .

بذلك خطورة الموقف وما سيعقبه من تدخل الدول الأوروبية ، لا سيما وأن السلطان محمود الثاني كان في موقف لا يحسد عليه ، وأصبحت دولته تخضع للحماية الروسية المطلقة ، مما جعل مركزه يتضعضع أمام الدول الأوروبية ، وكذلك في نظر العالم الإسلامي ، مما هيأ الفرصة لمحمد على لاستغلال ذلك في شن الحروب النفسية ضد السلطان والباب العالى ثم بدأ في سن الأنظمة في الشام على النمط الحديث ، فأقام المجالس المدنية والعسكرية لمدن الشام ، ووضع نظاما للخراج على غرار النظام القائم في مصر ، وعين محافظين للمدن الشامية ، مدعما بذلك أركان حكومته في مختلف مدن الشام التي أخضعها لولايته(١) ، حتى أنه بدأ يسند المناصب إلى أقربائه ورجاله المخلصين ليضمن ولاءهم له ولحكومته(٢) .

كادت الأمور في الشام أن تستقر لمحمد على ، ولكنه أجهض على هذا الاستقرار باصداره الأوامر إلى ابنه إبراهيم باشا بتطبيق نظام التجنيد في الشام قياسا على ما هو معمول به في مصر ، وفرض الضرائب الشخصية حتى على المسلمين الذين لم يكونوا يدفعونها للدولة العثمانية ، ثم تطبيقه لنظام الاحتكار على المنتجات الشامية ، وزاد الأمر سوءا وتدهورا قراره بتجريد أهل الشام من السلاح(٣) ، لا سيما وأنه في قراره هذا قد استأثر طائفة النصارى

(١) سهيل زكار : بلاد الشام في القرن ١٩ دراسة وتحقيق مشهد العيان بحوادث سوريا ولبنان ، د . ميخائيل مشاقه ، ص ١٥٢ .

طنوس بن يوسف الشدياق : أخبار الأعيان في جبل لبنان ، ص ٥٧٥ .

(٢) سهيل زكار : المرجع السابق ، ص ١٦٢ ـ ١٦٣ .

(٣) محمد كرد على : خطط الشام ، جـ ٣ ، ص ٥٨ ـ ٦٣ ، جرجي زيدان : تاريخ مصر الحديث ، جـ ٢ ، ص ١٧٠ .

على الدروز حين أخذ أسلحة الدروز وقلدها للنصارى[١] ، وكأن الوجود المصرى في الشام في تلك الفترة قد أوجد معه بذور العداء بين الدروز والنصارى ، لكي يتمكن من السيطرة على مقاليد الأمور في الاقليم[٢] ، إلا أنه بذلك فتح صفحة جديدة من الصراع جعل موقف حكومة إبراهيم باشا حينذاك ، في وضع لا يسمح لها بالتوسع شرقا أو شمالا ، مما حال دون تحقيق أهداف محمد على وأطماعه التوسعية إذ أن جل جهد هذه القوات قد صرف في كبح جماح الثورات التي ما فتئت أن قامت بين الفينة والأخرى في مختلف نواحى الشام[٣] ، ولنا هنا أن نستكشف الأهداف والغايات التي كان يرمي إلى تحقيقها محمد على باشا من غزوه للشام ، خاصة وهو يسيطر على مصر والسودان ، وله جيوش قوية في شبه الجزيرة العربية ، وبدأ في تدعيمها عند ثورة الجند الغير نظاميين حتى سيطر على الحديدة ومخافي اليمن[٤] .

معظم المؤرخين ذهبوا إلى القول بأن تلك الحرب هي بداية للحركة القومية العربية ، وأن الباشا كان يخطط لإقامة امبراطورية عربية ، بحكم أنه يسيطر على الجزء العربي من الدولة العثمانية ، حتى أنهم قد استغربوا على الباشا عدم الإقدام على إعلان استقلاله ، وإعلان

(١) مخطوطة ، نوادر الزمان في وقائع جبل لبنان ، تأليف اسكندر ابكاريوس اسكندر ، ورقة ٥ .

(٢) فيليب وفريد الخازن : مجموعة المحررات السياسية والمفاوضات الدولية مجلد ١ ، ص ٤ .

(٣) ميخائيل شاروبيم بك : الكافي في تاريخ مصر القديم والحديث ، ص ٦٣ .

(4) Document : F. O. 78/227. No. 24, 60952.

وثيقة رقم ١٥٦ ، دفتر ٤٤ معية تركى ، ص ٣٤ ، دار الوثائق القومية بالقاهرة .

دولته العربية[١] ، وكأنهم بذلك يستندون إلى التصريحات التي أطلقها إبراهيم باشا أبان حصاره لمدينة عكا ، والتي ألمح من خلالها أنه سيسير بهذه الحرب إلى مدى ما يتكلم الناس ، ويتفاهم هو معهم باللسان العربي على حد قوله[٢] ، ولكن الشيء الذي نستطيع أن نقرره هنا ، أن محمد على الذي شب تحت سماء الدولة العثمانية ، وأخلص لها ، وقام بمشروعه هذا وهو يحتفظ بعثمانيته ويعتز بها[٣] ، لم يكن يشهر تجاه الدولة العثمانية بنفس شعور ابنه إبراهيم ، الذي كان لا يهمه اسقاط الدولة العثمانية ، أو إصلاحها ، بقدر ما يهمه تحقيق آماله وطموحاته ، وكأن تلك الحرب التي يخوضها في الشام هي الضمان الوحيد لمستقبل أسرته وبقائها في السلطة[٤] ، في حين أن محمد على باشا كان يرمى إلى تحقيق « هدفه الأول وهو الحصول على حق وراثة سلطته ... ، وكان يرغب بطبيعة الحال في ترك الدولة التى أنشأها لابنه ، وكان يرغب كذلك في أن يحصل على اعتراف قانوني ... ، بالاستقلال الذي حصل عليه بالفعل ... ، وكل ذلك مع علمه بضرورة التحرك بحذر في هذا الميدان ، إذ أنه قد يغضب كبار موظفيه وضباطه الأتراك »[٥] ، فهو إذا مسلم عثماني تابع للسلطان من الناحية القانونية على الأقل ، وهو يحبذ ذلك ، حتى أننا نجده يرفض الخطبة باسمه في

(١) جرجي زيدان : تاريخ مصر الحديث ، جـ ٢ ، ص ١٦٧ ، سهيل زكار : بلاد الشام في القرن ١٩ ، ص ٢٠٤ ـ ٢٠٥ ، محمد كرد على : خطط الشام ، جـ ٣ ، ص ٦٧ .

(٢) عبد الرحمن الرافعي : عصر محمد على ، ص ٢١٩ .

(٣) د . محمد فؤاد شكرى وآخرون : بناء دولة مصر محمد على « السياسة الداخلية » ، ص ٢٤١ ، جورج أنطونيوس : يقظة العرب ، ص ٨٩ .

(٤) صبحى وحيده : في أصول المسألة المصرية ، ص ١٤٥ .

(٥) بيير رنوفان : تاريخ العلاقات الدولية في القرن ١٩ ، القسم الأول ، ص ١٣٠ .

الصلاة ، ويرفض سك العملة باسمه بعد استيلائه على حلب وحمص وبيلان[(١)] ، على الرغم مما عرف عنه من شدة الطموح ، ورغبته الجامحة في تدعيم مركزه ، وتحقيق آماله العريضة في استئثاره بالحكم وتوريثه في أسرته[(٢)] ، وكأنه بذلك قد سخر دهاءه السياسي ليدخل حلبة المناورة مع الساسة البريطانيين الذين كانوا في صراع سياسي كبير مع الفرنسيين والروس[(٣)] ، خاصة أنه يدرك أن المناطق التي يسيطر عليها سواء في الشام أو في الجزيرة العربية هي الطرق المفضلة لتجارة بريطانيا مع الهند ، ومصالحها الاستراتيجية في الخليج العربي .

---

(١) د . أحمد مصطفى أبو حاكمه : تاريخ الكويت ، القسم الأول ، جـ ٢ ، ص ١١٣ ، د . لطيفة محمد سالم : الحكم المصرى في الشام ، ص ١٦ .

(٢) د . محمد فؤاد شكرى وآخرون : بناء دولة مصر محمد على « السياسة الداخلية » ص ١٤٨ ، د . محمد فؤاد شكرى : مصر والسودان .. الوضع التاريخي للمسألة ، ص ١٧ .

(٣) حسين مؤنس : الشرق الإسلامي في العصر الحديث ، ص ١٦٩ .

ب ـ إتفاقية كوتاهية

١٢٤٨ هـ / ١٨٣٣ م ، الهدنة المسلحة

كانت كوتاهيه هي محط الرحال لقوات الباشا التي يقودها ابنه إبراهيم باشا والذي استطاع أن يحقق نصرا حاسما على الجيش العثماني في قونية في الثامن والعشرين من شهر رجب سنة ١٢٤٨ هـ ، الحادي والعشرين من ديسمبر سنة ١٨٣٢ م ، وبات عندئذ يهدد العاصمة العثمانية التي لا تبعد عن مقر قواته أكثر من مائتي كيلو متر[(١)] .

وكان السلطان العثماني حينذاك في موقف لا يحسد عليه ، فقواته الجديدة التي حلت محل الانكشارية التي قضى عليها سنة ١٢٤٢ هـ / ١٨٢٦ م لم تكن قد وصلت بعد للمستوى العسكري الذي تستطيع من خلاله حماية أملاك الدولة أمام أطماع محمد على وأهدافه التوسعية ، والذي بدأ يلح على ولده إبراهيم باشا بالمضى قدما ، وعدم الخضوع لرغبات السلطان في اجراء مفاوضات سلمية لايقاف نار الحرب[(٢)] .

ناهيك عن عدوه التقليدي الذي يقبع على الحدود الشمالية للدولة ، منتظرا الفرصة التي تمكنه من الدخول إلى المضايق العثمانية في البسفور والدردنيل ، فصار السلطان العثماني بين عدوين ، تابعه القوى الثائر عليه ،

---

(١) د . أحمد السعيد سليمان : تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة ، ص ١٦٦ .

أمين سعيد : تاريخ الدولة السعودية ، ص ١٥٢ .

(٢) ميخائيل شاروبيم بك ، الكافي في تاريخ مصر القديم والحديث ، ص ٥٣ ، جورج أنطونيوس : يقظة العرب ، ص ٨٥ .

والذي يهدده من الجنوب ، وعدوه التقليدي الروسي ، الذي يهدده من الشمال ، فلم يجد عندئذ بدا من اللجؤ إلى بريطانيا ، علها توقف محمد على عن هذه الحرب ، ويبدو أن بريطانيا في تلك الفترة كانت مهتمة بما هو أهم في نظرها من مشكلة الباشا والدولة العثمانية[١] ، أو فلنقل أن سياستها لم تكن قد تبلورت ازاء هذه المشكلة ، وكان الاختلاف الذي حصل بين السفير البريطاني في القسطنطينية ستراتفورد كاننج Strat Ford Canning ووزير خارجيتها اللورد بالمرستون Lord Palmerston في وجهات نظرهما هو تأكيد لما ذهبنا إليه ، فالأول طلب الوقوف إلى جانب الدولة العثمانية وايقاف محمد على عند حده ، ولكن الثاني لم يبدى أي اهتمام جدى بهذا الموضوع[٢] . مكتفيا باسداء النصح إلى السلطان العثماني بمصالحة تابعه الثائر دون تدخل من الخارج[٣]، ناهيك عن العلاقات الودية التي كان محمد على يصبغ بها سياسته مع بريطانيا ليحاول من خلالها تحقيق أهدافه دون الاصطدام بها ، ويؤكد لها بين الفينة والأخرى أنه مخلص للدولة العثمانية ، وأنه لم يرد إلا الوقوف أمام روسيا التي تحاول السيطرة على الدولة العثمانية مستغلة أوضاعها حينذاك[٤] ، وعند ذلك أسقط في يد السلطان ، خاصة وهو يعرف أن فرنسا لن تضحى بمحمد على لصالحه هو ، فلم يجد بدا من الالتجاء إلى روسيا عدوته التقليدية ، وقبل عند

(١) جورج كيرك : موجز تاريخ الشرق الأوسط ، ص ١١٩ ، بيير رنوفان : تاريخ العلاقات الدولية في القرن ١٩ ، القسم الأول ، ص ١٣٢ .

(٢) أ . ج . جرانت وهارولد تمبرلى : أوروبا في القرنين ١٩ ، ٢٠ ، جـ ١ ، ص ٣٣٤ .

(٣) د . السيد رجب حراز : المدخل إلى تاريخ مصر الحديث ، ص ٢٦٧ .

(4) Document : F. O. 78/227, No. 28. 60952.

ذلك العرض الروسي الذي كان تقدم به القائد الروسي موراڤيف Mouravieff والذي قدم إلى عاصمة الدولة ، عارضا استعداد بلاده بوضع اسطولها تحت تصرف السلطان(١) .

بالرغم من إدراك الروسيا لما قد يسببه تدخلها هذا من قلق في الأوساط الأوروبية قد يجر أوروبا بكاملها إلى حرب عامة ، إلا أن خشيتها من مخططات محمد على باشا ، الذي اقترب بقواته من عاصمة الدولة ، وما قد ينتج عنها من وضع دولي معقد ، جعلها تستجيب لطلبات السلطان ، بل تعرض خدماتها عليه(٢)، وعند ذلك ظهر الأسطول الروسي ولأول مرة أمام شاطىء القسطنطينية، وتم انزال ستة آلاف جندى روسي في الشاطيء الآسيوى المواجه للعاصمة العثمانية(٣) ، عندها فزعت بريطانيا وفرنسا من هذا التدخل ، وما قد ينجم عنه من سيطرة روسية على الدولة العثمانية مما اضطرهما إلى الاتفاق فيما بينهما ليتدخلا في الأمر(٤) ، ولكنهما فضلتا في البداية أن يكون فض الخلاف بين السلطان وتابعه بالطرق الدبلوماسية فأرسلت فرنسا البارون دى بوالكمت Baron, de Boisle Comte إلى محمد على لاقناعه بضرورة تعجيل

---

(١) بيير رنوفان : تاريخ العلاقات الدولية في القرن ١٩ ، القسم الأول ، ص ١٣٣ ، د . السيد رجب حراز : المدخل إلى تاريخ مصر الحديث ، ص ٢٦٧ .

(٢) جون . ب . كيلي : بريطانيا والخليج ، جـ ١ ، ص ٤٧٣ ، محمد صبرى : تاريخ مصر الحديث ، ص ٦٩ .

(٣) أ . ج . جرانت وهارولد تمبرلى : أوروبا في القرنين ١٩ ، ٢٠ ، جـ ١ ، ص ٣٣٥ .

(٤) جورج كيرك : موجز تاريخ الشرق الأوسط ، ص ١١٩ .

الصلح مع السلطان[١] ، في الوقت الذي أرسلت فيه الأميرال روسان Roussin سفيرا لها في الأستانة لفض هذا الخلاف[٢] .

أما بريطانيا فقد شعرت بانعدام التفاهم بين الباشا وقنصلها في مصر باركر Barker ، مما يعنى صعوبة التوصل إلى حل سلمي عن طريق هذا القنصل ، فعمدت إلى تعيين قنصل جديد يحل محله ، هو الكولونيل باتريك كامبل Colonel, Patrick, Campbell[٣] ، ثم تدخلت النمسا إلى جانب بريطانيا وفرنسا ، وأرسلت بروكش أوستن Prokesh, Osten إلى مصر ، ليبذل مساعيه لدى الباشا لايقاف الحرب ، والخضوع للسلطان[٤] ، ولكن بريطانيا التي أزعجها التواجد الروسي على شواطىء البوسفور ، والتي لم تر بدا من ابعاده عن هذا المضيق الهام ، وبالتالي عن الدولة العثمانية بشكل عام[٥] ، لم تنتظر نتائج الجهود الدبلوماسية التي تبذل على هذا الصعيد ، بل أرسلت اسطولها إلى ميناء الاسكندرية ، لتلوح للباشا بضرورة الصلح مع السلطان[٦] ، وكأنها بذلك تعيده لأحداث ثورة اليونان ، وكيف كانت مواقف أوروبا تجاهه وقد استغلت

---

(١) د . محمد كمال الدسوقي : تاريخ أوروبا الحديث ، ١٨٠٠ ـ ١٩١٨ م ، ص ٩٢ .

(٢) عبد الرحمن الرافعي : عصر محمد علي ، ص ٢٥٣ .

(٣) د . محمد فؤاد شكرى وآخرون : بناء دولة مصر محمد على « السياسة الداخلية » ، ص ٧٤٨ ـ ٧٤٩ .

(٤) جون . ب . كيلي : بريطانيا والخليج ، جـ ١ ، ص ٤٧٣ .

(5) Document : F. O. 78/227. 60952. 24/5/1833.

(٦) محمد صبرى : تاريخ مصر الحديث ، ص ٧٠ .

فرنسا هذا الاجراء البريطاني وأسرت به للباشا ، طالبة منه سرعة الاستجابة للجهود الدبلوماسية حفاظا على مكانته وسمعته التي بلغها[١] .

وبذلك أرغمت الدول الأوروبية ، وبالذات فرنسا وبريطانيا محمد على باشا للاذعان لايقاف الحرب ، وتقرير قاعدة للصلح بينه وبين السلطان العثماني[٢] ، وهذا بطبيعة الحال « ليس حبا في الدولة ولا في مصر بل لأطماعهم السياسية ومقاصدهم الخصوصية »[٣] .

على الرغم من أن محمد على قد أبدى استياءه من هذا الموقف في رده على الأميرال روسان Roussin السفير الفرنسي في القسطنطينية في النصف الأخير من شهر رمضان ١٢٤٨ هـ ، الموافق ٨ مارس سنة ١٨٣٣ م[٤] ، والذي كان قد أوضح للباشا أهم خطوط هذا الصلح حين قال : « ... وسيقدم عليك خليل باشا مبعوثا من قبل السلطان ، ومعه شروط الصلح التي تقررت قاعدتها ، فلا تأباها عليه ، ولا تشط في الطلب فتدفع بدولة الروس إلى ابتلاع مملكة سلطانك ، ـ إلى أن قال ـ واقبل من سلطانك ما تنازل لك عنه ، فقد عفا عنك وولاك حكم عكا وجميع أراضي بيت المقدس والشام ونابلس واياك والطمع ، فإنه يجلب عليك وعلى بلادك وبالا ونكالا ، واعلم أن دولة الفرنسيس ـ يقصد

---

(١) د . محمد فؤاد شكرى وآخرون : المرجع السابق ، ص ٢١٥ .

(٢) ميخائيل شاروبيم بك : الكافي في تاريخ مصر القديم والحديث ، ص ٥٣ ـ ٥٤ .

(٣) الميرالاى إسماعيل سرهنك : حقائق الاخبار عن دول البحار ، جـ ١ ، ص ٦٨٧ .

(٤) عبد الرحمن الرافعي : عصر محمد على ، ص ٢٥٣ .

فرنسا ــ التي هذبت رجالك ، وعلمت فنون الحرب لأبطالك هي التي أشارت بعقد رباط هذا الصلح ... »[1] .

من هنا نستطيع أن نقول أن إيقاف الحرب وما نتج عنه بعد ذلك من اتفاق بين السلطان ومحمد على هو موقف أرغم عليه الجانبان[2] من طرف ثالث ينشد تحقيق مصلحته هو ــ وهي أوروبا بشكل عام ، وبريطانيا وفرنسا بشكل خاص ــ ، ومهما يكن من أمر فقد أبرمت اتفاقية كوتاهية في السابع عشر من ذو القعدة سنة ١٢٤٨ هـ ، الثامن من أبريل سنة ١٨٣٣ م ، والتي صدر فرمان سلطاني بالمصادقة عليها في نهاية شهر ذي الحجة سنة ١٢٤٨ هـ ، أوائل شهر مايو سنة ١٨٣٣ م[3] ، والتى تنازل السلطان بموجبها عن مصر والشام وكريت لمحمد على ، وثبت ابنه إبراهيم باشا في باشوية جدة ، وولاية الحبش ، وكذلك إدارة موانىء أطنه[4] .

عند ذلك انسحبت جيوش إبراهيم باشا إلى الشام ، وقررت التراجع عن الأناضول ، وسحبت القوات الروسية من الأراضي العثمانية ، والتي جاءت للوقوف أمام تقدم جيوش الباشا[5]؛ إلا أن هذا الانسحاب الروسي قد أعقب

---

(١) ميخائيل شاروبيم بك : الكافي في تاريخ مصر القديم والحديث ، ص ٥٨ .

(٢) خليل مردم بك : أعيان القرن الثالث عشر في الفكر والسياسة والاجتماع ، ص ١٠٩ ، رزق الله منقريوش الصدفي : تاريخ دول الإسلام ، جـ ٣ ، ص ٣١٩ .

(٣) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العثمانية ، ص ٤٥١ .

(4) Document : F. O. 78/227. No. 9. 60952.

أ . ج . جرانت وهارولد تمبرلي : أوروبا في القرنين ١٩ ، ٢٠ ، جـ ١ ، ص ٣٣٥ .

(٥) جون . ب . كيلي : بريطانيا والخليج ، جـ ١ ، ص ٤٧٣ .

بمعاهدة تحالف دفاعي بين الدولة العثمانية وروسيا ، وهي معاهدة انكيار سكليسى Unkiar-Skelessi ، المعقودة في أواخر شهر صفر سنة ١٢٤٩ هـ الثامن من يوليو سنة ١٨٣٣ م[١] ، والتي تقع في ست مواد ، ومادة سرية مستقلة تعتبر أهم مواد تلك المعاهدة ، إذ أنها تنص على إقفال مضيق الدردنيل أمام أي سفينة حربية أجنبية[٢] ، وكأنها بذلك قد دقت ناقوس الخطر أمام السياسة البريطانية ، ولمدة ثمانية أعوام قادمة هي مدة هذه المعاهدة[٣] ، لا سيما وأن اقدام الدولة العثمانية على عقد هذه المعاهدة يؤكد بما لا يدع مجالا للشك على أنها لم تعقد اتفاقية كوتاهية مع الباشا إلا مرغمة على ذلك ، لتستكمل بذلك استعداداتها العسكرية والمعنوية ، وتقف في وجه هذا التابع القوى الذي بدأ يهدد ممتلكات الدولة[٤] ، والذي لم تقف الدول الأوروبية في وجهه إلا بعد أن اقتطع جزءا ثمينا من ممتلكات الدولة ، ساعدت تلك الدول على منحه اياه لكي يوقف الحرب التي بدأها ، والتي لا يمكن معرفة النتائج التي ستترتب عليها ، لذا فإن الدولة العثمانية تعتبر معاهدة كوتاهية بمثابة الهدنة المسلحة ، المرغوب فيها بلا شك من جانبها بشكل كبير[٥] ،

---

(١) د . محمد كمال الدسوقي : الدولة العثمانية والمسألة الشرقية ، ص ١٧١ .

(٢) محمد صبرى : تاريخ مصر الحديث ، ص ٧٠ ، د . سليمان بن محمد الغنام : قراءة جديدة لسياسة محمد على باشا التوسعية ، ص ١٥٢ .

(٣) جون . ب . كيلي : بريطانيا والخليج ، جـ ١ ، ص ٤٧٤ .

(٤) د . على حسون : تاريخ الدولة العثمانية ، ص ١٣٦ .

(٥) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ٤٥١ .

ومعاهدة انكيار سكليسي Unkiar-Skelessi تساعد الدولة العثمانية في الوصول إلى أهدافها العسكرية والسياسية التي بنتها على معاهدة كوتاهية .

من هنا بدأت السياسة البريطانية تشعر بخطورة الموقف ، ومدى ما تجنيه روسيا من نتائج إيجابية تجعلها صاحبة حق مطلق في التدخل في شئون الدولة العثمانية ، مما جعل ملامح تلك السياسة تبدو على وزير خارجيتها اللورد بالمرستون Lord, Palmerston الذي بدأت عليه علامات البغضاء والكراهية ضد محمد على باشا منذ ذلك التاريخ ، لقناعته بأن السبب المباشر في اعطاء الروس هذه الفرصة الثمينة هو حروب محمد على وسياسته التوسعية في الشام[١] ، فبدأ يتقرب إلى الدولة العثمانية التي لم تكن خالصة النية في عقد معاهدة كوتاهية[٢] ، مريدا بذلك نسف معاهدة انكيار سكليسى Unkiar-Skelessi ، وكل ما له علاقة باستمرارها ، وكان ذلك دون شك يتوافق مع رغبات السلطان العثماني ، خاصة معاهدة كوتاهية التي اقتطعت أجزاء غالية وثمينة من دولته[٣] ، بالإضافة إلى أطماع محمد على التي سيحققها دون شك أثناء سريان هذه المعاهدة ، والتي أصبحت الدولة العثمانية بعدها غير مهيأة لدخول الحرب ، سواء من الناحية النفسية أو المادية[٤] ، في حين أن القوة العسكرية والمعنوية

(١) جون . ب . كيلي : بريطانيا والخليج ، جـ ١ ، ص ٤٧٤ .

(٢) عبد الرحمن الرافعي عصر محمد على ، ص ٢٥٧ .

(٣) د . محمد كمال الدسوقي : الدولة العثمانية والمسألة الشرقية ، ص ١٧٠ ، د . عبد الرحيم عبدالرحمن عبد الرحيم : تاريخ العرب الحديث والمعاصر ، ص ١٦٠ .

(4) Document : F. O. 78/247. P.P. 109 - 120.

لدى جيوش محمد على قد بلغت أوجها بعد تلك المعاهدة ، مما يعنى أنه باستطاعة محمد على تنفيذ أهدافه التوسعية التي رسمها في مخيلته ، دون أن يبوح بها لأحد من أصدقائه الأوروبيين ، خاصة فيما يتعلق منها بالجزيرة العربية ، سواء في الجنوب الغربي منها وبالذات ميناء عدن الهام(١) ، وما يتبعه من مناطق حيوية واقتصادية يدرك الباشا مردوداتها على قوته العسكرية والاقتصادية أو الوصول إلى مياه الخليج العربي في شرقي شبه الجزيرة العربية، والسيطرة على هذا المر الاستراتيجي المهم ، ليحقق بالتالي السيطرة الكاملة على وسط الجزيرة العربية(٢) ، ثم الصعود إلى بغداد والبصرة(٣) ، وهو فعلا ما حاول الباشا تنفيذه خلال السنوات التي أعقبت معاهدة كوتاهية والذي سنتطرق له في فصول لاحقة من هذا البحث بشيء من التفصيل ، ولكن الشيء الذي نستطيع أن نقرره هنا هو أن هذه المعاهدة لم تكن لترضى الطرفين ، فالسلطان لم يقبل بها أساسا إلا ليتمكن من الاستعداد للحرب والانقضاض على جيوش محمد على واستعادة سوريا في أول فرصة مواتية ، وهو ما توافق مع سياسة بريطانيا بشكل مباشر(٤) ، في نفس الوقت الذي لم يقبل بها محمد على إلا ليكسب شيئا من الوقت عله يستطيع تغيير موقف دول أوروبا تجاهه ، خاصة وأنها قد ضغطت عليه في بداية الأمر حتى قبل التوقيع على تلك

(1) Document : F. O. 78/227. No 28; 60952.

سيد يو : خلاصة تاريخ العرب ، ص ٢٨٥ .

(٢) د . محمد عرابي نخلة : تاريخ الاحساء السياسي ، ص ٨٤ .

(3) Document : F. O. 78/228. No 72; 60952.

(٤) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ٤٥١ ، د . عبد العزيز نوار : مصر والخليج العربي في القرن ١٩ ، مجلة الهلال المصرية ، عدد ١١ ، السنة ٧٢ ، ص ١٦٢ .

المعاهدة[1] ، كما أنه يأمل أن يدعم أركان دولته الجديدة ويؤمن حدودها ، ويدعم قواته البرية والبحرية ، لإدراكه بما يبيته له السلطان العثماني بعد هذه المعاهدة[2] .

ويعنى هذا أن كلا من السلطان العثماني ومحمد على باشا قد بنى آمالا عريضة على تلك المعاهدة ، وفعلا تم لهما بعض الشيء الذي خططا من أجله ، ولكن بصورة جزئية ، إذ أن تدخل الدول الأوروبية وبالذات بريطانيا قد فوت على محمد على آماله وطموحاته التي عقدها على هذه المعاهدة ، بالإضافة إلى سوء الإدارة التي اتبعتها حكومته في الشام ، خاصة فيما يتعلق بنظام الاحتكار والتجنيد ، والتي حاول الباشا تطبيقها في الشام ، مما جعل الثورات تشتعل هنا وهناك ، محملة حكومة محمد على أعباء جديدة لتنصرف عن أهدافها الأساسية في كبح جماح هذه الثورات[3] ، وكأنها بذلك تقف عائقا دون تحقيق الباشا لأطماعه التوسعية في الجزيرة العربية ، التي بدأها بحملاته ضد الجنود الألبان الذين ثاروا عليه في مكة ، وطاردهم حتى قضى عليهم ، واستولى على أجزاء مهمة من اليمن ، مؤكدا لولاته في الحجاز أنه قد توصل مع السلطان إلى إبرام معاهدة حرب

---

(١) د . السيد رجب حراز : المدخل إلى تاريخ مصر الحديث ، ص ٢٦٨ .

(٢) الميرالاى إسماعيل سرهنك : حقائق الأخبار عن دول البحار ، جـ ١ ، ص ٦٨٧ ـ ٦٨٨ ، د . محمد عبد اللطيف البحراوى : حركة الإصلاح العثماني في عصر السلطان محمود الثاني ، ص ١٥٤ .

(٣) عبد الرحمن الرافعي : عصر محمد على ، ص ٢٦٨ ـ ٢٦٩ ، محمد كرد على : خطط الشام ، جـ ٣ ، ص ٥٦ .

بصفة دائمة ، ليستحثهم على مواصلة تدعيم نفوذه في الجزيرة العربية [1] ، مستغلا هذا الهدوء النسبي الذي نتج عن معاهدة كوتاهية [2] .

وقد قرر محمد على عند ذلك إرسال حملات عسكرية إلى وسط وشرقي الجزيرة العربية [3] ، التي كادت أن تنعم بنوع من الاستقرار والهدوء الأمنى أبان حرب الشام الأولى ، والتي تسلم فيها الإمام فيصل بن تركي مقاليد الأمور ، محاولا تدعيم سلطته ، وإعادة حكم أسرته إلى المنطقة ، لا سيما وأن أهل البلاد كانوا في أمس الحاجة إلى عودة البيت السعودى للحكم ، نظرا لما عانوه من ويلات التمزق الاجتماعي ، والتدهور الاقتصادي ، وفقدان الأمن والاستقرار في ربوع بلادهم منذ سقوط الدرعية على أيدى قوات الباشا .

ولكن يبدو أن محمد على الذي يحارب هذه المرة لنفسه هو ، ويرسل الحملات العسكرية لأهدافه الشخصية ، قد أدرك في سبيل ذلك صعوبة السيطرة على أبناء الجزيرة العربية بجيوش أجنبية عنهم ، لا سيما وأنه يريد أن يصل إلى الخليج العربي وبغداد [4] ، ليكمل دائرته التوسعية ، وبشكل دائرى يلتقى من خلالها جنوده في الشام بجنوده في العراق عن طريق الجزيرة العربية من الجنوب ، وعندها استخدم دهاءه السياسي المعروف ، جاعلا تلك الحملة

(1) Document : F. O. 78/227. No 10; 60952.
Document : F. O. 78/227. No 24; 60952.

(٢) د . بدر الدين عباس الخصوصي : محمد على والخليج العربي ، مجلة كلية الآداب والتربية ، جامعة الكويت ، عدد ٥ ، سنة ١٩٧٤ م ، ص ١٠٢ .

(٣) د . فائق حمدى طهبوب : تاريخ البحرين السياسي ، ص ١٧١ .

(4) Document : F. O. 78/228. No. 72; 60952.

باسم خالد بن سعود ، لِيُقْنِعَ أهل نجد أن قواته هذه المرة لم تأت إلا لتثبيت خالد بن سعود في الحكم[(١)] ، متناسيا أن فيصل ابن تركى هو الحاكم الشرعي والمحبوب من أهل البلاد ، ولكن خطة الباشا تلك أدت مفعولها بشكل إيجابي ، لأهدافه هو ، وانعكست بآثار سلبية على المنطقة ، خاصة وأن بريطانيا قد بدأت تدرك طلائع سياسة محمد على في الجزيرة العربية والخليج العربي[(٢)] .

فهو يحرص على تدعيم نفوذه العسكرى والسياسي في تلك المناطق والسيطرة عليها سياسيا واقتصاديا دون تدخل من جانب الدولة العثمانية[(٣)] ، مع حرصه الشديد أن يظهر دائما بمظهر المعتدى عليه ، لا المعتدى ، لكي يكسب بذلك تعاطف الدول الأوروبية إلى جانبه ، وتهدئة بريطانيا التي كان يدرك تماما مدى حرصها على سلامة الطريق المؤدى إلى الهند ، والذي أصبح تحت سيطرة محمد على ، سواء في الشام ، أو في شبه الجزيرة العربية وسواحلها الشرقية في الخليج العربي[(٤)] .

---

(١) د . عبد العزيز نوار : تاريخ العراق الحديث ، ص ٢٠٩ .

(٢) د . محمد عرابي نخله : تاريخ الاحساء السياسي ، ص ٨٣ .

(3) Document : F. O. 78/247. P. P. 109 - 114.

Document : F. O. 78/227. No 9; 60952.

(4) Document : F. O. 78/246. No. 42; 61070.

وطالما تعرفنا على الآمال التي عقدها الباشا على اتفاقية كوتاهية ، ومدى استفادته من هذه الهدنة المسلحة ، وما نتج عن تلك الآمال من نتائج إيجابية وسلبية على سياسة الباشا ، يجدر بنا أن نلقى نظرة موجزة على الآمال التي يعقدها الطرف الآخر على هذه المعاهدة ، وهو السلطان العثماني ، الذي عقد بدوره آمالا عريضة على هذه الهدنة المسلحة التي أرغم عليها ارغاما زعزع مكانته(١) ، مما جعله يضمر العداء ، ويتحين الفرص المواتية ، ويبذل قصارى جهده ، واستعداداته من جميع النواحي سواء السياسية أو العسكرية أو المعنوية(٢) ، عله بذلك يستطيع استعادة الشام من هذا التابع القوى الذي سيطر على الشام والجزيرة العربية ، وبدأ في تدعيم نفوذه فيهما ، بل وتطلع إلى غيرهما .

وربما أدرك السلطان العثماني أن معاهدة انكيار سكيلسي Unkiar Skelessi ، التي أبرمها مع روسيا لم تكن ذات أبعاد ايجابية ، خاصة وأن الساسة البريطانيون قد أدركوا التغاضي الروسي عن اتساع ممتلكات الباشا في الدولة العثمانية(٣) ، وربما أوحى الساسة الانجليز بذلك إلى السلطان العثماني ، الذي بدأ يثق بهم ، لأن أفكاره وأهدافه أصبحت تتفق مع

---

(١) د . السيد رجب حراز : المدخل إلى تاريخ مصر الحديث ، ص ٢٦٩ .

(2) Document : (I.O.R.) L/P, S/9/97. No.67. P.P. 357 - 360.

Document : F. O. 78/247. P.P. 115 - 117.

(3) Document : F. O. 78/246. No. 42; 61070.

د . محمد فؤاد شكري وآخرون : بناء دولة مصر محمد علي ، ص ٢٦٨ .

أفكار وأهداف هؤلاء الانجليز ، فهو يريد نسف معاهدة كوتاهية ـ الهدنة المسلحة ـ ، ونسف محمد على باشا وطرده من الشام في أسرع وقت ممكن ، والبريطانيون يريدون الوقوف في وجه أطماع محمد على التوسعية التي تستهدف طريق درة التاج البريطاني ـ الهند ، عندئذ فإنه لا مناص من اشتعال نار الحرب مرة ثانية بين السلطان العثماني ومحمد على[1] ، لأن معاهدة كوتاهية ما كانت إلا هدنة مسلحة ، أرغم الطرفان على توقيعها .

وهكذا تبلورت سياسة بريطانيا ازاء تلك المعاهدة ، وازاء معاهدة ، انكيار سكليسى Unkiar Skelessi ، وبدأت في تنفيذ سياستها المنطلقة من نظرية القشرة الواقية للهند ، أو سياسة منتصف الطريق .

---

(١) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ٤٥٢ .

جـ - انجلترا وسياسة منتصف الطريق .. ، نظرية القشرة الواقية للهند

لقد كان للموقع الجغرافي الفريد الذي تمتاز به الجزيرة العربية منذ أمد بعيد ، أهمية اقتصادية واستراتيجية ، جعلتها تلعب دورا هاما في العلاقات بين الشرق والغرب في كل عصور التاريخ ، فهي بحكم موقعها الممتاز تعتبر مفتاحا للخليج العربي والبحر الأحمر إذ تتحكم في أهم وأقصر طريق بحرى عالمي[(١)] ، يربط الغرب بالشرق منذ العصور القديمة .

وبعد أن تكونت شركة الهند الشرقية في لندن في أواخر شهر صفر سنة ١٠٠٨ هـ ، الثاني والعشرين من سبتمبر سنة ١٥٩٩ م ، تحت اسم :
"The Governer and The Company of Merchants of London Trading into East Indies".

واعطائها الموافقة على الاتجار مع الشرق بامتياز خاص دون غيرها[(٢)] ، لعبت تلك الشركة « دورا أساسيا فيما يختص بتنفيذ استراتيجية بريطانيا حول الخليج العربي »[(٣)] ، بشكل خاص وشبه الجزيرة العربية بشكل عام ، خاصة وأن الانجليز يعتبرون من أكبر المتاجرين مع موانىء شبه الجزيرة العربية المختلفة ، ابتداء من بغداد والبصرة في شمال الخليج العربي ، وانتهاء بمينائى عدن وجدة في البحر الأحمر ، ليس ذلك فحسب بل للمحافظة على سلامة وأمن

---

(١) نبيل عبد الحى رضوان : الدولة العثمانية وغربي الجزيرة العربية ، ص ٩ .

(٢) د . عبد العزيز عبد الغني إبراهيم : علاقة ساحل عمان ببريطانيا ، ص ٥١ .

(٣) موضى بنت منصور بن عبد العزيز : الملك عبد العزيز ومؤتمر الكويت ، ص ٩٢ .

درة التاج البريطاني ـ الهند ـ ، التي قال عنها الساسة البريطانيون ، أنها بمثابة اللب في الثمرة ، بالنسبة للمستعمرات البريطانية الأخرى ، لذا فمن الواجب ـ كما يقولون ـ إحاطة هذا اللب بقشرة واقية للمحافظة عليه ، معتبرين « ايران وشبه الجزيرة العربية ، والصحراء المنبسطة بين بغداد ودمشق » هي القشرة الواقية للهند[١] .

وعندما بدأت حروب الشام الأولى التي خاضها محمد على باشا ضد الدولة العثمانية تبلورت فكرة سياسة منتصف الطريق ومعناها علاج المشكلة بموقف وسط ، أي ما بين الحرب والسلم ، إضافة إلى تطبيق نظرية القشرة الواقية للهند ، سالفة الذكر ، خاصة في شبه الجزيرة العربية ، والخليج العربي بصورة واضحة .

ولو عدنا قليلا إلى الوراء ، لوجدنا أن البحار الهندية ، ومنطقة الخليج العربي[٢] ، قد شهدت صراعا حربيا بين فرنسا وبريطانيا ، خاصة ابان حرب

---

(١) موضى بنت منصور بن عبد العزيز : الملك عبد العزيز ومؤتمر الكويت ، ص ٩٢ .

(٢) يمتد الخليج العربي ذراعاً بحريا في اتجاه شمالي غربي ، إلى جنوبي شرقي بين خطي عرض ٢٠ ، ٣٠ْ درجة شمالا ، و٤٨ ، ٥٦ْ درجة شرقا بين مدينة الفاو على الطرف الجنوبي للعراق حتى رأس سندم على مضيق هرمز ، حيث يتصل خليج عمان بالبحر العربي ، وتبلغ مساحة الخليج ٩٧٤٥٠ ميلا مربعا ، وتنتشر في هذه المساحة جزر كثيرة ، خاصة في أطراف الخليج وفي وسطه ، وأكبر جزره هما جزيرتا البحرين وقشم ، كما تكون قطر أكبر شبه جزيرة في الخليج .

د . عبد العزيز عبد الغني إبراهيم : علاقة ساحل عمان ببريطانيا ، ص ٨٠ .

السنوات السبع[١] ، « مما جعل رجال شركة الهند الشرقية يسلكون الطريق البرى بين البصرة وحلب ، باعتباره طريقا أمينا وقصيرا »[٢] .

تلا ذلك عقد اتفاقية مع حاكم المحمرة ، بالسماح للشركة بانشاء مركز تجاري لها في ميناء المحمرة سنة ١١٧٦ هـ / ١٧٦٣ م[٣] ، أتبعتها بتأسيس أول قنصلية بريطانية في البصرة ، وتدعيمها بفرمان عثماني ، بالموافقة على انشائها سنة ١١٧٧هـ / ١٧٦٤ م[٤] ، مؤكدة بذلك أهمية المحافظة على استمرار هذا الطريق البرى بين البصرة وحلب ، في الوقت الذي تسيطر فيه بريطانيا على التجارة العالمية في البحار والمحيطات وبالذات في المناطق المتاخمة للمحيط الهندى[٥] ، كما أنه وبعد أن أنشىء مجلس إدارة الهند The India Board of Control سنة ١١٩٩ هـ / ١٧٨٤ م ، ازدادت أهمية مصر لاستخدامها كطريق برى بين بريطانيا والهند[٦] .

---

(١) د . عبد العزيز عبد الغني إبراهيم : علاقة ساحل عمان ببريطانيا ، ص ٦٨ .

(٢) ج . ج . لوريمر : دليل الخليج ، القسم التاريخي ، جـ ١، ص ٢٥٩ .

(٣) جون . ب . كيلي : بريطانيا والخليج ، جـ ١، ص ٨٠ .

(٤) د . صلاح العقاد : التيارات السياسية في الخليج العربي ، ص ٣٧ .

(٥) د . عبد الحميد البطريق : التيارات السياسية المعاصرة ، ص ٧٤ .

د . فؤاد سعيد العابد : سياسة بريطانيا في الخليج العربي ، ص ٢٤ .

(٦) جون مارلو : تاريخ النهب الاستعماري لمصر ، ص ٣٤ .

فكأن بريطانيا قد أدركت أهمية تلك المنطقة التي تقع على طريق مستعمرتها ـ الدُّرّة ـ والتي تعتبر بمثابة القلب من الجسد ، فلا غرو عندئذ أن نراها تتخذ عدة خطوات حاسمة في تلك المنطقة ، لتقف في وجه أي تدخل خارجي قد يهدد أمن وسلامة الطريق المؤدي إلى الهند ، أو يؤثر على القشرة الواقية للهند ، مبتدئة تلك الخطوات بافتتاح مقيمية لها في بغداد في سنة ١٢١٣ هـ ، صيف سنة ١٧٩٨ م[١] ، تلته بعقد معاهدة مع سلطان مسقط في أواخر شهر ربيع الثاني سنة ١٢١٣ هـ ، الثاني عشر من شهر أكتوبر سنة ١٧٩٨ م[٢] .

وقد ذهبت بريطانيا إلى أبعد من ذلك حين تعاونت مع الدولة العثمانية على طرد الفرنسيين من مصر ، سنة ١٢١٤ هـ / ١٧٩٩ م[٣] ، مستغلة بذلك تساهل الدولة العثمانية فيما يختص بالملاحة الأوروبية ، والتي كانت ممنوعة من الدخول في مياه البحر الأحمر فيما بين السويس والمخا ، حفاظا على الأماكن المقدسة في مكة المكرمة والمدينة المنورة ، ولم يحدث ذلك إلا بعد الحملة

---

(١) ج . ج . لوريمر : دليل الخليج ، القسم التاريخي ، جـ ١ ، ص ٢٧٦ .

د . زكي صالح : مجمل تاريخ العراق الدولي في العهد العثماني ، ص ٢٦ .

(٢) ج . ج . لوريمر : المرجع السابق ، ص ٢٧٧ .

د . مديحة أحمد درويش : سلطنة عمان في القرنين ١٨ ، ١٩ ، ص ٥٧ .

(٣) د . محمد أنيس : الدولة العثمانية والشرق العربي ، ص ١٩٤ .

الفرنسية على مصر[1] ، عندها دخلت السفن الحربية البريطانية مياه البحر الأحمر ، واحتلت جزيرة ميون ـ بريم Perim عند مضيق باب المندب[2] .

كما وضعت مركبين حربيين في مياه عكا ، للوقوف ضد هجمات نابليون بونابرت لكي لا تمتد إلى الشام[3] ، فيما لو استطاع الاستيلاء على عكا خاصة وأنه كان قد أرسل عدة بعثات إلى بلاد العرب والعراق ومسقط في محاولة منه لكسب القبائل العربية إلى جانبه لكي تسهل مهمة تقدم جيوشه إلى الهند[4] .

وكأن ذلك قد أكد للساسة الانجليز بشكل قاطع من أن أهداف نابليون بونابرت في الشرق الأدنى ما هي إلا جزء من مخططاته العسكرية ، للقضاء على المصالح البريطانية في المنطقة ، خاصة فيما يتعلق بالسيطرة على الطرق المؤدية إلى الهند[5]، حتى أن الضابط الانجليزي جون مالكولم John Malcol، الذي استطاع إبرام معاهدة تحالف مع

---

(١) د . صلاح العقاد : التيارات السياسية في الخليج العربي ، ص ٣٨ .

(٢) الأستاذ محمد شفيق غربال : منهاج مفصل ، ص ١٤٣ .

ميون : جزيرة تبعد عن الشاطىء اليمني ميلين ، ولا تزيد مساحتها عن خمسة أميال مربعة ، وقد بنى فيها البريطانيون حصنا لكنهم أخلوها بعد ذلك .

محمود كامل : اليمن شماله وجنوبه ، ص ٢٢٣ ـ ٢٢٤ .

(٣) سهيل زكار : بلاد الشام في القرن ١٩ ، ص ٩٧ .

(٤) أحمد حسين جوده : المصالح البريطانية في الكويت حتى عام ١٩٣٩ م ، ص ٩ .

(٥) ج . ج . لوريمر : دليل الخليج ، القسم التاريخي ، جـ ١ ، ص ٢٥١ ، ٢٧٥ .

شاه فارس سنة ١٢١٥ هـ / ١٨٠١ م ، ضد أية قوة تحاول غزو الهند[١] ، قد تنبه إلى ذلك ، حين قال : « يمكن اعتبار كل من تركيا وفارس منطقتين عازلتين بالنسبة للهند البريطانية ، وبالتالي فإن وقوع أي من هذين البلدين في أيدى دولة أوروبية سوف يعرض الهند للخطر من حيث أنه سيجعلها منطقة مكشوفة أمام أي غزو تقوم به تلك الدولة للهند ، وانطلاقا من هذا فإن سياسة الحكومة البريطانية تقوم على دعم وتأييد هاتين الدولتين ، وعلى خلق وتقوية دول أخرى ، يتحقق من جرائه نفس الغرض .. »[٢] .

من هنا ندرك أن ما عرف في السياسة البريطانية بنظرية القشرة الواقية للهند قد بدأت تخيم على أذهان الساسة البريطانيين منذ أن غزا نابليون مصر ، وكأن تلك الحرب قد أدخلت منطقة الشرق العربي بشكل عام ، وشبه الجزيرة العربية والخليج العربي بشكل خاص في صراع أوروبي استعماري جديد في شكله ومعناه[٣] ، وهو ما دأبت بريطانيا على تنفيذه في المنطقة بمختلف الأساليب ، لتصل بذلك إلى حماية مصالحها التجارية والاستراتيجية في المنطقة ، وبالذات محافظتها

(١) د . بدر الدين عباس الخصوصي : دراسات في تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر ، جـ ١ ، ص ٤٦ ـ ٤٧ .

(٢) جون . ب . كيلي : بريطانيا والخليج ، جـ ١ ، ص ٤٤٣ .

(٣) جورج كيرك : موجز تاريخ الشرق الأوسط ، ص ١١٢ .

ج . ج . لوريمر : المرجع السابق ، جـ ١ ، ص ٢٧٣ .

على سلامة الطريق المؤدى إلى الهند [١] ، فالطريق البرى من حلب مرورا بنهرى دجلة والفرات ، ومنهما إلى الخليج العربي ، أصبح يستحوذ على جل اهتمام الساسة الانجليز ، وكأنهم بذلك يخشون المنافسة الفرنسية من هذا الطريق البرى ، خاصة وهم سادة البحار ، وأصحاب تفوق مميز فيها [٢] ، إضافة إلى ذلك تمكنهم من عقد معاهدة مع سلطان لحج سنة ١٢١٧ هـ / ١٨٠٢ م ، استطاعوا من خلالها وضع حامية بريطانية في ثغر عدن [٣] ، لذلك اعتبروا الخليج العربي خطا أماميا للدفاع عن الهند ، وطريقا هاما من طرق مواصلاتها فلا بد عندئذ من القضاء على المنافسة الفرنسية في تلك المنطقة [٤] ، لذا فقد جعلوا من الخليج العربي « قاعدة للأسطول البريطاني ، ومركز استطلاع ومراقبة » لما يحدث في المنطقة [٥] ، لتكون لهم السيطرة الكاملة عليها ، وأكدوا ذلك بوقوفهم الصارم تجاه المحاولة الفرنسية حول إعادة كافيناك Cavaignac ،

---

(١) زين نور الدين زين : الصراع الدولي في الشرق الأوسط ، ص ١٥ .

د . عبد العزيز عبد الغني إبراهيم : علاقة ساحل عمان ببريطانيا ، ص ٧٢ .

(٢) جون . ب . كيلي : بريطانيا والخليج ... ، جـ ١ ، ص ٩٧ .

(٣) د . عبد الحميد البطريق : من تاريخ اليمن الحديث ١٥١٧ ـ ١٨٤٠ م ، ص ٥٤ .

د . محمد أنيس : الدولة العثمانية والشرق العربي ، ص ١٩٢ ـ ١٩٥ .

(٤) د . صلاح العقاد : التيارات السياسية في الخليج العربي ، ص ٦٣ ، ١٦٧ .

د . سيد نوفل : الخليج العربي أو الحدود الشرقية للوطن العربي ، ص ٦٣ .

(٥) د . فؤاد سعيد العابد : سياسة بريطانيا في الخليج العربي ، ص ١٧ .

أشهر الساسة الفرنسيين ، وتعيينه ممثلا لفرنسا في مسقط سنة ١٢١٧ هـ / ١٨٠٢ م ، ولكن سلطان مسقط خشى من التهديد البريطاني فرفض الطلب الفرنسي[١] .

أفزع قيام الدولة السعودية الأولى ، ومناصرتها للمجاهدين القواسم في الخليج العربي الانجليز بصورة جعلتهم يقفون بكل قوة إلى جانب سلطان مسقط ، لا لحبهم له ، ولكن خوفا من سقوط عاصمة بلاده في أيدى الدولة السلفية القوية ، مما يجعل مصالحهم الاقتصادية والاستراتيجية تحت رحمة هذه الدولة ، ورجالها المجاهدين من القواسم[٢] ، الذين يحاربون التواجد الأوروبي المسيحي في الخليج العربي ، لذا فقد لجأت بريطانيا إلى إرسال الحملات العسكرية المسلحة ، بحجة القضاء على القرصنة ، وبالتالي تكبيل أمراء ومشائخ المنطقة بمعاهدات الحماية المزعومة[٣] ، لإيجاد مبرر للتدخل المباشر ، سواء كان ذلك سياسيا أم عسكريا ، دون أن تثير أيا من الدول الأوروبية المنافسة للتدخل ، كفرنسا وروسيا ، وهو ما حدث بالفعل عند صدور الأوامر باستملاك جزيرة خرج Kharag سنة ١٢٢٤ هـ / ١٨٠٩ م ، باعتبارها أكثر تحكما في مدخل الخليج الشمالي[٤] .

---

(١) د . مديحة أحمد درويش : سلطنة عمان في القرنين ١٨ ، ١٩ ، ص ٦٢ ، ٦٣ .

(٢) د. عبد العزيز عبد الغني إبراهيم : علاقة ساحل عمان ببريطانيا ، ص ١٤١ ، ١٤٩ ، ١٥٣ ، ٤١٢ .

(٣) د . فؤاد سعيد العابد : سياسة بريطانيا في الخليج العربي ، ص ١٩٠ .

(٤) ج . ج . لوريمر : دليل الخليج ، القسم التاريخي ، جـ ١ ، ص ٢٨٢ ، ٣١٧ .

وكذلك استطاعت بريطانيا عقد معاهدة سلم وتجارة مع الباب العالي سنة ١٢٢٤ هـ / ١٨٠٩ م[١] ، أتبعتها بمعاهدة دفاعية مع فارس سنة ١٢٢٩ هـ / ١٨١٤ م ، وكأنها بذلك تريد ايقاف روسيا عن تهديد طريق الهند ، وأي قوة أوروبية أخرى[٢] ، ثم أعقب ذلك وصول ممثل شركة الهند الشرقية للبحرين سنة ١٢٣١ هـ / ١٨١٦ م ، للتفاوض مع المسئولين فيها ، لزيادة التعاون فيما بين بريطانيا والبحرين ، ولتسهيل مرور التجارة البريطانية لتستطيع من خلال ذلك ترسيخ وجودها في البحرين ، دون أن تثير عداء الدول المجاورة والمناوئة لها[٣] ، وكم كانت سعادة بريطانيا كبيرة عندما علمت بسقوط الدرعية ، عاصمة الدولة السعودية الأولى ، في أيدى قوات إبراهيم باشا[٤] ، فقد كانت هي الدولة السلفية التي تدعم القواسم في جهادهم ضد بريطانيا في الخليج العربي ، مما يعني تهديد المصالح البريطانية في الهند كما أسلفنا[٥] .

---

(١) د . زكي صالح : مجمل تاريخ العراق الدولي في العهد العثماني ، ص ٢٩ .

(٢) جون . ب . كيلي : بريطانيا والخليج ، جـ ١ ، ص ٤٤٤ .

د . فائق حمدى طهبوب : تاريخ البحرين السياسي ، ص ١١٨ .

(٣) أمل إبراهيم الزياني : البحرين بين الاستقلال السياسي والانطلاق الدولي ، ص ٤٤ .

د . فائق حمدى طهبوب : المرجع السابق ، ص ١١٨ .

(٤) د . بدر الدين عباس الخصوصي : دراسات في تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر ، جـ ١ ، ص ١٩٨ .

(٥) د . محمد عرابي نخله : تاريخ الاحساء السياسي ، ص ٤٢ ـ ٤٣ .

وهنا يجدر بنا أن نتساءل ، خاصة في تلك الأحداث التي عاشها العالم الإسلامي في تاريخه الحديث ، لنقول : لو أن جيوش محمد علي باشا التي هي جيوش الدولة العثمانية تعاونت مع الدولة السعودية الأولى ، بدلا من أن تحاربها ، لتقفا معا في وجه الأطماع الأوروبية بشكل عام ، وبريطانيا بشكل خاص ، أنه لو تم ذلك لتغير وجه التاريخ ، خاصة وأن الدولة السعودية دولة مسلمة أقامت دعائمها على المبدأ السلفي الصحيح ، والعالم الإسلامي في تلك الفترة في أمس الحاجة اليها ، وعلى أية حال فلقد أدركت بريطانيا مدى الاستفادة من هذه الظروف ، فأسرعت بزف التهاني إلى إبراهيم باشا ، من مبدأ الاحتواء في ضوء المصالح الذاتية لها ، وبعثت بالكابتن جورج فورستر سادلير Captain. G. F. Sadleir(١) لتقديم التهنئة لإبراهيم باشا لاستيلائه على الدرعية ، ولمحاولة إيجاد قاعدة يمكن من خلالها التنسيق بين قوات الباشا البرية ، والقوات البريطانية البحرية للقيام بعمل حربي مشترك ضد القواسم ، أتباع الدولة السعودية الأولى .

---

(١) ولد جورج فورستر ساد ليرفي كورك ، بتاريخ ١٩ يناير ١٧٨٩ م ، من أسرة مرموقة ، التحق بالجيش في ١٤ أبريل ١٨٠٥ م ورقي ملازما في نفس السنة ثم رئيسا في ١٨١٣ م وعقيدا في ١٨٣٠ م ، وتقاعد من الجيش في ١٧ فبراير ١٨٣٧ م . وعمل بالسياسة تحت إشراف . سير . ج . مالكولم في ١٨١٧ ـ ١٨١٨ م ، وقام في سنة ١٨١٩ ـ ١٨٢٠ م برحلته تلك إلى بلاد العرب ، وفي سنة ١٨٢٠ ـ ١٨٢١ م ارسل سفيرا إلى السند ، ووقع هناك اتفاقية حيدر آباد الخاصة بالهنود ، وقد هاجر سادلير إلى نيوزيلاند حوالي ١٨٥٥ م ، وقضى نحبه في أوكلاند قبل ١٨٦٨ م .

ج . ج . لوريمر : دليل الخليج ، القسم التاريخي ، جـ ٢ ، ص ١٠٠٩ ـ ١٠١٠ .

وفي نفس الوقت القيام بدراسة أهداف الحملة المصرية ـ العثمانية ، بصورة سرية وإعطاء تقارير وافية عنها ، وعن خططها المستقبلية تجاه المنطقة ، دون إعطاء أي ضمانات باسم الحكومة البريطانية فيما لو اتضح أن الباشا سيقوم بمواصلة حروبه إلى الخليج والشواطيء العربية الشرقية ، ودون اظهار أي اهتمام محسوس بالموضوع[1] .

لكن هذا اللقاء الذي تم بين سادلير وإبراهيم باشا في الثاني والعشرين من شهر ذو القعدة سنة ١٢٣٤ هـ ، الموافق الثامن من سبتمبر سنة ١٨١٩ م ، لم يؤد إلى النتائج المرجوة من ورائه ، إذ أن الباشا قد تعمد إهانة حاكم الهند ، بهداياه الغير مناسبة ، وفي نفس الوقت لم يمكن المندوب البريطاني من تكوين رأى واضح عن أهدافه السياسية التي يرمى اليها ، ومن ورائه والده محمد على باشا في مصر ، بالرغم من الآمال التي كان المندوب البريطاني يعلقها على هذه المهمة ، خاصة عندما أضاء له إبراهيم باشا الضوء الأخضر في بداية المقابلة ، من أنه كان تواقا لتدعيم علاقاته بالسلطات البريطانية في الهند[2] ، إلا أن السلطات البريطانية كانت على ما يبدو مدركة لهذه النتيجة سلفا ، فالتظاهرات التي قام بها

(١) جورج فورستر سادلير : رحلة عبر الجزيرة العربية خلال عام ١٨١٩ م ص ٦٤ ، ١٥٧ ـ ١٥٨ ، ١٦١ .

(٢) جورج فورستر سادلير : رحلة عبر الجزيرة العربية ، ص ٦٧ ، ١٠٦ ، ١١٢ ـ ١١٤ ، ١٢٩ ، ١٨٠ ـ ١٨٦ .

الجيش البريطاني في الخليج أثناء الوجود المصرى العثماني في الاحساء[١] ، والدراسة التجسسية التي أجراها سادلير Sadleir على جيوش إبراهيم باشا[٢] ، تؤكد ذلك دون ريب .

أعقبت بريطانيا ذلك بحملاتها العسكرية على الخليج ، ومن ثم تكبيل شيوخ المنطقة بمعاهدات الحماية التي فرضتها عليهم بالقوة[٣] ، في الوقت الذي بدأت تتجه فيه إلى تدعيم نفوذها في البحر الأحمر ، والموانىء اليمنية خشية على طرق مواصلاتها إلى الهند من هذه القوة الجديدة التي فرضت سيطرتها على شبه الجزيرة العربية .

ولكن ومع هذا كله لم تبذل الدولة العثمانية ومحمد على أكثر من تقديم احتجاجات دبلوماسية إلى السفير البريطاني في الأستانة[٤] ، رغم قناعتهما بسوء النية المبيتة لدى الانجليز تجاه سواحل شبه الجزيرة العربية[٥] .

وقد أرغمت بريطانيا بعد ذلك إمام اليمن على توقيع شروط فرض سيطرتها على ميناء المخا لموقعها الهام ، وأهميتها الاستراتيجية وذلك في سنة

---

(١) سنت جون فلبى : تاريخ نجد ، ص ١٦٥ .

(٢) د . عبد العزيز عبد الغنى إبراهيم : علاقة ساحل عمان ببريطانيا ، ص ١٧٨ .

(٣) د . محمد عرابى نخله : تاريخ الاحساء السياسي ، ص ٤١ ، ٨٤ .

د . فائق حمدى طهبوب : تاريخ البحرين السياسي ، ص ٩٣ ، ١١٣ .

(٤) د . فاروق عثمان أباظة : عدن والسياسة البريطانية في البحر الأحمر ، ص ١٠٨ .

(٥) وثيقة رقم ٢٠٩ ، محفظة ٧ عابدين ، دار الوثائق القومية بالقاهرة ، نقلا عن : جورج فورستر سادلير : رحلة عبر الجزيرة العربية ، ص ٢٧٤ ـ ٢٧٧ .

١٢٣٦ هـ / ١٨٢١ م ، أعقبته بعقد اتفاقية صداقة وتجارة مع سلطان لحج ، على استخدام عدن كمحطة للفحم وذلك سنة ١٢٤٥/٤٤ هـ / ١٨٢٩ م[١] .

وكأن بريطانيا بذلك كانت ترد على محمد على باشا الذي بدأ يراقب الوضع في اليمن عن طريق حاكم الحجاز ، لاستكشاف تحركات الأسطول البريطاني في اليمن ، بعد أن كانت قد حذرته من طرف خفى عن طريق قنصلها في القاهرة هنرى سولت Henry Salt بادراكها لأهداف الباشا في البحر الأحمر والخليج العربي ، مما جعل محمد على يتفادى الاصطدام مع الانجليز ، ويؤكد لهم حرصه على استمرار العلاقات الطيبة مع بريطانيا ، وأن صلاته باليمن لم تتعد استيفاء جزية سنوية من البن باسم السلطان العثماني[٢] ، ومع ذلك كررت معه نفس التحذير على لسان باركر Barker ، عندما حاولت فرنسا اغراءه بغزو الجزائر ، مؤكدة له مجددا رفضها لأى وجود فرنسي في المنطقة[٣] ، ولكن محمد على لم يكن ليجهل ذلك ، ورأى بثاقب نظره أن فرصته الوحيدة تكمن في اختلاف مصالح الدول العظمى في المنطقة ، محاولا بذلك كسب ثقة بريطانيا ، لكى يتجنب الاصطدام معها[٤] ،

---

(١) د . عبد الحميد البطريق : من تاريخ اليمن الحديث ، ص ٥٧ ، ٨٥ .

د . عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم : محمد على وشبه الجزيرة العربية ، ص ٢٢٨ .

(٢) د . عبد الحميد البطريق : المرجع السابق ، ص ٥١ ، ٥٤ ، ٥٧ ، ٦٠ .

(٣) د. السيد رجب حراز : المدخل إلى تاريخ مصر الحديث ، ص ٢٦٣ ـ ٢٦٤ .

د . أحمد عزت عبد الكريم : دراسات في تاريخ العرب الحديث ، ص ٣٧٤ .

(٤) بيير رنوفان : تاريخ العلاقات الدولية في القرن ١٩ ، القسم الأول ، ص ١٣٢ .

وألمح من خلال مقابلة له مع القنصل باركر Barker ، سنة ١٢٤٥ هـ / ١٨٣٠ م، استعداده «.. لإقامة سدٍّ منيع ضد روسيا سواء في تركيا أو فارس ، لأن فارس هي الميدان الذي يتعين على بريطانيا أن تواجه فيه روسيا »[١] ، على حد تعبيره ، وكأنه بذلك يعزف على الوتر الحساس في أهداف السياسة البريطانية تجاه المنطقة ، خاصة فيما يتعلق بسلامة طرق مواصلاتها إلى الهند ، ومع ذلك كانت السياسة البريطانية تجاه حروب الباشا التي خاضها ضد السلطان العثماني في الشام تتسم بشيء من الحذر والترقب[٢] ، حيث أقدمت على افتتاح قنصلية لها في الشام تتبع القنصل العام في مصر[٣] .

في الوقت الذي كان سفيرها في الأستانة ستراتفورد كاننج Strat Ford Canning ، يؤكد على أن تلك الحرب وما نتج عنها من توسع في أملاك الباشا ، سيعرض المصالح البريطانية في الشام وشبه الجزيرة العربية لأخطار جسام[٤] ، وقد أدرك وزير خارجية بريطانيا اللورد بالمرستون Lord, Palmerston ، تلك الأخطار ، خاصة بعد وصول قوات الباشا إلى مسافات قريبة من مضيقي البوسفور والدردنيل ، وانعقاد صلح كوتاهية

---

(١) جون . ب . كيلي : بريطانيا والخليج ، جـ ١ ، ص ٤٦٦ .

(2) Document : (I. O. R.) L/P, S/9/93. No. 29. P.P.354 - 356.

(3) Document : (I. O. R.) L/P, S/9/93. 25/9/1932. P.P. 340 - 345.

(٤) د . عبد العزيز سليمان نوار : المصالح البريطانية في أنهار العراق ، ص ٣٩ ـ ٤٠ .

جون . ب . كيلي : بريطانيا والخليج ، جـ ١ ، ص ٤٦٧ ـ ٤٦٨ .

سنة ١٢٤٨ هـ / ١٨٢٣ م ، ثم معاهدة انكيار سكليسى Unkiar-Skelessi ، بين روسيا والدولة العثمانية[١] .

عندئذ طلب من القنصل البريطاني في مصر الكولونيل باتريك كامبل Colonel, Patrick, Capbell ، توجيه اللوم للباشا ، باعتبار أنه قد بدأ العدوان ضد الدولة العثمانية لاسقاطها[٢] ، والتأكيد له باهتمام الحكومة البريطانية بضرورة المحافظة على كيان الدولة العثمانية[٣] ، مؤكدا القول بأن « تركيا تستطيع المحافظة على الطريق إلى الهند كأي حاكم عربي كبير الهمة »[٤] كما « أنه ليس من مصلحة الدولة الأوروبية الحاكمة في الهند أن تقوم على أرض الفرات دولة إسلامية قوية ، .. كما أن أية دولة تنشأ في هذه المنطقة سوف يمتد نفوذها بلا أدنى شك إلى جميع أقطار شبه الجزيرة العربية ، وقد تصبح في مدى قصير دولة بحرية هامة ، وأن عدم وجود دولة كهذه في الوقت الحاضر لهو خير ضامن ضد غزو الهند ... »[٥] ، ومع ذلك كان بعض القناصل الانجليز في الأستانة ومصر ، يحبذون التعاون مع محمد على باشا ، سواء في الشام أو العراق ضد الأطماع الروسية ، أو في

---

(١) بييرر نوفان : تاريخ العلاقات الدولية ، القسم الأول ، ص ١٣٤ .

(٢) د . محمد فؤاد شكرى وآخرون : بناء دولة مصر محمد على ، ص ٧٤٩ .

(٣) د . محمد فؤاد شكرى وآخرون : مصر والسودان « تاريخ وحدة وادى النيل السياسية ، القرن ١٩ ، ص ١٤ .

(٤) جورج كيرك : موجز تاريخ الشرق الأوسط ، ص ١١٦ .

(٥) جون . ب . كيلى : بريطانيا والخليج ، جـ ١ ، ص ٤٧٠ .

اليمن والبحر الأحمر لتسهيل مواصلاتهم مع الهند[١] ، إلا أن اللورد بالمرستون Lord Palmerston رفض هذه الأفكار خشية من تدخل الدول الأوروبية في المشكلة ، خاصة وأن الدولة العثمانية تعاني من أوضاع سياسية وعسكرية قد تجعل المجال مفتوحا لهذا التدخل ، إضافة إلى أطماع محمد على باشا الذاتية[٢] .

عندئذ بدأت سياسة بريطانيا تجاه حروب محمد على باشا في الشام والعراق وشبه الجزيرة العربية ، تتبلور بشكل واضح لتطبيق سياسة منتصف الطريق بالنسبة لعلاقاتها مع الباشا في تلك المناطق ، ولإبراز نظرية القشرة الواقية للهند إلى حيز الوجود ، وتنفيذها بدقة وعناية ، وكانت تقارير القناصل الانجليز في الشرق قد أخذت تؤكد على تغلغل جيوش محمد على باشا في شبه الجزيرة العربية بشكل عام ، ومداخل البحر الأحمر بشكل خاص[٣] ، وكذلك فرض سيطرتها على الأجزاء الشرقية الشمالية من اقليم الشام[٤] .

(1) Documents : F. O. 78/227; 60952. 24/5/1833.
, F. O. 78/228; 60952. 31/8/1833.
, F. O. 78/228; 60952. No. 62. 27/10/1833.
, F. O. 78/246; 61070. No. 42. 21/8/1834.

(٢) د . فاروق عثمان أباظة : عدن والسياسة البريطانية في البحر الأحمر ، ص ١٢٦ ــ ١٢٧ .

(3) Documents : F. O. 78/247; 11/11/1834. P. 119.
, F. O. 78/227; 60952. No. 10. 16/4/1833.
, F. O. 78/227; 60952. No. 24. 13/6/1833.
, F. O. 78/257; xC/A/61064. 6/1/1835.

(4) Document : F. O. 78/247. P.P. 109 - 119. 11/11/1834.

رغم أن محمد على قد حاول تبرير إرسال حملته إلى اليمن للقنصل البريطاني في مصر ، بأنها لن تؤثر على المصالح البريطانية في البحر الأحمر ، بل على العكس ستحافظ على أمن وسلامة السفن البريطانية هناك[١]، واستبعاده كذلك لوجود أي فكرة لديه بتوسيع أطماعه لتصل إلى الخليج العربي ، وإنما هو يهدف لحماية الحرمين الشريفين فقط[٢] ، إلا أن هذا الأسلوب السياسي الذي انتهجه محمد على مع بريطانيا لم يؤثر على أفكار وزير خارجيتها اللورد بالمرستون Lord Palmerston ، الذي أصبحت أفكاره السياسية تجاه خطط محمد على باشا التوسعية في شبه الجزيرة العربية والشام ذات طابع خاص ، لا سيما بعد تلقيه لمقترحات رجال السياسة البريطانية تجاه هذا التوسع وأخطاره[٣] ، وبعد أن رأى صديق بريطانيا التقليدي سلطان عمان يوقع معاهدة تجارية مع الولايات المتحدة الأمريكية في سنة ١٢٤٩ هـ / ١٨٣٣ م[٤] ، ليضيف بذلك خطرا جديدا يهدد الأهداف الاستراتيجية البريطانية[٥] .

(١) د . عبد الحميد البطريق : من تاريخ اليمن الحديث ، ص ٧١ ـ ٧٤ ، د . فاروق عثمان أباظه : عدن والسياسة البريطانية في البحر الأحمر ، ص ١٢٧ ، ١٧٥ ـ ١٧٦.

(٢) د . فائق حمدى طهبوب : تاريخ البحرين السياسي ، ص ١٨١ .

(٣) جون . ب . كيلي : بريطانيا والخليج ، جـ ١ ، ص ٤٧١ .

(٤) ج . ج . لوريمر : دليل الخليج ، القسم التاريخي ، جـ ٢ ، ص ٧٢٧ ـ ٧٢٨ .

(٥) د . عبد الحميد البطريق : محمد على ومشروع غزو العراق ، مجلة كلية الآداب ، الجامعة الأردنية ، عدد ١ ، يناير سنة ١٩٦٩ م ، ص ٥٧ .

لم يتردد اللورد بالمرستون Palmerston ، في القول بأنه لا بد من « إرغام محمد على باشا ـ على حصر ـ نفوذه في مصر فقط ، لأن احتلال سوريا سوف يؤدى إلى احتلال بغداد ، وإن إقامة دولة واحدة من مصر وسوريا والعراق بزعامة محمد على باشا لن تفيد بريطانيا في شيء ، أما السلطان التركي فسوف يزداد ضعفه في مقاومة روسيا ، وأنه من المحتمل أن تتألب تلك الدولة مع الوالي للتحرش بفارس ، وذلك على حساب الوجود البريطاني في الهند »[١] .

مبديا بذلك فزع حكومته من امتداد نفوذ محمد على في شبه الجزيرة العربية وسوريا ، وبالتالي تحكمها في مياه البحر الأحمر والخليج العربي[٢] ، مما يمهد لفتح المجال أمام أوروبا لتهديد المصالح الاستراتيجية والاقتصادية البريطانية في المنطقة ، وبالذات أمام روسيا وفرنسا ، إضافة إلى أطماع محمد على باشا المبيتة[٣] ، وتبعا لذلك رفضت الحكومة البريطانية إعطاء أي ضمان للاقتراح الداعى إلى مد خط حديدى لربط الاسكندرية بالقاهرة والسويس ، أو حفر قناة تصل بين البحرين الأبيض والأحمر[٤] ، حتى أن بالمرستون Palmerston قد علق على مناصرة فرنسا للمشروع الأخير منهما

---

(١) جون . ب . كيلي : بريطانيا والخليج ، جـ ١ ، ص ٤٧١ .

(٢) بيير رنوفان : تاريخ العلاقات الدولية في القرن ١٩ ، القسم الأول ، ص ١٣١ .

(3) Document : "I. O. R." L/P, S/9/96. P.P. 391 - 392. and No. 4. P. P. 401 - 402.

,Document : F. O. 78/247. P.P. 112-113. 11/11/1834.

(٤) د . محمد كمال الدسوقى : الدولة العثمانية والمسألة الشرقية ، ص ١٧٥ .

بقوله : « أنه مهما كان في المشروع من مزايا تجارية عظيمة ، فإن هذا ـ البسفور الثاني ـ قد يكون مصدراً لمتاعب سياسية خطيرة لبريطانيا »[1] .

وقد سعت الحكومة البريطانية لايجاد مخرج يحقق لها إبقاء طريق العراق والخليج العربي ، بعيدا عن متناول الروس ومحمد على باشا[2] ، واستحصلت بذلك على فرمان عثماني في أواخر شهر شعبان سنة ١٢٥٠ هـ / التاسع والعشرين من ديسمبر سنة ١٨٣٤ م ، باعطائها حق الملاحة في نهر الفرات ، رغم ما بذلته السفارة الروسية في الأستانة حيال تجميد ذلك الفرمان[3]، وما سبقه من محاولات قام بها إبراهيم باشا في الشام لتعطيل ذلك المشروع[4]، ولكن إصرار الحكومة البريطانية ، المعتمد على الفرمان العثماني ، وما صاحبه من تهديد صريح للباشا في مصر على لسان قنصلها هناك ، جعل ذلك المشروع يسير وفق برنامجه المحدد ، وبمساعدة مباشرة من قبل إبراهيم باشا في الشام[5] ، ونجح رئيس البعثة الميجور فرانسيسي رودسن شيزني Major, Francis Rawdson Chesney ، من تحقيق أهداف ذلك المشروع المتمثلة في إيجاد طريق آمن وقصير إلى الهند عبر الخليج العربي ، وللحيلولة

---

(١) جورج كيرك : موجز تاريخ الشرق الأوسط ، ص ١٢٤ .

(٢) د . زكى صالح : مجمل تاريخ العراق الدولي في العهد العثماني ، ص ٤٧ .

(٣) د . عبد العزيز الشناوي : الدولة العثمانية دولة إسلامية ، جـ ٢ ، ص ٧٧٢ ـ ٧٧٦ .

(٤) جون . ب . كيلي : بريطانيا والخليج ، جـ ١ ، ص ٤٨٥ ـ ٤٨٦ .

(٥) د . أحمد مصطفى أبو حاكمه : تاريخ الكويت ، القسم الأول ، جـ ٢ ، ص ١١٨ .

دون تغلغل النفوذ الروسي في المنطقة ، أو اتساع أطماع وطموحات محمد على باشا فيها[١] .

ورغم أن القنصل البريطاني في القاهرة الكولونيل كامبل Campbell حاول استبعاد فكرة أي عداء قد يقوم به محمد على ضد المصالح البريطانية في البحر الأحمر ، أو داخل شبه الجزيرة العربية بعدئذ[٢] ، إلا أن التقارير التي تلقتها وزارة الخارجية البريطانية بعد ذلك ، والتي تؤكد على خطورة تحركات جيوش محمد على باشا في الجزيرة العربية من البحر الأحمر غربا وحتى الخليج العربي شرقا ، مما يجعل الطريق إلى الهند تحت رحمة الباشا وقواته هناك[٣] .

أدى كل ذلك باللورد بالمرستون Lord Palmerston ، وزير الخارجية البريطاني ، بالخروج عن هدوئه المألوف ، ليطلب من القنصل البريطاني في مصر الكولونيل باتريك كامبل Colonel, Patrick, Campbell مصارحة الباشا بعدم موافقة الحكومة البريطانية على تأسيس حكومة له هناك في الجزيرة العربية ، وأن بريطانيا لا يمكنها السكوت على هذا

(١) د . أحمد حسن جودة : المصالح البريطانية في الكويت ، ص ١٠ .

(2) Document : F. O. 78/3185; 61070. P. 52. 23/2/1837.

(3) Document : F. O. 78/3185. P. P. 22 - 32.

نقلا عن مجلة الدارة ، عدد ٢ ، السنة الأولى ، ص ١٨٤ ـ ١٨٥ .

العمل ، بل ستقف بكل حزم وقوة أمام أي جهد يبذل لذلك[1] ، ثم حاول اللورد بالمرستون Lord Palmerston ، بعد ذلك زعزعة حكومة محمد على باشا في الشام ، حين قدم السم في الدسم على لسان القنصل كامبل Campbell إلى الباشا ، بنصيحته على الاستمرار في تجنيد أهل الشام ، قاصدا من وراء ذلك اثارتهم عليه ، وبالتالي إيجاد قلاقل مستمرة في حكومة الباشا تحول بينه وبين تحقيق أهدافه وطموحاته[2] ، في الوقت الذي سعى فيه اللورد بالمرستون Lord Palmerston ، وحكومته إلى إنزال ضربة قاتلة لنظام محمد على الاقتصادى ، وذلك بعقد معاهدة تجارية مع الدولة العثمانية ، هي معاهدة بلطة ليمان Balta Liman ، في أواخر شهر جمادى الأولى سنة ١٢٥٤ هـ ، السادس عشر من أغسطس سنة ١٨٣٨ م[3] ، والتي لم يجد الباشا بدا من الاستعداد لتنفيذها ، رغم أنه كان يفضل إجراء اتفاقية منفردة مع بريطانيا ، لتؤدى آثاراً اقتصادية أفضل بالنسبة للجانبين[4] ، إلا أن أهداف تلك المعاهدة في نظر بريطانيا لم

---

(1) Document : F.O. 78/318; No. 24 and 25; ˣC/A/61064, H. Temperly and. L. M. Penson : Foundations of British, Foreign Policy. P.P. 124 - 126.

(2) Document : F. O. 78/318. No. 24; ˣC/A/61064.

(٣) د . محمد عبد اللطيف البحراوى : حركة الإصلاح العثماني ، ص ١٥٣ ، د . محمد فؤاد شكرى : وآخرون : بناء دولة مصر محمد على ، ص ٥٩ ـ ٦٠ ، جون مارلو : تاريخ النهب الاستعماري لمصر ، ص ١١٢ .

(4) Document : F. O. 78/373. No. 14. P.P. 70 - 72.

تكن اقتصادية فحسب ، بل كانت سياسية كذلك ، علها تستطيع من خلالها القضاء على أطماع محمد على في الشام وشبه الجزيرة العربية ، لتضمن بذلك سلامة طرقها الموصلة إلى الهند ، وبالتالى إيقاف الآمال الفرنسية والروسية في المنطقة ، ولكن ازدياد الأخطار على طريق الهند ، وسيطرة الباشا على البحر الأحمر في الوقت الذي يسيطر فيه على الشام ، وجيوشه تتقدم في وسط الجزيرة العربية باتجاه الخليج العربي ، جعل بريطانيا تبدأ في تنفيذ نظرية القشرة الواقية للهند ، وذلك بإحكام قبضتها على المعابر المائية المؤدية إلى الهند ، وتوطيد نفوذها في شبه الجزيرة العربية[١] ، مبتدئة ذلك باحتلال ميناء عدن الهام في الرابع من ذي القعدة سنة ١٢٥٤ هـ الموافق للتاسع عشر من يناير سنة ١٨٣٩ م[٢] ، ذلك الميناء الحيوي الذي سيضمن سلامة الوصول إلى الهند فيما لو تعرض الخليج العربي لخطر داهم ، لا يمكن إيقافه ، كما يمكن إتخاذه كمركز استراتيجي متقدم لإيقاف توسع محمد على في الجزيرة العربية بشكل عام ، واليمن والبحر الأحمر بشكل خاص[٣] .

---

(1) Document : (I. O. R.) L/P, S/9/112. No, 4. P.P. 37 - 38.

(2) H. Temperly and L. M. Penson : Foundations of British Foreign Policy. P. 124.

د . فاروق عثمان أباظة : عدن والسياسة البريطانية في البحر الأحمر ، ص ١٥٢ .

(3) Document : F. O. 78/373. No. 21. P.P. 98 - 103; C/A/61064.

بدأت التقارير تتوارد على الحكومة البريطانية من قناصلها في المنطقة عن تحركات جيوش محمد على باشا في وسط الجزيرة العربية [١] ، وسواحلها الجنوبية الشرقية[٢] ، والشرقية والشمالية في آن واحد [٣] ، إضافة إلى بعض الأفكار التي اعتنقها بعض هؤلاء القناصل عن وجود تعاون شبه رسمي بين محمد على وشاه ايران[٤] ، وما أعقب تلك التقارير من ورود أنباء شبه مؤكدة عن إبرام معاهدة بين أمير البحرين عبد الله بن أحمد آل خليفة ، ومندوب قائد القوات المصرية في وسط الجزيرة العربية[٥] ، وأظهرت هذه التقارير ردة فعل قوية وسريعة لدى الحكومة البريطانية وممثليها في المنطقة[٦] ، والتي كانت قد حذرت خورشيد باشا ، قائد قوات محمد على في وسط وشرقي الجزيرة العربية ، من أية محاولة للتآمر ضد البحرين للاستيلاء عليها ، لما تمثله تلك الجزيرة من أهمية استراتيجية واقتصادية تمس بطريق مباشر المصالح البريطانية في الخليج العربي والهند [٧] ، فتقدمت باحتجاجات شديدة إلى محمد على في مصر ، الذي حاول مناورة بريطانيا ، والظهور

---

(1) Document : F. O. 78/373. No. 20. P.P. 87 - 91; C/A/61064.

(2) Document : "I. O. R." L/P, S/9/113. No. 44. P.P. 237 - 238.

(3) Document : "I. O. R." L/P, S/9/103. No. 7. P.P. 184 - 187.

(4) Document : "I. O. R." L/P, S/9/111. P.P. 695 - 696.

(٥) د . أحمد مصطفى أبو حاكمه : تاريخ الكويت ، القسم الأول ، جـ ٢ ، ص ٢٠٠ .

(6) Document : S. R. B. G. No.XXIV. P.P. 443 - 448.

(٧) صورة المرفق العربي للوثيقة ١٣٧ حمراء ، محفظة ٢٦٧ عابدين ، محافظ الحجاز رقم ٧ ، دار الوثائق القومية بالقاهرة .

,Document : F. O. 78/374. No. 1. ×C/A/61064. 28/2/1839.

أمامها بمظهر الصديق الذي لا يفكر في تعكير صفو العلاقات الودية بين الجانبين(١) ، ولكن الحكومة البريطانية التي كانت قد احتلت جزيرة خرج Kharag ، في أواخر شهر ربيع الأول سنة ١٢٥٤ هـ ، التاسع عشر من يونيو ١٨٣٨ م(٢) ، لتدعيم نفوذها في الخليج العربي ، والتحكم في المدخل الشمالي له ، لم تقتنع بذلك الأسلوب السياسي الذي ينتهجه محمد على ، لتشعر الباشا وقادته في الخليج العربي بأنها لن تقف مكتوفة الأيدي أمام تهديد مواصلاتها إلى الهند ، ولو أدى ذلك إلى استعمال القوة(٣) ، وصدرت بذلك تعليمات صريحة للمقيم البريطاني في المحمرة لكى يستخدم كامل نفوذه لإيقاف تقدم القوات المصرية في الخليج العربي(٤) .

في الوقت الذي بدأت تتجه فيه الحكومة البريطانية إلى نوع آخر من أساليبها الدبلوماسية لمعالجة الموقف دون أن تُظْهر للدول الأوروبية تدخلها في المنطقة ، وذلك بتكبيل شيوخ المنطقة في الخليج العربي بنوع من المعاهدات والحمايات(٥) ، التي تربطهم بعجلة السياسة البريطانية ،

---

(1) Documents : F. O. 78/374. No. 42. ˣC/A/61064.
,F. O. 78/374. No. 50. ˣC/A/61064.

(٢) د . محمد عرابي نخله : تاريخ الاحساء السياسي ، ص ٨٤ ـ ٨٥ .

(٣) د . بدر الدين عباس الخصوصي : محمد على والخليج العربي ، مجلة كلية الآداب ، جامعة الكويت ، عدد ٥ يونيو سنة ١٩٧٤ م ، ص ١٠٧ ـ ١٠٩ .

(٤) ج . ج . لوريمر : دليل الخليج ، القسم التاريخي ، جـ ٢ ، ص ١٦٤٠ .

(٥) الأستاذ محمد شفيق غربال : منهاج مفصل ، ص ١٨ .

لتعارض بذلك أطماع محمد على في المنطقة ، ولتجعل من نفسها صاحبة الأمر فيها ، ولتجعله بذلك حجر عثرة أمام أي اتصال بين الباشا وأيا من مشائخ المنطقة ، أبدت استعدادها لدعم وحماية أمير البحرين ضد أطماع محمد على باشا التوسعية فيها [1] ، رغم أنها لم تدعه للاشتراك في الهدنة البحرية الأولى سنة ١٢٥١ هـ / ١٨٣٥ م ، التي أبرمتها مع شيوخ الساحل العماني [2] ، وقامت بإرسال ثلاث بواخر مسلحة عن طريق رأس الرجاء الصالح تم تركيبها في ميناء البصرة ، وذلك لتقوية النفوذ البريطاني في الخليج العربي [3] ، أمام أي تهديد قد تقوم به قوات محمد على باشا المتواجدة في الجزيرة العربية .

في الوقت الذي عارضت فيه بريطانيا إرسال سفن مصرية من البحر الأحمر إلى الخليج العربي ، كان خورشيد باشا قد

---

(١) د . صلاح العقاد : التيارات السياسية في الخليج العربي ، ص ١٤٥ .

(٢) ج . ج . لوريمر : دليل الخليج ، القسم التاريخي ، جـ ٣، ص ١٣٠١ ، الساحل العماني : يمتد لمسافة تبلغ حوالي ثلاثمائة ميل من خور العديد في الحدود الجنوبية لشبه جزيرة قطر ، إلى الحد الجنوبي لرؤوس الجبال التابعة لسلطنة مسقط ، ويطلق عليه هذا الاسم إلى ما قبل المعاهدة العامة عام ١٨٢٠ م بين بريطانيا وشيوخ هذا الساحل ، ثم قسم بعد ذلك إلى سبع وحدات سياسية هي : أبو ظبي ، دبي ، الشارقة ، عجمان ، أم القوين ، رأس الخيمة ، الفجيرة .

د . فؤاد سعيد العابد : سياسة بريطانيا في الخليج ، ص ١٦٠ ، د . سيد نوفل : الخليج العربي ، ص ٢٣٤ .

(٣) د . عبد العزيز سليمان نوار : المصالح البريطانية في أنهار العراق ، ص ٤٩ ، ٥٥ .

طلبها من حكومته [1] ، مؤكدة بذلك حرصها الدائم والمستمر على سلامة سياسة منتصف الطريق ، وتحقيق نظرية القشرة الواقية للهند ، التي انتهجتها مع محمد على باشا إبان حروبه في الشام وشبه الجزيرة العربية .

إن هذا يؤكد لنا الفارق الكبير بين سياسة الدولة العثمانية في حزام الأمن الذي أقامته في البحر الأحمر ، والخليج العربي ، للمحافظة على أمن وسلامة الحرمين الشريفين في مكة المكرمة والمدينة المنورة ، وبين السياسة الاستعمارية التعسفية التي انتهجتها بريطانيا لتحقيق مصالحها الاقتصادية والاستراتيجية في البحر الأحمر والخليج العربي ، بل وشبه الجزيرة العربية قاطبة بما أسمته القشرة الواقية ، أو الحزام الواقي للهند ، ومدى ما بذلته انجلترا من جهد سياسي وعسكرى للحيلولة دون تعريض طرق مواصلاتها مع الهند لأي خطر قد يهددها من قبل قوات محمد على باشا في الجزيرة العربية بوجه عام .

---

(١) إرادة رقم ٧ ، ووثيقة رقم ٢ أصلية و ٤ أصلية ، ووثيقة ٣٧ ، ٣٨ حمراء ، محفظة ٢٦٧ عابدين، محافظ الحجاز رقم ٧ ، دار الوثائق القومية بالقاهرة .

د ـ حركة محمد أغا تركجة بيلمز Turki Bilmaz

عندما نشبت حرب الشام الأولى التي خاضها محمد على باشا ضد الدولة العثمانية ، بدأت عنايته بالجزيرة العربية ، وما بها من جنود وحاميات عسكرية تقل عن ذي قبل[١] ، إذ أصبح جل اهتمامه منصبا على إعداد الجيوش المدربة وفق النظم الحديثة ، وتزويدها بالعتاد والمال لكسب المعركة التي يخوضها ضد الدولة العثمانية في الشام حينذاك ، تاركا الأمور في الجزيرة العربية ، وبالذات في اقليم الحجاز ، لتصرفات الوالى من قبله فيها ، مؤملا فيه أنه يستطيع السيطرة على مجريات الأمور هناك ، والتحكم في زمام السلطة وفرض سيطرة الحكومة على الأهالى الذين ما فتئوا أن يقوموا ببعض الأعمال ضد قوات الباشا[٢] .

من هنا كان قيام جيوش محمد على بحرب الدولة العثمانية في الشام وقلة الاهتمام الذي يلقاه الجند الغير نظاميين في الحجاز ، مدعاة لفتح باب جديد على الباشا في الحجاز ، تمثل في ثورة الجند الغير نظاميين ضد حكومة الحجاز المصرية ، مطالبين بصرف الرواتب والعلوفات التي تأخر صرفها إليهم[٣] ، إضافة إلى وجود تنافس ونزاع شبه مستمر بين خورشيد بك

---

(١) د . عبد الحميد البطريق : من تاريخ اليمن الحديث ١٥١٧ ـ ١٨٤٠ م ، ص ٦٤ .

(٢) د . عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم : محمد على وشبه الجزيرة العربية ، ص ١٠٤ ـ ١٠٥ .

(٣) د . فاروق عثمان أباظه : عدن والسياسة البريطانية في البحر الأحمر ، ص ١١١ .

والى الحجاز من قبل محمد على باشا[1] ، وزنار أغا ، قائد إحدى مجموعتي جيش الباشا في الحجاز[2] ، وقد حاول زنار أغا استمالة ضباط الجند الغير نظاميين إلى صفه ، ضد خورشيد بك ، ومشايعته في هذا الخلاف وهم : محمد أغا « تركچه بيلمز » ، وإبراهيم أغا ابن على أغا البيكمزجى زاده[3] ، وقد أضاف بعض المؤرخين ، زينل أغا ، وخورشيد أغا ، وحسين أغا[4] ، بينما يظهر من بعض الوثائق أن زينل أغا هو نفسه زينار أغا ، أما خورشيد أغا فهو والى الحجاز وليس من الضباط الثائرين[5] .

وعلى أية حال فقد كان محمد أغا تركچه بيلمز Turki Bilmaz[6] ،

---

(١) وثيقة رقم ٨٢٤ ، دفتر ٤٠ معيه تركى ، ص ١٣٠ ، دار الوثائق القومية بالقاهرة .

(٢) د . فاروق عثمان أباظة : عدن والسياسة البريطانية في البحر الأحمر ، ص ١١١ .

(٣) وثيقة رقم ٥٥٩ ، دفتر معيه تركى ٤١ ، ورقة ١٠٤ ، دار الوثائق القومية ، بالقاهرة ، نقلا عن : د . عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم : من وثائق شبه الجزيرة العربية في عصر محمد على مجلد ١ ، ص ٤٤٩ .

(٤) د . عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم : محمد على وشبه الجزيرة العربية ، ص ١٧٥

(٥) وثيقة رقم ٨٢٨ ، دفتر ٤٠ معية تركي ، ص ١٣٠ ، دار الوثائق القومية بالقاهرة .

(٦) تركى جه بلماز : أحد مماليك مصطفى بك ، صهر محمد على باشا ، وكان أحد خيالة الجيش العثماني في الحجاز ، وكلمة تركى بلماز : تعني الذي لا يتكلم العربية .

د . جاد طه : سياسة بريطانيا في جنوب اليمن ، ص ٥٧ .

أحمد فضل بن على محسن العبدلى : هدية الزمن في أخبار ملوك لحج وعدن ، ص ١٤٢ .

من أشد المتحمسين لمناصرة زنار أغا ، ضد خورشيد بك[١] ، ولعل الأحداث التي مرت بهذا الضابط التركي ـ تركجة بيلمز ، وما بذله من تضحيات عسكرية في اليمن وعسير تحت قيادة أحمد باشا يكن ، أثناء حروب محمد على باشا في شبه الجزيرة العربية ، وعدم تحقيق آماله وطموحاته الشخصية ، أو عدم مكافأته ماديا أو معنويا بما يستحق في نظره هو على الأقل ، قد أثرت على سلوكه ونزعاته الشخصية[٢] ، وربما كان ولاءه للدولة العثمانية وللسلطان العثماني ، دافعاً له للثورة ضد حكومة محمد على باشا في الحجاز ، بالإضافة إلى اعتقاده بقرب نهاية محمد على باشا ، الذي بدأ في محاربة الدولة العثمانية في الشام ، مما جعل « محمد أغا ـ تركجة بيلمز » ، يطمع في القضاء على حكم محمد على في الجزيرة العربية ، ليستأثر بالتالى بثقة رجال الدولة العثمانية في الأستانة ، لكى ينصبونه واليا على الحجاز[٣] .

استغل هؤلاء الجند إنشغال محمد على بحروبه ضد الدولة العثمانية في بلاد الشام وآسيا الصغرى[٤] ، وقاموا بثورتهم تلك على والى الحجاز ، مطالبين في الظاهر بصرف رواتبهم المتأخرة ، لإشعال نار الثورة والتمرد على حكومة الحجاز والمؤيدة لمحمد على باشا ، وسرعان

(١) د . فاروق عثمان أباظه : عدن والسياسة البريطانية في البحر الأحمر ، ص ١١١ .

(٢) وثيقة رقم ١٢٤ ، محفظة ٩ بحر برا ، في ١٦ ذي الحجة سنة ١٢٤٠ هـ دار الوثائق القومية بالقاهرة .

(3) Document : F. O. 78/227. No. 10; 60952.

(٤) د . عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم : محمد على وشبه الجزيرة العربية ، ص ١٧١ .

ما تزعم محمد أغا تركجه بيلمز ـ قيادة الثوار الذين نصبوه واليا على الحجاز بعد أن أسروا خورشيد بك ، واليها من قبل محمد على ، رافضين بذلك الوعود التي أعلنها لهم ، عن قرب وصول مرتباتهم ، وزاد من تعقد الأمور انضمام أهالى الحجاز إلى المتمردين ، نكاية بجنود الباشا ، وأعمالهم التعسفية التي يمارسونها ضد الأهالى(١) .

وقد علل بعض المؤرخين أن من الأسباب التي أدت إلى قيام هؤلاء الثوار بالتمرد على حكومة الحجاز هو وصول بعض الكتائب من الجيش المصرى المنظم الجديد ، وما لاحظوه من عناية الحكومة به ، وتفضيله على عناصر الجيش التركي القديم(٢) .

قام الجند الثائرون بارتكاب كثير من الأعمال التعسفية ، ونهب الأموال والمتاجر في مدينة جدة ، وأصبح قائدهم ـ محمد أغا ـ تركجه بيلمز ، الآمر الناهي فيها(٣) ، وبذلك ضعف مركز حكومة الحجاز الموالية لمحمد على باشا التي أصبحت مهددة بالسقوط في أية لحظة .

---

(١) د . فاروق عثمان أباظة : الحكم العثماني في اليمن ، ص ٣٥ .

د . عبد الفتاح أبو عليه : الدولة السعودية الثانية ، ص ٣٨ .

(٢) د . عبد الحميد البطريق : من تاريخ اليمن الحديث ، ص ٦٥ .

د . عبدالرحيم عبدالرحمن عبد الرحيم : محمد على وشبه الجزيرة العربية ، ص ١٧٣ ـ ١٧٤ .

(٣) د . عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم : المرجع السابق ، ص ١٧٩ .

عندئذ لاحت الفرصة الثمينة أمام السلطان محمود الثاني ، الذي يخوض حربا مع محمد على في الشام ، والذي يهمه بقاء الثورة في الحجاز مشتعلة ليتمكن من خلال ذلك في ارباك سياسة محمد على ، وتوزيع جهوده العسكرية ، فأصدر حينذاك فرمانا بتعيين ـ محمد أغا ، تركجه بيلمز ، واليا على الحجاز ، بدلا من الوالى السابق ، خورشيد بك الذي يؤيد محمد على باشا في حروبه ضد الدولة العثمانية[١] .

وطلب السلطان العثماني محمود الثاني من والى بغداد ، ابلاغ محمد أغا ـ تركجه بيلمز ، مضمون الفرمان السلطانى ، منتهزا بذلك فرصة الصلة الوثيقة التي تربط والى بغداد مع محمد أغا ـ تركجه بيلمز ، لتشجيعه واغرائه بولاية الحجاز ، عله بذلك يضمن ولاء محمد أغا للسلطان العثماني ، مؤكدا له أن قوات محمد على باشا في الشام ، ستنهزم بلا محالة وستتحطم آماله قريبا[٢] ، وكأن الدولة العثمانية قد أدركت أهداف وأطماع محمد على باشا في الجزيرة العربيية والشام ، فأرادت أن تقطع عليه طريق الرجعة باستغلال ثورة الجند في الحجاز ، ولكن محمد على أدرك دوافع هذه الثورة ، ومدى تأثيرها على آماله وطموحاته ، خاصة وهي تنبعث من الحجاز ، ومن جوار الحرمين الشريفين ، اللذين يحتلان أهمية دينية وسياسية في استراتيجية الباشا التوسعية في

---

(١) أحمد فضل بن على محسن العبدلى : هدية الزمن في أخبار ملوك لحج وعدن ، ١٤٢ ،
د . فاروق عثمان أباظة : عدن والسياسة البريطانية في البحر الأحمر ، ص ١١٢ .

(٢) د . عبد الحميد البطريق : من تاريخ اليمن الحديث ، ص ٦٨ .

د . عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم : محمد على وشبه الجزيرة العربية، ص ١٧٤ ـ ١٧٥.

الجزيرة العربية ، وزاد من قلقه صدور فرمان سلطاني بتدعيم سلطة الثوار في الحجاز[1] ، خاصة وأن الظروف التي تمر بها حكومته دقيقة جدا .

من هنا كان على محمد على أن يوازن بين استخدام السياسة والمهادنة مع الثوار ، لكي لا تتسع آفاق الثورة ضد حكومته ، وبالتالى يصعب علاجها ، لا سيما وأن الباشا قد أدرك أن والى بغداد يلعب دورا خطيرا في تدعيم زعيم الثوار محمد أغا ـ تركجه بيلمز ، للتمادى في ثورته ، وعزل الحجاز عن حكومة محمد على باشا في مصر ، وبين الأسلوب الحربي ، واللجوء إلى القوة المسلحة ، التي ستؤثر بدون أدنى شك على استراتيجيته العسكرية ، وخططه الحربية في ذلك الوقت ، فلجأ في بداية الأمر إلى انتهاج أسلوب السياسة والدهاء والمكر ، مع قادة الثوار ، وطلب منهم الخضوع لحكومته ، والكف عن هذه الثورة ، مبديا استعداده لاصلاح ذات البين ، فيما بينهم ، حين وصولهم إلى مصر ، مستدعيا اياهم للمثول بين يديه لايجاد الحلول المرضية لمطالبهم ، وأعطاهم الوعود بعدم الاضرار بهم ، ان هم قدموا اليه في مصر ، ليصلح بينهم[2] ، كما طلب من وكيل الحرمين حسن أغا الأرزنجاني : السفر إلى مكة المكرمة ، لإصلاح حال

---

(١) عبد الرحمن الرافعى : عصر محمد على ، ص ٣١٠ .

د . فاروق عثمان أباظه : الحكم العثماني في اليمن ، ص ٣٥ .

(٢) د . عبد الحميد البطريق : من تاريخ اليمن الحديث ١٥١٧ ـ ١٨٤٠ م ، ص ٦٦ ـ ٦٧ .

د . عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم : محمد على وشبه الجزيرة العربية ، ص ١٧٧ .

الثوار ، وتسوية المشكلة بينهم ، وتوزيع الجنود بين عدة جهات مختلفة ، لكى لا يتمكنوا من الاختلاط بقادة الثورة من الضباط الأتراك الذين يحرضونهم بصفة مستمرة ، أما قادة الثورة فقد طلب ارسالهم اليه بمصر ، ولم يخف في رسالته تلك ، مشاعر الغضب التي يعيشها ، حين وصف قائدى الثورة تركجه بيلمز ، وزينل أغا ـ بأشر الأوصاف ، طالبا من وكيل الحرمين ارسالهما إليه بأى وسيلة(١) ، معبرا عن امتنانه وشكره للأرزنجاني ان هو تمكن من ذلك .

أرسل محمد على بعد ذلك رسالة في التاسع من شهر صفر سنة ١٢٤٨ هـ ، الثامن من يونيو سنة ١٨٣٢ م إلى أمير مكة المكرمة الشريف محمد ابن عون ، طالبا منه محاولة تسوية هذه المشكلة الطارئة بين الثوار ، وبين خورشيد بك ، وبذل امكانياته وجهوده للسعى نحو حل هذه المنازعة بين العساكر ـ الجهادية والتركية ـ ، كما يقول في رسالته تلك(٢) ، وقد استغل محمد على الانباء التي وردت من الشام ، حول استيلاء قواته على عكا ، أحسن استغلال فكتب بذلك إلى قادة الثوار في الحجاز ، ينبئهم بانتصارات جيشه ، وقرب سيطرته الكاملة على مدن الشام(٣) ، علـه

---

(١) وثيقة رقم ٥٥٩ ، دفتر ٤١ معيه تركى ، ورقة ١٠٤ ، دار الوثائق القومية بالقاهرة ، نقلا عن :

د . عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم : من وثائق شبه الجزيرة العربية في عصر محمد على ، مجلد ١ ، ص ٤٤٩ ـ ٤٥٠ .

(٢) وثيقة رقم ٨٢٨ ، دفتر ٤٠ معية تركى ، صفحة ١٣٠ ، دار الوثائق القومية بالقاهرة .

(٣) وثيقة رقم ٨٢٣ ، دفتر ٤٠ معية تركى ، صفحة ١٣٠ ، دار الوثائق القومية بالقاهرة .

وثيقة رقم ٨٢٤ ، دفتر ٤٠ معية تركى ، صفحة ١٣٠ ، دار الوثائق القومية بالقاهرة .

بذلك يفت من عزيمتهم ، ويؤثر على نفسياتهم ، وبالتالى يتفرق الجنود والأهالى عنهم ، في الوقت الذي أصدر فيه أمرا بتعيين الشريف محمد بن عون محافظا لمكة المكرمة ، لكى يقلل من اتساع الثورة في أنحاء متفرقة من اقليم الحجاز[١] ، خاصة وهو يدرك مدى الكره الذي يخيم على الأهالى من جراء تصرفات بعض الحاميات الموجودة في المنطقة ، ومع هذا فقد بدأ قائد الثوار محمد أغا تركجه بيلمز ، يستجمع قواه ، ويستعد للزحف على مكة المكرمة ، لاخراج القوات الموالية لمحمد على باشا ، من قلعة مكة ، والتي يرأسها الميرالاى إسماعيل بك ، ولكنه لم يتمكن من ذلك إذ أن إسماعيل بك استطاع التغلب عليه ، وارغامه على الرجوع إلى جدة قبل أن يصل حدود مكة المكرمة[٢] ، وقد استبشر محمد على باشا خيرا بهذا النصر الذي أحرزه قائد حاميته في مكة المكرمة إسماعيل بك ، وأرسل كتابا إلى وكيل الحرمين حسن أغا الارزنجاني ، ومثله إلى الشريف محمد بن عون محافظ مكة المكرمة، طالبا من الأول العمل على تحسين الوحدة والاتفاق بين المحافظ محمد بن عون ، وقائد القوات إسماعيل بك ، ليستطيعا الوقوف أمام هذه المشكلة ، ريثما تصل القوات التي سيبعثها الباشا من مصر[٣] ، وطلب من الثاني عدم تمكين

---

(١) د . عبد الحميد البطريق : من تاريخ اليمن الحديث ١٥١٧ ـ ١٨٤٠ ، ص ٦٧ ، وثيقة رقم ٨٢٤ ، دفتر ٤٠ معية تركى ، صفحة ١٣٠ ، دار الوثائق القومية بالقاهرة .

(٢) د . عبد الحميد البطريق : من تاريخ اليمن الحديث ، ص ٧١ .

(٣) وثيقة رقم ١٢٧ ، دفتر ٤٤ معية تركى ، صفحة ٢٨ ، دار الوثائق القومية بالقاهرة ، نقلا عن :

د . عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم : من وثائق شبه الجزيرة العربية في عصر محمد على ، المجلد ١ ، ص ٤٥٢ ـ ٤٥٣ .

محمد أغا ـ تركجه بيلمز ـ ، من الوصول بقواته إلى مكة المكرمة ، واستخدام جميع السبل للحيلولة دون ذلك ، وكذلك التعاون مع إسماعيل بك ، لايقاف هذا الخطر(١) .

أكد محمد على لوكيل الحرمين مجددا انتصار قواته في الشام ، واستيلائها على أهم المدن فيها ، وأن الدولة العثمانية قد أدركت قوته ، وعدم استطاعتها الوقوف أمام جيوشه ، فلجأت إلى إرسال مندوبا عنها ، لاصلاح ذات البين ، بين مصر والدولة العثمانية(٢) .

تمادى محمد على باشا في اعجابه بانتصار قواته في الشام ، حين بعث إلى قادة الثوار في الحجاز ، بخطابه المؤرخ في الرابع والعشرين من شهر صفر سنة ١٢٤٨ هـ ، الموافق للثالث والعشرين من يوليو سنة ١٨٣٢ م ، واصفا اياهم بالحمير ..! ، إذ أنهم لم يعتبروا لهذا النصر ، الذي حالف قواته في الشام ، والتي ستصل إلى الغاية التي يريدها هو .. ، طالبا منهم الرجوع عن غيهم ، شفقة بهم ، ورحمة لهم ، إذ لا مفر لهم سوى الرجوع اليه ، محذرا اياهم من المخالفة لأمره(٣) .

---

(١) وثيقة رقم ١٥٥ ، دفتر ٤٤ معية تركى ، صفحة ٢٢ ، دار الوثائق القومية بالقاهرة ، نقلا عن : د . عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم : المرجع السابق ، ص ٤٥٤ .

(٢) وثيقة رقم ١٣٧ ، دفتر ٤٤ معية تركى ، صفحة ٢٨ ، دار الوثائق القومية بالقاهرة ، نقلا عن :

د . عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم : من وثائق شبه الجزيرة العربية في عصر محمد على ، المجلد ١ ، ص ٤٥٢ ـ ٤٥٣ .

(٣) وثيقة رقم ١٥٦ ، دفتر ٤٤ معية تركى ، صفحة ٣٤ ، دار الوثائق القومية بالقاهرة .

في نفس الوقت الذي كتب فيه إلى إسماعيل بك ، قائد قوات مكة ، يهنئه على انتصاره الموفق ، على قوات محمد أغا ـ تركجه بيلمز ـ ، ويطلب منه الصمود والتصدى لأى نوايا عدوانية قد يقوم بها مجددا ضد مكة المكرمة ، ومؤكدا له مدى أهمية تعاونه مع الشريف محمد بن عون الذي أسندت إليه وظيفة محافظ مكة(١) ، كما أخبره بأنه قد فوض أمر اخماد هذه الفتنة إلى أحمد باشا يكن ، ما نحا إياه آلايين من المشاة ، وآلاى خيالة ، إضافة إلى ألف فارس من العرب(٢) .

وكأن محمد على بذلك قد شرع في اتباع أسلوب الشدة مع هذه الثورة وقادتها ، التى أصبحت بمثابة عامل مؤثر في جلب انتباه محمد على لكى يتجه نحو الجزيرة العربية بشكل مباشر(٣) ، وقد أدت تلك الأنباء التي ترددت في أنحاء مختلفة من اقليم الحجاز ، عن تحرك القوات التي يقودها أحمد باشا يكن باتجاه الجزيرة العربية ، للقضاء على ثورة محمد أغا ـ تركجه بيلمز ـ إلى ردة فعل قوية لدى الثوار بشكل خاص ، وأهل المنطقة بشكل عام ، أدت في النهاية بالثوار وقادتهم إلى التحرك جنوبا باتجاه اليمن وموانئه ، مدعين خضوعهم للسلطان العثماني، الذي انشق عليه محمد على ، وحاربه في الشام ،

---

(١) وثيقة رقم ١٥٧ ، دفتر ٤٤ معية تركى ، صفحة ٣٤ ، دار الوثائق القومية بالقاهرة ، نقلا عن : د . عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم : المرجع السابق ، ص ٤٥٩ .

(٢) وثيقة رقم ١٥٧ ، دفتر ٤٤ معية تركى ، صفحة ٣٤ ، دار الوثائق القومية بالقاهرة ، نقلا عن : د . عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم : من وثائق شبه الجزيرة العربية في عصر محمد على ، المجلد الأول ، ص ٤٥٩ .

(٣) د . عبد الحميد البطريق : من تاريخ اليمن الحديث ١٥١٧ ـ ١٨٤٠ م ، ص ٧٥ .

علهم بذلك يستجلبون عطف أهل البلاد ، ضد قوات الباشا التي وصلت لمحاربتهم ، ومع ذلك كان هناك من هو أكثر عطفا من أهل البلاد على هذه الثورة وتتبع أخبارها ، وربما الحرص على نجاحها ، أو استمرارها على الأقل ، وهي بريطانيا صاحبة المصلحة الاستراتيجية هناك[1] .

أبدى القنصل البريطاني في مصر الكولونيل كامبل -Colonel, Camp bell استياءه من تحطم تلك الثورة بصورة سريعة ، وبالتالى تخوفه من اتساع نفوذ الباشا في اليمن ، فلربما جعلها تابعة للحجاز التي يسيطر عليها منذ مدة ، حين أورد ذلك في رسالته الجوابية التي بعثها لوزير خارجية بريطانيا اللورد بالمرستون Lord, Palmerston ، الذي كان حريصا في رسائله المتعددة لقنصله في مصر ، على معرفة مصير ثورة محمد أغا ـ تركجه بيلمز ـ ، ورفاقه[2] .

وما أن وصل أحمد باشا يكن بقواته إلى ينبع ، حتى لاذ محمد أغا ـ تركجه بيلمز ، وجنده الثائرون بالفرار إلى اليمن ، دون ابداء أية مقاومة تذكر ، ليحدثوا بعد ذلك بعض القلاقل في جنوب الجزيرة العربية ، محاولين اقناع شيخ عسير على بن مجثل ، بالانضمام اليهم ، والمحاربة في صفوفهم ضد محمد على وجيوشه[3] .

1 - Document : F. O. 78/228. No, 62. 60952.

د . فاروق عثمان أباظة : عدن والسياسة البريطانية في البحر الأحمر ، ص ١١٢ .

د . عبد الحميد البطريق : المرجع السابق ، ص ٦٨ .

2 - Document : F. O. 78/227. No. 10. 60952. 16/4/1833.

(٣) وثيقة رقم ٥٦ ، محفظة بحر برا ، دار الوثائق القومية بالقاهرة .

عند ذلك أخذت الثورة بعدا آخر في المكان والزمان ، وبدأت أنباءها تستحوذ على ذهن محمد على باشا ، بشكل فعال وقوى ، إذ أنها جاءت في وقت خطير جدا ، وفي موقع لا يقل خطورة في أهميته الاستراتيجية ، بالنسبة لأهداف الباشا وتطلعاته ، والتبعات السياسية والعسكرية التي ستنتج عن هذه الثورة ، وخاصة بعد توجه الثوار إلى اليمن ، وجنوب الجزيرة العربية .

ولنا هنا أن نتساءل من منطق التاريخ ، هل كان عصيان قوات محمد على ـ الغير نظامية ـ في الحجاز ابان حرب الشام الأولى ، بسبب طموحات فردية من قادة الجند ، عند ادراكهم لضعف سيطرة حكومة الباشا على الحجاز ابان تلك الحرب ؟ ، أم أنها كانت تنطلق من مبدأ الولاء الذي كان يكنه الضباط الأتراك في جيش الباشا في الحجاز ، للباب العالى ، خاصة عندما عرفوا بخروج محمد على على السلطان العثماني في الشام ؟ ، وأيا كانت الاجابة .. فإن قيام هذه الثورة ، قد أخل إلى حد كبير بقوة الباشا العسكرية ، وكاد أن يخل بأهدافه واستراتيجياته التي يطمح اليها في الجزيرة العربية ، إلا أن هذه الثورة قد عجلت باتجاه الباشا إلى الجزيرة العربية ، ليرمى بقواته فيها ، وهو لا يزال يخوض غمار الحرب ضد الدولة العثمانية ، متخذا منها ستارا يتحرك من خلفه ، فيما لو قوبل تدخله هذا بأي معارضة خارجية من الدول التي يهمها الوضع في تلك المنطقة ، خاصة بريطانيا العظمى ، صاحبة السيطرة البحرية ، والمصالح الاستعمارية في العالم ، في ذلك الوقت .

لم يعترف محمد على باشا بفرمان السلطان العثماني الذي أسند ولاية الحجاز إلى محمد أغا ـ تركجه بيلمز ـ ، مؤكدا بذلك حرصه على توطيد نفوذ حكومته في الحجاز[١] ، بشكل خاص وشبه الجزيرة العربية بشكل عام ، لذا فقد أرسل حملة عسكرية بقيادة أحمد باشا يكن ، قوامها سبعة آلاف وخمسمائة مقاتل[٢] ، وصلت إلى ميناء ينبع أثناء عودة محمد أغا ـ تركجه بيلمز ، إلى جدة ، بعد أن تغلب عليه قائد حامية مكة ، الميرالاي إسماعيل بك ، عند محاولته الهجوم على مكة المكرمة[٣] .

عندئذ لم يجد محمد أغا بدا من الاستيلاء على تسع عشرة سفينة كانت راسية في ميناء جدة ، ليحمل عليها جنوده ورجال حركته ، وبالتالى نقل ميدان المعركة والثورة إلى جهة أخرى[٤] ، غير الحجاز الذي توجد به حامية لم يستطع التغلب عليها ، وحملة عسكرية قادمة اليها ، ربما تقضى على ثورته قبل أن يستقيم أمرها .

---

(١) د . فاروق عثمان أباظة : الحكم العثمانى في اليمن ١٨٧٢ ـ ١٩١٨ م ، ص ٣٥ .

(٢) د. فاروق عثمان أباظة : عدن والسياسة البريطانية في البحر الأحمر ، ص ١١٢ .

(٣) د . عبد الحميد البطريق : من تاريخ اليمن الحديث ، ص ٧٠ .

(٤) د . جاد طه : سياسة بريطانيا في جنوب اليمن ، ص ٥٨ .

د . عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم : محمد على وشبه الجزيرة العربية ، ص ١٨٢ .

كانت اليمن هي الجهة الوحيدة التي يمكنه الاتجاه اليها ، نظرا لأن القوة التي أتت من مصر تحت قيادة أحمد باشا يكن ، قد نزلت في ينبع شمالي جدة ، وكأنها تحول بينه وبين التوجه إلى المدينة المنورة ، فيما لو راوده التفكير في ذلك ، كما أن أخبار الهجمات التي يشنها على ابن مجثل ، شيخ عسير ، على أبى عريش ، التى يتولى أمرها الشريف على بن حيدر ، الخاضع لمحمد على باشا ، قد أعطته شيئا من الأمل ، وفعلا تم التنسيق بين الجانبين ، تركجه بيلمز ، وعلى بن مجثل ، وتمكنا من الاستيلاء على أبى عريش ، وفرض شروطهما على الشريف ابن حيدر(١) ، كان هذا في الوقت الذي وصلت فيه حملة أحمد باشا يكن إلى جدة ، واحتلتها بدون أي مقاومة ، بعد ان انسحب منها الجند الثائرون بقيادة زنار أغا وتركجه بيلمز(٢) ، ووصلوا إلى ميناء القنفذة(٣) ، محاولين دخول المدينة والسيطرة عليها ، إلا أن أهل القنفذة والحامية الموجودة بها ، استطاعوا منعهم من دخولها(٤) ، لكن الاتفاق الذي تم بين قوات على بن مجثل العسيرى ، ومحمد أغا تركجه

---

(١) محمد بن أحمد العقيلي : تاريخ المخلاف السليماني ، جـ ١ ، ص ٥٠٨ ، جاكلين بيرين : اكتشاف جزيرة العرب ، ص ٢٥٢ .

(٢) وثيقة رقم ٥٦ ، محفظة ١٧ بحرا برا ، دار الوثائق القومية بالقاهرة .

(٣) القنفذة من موانىء تهامة على ساحل عسير ، وهي بلدة صغيرة مسورة وهي مرفأ أبها ، وعلى بعد مائة ميل جنوبي جدة ، ويجلب لها الماء العذب من الحفير على بعد ميلين ونصف من البلدة .

د . عبد الحميد البطريق : من تاريخ اليمن الحديث ، هامش ص ٧٠ .

(٤) د . فاروق عثمان اباظة : عدن والسياسة البريطانية في البحر الأحمر ، ص ١١٢ .

د . عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم : محمد على وشبه الجزيرة العربية ص ١٨٢ .

بيلمز ، كانت له آثار سريعة على القوات المصرية التي يقودها أحمد باشا يكن في الحجاز ، والذي سرعان ما كتب إلى محمد على باشا في مصر ، برسالة توضيحية عن الوضع الذي تعيشه المنطقة من جراء هذا الاتفاق ، وأنه لا بد من مواجهته عن طريق إرسال قوة عسكرية إلى القنفذة ، بقيادة الميرالاى إسماعيل بك ، في الوقت الذي سيحاول فيه أحمد باشا يكن مع الشريف محمد بن عون السيطرة على زمام الأمور في الحجاز ، لتطويق الثائرين مع أنصارهم من عسير في أضيق دائرة مكانية ، يمكن من خلالها التغلب عليهم بسهولة ، ومحاصرتهم فيها[1] ، أما محمد أغا ـ تركجه بيلمز ـ الذي لم يستطع دخول القنفذة ، فقد عول على المسير جنوبا ، عله يجد له من مقر هناك[2] .

عسكر تركجه بيلمز بجنوده على بعد ستة أميال من مدينة الحديدة طالبا تسليم المدينة إليه ، وعندما لم يستجب لطلبه حاصرها بقواته ، حتى استسلمت إليه في ٣٠ ربيع الثاني سنة ١٢٤٨ هـ ، الموافق ٢٥ سبتمبر سنة ١٨٣٢ م[3] ، وفرض محمد أغا تركجه بيلمز ـ ، سيطرته على المدينة ووضع

(١) وثيقة رقم ٥٦ ، محفظة ١٧ بحرا برا ، دار الوثائق القومية بالقاهرة .

(٢) د . فاروق عثمان أباظة : عدن والسياسة البريطانية في البحر الأحمر ، ص ١١٢ .

(٣) د . عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم : محمد على وشبه الجزيرة العربية ، ص ١٨٢ .

بها حامية من أربعمائة جندى ، واتجه منها إلى مدينة زبيد[1] ، التي خضعت له بعد مقاومة دامت ثلاثة عشر يوما ، بقيادة حاكم المخا الذي كان متواجدا حينذاك في زبيد[2] ، وكان تركجه بيلمز ، خلال توسعاته تلك ، يؤكد انما هو يخضع المنطقة للسلطان العثماني ، ويحارب باسمه ومن أجله .

وقد بدأ محمد أغا ـ تركجه بيلمز ـ في محاولة فرض حصار اقتصادى على الحجاز ، وذلك بمنع السفن التجارية القادمة من الهند ، من مغادرة ميناء المخا إلى ميناء جدة[3] .

استقر المقام بمحمد أغا ـ تركجه بيلمز ـ في مخا ، التي خضعت له في شهر رجب سنة ١٢٤٨ هـ ، ديسمبر سنة ١٨٣٢ م[4] ، بعد أن بسط نفوذه على المدن اليمنية ، ثم بعث برسالة إلى السلطان محسن فضل العبدلى سلطان لحج وعدن ، مطالبا اياه بتسليم ميناء عدن إليه ، فتظاهر

---

(١) تبعد زبيد عن الساحل بنحو خمسة وعشرين كيلو متر ، وتقع على الطريق بين عدن ومكة ، وهي مدينة مسورة ، ولسورها أربعة أبواب ، وبها عدد من الأبنية الأثرية وقد ذكرها .. الجغرافي العربي المقدسي ... ، د . عبد الحميد البطريق : من تاريخ اليمن الحديث ، هامش ص ٧١ .

(٢) د . جاد طه : سياسة بريطانيا في جنوب اليمن ، ص ٥٨ .

د . عبد الحميد البطريق : المرجع السابق ، ص ٧١ .

(٣) د . عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم : محمد على وشبه الجزيرة العربية ، ص ١٨٣ .

(٤) سيديو : خلاصة تاريخ العرب ، ص ٢٨٥ .

د . فاروق عثمان أباظة : الحكم العثماني في اليمن ، ص ٣٥ .

السلطـان بالموافقـة على تسليم الميـنـاء إلـيه ، وعندئذ أرسل تركجه بيلمز قوة صـغـيرة لاسـتـلام الميناء تتكون من أربعين رجـلا ، وقـد وصلت هذه القـوة إلى ميناء عـدن في السـادس والعشرين من شـهر رمضـان سنة ١٢٤٨ هـ ، السابع عشر من فبراير سنة ١٨٣٣ م ، واستقبلهم السلطان استقبالا طيبا في بداية الأمر ، ولكنه أمر جنوده بمهاجمتهم في تلك الليلة التي وصلوا فيها ، وقتل منهم سبعة وعشرين رجلا ، وفر الباقون إلى المخا[١] .

اضطر مـحـمد أغا ـ تركجه بيلمز ـ أن يغير من حسـاباته العسكرية ، ويعدل من استراتيجيته التوسعية ، إذ فكر في شهر شوال سنة ١٢٤٨ هـ ، مـارس سنة ١٨٣٣ م ، في وضع خطة هـجـومـيـة على مـيناء جدة عن طريق البحر، محاولا الاستعانة بقوات على بن مجثل العسيرى ، لمهاجمتها عن طريق البر[٢] ، ولكن عـلـى بـن مـجـثل لم يكن يحـبـذ الوجـود التـركى والمصـرى على حـد سواء ، في الوقت الذي علم فيه بوصول حملـة أحمد باشا يكن ، لتعقب محمد أغـا ـ تركجه بيلمز ، وثورتـه في اليمن[٣] ، مما جعله يقلب ظهر المجن[٤]

(١) أحمـد فضل بـن على محسن العبـدلى : هديـة الزمـن في أخبـار ملوك لحـج وعـدن ، ص ١٤٢ ـ ١٤٣ .

(٢) د . جاد طه : سياسة بريطانيا في جنوب اليمن ، ص ٥٩ .

(٣) د . عبد الحميد البطريق : من تاريخ اليمن الحديث ، ص ٧١ .

(٤) المَجنُّ : الترْسُ منه ، والـمَجنُّ والمِجانّ في الحديث ، وهو التُّرْسُ والتُّرسة والميم زائدة لأنه من الجُنَّةِ السُّتْرة .

ابن منظور : لسان العرب ، جـ ١٣ ، ص ٤٠٠ .

لتركجه بيلمز ، ويخطب ود أحمد باشا يكن[١] ، ليحقق هو الآخر مكاسب مادية ، ومعنوية على حساب تقدم جيوش أحمد باشا يكن في اليمن[٢]، فأصبح موقف محمد أغا تركجه بيلمز ـ وثورته حينئذ جد خطير، إذ فقد حليفه القوى، الذي أصبح عدوا لدودا ، يهدده من البر ، في الوقت الذي تهدده قوات أحمد باشا يكن من البحر ، فلم يكن أمامه إلا تسليم الحديدة له صلحا ، عله يكتفى شره مستقبلا[٣] .

سرعان ما استولت قوات على بن مجثل العسيرى على مدينة زبيد، وهي في طريقها إلى المخا ، مقر تركجه بيلمز وقواته ، التي ضربت الحصار عليها من البر ، بينما القوات المصرية تحاصرها من البحر[٤] ، ولا شك أن محمد على ، بعد هذه التطورات كان يرى أن يسيطر على اليمن وموانئه المهمة ، وإلا لما أعد هذه الحملة الحربية التي بلغت خمسة عشر ألف مقاتل ، مع علمه بتعاون على بن مجثل مع قواته تلك[٥] ، وعلى أية حال فقد ساء وضع الثوار وقائدهم محمد أغا تركجه بيلمز ـ بعد أن طبق عليهم الحصار من البر والبحر ، وبعد أن رفضت جميع طلباته ومحاولاته ، مع

---

(١) أحمد فضل بن على محسن العبدلى : هدية الزمن في أخبار ملوك لحج وعدن ، ص ١٤٣ .

(٢) د . فاروق عثمان أباظة : عدن والسياسة البريطانية في البحر الأحمر ، ص ١١٤ .

(٣) د . عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم : محمد على وشبه الجزيرة العربية ، ص ١٨٤ .

(٤) أحمد فضل بن على محسن العبدلى : المرجع السابق ، ص ١٤٣ .

(٥) عبد الرحمن الرافعي : عصر محمد على ، ص ٣١١ .

قادة الجيوش المُحَاصِرَة ، الذين طلبوا من تركجه بيلمز أن يسلم لهم دون قيد أوشرط[1] .

عندئذ لم يبق أمام محمد أغا تركجه بيلمز ـ وجنوده ، إلا النجاة بأنفسهم من المصير المجهول الذي ينتظرهم ، على أيدى القوات المصرية المطاردة لهم ، وحليفها العسيرى ، فانطلقوا لا يلوون على شيء ، علهم يصلون إلى السفن البريطانية ، التابعة لشركة الهند الشرقية ، الراسية في الخليج المواجه لمخا ، وبدأوا في الهروب على القوارب الصغيرة ، والتي غرق معظمها بمن فيه من الجنود في عرض البحر ، قبل أن تصل إلى السفن البريطانية ، وذلك لسوء الموقف الذي عاشه الجنود ، من جراء مطاردتهم من الخلف وحرصهم على النجاة ، إلا أن محمد أغا ـ تركجه بيلمز ـ ومعه مائة وخمسون من أصحابه ، استطاعوا النجاة والوصول إلى السفينة البريطانية تيجريز Tegris ، التي أبحرت بهم إلى مدينة بومباى في الهند[2] ، أما مدينة مخا فقد دفعت الثمن غاليا ، حيث تعرضت للسلب والنهب ، في الوقت الذي يتعرض الوكيل البريطاني فيها ، وكذلك من هم في حمايته لما يكدر صفوهم[3] .

---

(١) د . فاروق عثمان أباظة : عدن والسياسة البريطانية في البحر الأحمر ، ص ١١٤ .

(٢) د . عبد الحميد البطريق : من تاريخ اليمن الحديث ١٥١٧ ـ ١٨٤٠ م ، ص ٧٢ .

(٣) د . جاد طه : سياسة بريطانيا في جنوب اليمن ، ص ٦٠ .

ولعلنا نتساءل هنا عن مغزى ذلك التقدير والاحترام لهذا الوكيل الذي تجاوز حق حمايته وأملاكه ، إلى حماية من لجأوا إلى منزله ، فأصبحوا تحت حمايته في أمن وسلام ؟ فهل هذا ينبيء عن وجود الهيمنة التجارية البريطانية التي أكسبت وكيلها تلك المكانة ؟ أم خشية من بطش حكومة ذلك الوكيل فيما لو تعرض لأى أذى ، ومن أي جانب ؟!

وأيا كانت الإجابة لكلا الحالتين ، فإن التعاطف الذي أبدته بريطانيا حول استقبالها تركجه بيلمز وجنوده الثائرين ، ونقلهم من مكان المعركة ، وعلى سفن شركة الهند الشرقية إلى بومباى ومن ثم إلى البصرة ، والمحافظة على سلامتهم[1] ، لهو دليل كافٍ على حرص بريطانيا المستمر ، على تدعيم سيطرتها في الجزء الجنوبي ، من البحر الأحمر ، وبالتالى حماية مصالحها الاقتصادية هناك ضد التوسع المحتمل لنفوذ محمد على باشا ، الذي وصل إلى هناك بحجة القضاء على ثورة محمد أغا ـ تركجه بيلمز ـ رغم انشغاله بحرب الشام الأولى ، ضد الدولة العثمانية ، والتي لم تضعف عزيمته في تتبع هذه الثورة والقضاء عليها[2] .

---

(١) د . عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم : محمد على وشبه الجزيرة العربية ، ص ١٨٥ .

أحمد فضل بن على محسن العبدلى : هدية الزمن في أخبار ملوك لحج وعدن ، ص ١٤٣ .

(٢) د . عبد الحميد البطريق : من تاريخ اليمن الحديث ، ص ٦٤ .

يضاف إلى ذلك إدراكها لمحاولات محمد على في فرض نفوذه الكامل على اقليم الحجاز ، وعسير ، إذ أنه بعد هروب الثوار من جدة إلى اليمن ، فإن قواته التي يقودها أحمد باشا يكن ، لم تكتف بمطاردة الثوار فحسب ، بل قامت بعدة هجمات على قرى بالأسمر وبالأحمر وشهران ورفيدة ، وأحدثت لهم كثير من الدمار والخراب في الأنفس والأموال(١) .

وكأن محمد على باشا قد بدأ ينفذ أطماعه التوسعية في الجزيرة العربية ، مستترا خلف ثورة الجند الغير نظاميين ، لتلافي أية تدخلات خارجية قد تقف ضده ، خاصة بريطانيا التي حاول اقناع قنصلها في مصر بخطورة ثورة تركجه بيلمز على المصالح البريطانية(٢) .

وظهر ذلك بشكل واضح في مخططات محمد على ، بعد انعقاد اتفاقية كوتاهية ــ الهدنة المسلحة سنة ١٢٤٨ هـ / ١٨٣٣ م ، بينه وبين السلطان العثماني في الشام ، حين بدأ في تدعيم قواته في الجزيرة العربية ، مبتدئا ذلك بإرسال حملة عسكرية بقيادة إبراهيم باشا يكن ؛ لتؤكد تدعيم نفوذه في جنوبي الجزيرة العربية(٣) .

---

(١) جاكلين بيرين : اكتشاف جزيرة العرب ، ص ٢٦٥ ــ ٢٦٦ .

د . عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم : محمد على وشبه الجزيرة العربية ، ص١٥٦ ــ ١٥٧.

2 - Document : F. O. 78/228. No. 62; 60952.

3 - Document : F. O. 78/227. No. 10; 60952.

من هنا أصبحت الموانىء اليمنية كالحديدة ومخا ، تحت السيطرة الكاملة لمحمد على[1] ، وأصبح مدخل البحر الأحمر ، خاضعا لنفوذه ، وتحت رحمة حكومته ، مما زاد في قلق الحكومة البريطانية ووزير خارجيتها اللورد بالمرستون Lord, Palmerston ، الذي بدأت ملامح سوء النية تختلج في نفسه ضد محمد على ، وأهدافه في الجزيرة العربية ، والتي بدأت تتبلور وتظهر إلى حيز الوجود ، رغم القضاء على ثورة تركجه بيلمز[٢] .

ولم يكتف محمد على باشا بالقضاء على هذه الثورة ، وهروب قائدها إلى الهند ، بل اتخذ عدة اجراءات ، يمكن أن نقول أنها جزاءات انتقامية ، يهدف من خلالها إلى استتباب الأمن ، وفرض الطاعة بين وحدات الجيش لكى لا تعود إلى الثورة مجددا على غرار ما قام به محمد أغا ـ تركجه بيلمز ـ وجنوده .

ففي الوقت الذي أمر فيه بمصادرة جميع أملاك قائد تلك الثورة تركجه بيلمز وزميله ، التي لهما في مصر[٣] ، وتجريدهما من جميع الرتب العسكرية

---

1 - Document : F. O. 78/257. No. 2. [x]C/A/ 61064.

(٢) د . فاروق عثمان أباظة : عدن والسياسة البريطانية في البحر الأحمر ، ص ١١٤ .

(٣) وثيقة رقم ٤٠١ ، دفتر ٥٠ معية تركى ، ورقة ٣٥ ، دار الوثائق القومية بالقاهرة ، نقلا عن :

د . عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم : من وثائق شبه الجزيرة العربية في عصر محمد على ، مجلد ١ ، ص ٤٧١ .

وقطع كافة المرتبات عنهما(١) ، أصدر أمرا باعدام محمد أغا الحبشي « قائد الأورطة الثانية ، التابعة لتركجه بيلمز ، رميا بالرصاص » ، وكذلك جميع ضباط تلك الأورطة إلى رتبة ملازم ثاني ، لتكون عبرة للآخرين كما يقول في ذلك الأمر(٢) ، أما من اشتبه في أمرهم ، وحامت حولهم بعض التهم في مساندة تلك الثورة ، أو التواطؤ مع قائدها ، مثل وكيل الحرمين حسن أغا الأرزنجاني ، فقد قدموا للمحاكمة ، إلا أن الباشا قد خفف من عقوبة الاعدام التي قررها مجلس الجهادية ضد الأرزنجاني ، لكبر سنه وشيخوخته(٣).

ويعنى ذلك أن محمد على باشا قد وقف موقفا صارما ضد تلك الثورة التي استهدفت تحطيم نفوذه في الحجاز بشكل خاص ، وشبه الجزيرة العربية بشكل عام ، والتي أدرك هو أبعادها قبل أن تستفحل ، ويشتد عودها ، رغم أنها جاءت في وقت جد خطير ودقيق ، فقد كان الباشا خلاله يخوض غمار حربه في الشام ضد الدولة العثمانية ، ويمكننا القول أن تلك الثورة أيا كان هدفها ، وهدف من أشعلها ، فإنها قد وضعت النقاط على الحروف فيما يتعلق بأهداف محمد على باشا التوسعية في شبه الجزيرة العربية ،

---

(١) د . عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم : محمد على وشبه الجزيرة العربية ، ص ١٨٩ .

(٢) وثيقة رقم ٤١ ، دفتر ٤٨ معية تركى ، ورقة ٨ ، دار الوثائق القومية بالقاهرة ، نقلا عن :

د . عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم : من وثائق شبه الجزيرة العربية في عصر محمد على ، مجلد ١ ، ص ٤٧٠ .

(٣) د . عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم : المرجع السابق ، ص ١٨٩ ـ ١٩٠ .

بل عجلت باقدام الباشا حيال تحقيق هذه الأهداف ، في الوقت الذي أظهرت فيه مدى الحرص البريطاني ، الذي بدأ يظهر على رجال السياسة البريطانيين حول مصير هذه الثورة ، مبدين من خلال ذلك الحرص ، مدى اهتمامهم بشئون الجزيرة العربية ، وبالذات البحر الأحمر ، والموانىء اليمنية الهامة .

ولكن ومع ذلك كله ، فقد استطاع محمد على باشا ، القضاء على هذه الثورة دون أن يخل باستراتيجيته العسكرية في الشام ، وقبل أن تستفيد منها الدولة العثمانية في مقاومته ، كما أنها أظهرت تمكنه من التعامل مع بريطانيا بأسلوب سياسي رفيع ، ليتلافى الاصطدام بها في تلك الفترة الحرجة التي يمر بها عسكريا ، أبان حرب الشام الأولى ، والتي بدأ من بعدها في تدعيم نفوذه في تلك المنطقة ، بأسلوبين مختلفين عن ذى قبل ، سواء في الناحية العسكرية ، أم في الناحية السياسية .

بعد أن تم القضاء على ثورة الجند الغير نظاميين في الحجاز وفي اليمن ، والتي كان يقودها الضابط التركي محمد أغا ـ تركجه بيلمز ـ ، من قبل جيوش محمد على باشا .

وبعد أن أسدت بريطانيا ، ممثلة في شركة الهند الشرقية ، خدمة كبيرة جدا إلى قائد الثوار وبعض رجاله ، بنقلهم من معترك الأحداث إلى مدينة بومباى في الهند ، أصبح محمد على ذا نفوذ مطلق في جنوب الجزيرة العربية والموانىء اليمنية لا يعكره إلا ما قد يختلج

في أذهـان الساسـة الانجليـز مـن أفكار بعيـدة ، لما قد تتعـرض له مصالحهم الاستراتيجية في شبه الجزيرة العربية ، وبالذات طرق مواصلاتها إلى الهند ، من جراء هـذا التوسع الذي يرنو اليه الباشا في تلك المنطقة ، من هنا أصبح لزاما على رجال السياسة البريطانيين ، تفادى ما قد ينتج عن هـذه الأفكار التي قـد يطبقهـا الباشا بين عشية وضحاهـا ، فلم يجدوا أفضل مـن قائـد ثورة الحجـاز ، الذي أصبح مـن أعـداء محـمـد على وطموحاتـه ، فأوصلـوه إلى البصرة معززا مكرما ، ليحتل بعد ذلك منصبا قياديا في ولاية بغداد العثمانية[1] .

أسند إلى تركجه بيلمز منصب سر عسكر ، أو قبـودان باشا[2] « حاكما على البر والبحر على السفن الموجـودة بالبصرة »[3] ، وربما تعيين محمد أغا ـ تركجه بيلمز ـ في هـذا المنصب بالذات ، لما له من صلة مباشرة بالبحر ، يغنينا كثيرا عن التعليـل لما وراءه مـن أهـداف استراتيجية ، تخدم طرفا معينا في البحر ، ألا وهـو بريطانـيا ، التي تعتبر البحـار في ذلك الوقت بالنسبـة لها كالشريان في جسم الانسان ، مـن هنا نستطيع أن نقول أن

---

(١) د . عبـد الرحـيم عبـد الرحـمن عبـد الرحـيم : محـمـد على وشبـه الجزيرة العربية ، ص ١٧٥ ، ١٨٥ .

(٢) قبودان ، ويقولون أحيانا قبطان وهي تحريف كلمة كابتن Capitaine الافرنسية ، التي تعنى قائد السفينة في البحر .

محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، هامش ص ٢٢٧ .

(٣) د . عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم : محمد على وشبه الجزيرة العربية ، ص ٣٧٨ .

د . فائق حمدى طهبوب : تاريخ البحرين السياسي ، ص ١٧٧ .

تركجه بيلمز ، الذي لم يستطع أن يثبت أقدامه في اليمن[١] ، لم يتقلد هذا المنصب القيادى الهام بجدارته هو ، كما أن والى بغداد لم يكن من السذاجة بمكان ليمنح هذا المركز إلى ضابط تركى عصى سيده[٢] ، مما يؤكد أن ذلك تم نتيجة لايعاز بريطاني ان لم يكن الضغط المباشر .

على الرغم من أن المصلحة مشتركة بين والى بغداد وبريطانيا في ايقاف أي زحف محتمل قد تقوم به جيوش الباشا إلى الخليج العربي ، إلا أن الثقة في شخصية محمد أغا ـ تركجه بيلمز ـ ، لدى السلطات البريطانية كانت سببا في ذلك ، وتلك السلطات لا يعنيها من يتولى الزعامة في البصرة وبغداد ، بقدر مايعنيها مدى ما يستطيع عمله هذا الوالى لايقاف أي خطر يهدد طرق مواصلاتها إلى الهند، والمتمثل الآن في محمد على في الجزيرة العربية ، وطالما أن العداء لازال مستحكما بينه وبين تركجه بيلمز ، إذاً فتركجه بيلمز هو رجل هذه المهمة ، ولأن بريطانيا ما فتئت فيما مضى عن تتبع أخبار محمد على في اليمن ، وتحركاته فيها ، ساعية بذلك إلى ايقافه عن تحقيق بعض أطماعه وأهدافه التي تدركها هي[٣] .

وعلى أية حال فقد كان محمد أغا ـ تركجه بيلمز ـ إلى حد ما مخلصا مع حكومته الجديدة ، حين طلب من والى بغداد تزويده بالعتاد والسلاح للتصدى

---

(١) عبد الحميد البطريق : من تاريخ اليمن الحديث ، ص ٧٢ .

(٢) د . عبد العزيز نوار : تاريخ العراق الحديث ، ص ٧٨ .

3 - Document : F. O. 78/227. No. 10; 60952.

لخورشيد باشا ، قائد قوات محمد على في وسط شبه الجزيرة العربية ، فيما لو استمر في زحفه تجاه البصرة[١] ، في الوقت الذي لم يقدم للامام فيصل بن تركى ، الذي بدأت قوات خورشيد باشا تهدده ، غير الوعود وكلمات التشجيع التي لم يستفد منها[٢] .

وبعد ما علم تركجه بيلمز بسقوط آخر معقل للإمام فيصل بن تركى في نجد ، وسيطرت قوات خورشيد باشا على المنطقة ، لجأ إلى أساليب أخرى يهدف من خلالها زعزعة موقف قوات الباشا ، للحيلولة دون تقدمها إلى البصرة، إذ بدأ في مراسلة الجنود والأعراب ، ودعوتهم للتضامن مع والى بغداد ضد خورشيد باشا وقواته[٣] .

ولكن الخلاف لم يلبث أن شب بين والى بغداد وتركجه بيلمز ، ليقوم الوالى باجراء بعض التعديلات الإدارية ، ومن أهمها عزل ـ تركجه بيلمز ـ من منصبه ، واعادته إلى بغداد[٤] ، حتى أن محافظ المدينة المنورة قد أكد في رسالة له إلى محمد على ، أن غضب والى بغداد هذا

(١) د . عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم : محمد على وشبه الجزيرة العربية ، ص ١٨٧ .

(٢) د . عبد العزيز نوار : تاريخ العراق الحديث ، ص ٢١٤ .

د . فائق حمدى طهبوب : تاريخ البحرين السياسى ، ص ١٧٧ .

(٣) د . عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم : محمد على وشبه الجزيرة العربية ، ص ١٨٧ .

(٤) د . عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم : المرجع السابق ، ص ٣٨٦ .

قــد أدى إلى قــتــل تركجـــه بيلمــز ، بنــاء عــلــى ما ورد اليــه مــن أخـبــار شبه مؤكدة[١] .

مـن هنا بـدأ نجم هـذا الضابـط التركي ـ محمد أغا ـ تركجه بيلمز ـ في الأفول ، إذ ابتعد عن مسرح الأحداث الهامة ، ولم يعد له من الأهمية ما كان له من قبل ، إلا أن الوثائق قد أكدت لنا فيما بعد استعداد ـ تركجه بيلمز ، للعــودة إلى خدمة سيده محمد على ، والخضوع لـه ان هـو عفـا عنـــه ، معترفـا له بجرمــه وخطأه ، مبديا خضوعــه وتذلله لولى نعمته ، ليصبح خـادما مملوكا إلى الأبد ، نظير ما اقترفه من ذنب سابق[٢] ، لتنفى لنا بذلك قتله على يد والى بغداد كما ذكر آنفـا[٣] ، كما أن خـــورشيد باشا قد ذكر في رسالة بعثها من ثرمده في الثالث من شهر شعبان سنة ١٢٥٥ هـ ، إلى باشمعاون جناب الخديوى تَمكُّنه من القبض على مجموعة أوراق تخص تركجه بيلمز ، في الحادى والعشرين من شهر محرم سنة ١٢٥٥ هـ[٤] ، في حين أكدت بعض المراجع التاريخية أنه كان قائدا لبعض القوات العثمانية التي

---

(١) وثيقة رقم ٦٩ أصلى ، ٢٦٤ حمراء ، محفظة ٢٦٣ عابدين ، محافظ الحجاز رقم ٥ ، دار الوثائق القومية بالقاهرة ، رسالة من محرم أغا إلى محمد على في ٢٥ جمادى الآخر سنة ١٢٥٤ هـ .

(٢) صورة المرفق للوثيقة رقم ٤ حمراء ، محفظة ٢٦٧ عابدين ، محافظ الحجاز رقم ٧ ، دار الوثائق القومية بالقاهرة .

(٣) وثيقة رقم ٦٩ أصلى ، و ٢٦٤ حمراء ، محفظة ٢٦٣ عابدين ، محافظ الحجاز رقم ٥ ، دار الوثائق القومية بالقاهرة .

(٤) وثيقة رقم ٤١ أصلى ، ٩ حمراء ، محفظة ٢٦٧ عابدين ، محافظ الحجاز رقم ٨ ، دار الوثائق القومية بالقاهرة .

اشتبكت مع عشائر المنتفق سنة ١٢٦٩ هـ / ١٨٥٣ م ، وأنه قد قتل في تلك المعركة على يد مشارى السعدون[1] .

ومهما كانت نهاية محمد أغا تركجه بيلمز ـ وكيفيتها ، فإن الذي يعنينا في هذا البحث ، هو الأثر السلبي والإيجابي لثورته ، عندما بدأت في الحجاز ، ووصلت إلى اليمن ، ومدى ما خلفته على الجزيرة العربية من انعكاسات أثرت بشكل مباشر على مجريات الأمور في المنطقة ، لتؤدى بالتالى إلى تدهور الأوضاع السياسية والاقتصادية على حد سواء في الجزء الجنوبي الغربي من شبه الجزيرة العربية ، كما أنها فيما بدا لنا ، من أهم تأثيرات حروب محمد على في الشام بالنسبة لشبه الجزيرة العربية .

---

(١) د . عبد العزيز نوار : تاريخ العراق الحديث ، ص ١٧٨ .

الفصل الثاني
الدولة السعودية الثانية

أ ـ الحالة في أواخر عهد الإمام تركي بن عبد الله ابن محمد بن سعود .

ب ـ إعادة بناء الدولة في عهد الإمام فيصل بن تركي .

جـ ـ الموقف في الشام وأثره في تطور أحوال الدولة السعودية الثانية .

د ـ علاقة الدولة السعودية الثانية بالدولة العثمانية .

أ ـ الحالة في أواخر عهد الإمام تركي ابن عبد الله بن محمد بن سعود

كانت الفترة التي أعقبت سقوط الدرعية ، عاصمة الدولة السعودية الأولى ، وحتى بداية حكم الإمام تركي بن عبد الله بن محمد بن سعود من الفترات التاريخية المظلمة التي مرت باقليم نجد بشكل خاص ، والجزيرة العربية بشكل عام ، إذ تميزت بالفتن والحروب الأهلية ، وسادها الارتباك السياسي والاقتصادى، الذي أخل بتوازن المنطقة من خلال فقدانها لوجود الحاكم القوى ، الذي يمسك بزمام السلطة ، ويدير شئون البلاد ، وفق تكويناتها السياسية والاجتماعية المعروفة(١) .

ظهر الإمام تركى بن عبد الله بن محمد بن سعود ، كواحد من أمراء الدولة السعودية التي افتقدها المجتمع النجدى ، وقد تميز الإمام تركى بصفات سياسية وقيادية خاصة ، أهلته لأن يعيد الاستقرار إلى المنطقة ، بعد أن تمكن من الانتقام لابن عمه مشارى بن سعود من محمد بن مشارى بن معمر(٢) ، الذي حاول استغلال الظروف التي تعيشها نجد ، ليحتل مركز القيادة فيها ، بعد أن أبدى خضوعه لقائد الحاميات العثمانية ، ليظفر بحكم نجد تحت نفوذ الأتراك .

---

(١) د . عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم : محمد على وشبه الجزيرة العربية ، ص ٢٥ .

د . فائق حمدى طهبوب : تاريخ البحرين السياسي . ص ١٢٨ ـ ١٢٩ .

(٢) محمد بن عمر الفاخرى : الأخبار النجدية ، ص ١٥٥ .

د . محمد عبد الله ماضى : النهضات الحديثة في جزيرة العرب ، ص ٨١ .

إلا أن الإمام تركى بن عبد الله والذي بذل جهودا جبارة ، قد تغلب على جميع الأوضاع والصعاب التي تعيشها المنطقة ، ويعيشها هو بعد القضاء على الدرعية ، وكان أفراد الأسرة السعودية مطاردون من الحاميات العثمانية في أي مكان ، للقبض عليهم وقتلهم أو تشريدهم ، غير أن الإمام تركى قد تصدى لهذه الحاميات بعزيمة خارقة ، صاحبها دهاء سياسى فريد[1] ، استطاع من خلاله في نهاية الأمر أن يحسم الأمور لصالحه ، ويخرج عساكر الحامية العثمانية من الرياض سنة ١٢٤٠ هـ ، بعد أن أمنهم على دمائهم وأموالهم ، وبذلك تمكن من استرداد الرياض التي جعلها عاصمة لدولته الجديدة ، ومنطلقا لطموحاته [2] ، ثم قام بمحاولاته الكبيرة والطموحة لتدعيم نفوذه وتوطيد أركان حكمه في حائل والقصيم وعسير ، بالأسلوب السياسي ، دون اللجوء إلى المعارك الحربية في بداية الأمر[3] .

---

(١) محمد عبد الله الأحسائى : تحفة المستفيد بتاريخ الاحساء في القديم والجديد ، ص١٤٨ .

(٢) إبراهيم بن صالح بن عيسى : تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد ، ص ١٤٥ .

الأمير ضارى بن فهيد الرشيد : نبذة تاريخية عن نجد ، ص ٣٣ .

حافظ وهبة : جزيرة العرب في القرن العشرين ، ص ٢٣٢ .

(٣) صلاح الدين المختار : تاريخ المملكة العربية السعودية ، مجلد ١ ، ص ٨٥ ـ ٨٦ .

أحمد عبد الغفور عطار : صقر الجزيرة ، جـ ١ ، ص ٢٢٧ .

ولعلنا نستطيع أن نقول هنا أنه بالرغم من القضاء على الدولة السعودية الأولى بالمفهوم السياسي ، إلا أن أفكار دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب والولاء الخالص الذي يكنه أبناء الجزيرة العربية للدولة السعودية ، التي تبنت الدفاع عن هذه الدعوة ، لم يزالا ملء أفئدة الناس في المنطقة[1]، بالإضافة إلى ما وصلت إليه البلاد من أوضاع سيئة في مختلف نواحى الحياة .

سارع أهل نجد والمناطق المحيطة بها في الالتفاف حول الإمام تركى علّه يحفظ لهم ما بقى من الأنفس والأموال ، لأن الحاميات العثمانية كانت متقوقعة في قلاعها ، ولا تتدخل في مجريات الأحداث والاضطرابات التي تعيشها البلاد ، مكتفية من ذلك بجباية الضرائب وإرسالها إلى محمد على في القاهرة ، الذي بدأت قبضته العسكرية تتراخى عن اقليم نجد ، ولم يعد يهمه منها إلا تحصيل الضرائب التي يدعم بها قوته الحربية التي بدأ في بنائها ، وذلك بسبب انشغال محمد على بحروب اليونان ، وارساله للحملات العسكريةالمتتالية[2] .

وأيا كان السبب في ذلك ، فإن الإمام تركى بن عبد الله قد انتهز الفرصة للاستفادة من هذه العوامل مجتمعة ، ليعيد بناء الدولة السعودية

(١) د . عبد الفتاح أبو عليه : الدولة السعودية الثانية ، ص ٢٤ .

(٢) أمين سعيد : تاريخ الدولة السعودية ، ص ١٤٦ .

الثانية على أسس قوية راسخة ، وعلى نهج آبائه[1] ، وليعيد بالتالى الأمن والاستقرار إلى ربوع الجزيرة العربية التي استطاع اخضاعها لحكمه .

طالب الإمام تركي بن عبد الله قبائل عتيبة القاطنة بضواحى مكة بدفع الزكاة الشرعية له ، باعتبار أنه حاكم البلاد الشرعى ، مما أزعج حاكم الحجاز من قبل محمد على ، الذي لم يجد وسيلة غير الكتابة إلى سيده في مصر عله بذلك يوقف هذا الأمير السعودي ، لكي لا يدخل الحجاز في نفوذه[2] ، ولأن على بن مجثل شيخ قبائل عسير كان قد تحالف مع الإمام تركى بن عبد الله ضد الوجود العثماني المصري في المنطقة[3] ، مما يعنى أن الحاميات الموجودة في الحجاز ستصبح مهددة بالقتل والطرد في أية لحظة ، سواء من الشرق ، ومن قبل الإمام تركي بن عبد الله ، أو من قبل حليفه على بن مجثل من الجنوب ، ولكن محمد على كان مشغولا فيما هو أهم وأخطر بالنسبة له هو ، ألا وهي حرب الشام الأولى ، التي يعتزم خوضها ضد الدولة العثمانية .

---

(١) ج . ج . لوريمر : دليل الخليج ، القسم التاريخي ، جـ ٣ ، ص ١٦٣١ .

(٢) وثيقة رقم ٦٤ ، محفظة ١٣ بحر برا ، دار الوثائق القومية بالقاهرة .

(٣) وثيقة رقم ١١٩ ، محفظة ١٦ ، دارالوثائق القومية بالقاهرة . نقلا عن :

د . عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم : من وثائق شبه الجزيرة العربية في عصر محمد على ، مجلد ١ ، ص ٥٣٦ .

أخاف ظهور الإمام تركي بن عبد الله في نجد والتفاف قلب الجزيرة العربية حوله ، آل عريعر حكام الأحساء المعروفين بعدائهم المستمر للدولة السعودية ، والذين بدأوا في إبراز التحدي السافر للإمام تركي ودولته الناشئة(١) ، فخرج حاكم الأحساء محمد بن عريعر وأخوه ماجد في جمع كبير من بنى خالد سنة ١٢٤٥ هـ / ١٨٣٠ م ، وانضم اليهما بعض القبائل قاصدين محاربة الإمام تركي في الرياض ، إلا أن الإمام تدارك ذلك ، وأعلن المسير لملاقاتهم قبل أن يصلوا ، وانضمت إلى جيوش الإمام كثير من القبائل الخاضعة له ، ثم التقى الفريقان في معركة حاسمة ، انتهت بهزيمة بنى خالد في الموقعة المعروفة بالسبية(٢) .

ومع أن محمد بن عريعر توجه إلى الأحساء واستعد للحصار فيها ، إلا أن الإمام تركي سار في أثره ، ونزل بجنوده في جبل أبي غنيمة قرب عين نجم المشهورة(٣) .

---

(١) د . محمد عرابى نخلة : تاريخ الأحساء السياسي ، ص ٥٠ .

(٢) مختارات من سجلات حكومة بومباى S.R.B, G. NO XXIV P.P. 438 - 439.

إبراهيم بن صالح بن عيسى : تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد ، ص ١٥٧ ـ ١٥٨ .

السُبيَّة : زَبَارة كبيرة شهيرة من أعلام صحراء الدَّهْنَاء .

عبد الله بن خميس : معجم اليمامة ، جـ ٢ ، ص ٩ .

(٣) جبل أبى غنيمة : جبل يقع غرب الهفوف والمبرّز بمسافة ستة أميال ، وعين نجم : تقع على مسافة ميل ونصف من المبرّز بالقرب من الجبل المذكور في هوّةٍ منخفضةٍ من الأرض ، ماؤها يجرى تحت سطح الأرض ، وهو شديد الحرارة .

حمد الجاسر : المعجم الجغرافي للمملكة العربية السعودية ، المنطقة الشرقية ، القسم الأول ص ١٠٨ ـ ١٠٩ ، القسم الثالث ، ص ١٢٣٥ ـ ١٢٣٧ .

عندئذ خرج إليه علماء الاحساء ورؤساءها فبايعوه على السمع والطاعة ، فلم يكن أمام ابن عريعر إلا التسليم للإمام بدون قيد أو شرط ولكن الإمام تركى أكرم وفادته ، وأعطاه ما يريد من المال ، تاركا له الحرية في الإقامة أو الرحيل ، فخرج إلى العراق ، ولم تقم لآل عريعر بعد ذلك قائمة[١] ، أما الإمام تركى بن عبد الله فقد بسط كامل نفوذه على الأحساء والقطيف[٢] ، وأقام فيهما فترة من الزمن يصلح أمورها ، ويرتب شئونها ، ويكرم زعماءها ، ويعين فيها المرشدين والأئمة للأمر بالمعروف والنهى عن المنكر[٣] ، ويضرب على أيدى المفسدين والعصاة ليعودوا إلى طاعة أولى الأمر، لكى يعم الأمن والسلام في ربوع البلاد[٤] ، وقد وصل إلى الإمام أثناء ذلك وفد من أهل رأس الخيمة ، وأهل عمان ، ومن عجمان ، وأم القيوين ، يقدمون الولاء والطاعة للإمام ودولته[٥] .

---

(١) محمد بن عبد الله الأحسائي : تحفة المستفيد بتاريخ الأحساء في القديم والجديد ، ص ١٤٩ .

(٢) ج . ج . لوريمر : دليل الخليج ، القسم التاريخي ، جـ ٣ ، ص ١٤٣٢ .

(٣) مختارات من سجلات حكومة بومباى : S.R.B, G. NO XXIV P.P. 438 - 440.

محمد عبد الله الأحسائي : نفس المصدر السابق ، ونفس الصفحة .

(٤) صلاح الدين المختار : تاريخ المملكة العربية السعودية ، مجلد ١ ، ص ٢٣٨ .

(٥) د . عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم : محمد على وشبه الجزيرة العربية ، ص ٢٥٩ .

محمد سعيد المسلم : ساحل الذهب الأسود ، ص ١٨٢ .

طلب الإمام تركى من شيخ البحرين دفع الزكاة له على غرار ما كان معمولا به مع الدولة السعودية الأولى ، على أن تبسط الدولة السعودية حمايتها على البحرين ، ورغم تردد شيخ البحرين في بداية الأمر إلا أنه بعث مندوبا خاصا عنه للإمام تركى ، للتفاوض حيال ذلك ، وقد انتهت هذه المفاوضات باعتراف شيخ البحرين بالولاء للإمام تركى ودولته واستعداده لدفع الزكاة السنوية له ، كما ضمن الإمام لشيخ البحرين حق السيادة الاقليمية لحكومة البحرين[١] .

ومع أن البلاد قد مرت في عام ١٢٤٦ هـ / ١٨٣١ م ، بأزمة اقتصادية طاحنة أثرت على المنطقة بأسرها ، وأحدثت للدولة الناشئة كثيرا من المصاعب، إلا أن الإمام تركى استطاع إخراج دولته من هذه الأزمة بسلام[٢] ، ثم خرج من الرياض بقوة كبيرة من جيشه متجها نحو الشمال ، ليقضى على تمردات عربان سبيع القاطنين حول حفر الباطن[٣] ، ويخضع كثيرا من رؤساء

(١) جون . ب . كيلي : بريطانيا والخليج ، جـ ١ / ص ٣٨٥ ـ ٣٨٦ .

أمل إبراهيم الزياني : البحرين بين الاستقلال السياسي والانطلاق الدولي ، ص ٦٣ .

جى . بى . كيلى : الحدود الشرقية لشبه الجزيرة العربية ، ص ٩٧ .

(٢) د . عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم : المرجع السابق ، ص ٢٦٢ .

(٣) حفر الباطن : يعرف في الجاهلية بحفر العنبر ، ويعرف قديما في الإسلام بحفر أبى موسى ، نسبة إلى أبى موسى الأشعرى ، ثم عرف بعد ذلك بحفر الباطن ، لوقوعه في وادى الباطن المعروف قديما باسم فلج ، باسكان اللام .

عثمان بن بشر : عنوان المجد في تاريخ نجد ، جـ ٢ ، هامش ص ٧٧ ، ٢٣٨ . تحقيق عبد الرحمن ابن عبد اللطيف آل الشيخ .

العشائر هناك ، وعندما نزل في الصبيحية ، الماء المعروف قرب الكويت ، سارع أمير الكويت الشيخ جابر بن عبد الله بن صباح بتقديم الهدايا الثمينة للإمام تركي ، وسار على منواله كثير من رؤساء العشائر الذين بايعوا الإمام على السمع والطاعة ، ورغم أن الإمام تركي لم يحاول في بداية تكوين دولته التوسع غربا ، وكأنه يريد الابتعاد قدر الإمكان عن الاصطدام بحكومة الحجاز المدعومة من محمد على[1] ، ليستطيع تدعيم أركان دولته في وسط نجد ، وفي الخليج العربي ، الذي كان خاضعا لأسلافه من ذى قبل ، إضافة إلى إدراكه لصعوبة المناطق في عالية نجد ، من الناحية الجغرافية ، والمتمثلة في المساحات الشاسعة التي قد تنهك قواته ، وهو لم يزل في طور التأسيس ، إلا أنه اضطر في سنة ١٢٤٧ هـ / ١٨٣١ م ، إلى تسيير قوات كبيرة من أهل العارض وسدير وغيرهم ، بقيادة ابنه الأمير فيصل ، للقضاء على تمردات بعض العربان من قبائل عتيبة ، الذين اتخذوا من عالية نجد مكانا للاغارة عليه ، وشق عصا الطاعة ، على حكومته ، فهاجمت قوات الإمام تلك الجموع عند الماء المعروف طلال[2] ، وكان يرأسهم سلطان ابن ربيعان

---

(١) د . عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم ، محمد على وشبه الجزيرة العربية ، ص ٢٥٨ ، ٢٦٢ ، صلاح الدين المختار : تاريخ المملكة العربية السعودية في ماضيها وحاضرها ، مجلد ١ ، ص ٢٤٣ ، سنت جون فلبى : تاريخ نجد ودعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية ، ص ١٨٤ .

(٢) طَلاَلُ : ماء قديم يقع غربا من جبال الأشماط ، وشرقا من ثرب ، غرب الجرير ، قال ياقوت : طلال موضع في شعر أبى صخر الهذلى حيث قال :

يفيدون القيان مقينات ... كأطلاء النعاج بذى طلال
وصلب الأرحبية والمهارى ... مُحسَّنةً تُزيّن بالرحال

وعلى هذا الماء جرت وقعتان تاريخيتان الأولى عام ١٢٤٧ هـ بين الإمام فيصل بن تركى وقبائل الروقة من عتيبة ، ورئيسهم سلطان بن ربيعان ، والوقعة الثانية عام ١٢٩٠ هـ بين سعود بن فيصل وقبائل الروقة من عتيبة ورئيسهم مصلط بن ربيعان .
==

شيخ قبيلة الروقة ، وقد انضمت اليهم نجدات من قبيلة مطير بقيادة ابن بصيّص وعربانه ، وتمكنت هذه القبائل من التغلب على جيوش الإمام تركي ، مما حدا بقائدها الأمير فيصل إلى العودة إلى بلد القويعية ، ليجنب جنوده مخاطر هذه الحرب ، التي أبلى فيها بلاء حسنا ، وقد تحقق له ما أراد[1] .

استمر الإمام تركى بن عبد الله في تدعيم أركان دولته ، متتبعا أبناء البادية الذين ما فتئوا يثيرون الاضطرابات بين الفينة والأخرى ، فحينا يرفضون دفع الزكاة لعمال الإمام ، وحينا آخر يقومون بالسلب والنهب للقرى والبلدان ، ولبعضهم البعض ، وهذا ما لا يقره الإمام تركى ، الذي يحاول أن يبنى دولة قوية تعتمد على الشريعة الإسلامية ، دستورا ومنهاج حياة، فسار الإمام سنة ١٢٤٧ هـ / ١٨٣١ م ، إلى الشمال حتى نزل ماء الرمحية[2] ، وأقام فيها ما يقرب من أربعين يوما ، لاستقبال مشائخ القبائل

= سعد بن جنيدل : المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية ، عالية نجد ، القسم الثاني ، ص ٨٨٢ ـ ٨٨٤ .

ياقوت الحموى : معجم البلدان ، جـ ٤ ، ص ٣٧ .

عبد الله بن خميس : الشعر الشعبي ومعالم الجزيرة ، مجلة العرب ، السنة الأولى جـ ٦ ، ذو الحجة سنة ١٣٨٦ هـ ، ص ٥٠١ .

(١) عثمان بن بشر : عنوان المجد في تاريخ نجد ، جـ ٢ ، ص ٣٩ .

(٢) الرُّمْحيَّة : منهل بقرب رُماح غربية في نفس واديه ، عند ملتقى روافده ، وآبارها حوالى ست آبار ، وماؤها عذب ، وتبعد عن رماح نحوا من خمسة وعشرين كيلو متر .

عبد الله بن خميس : معجم اليمامة ، جـ ١ ، ص ٤٨٣ .

الذين يقدمون له الطاعة والولاء ، ويبعث عماله لتحصيل الزكاة من العربان ، إلا أن بادية العجمان قد رفضوا تسليمها إلى عماله ، فرحل إليهم لتأديبهم ، وأخذ الزكاة منهم ، فلما علموا بذلك دفعوها طائعين قبل وصوله اليهم ، فعاد الإمام بجنوده إلى الرياض ، ثم عاد وقاد حملة أخرى في سنة ١٢٤٨ هـ / ١٨٣٢ م ، لتأديب قبائل العجمان ، وبعض القبائل الأخرى ، إلا أن خبر تحركات جيوش الإمام قد بلغتهم قبل وصولها إليهم ، فتفرقوا منهزمين ، ونزل الإمام تركي بجنوده على أم ربيعة ، الماء المعروف في ديرة بني خالد[١] .

وسرعان ما قدم رؤساء العشائر من بني مرة والعجمان الولاء والطاعة للإمام ، ودفعوا الزكاة المفروضة ، ثم توجه الإمام بعد ذلك إلى القطيف والاحساء ، حيث قدمت له الهدايا ، وجددت له فروض الطاعة والولاء واطمأن على أوضاع المنطقة وأهلها[٢] .

عاد الإمام إلى عاصمته الرياض وفي الطريق إليها وبعد أن اجتاز صحراء الدهناء ، نزل عند غدير يقال له ويثلان ، ودعاء رؤساء العشائر الذين معه إلى اجتماع عام ، تحدث فيه عن فلسفة الحكومة الصالحة[٣] ، قارنا القول بالعمل ، مؤكدا لهم ضرورة التمسك بالشريعة السمحاء ، ومطالبا اياهم بضرورة الحرص على مصالح المواطنين دون تفريق أو اضطهاد لهم[٤] .

---

(١) عثمان بن بشر : عنوان المجد في تاريخ نجد ، جـ ٢ ، ص ٤٢ ـ ٤٣ .

(٢) د . محمد عرابي نخله : تاريخ الاحساء السياسي ، ص ٥٦ .

(٣) سنت جون فلبى : تاريخ نجد ، ص ١٨٦ .

(٤) عثمان بن بشر : المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ٤٤ .

أما جيوش الإمام تركى التي يقودها ابنه الأمير فيصل ، فقد قامت بتأديب بعض القبائل من عنزة في الدهناء ، ثم عادت إلى المجمعة ، لتقيم بها عدة أيام ، وتعود منها إلى الرياض ، وقد جهز الأمير فيصل بن تركى من هناك جيشا بقيادة سعد بن محمد بن معيقيل ، للمشاركة مع القوات التي سيقودها عمر بن محمد بن عفيصان ، أمير الاحساء من قبل الإمام تركى ، حيث صدرت اليه تعليمات الإمام بالمسير إلى عمان لاخضاع أهلها ، وتحصيل الزكاة منهم بعد أن كثرت أعمال الفوضى والتمرد في الاقليم ، وعمت الاضطرابات أنحاء متفرقة فيه(١) .

وكان ابن عفيصان دائم التطلع إلى عمان ، لاخضاعه لسلطة الدولة السعودية ، ولكنه كان يخشى من تدخلات طحنون بن شخبوط ، الذي ربما قطع عليه خط امداداته من الاحساء ، إلا أن الاضطرابات التي عمت مشيخة أبو ظبى ، وخضوعها بالتالي للسعوديين ، قد مكنت ابن عفيصان من مداهمة عدد من المدن والقرى في أطراف السلطنة(٢) .

---

(١) عثمان بن بشر : عنوان المجد في تاريخ نجد ، جـ ٢ ، ص ٤٢ .

صلاح الدين المختار : تاريخ المملكة العربية السعودية ، مجلد ١ ، ص ٢٥٠ .

عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم : محمد على وشبه الجزيرة العربية ، ص ٢٦٣ ــ ٢٦٤ .

(٢) د . عبد العزيز عبد الغني إبراهيم : علاقة ساحل عمان ببريطانيا ، ص ٢٧٦ ــ ٢٧٧ .

جون . ب . كيلي : بريطانيا والخليج ، جـ ١ ، ص ٣٨٧ .

وعندما تمكن من السيطرة على البريمى ، بدأ في تهديد سلطان مسقط ، وابلاغه بأنه سيضطر إلى تخريب عمان ان هو امتنع عن دفع الزكاة للدولة السعودية ، ومع أن السلطان حاول الاحتماء ببريطانيا ، مذكرا اياها بالوضع الخطير الذي تعيشه سلطنته ، إلا أنه اضطر في نهاية الأمر إلى دفع الزكاة للوالى السعودي ، الذي ترك حامية في قلعة البريمي تتكون من سبعين رجلا وعاد إلى مقر عمله في الاحساء ، حاملا معه زكاة ذلك الاقليم ، والغنائم الكثيرة[1] .

من هنا تاكد للإمام تركى توطيد نفوذه في المنطقة وأصبح هو صاحب السلطة الوحيدة فيها ، إذ أن السكان قد بدأوا يدينون له بالولاء على مختلف المستويات ويدفعون الزكاة المفروضة[2] ، وأصبح ملكه يشتمل على نجد والاحساء ، ومعظم الساحل العماني ، وولاء شيخ البحرين له[3] ، إلا أن بعض المؤرخين استثنى الكويت من هذا الولاء ، وأنها لم تخضع للنفوذ السعودي حينذاك[4] ، في حين أن القنصل البريطاني في مصر

---

(١) ج . ج . لوريمر : دليل الخليج القسم التاريخي ، جـ ١ ، ص ٣٢٨ .

جي . بي . كيلي : الحدود الشرقية لشبه الجزيرة العربية ، ص ٩٧ ـ ٩٨ .

(٢) مختارات من سجلات حكومة بومباى

S.R.B.G. No XXIV, P.P. 441 - 442.

(٣) عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم : محمد على وشبه الجزيرة العربية ، ص ٢٦٠ .

(٤) د . أحمد مصطفى أبو حاكمة : تاريخ الكويت ، القسم الأول ، جـ ٢ ، ص ٤٥ .

الكولونيل كامبل Colonel, Campbell ، قد أكد لوزير خارجيته اللورد بالمرستون Lord, Palmerston ، أن أمير الكويت كان على الدوام يدفع الزكاة إلى زعماء نجد السعوديين[١] .

ورغم ما تميزت به سياسة الإمام تركي بن عبد الله في ارساء زعامته ، وما أبداه من روح طيبة ، ودهاء سياسي رفيع أكسبه احترام زعماء المنطقة ، وأنهى تلك الفوضى والحروب الأهلية ، التي عاشت فيها البلاد[٢] ، إلا أن منطقة القطيف قد شهدت أنواعا من الفوضى والسلب والنهب الذي قام به سكان جزيرة العماير ، المدفوعين من قبل شيخ البحرين عبد الله بن أحمد ، الذي كان خلف هذه الاضطرابات[٣] ، حيث خلى عن ولاءه للإمام تركي بن عبد الله في سنة ١٢٤٩ هـ / ١٨٣٣ م ، منتهزا الفرصة التي سنحت له برحيل بشير بن رحمة بن جابر ، من جزيرة تاروت إلى مسقط ، حيث أنه كان يدين بالولاء للإمام تركي ، ولم يكن ليسمح لأي أحد بالخروج عن طاعته بما فيهم شيخ البحرين[٤] .

---

1 - Document : F.O. 78/373. No. 20. P.P. 89 - 90, xC/A/61064.

(٢) مختارات من سجلات حكومة بومباى

S.R.B.G. No XXIV, P.P. 437 - 440.

(٣) أمل إبراهيم الزياني : البحرين بين الاستقلال السياسي والانطلاق الدولي ، ص ٦٣ .

(٤) ج . ج . لوريمر : دليل الخليج ، القسم التاريخي ، جـ ٣ ، ص ١٢٩٧ ، ١٤٣٣ ، ١٤٣٤ .

جهز شيخ البحرين جيشا بحريا وهاجم دارين وتاروت ، ثم حاصر سيهات[١] ، التي حاول عبد الله بن غانم ، وكيل بيت المال من قبل الإمام تركي ورئيس القطيف حينذاك ، التنسيق مع أهلها لصد هجوم شيخ البحرين وأتباعه ، ولكنه لم يستطع ذلك فشك فيه أنصاره وقتلوه[٢] .

ويذهب أحد المؤرخين إلى أن عبد الله بن غانم ، رئيس القطيف لم يقتل حينذاك ، وأنه قد عاد مع الأمير فيصل إلى الرياض ، عندما فك الحصار عن سيهات[٣] ، وعلى أية حال فقد جهز الإمام تركي بن عبد الله جيشا قويا تحت قيادة ابنه الأمير فيصل ، عندما علم بهذه الأحداث ، وذلك لتأديب هؤلاء الخارجين واعادتهم إلى طاعة الدولة ، فسارت الجيوش السعودية ، وشنت هجمات قوية على العصاة ، واستعادت دارين وتاروت من المتمردين[٤] ، الذين فروا إلى قلعة الدمام التي يوجد بها أولاد عبد الله بن أحمد بن خليفة .

---

(١) دارين : من أشهر موانىء الخليج العربي ، ومنها تصل بضائع الشرق إلى مختلف أنحاء الجزيرة ، وقد ذكرها ابن خلدون ، وأن الطيب ينسب اليها عندما يكون آتيا من بلاد البحرين ، وكذلك تاروت التي تعتبر من الثغور البحرية لبلاد القطيف ، وكانت في العهود القديمة ميناء ترسو فيه السفن ، أما سيهات فتقع جنوب القطيف وكانت تعتمد على الزراعة .

حمد الجاسر : المعجم الجغرافي ، المنطقة الشرقية ، القسم الأول ، ص ٢٨٥ ، القسم الثاني ، ص ٦٥١ ـ ٦٥٩ ، ٨٩٤ ـ ٨٩٥ .

(٢) محمد سعيد المسلم : ساحل الذهب الأسود ، ص ١٨٢ ـ ١٨٣ .

(٣) عثمان بن بشر : عنوان المجد في تاريخ نجد ، جـ ٢ ، ص ٤٨ .

(٤) د . محمد عرابى نخلة : تاريخ الاحساء السياسي ، ص ٥٧ .

أما الأمير فيصل فقد ضرب حصارا على سيهات ، وبدأ في تضييق الخناق عليها ، إلا أن رئيسها حينذاك ابن عبد الرحيم كان على اتفاق حربي مع شيخ البحرين ، لمحاربة السعوديين ، فبدأ ابن خليفة بتزويد أهل سيهات بما يساعدهم على هذا الحصار المضروب عليهم ، ولكن الأمير فيصل بن تركي أدرك أبعاد هذا الاتفاق ، فغير من استراتيجيته في المعركة ، وبدأ في توزيع الحصون في المدن المجاورة على قادته، وزودهم بالعتاد والرجال ، إلا أن خبر استشهاد والده الإمام تركى بن عبد الله قد غير من نتائج تلك الاستراتيجية ، فعاد مسرعا إلى الرياض(١) .

وقبل أن ندخل في تفاصيل اغتيال الإمام تركي بن عبد الله بن محمد ابن سعود ، ومدى تأثيرها على الوضع في المنطقة ، يجدر بنا أن نلقى شيئا من الضوء على أهم ملامح جهود هذا الزعيم ، وكفاحه ، ونهجه السياسي الفريد .

أسس الإمام تركي بن عبد الله دولة جديدة وقوية حين استطاع القبض على زمام الأمور ، والقضاء على منافسي أسرته سنة ١٢٣٦ هـ / ١٨٢٠ م(٢)،

---

(١) عثمان بن بشر : عنوان المجد في تاريخ نجد ، جـ ٢ ، ص ٤٨ .

د . فائق حمدى طهبوب : تاريخ البحرين السياسي ، ص ١٣٢ ـ ١٣٣ .

صلاح الدين المختار : تاريخ المملكة العربية السعودية ، المجلد الأول ، ص ٢٥٩ ـ ٢٦٠ .

(٢) د . محمد عبد الله ماضي : النهضات الحديثة في جزيرة العرب ، ص ٨١ ـ ٨٢ .

كارل بروكلمان : تاريخ الشعوب الإسلامية ، ص ٥٥٦ .

وبذلك انتقل الحكم في آل سعود من سلالة عبد العزيز بن محمد إلى سلالة أخية عبد الله وبقى فيهم إلى اليوم[1] ، كما أن الإمام تركي بن عبد الله بن محمد بن سعود يعتبر هو المؤسس الأول للدولة السعودية الثانية[2]، إذ أنه قد نجح في إخراج القوات التركية والمصرية من نجد ، واسترد الاحساء والقطيف ، وبسط نفوذه على حائل والقصيم ، كما دانت له بالولاء مشيخات الخليج العربي والبحرين ، ودفعوا له الزكاة المفروضة شرعا على غرار ما كان معمولا به في الدولة السعودية الأولى[3] .

وهو ما يؤكد عكس ما ذهب إليه بعض المؤرخين حين اعتبروا أن الإمام فيصل بن تركي ، في فترة حكمه الثانية هو المؤسس الحقيقي للدولة السعودية الثانية ، وليس والده الإمام تركي[4] ، فالجهود التي بذلها الإمام تركي بن عبد الله في اجلاء القوات التركية ـ المصرية من نجد ، واستعادة ملك آبائه أئمة الدولة السعودية الأولى ، وخضوع معظم أقاليم شبه الجزيرة العربية له ،

---

(١) خير الدين الزركلي : الاعلام ، جـ ٢ ، ص ٦٦ .

(٢) د . محمد عبد الله ماضي : المرجع السابق ، ص ٨٢ .

د . عبد الله صالح العثيمين : حول كتاب الدولة السعودية الثانية للدكتور أبو عليه ، مجلة الدارة عدد ١ ، سنة ٣ ، ص ٢٤٨ ـ ٢٤٩ .

(٣) وثيقة رقم ٧ أصلية ، ٥٠ حمراء ، محفظة ٢٦٧ عابدين ، محافظ الحجاز رقم ٧ ، دار الوثائق القومية بالقاهرة .

د . عبد الله صالح العثيمين : المرجع السابق ، ص ٢٤٨ ـ ٢٤٩ .

(٤) د . عبد الفتاح أبو عليه : الدولة السعودية الثانية ، ص ٢٦ ـ ٢٧ .

وحكمها من قبله حكما مطلقا أكثر من عشر سنوات ، يؤكد الرأى الذي ذهبنا إليه مع كثير من المؤرخين[(١)] .

وعلى أية حال فقد استطاع الإمام تركي بن عبد الله ، بعد فترة وجيزة من الاضطراب السياسي في نجد بعد سقوط الدرعية ، من استعادة نفوذ أسرته على كامل الاقليم ، كما نجح في اخضاع شرقي شبه الجزيرة العربية لنفوذه ، وأخضع سلطان مسقط وشيخ البحرين ، وأمير الكويت ، لدفع الزكاة السنوية لحكومته[(٢)] .

ولا شك أن خلف هذه الجهود شخصية قيادية نادرة ، تتصف بالشجاعة في الحروب ، والدهاء السياسي في تصريف أمور الدولة ، وقد أدرك أحد الكتاب هذه الملامح في شخصية الإمام تركي حين قال : « كان يجمع في شخصه سحرا مغناطيسيا غامضا ، وشيئا من السيطرة الذاتية غريبا ، هذا بقطع النظر عن الجو البطولى الذي خلقه بشجاعته الشخصية وفروسيته »[(٣)] .

ورغم ما كان يمتاز به الإمام تركي من حصافة واعتدال في تصريف أمور الدولة ، وسياسة الرعية ، إلا أنه لم يكن ليتهاون في إلزام القبائل بسلوك النهج الإسلامي الصحيح ، وتطبيق فرائض الشريعة الغراء التي كان

---

(١) د . محمد عبد الله ماضى : النهضات الحديثة في جزيرة العرب ، ص ٨٢ ، د . عبد الله صالح العثيمين : حول كتاب الدولة السعودية الثانية ، مجلة الدارة ، عدد ١ ، سنة ٣ ، ص ٢٤٩ .

(٢) أمين سعيد : تاريخ الدولة السعودية ، ص ١٤٣ .

(٣) سنت جون فلبى : تاريخ نجد ، ص ١٧٧ ـ ١٩١ .

معظمهم قد استهان بها ، وتنفيذ شعائرها ، وفرض عليهم الطاعة والسلوك القويم ، ولم تكن تأخذه في الله لومة لائم[1] .

وصفت الوثائق البريطانية الإمام تركي بأنه كان على درجة كبيرة من التحرر والاستنارة[2] ، حيث أنه قد استطاع القضاء على الاضطرابات القبلية ، وحوادث السلب والنهب في مختلف أنحاء مملكته ، وضمن سلامة الحجاج والمسافرين منهم إلى مكة المكرمة ، والمدينة المنورة ، في أي طريق يسلكون ، ولم يسمح بتدخين التبغ في الشارع والأماكن العامة[3] .

ولا غرو في أن يمارس الإمام تركي بن عبد الله مهام الحاكم الطموح ويعمل على إعادة الإدارة الفعالة في أقاليم مملكته المختلفة[4] ، وفق المنهج الإسلامي الصحيح ، القائم على تقوى الله ، وأداء حقوقه ، والسمع والطاعة لأولي الأمر ، والمعاملة الحسنة في البيع والشراء ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، واجتناب ما نهى الله عنه من المحرمات

---

(١) إبراهيم فصيح صبغة الله الحيدري : عنوان المجد في بيان أحوال بغداد والبصرة ونجد ، ص ٢١٢ .

(٢) ج . ج . لوريمر : دليل الخليج ، القسم التاريخي ، جـ ٣ ، ص ١٦٣١ ، د . محمد عرابي نخلة : تاريخ الاحساء السياسي ، هامش ص ٥٥ .

(٣) مختارات من سجلات حكومة بومباى

S.R.B.G. No XXIV, P.P. 437 - 440.

(٤) سنت جون فلبى : تاريخ نجد ، ص ١٧٨ .

والخبائث[1] ، وقد رأيناه يوجز عناصر هذه السياسة في خطبته المشهورة على غدير وثيلان عند عودته من الاحساء ، حين بين فيها حقوق الحاكم والمحكوم ، وواجبات كل منهما تجاه ربه ودينه ، وتجاه بعضهم البعض وموقفه كحاكم عام تجاههم فيما يعملون[2] .

أدرك الإمام تركي بثاقب نظره ، وحنكته السياسية مدى ما يحيط به من أخطار جسام ، كان أهمها حينذاك التواجد البريطاني في منطقة الخليج التي يمارس فيها نفوذا قويا ، وتدين معظم بلدانها بالولاء له ولدولته ، فراح يحاول حينئذ اجتذاب صداقتهم ، وإقامة علاقات ودية معهم ، إذ أرسل سفارة له برئاسة راشد بن حمد ، سنة ١٢٤٧ هـ / ١٨٣١ م[3] ، يدعوهم من خلالها إلى تجديد المعاهدة بين دولته وبريطانيا ، وقد ردت السلطات البريطانية على ذلك برد مهذب عن طريق المقيم البريطاني في الخليج العربي[4] .

مما يعني أن هذه الاتصالات لم تؤد إلى نتائج مثمرة بين الجانبين في تلك الفترة ، لأن بريطانيا كانت قلقة إلى حد كبير على مصير مشيخات

---

(١) د . عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم : محمد علي وشبه الجزيرة العربية ، ص ٢٧٣ .

(٢) صلاح الدين المختار : تاريخ المملكة العربية السعودية ، مجلد ١ ، ص ٢٥٢ ـ ٢٥٣ .

(٣) د . عبد العزيز عبد الغني إبراهيم : علاقة ساحل عمان ببريطانيا ، ص ٢٧٥ ـ ٢٧٦ .

(٤) مختارات من سجلات حكومة بومباي

S. R. B. G. No. XXIV, P. 440.

الخليج ، وازدياد النفوذ السعودي فيها[١] ، وادراكها بالاهتمام الذي يوليه الإمام تركى لأمن وسلامة مياه الخليج ، ضد أية أعمال عدوانية قد يقوم بها سكان المنطقة أو غيرهم ، ورفضه الصارم لمثل هذه الأعمال .

وقد ظهرت آثار هذا القلق البريطاني على المقيم الانجليزى في الخليج العربي حينما وصف تعهد سلطان مسقط بدفع الزكاة السنوية للإمام تركى ، واتفاقه معه على تبادل المساعدة فيما بينهما لقمع التمردات التي تقع داخل حدودهما على أنه تصرف غير متعقل[٢] ، مما جعله ينادى بضرورة التدخل العسكرى المباشر ، لكى لا تصبح مسقط وأسطولها التجاري تحت رحمة السعوديين كما يقول ، وقد وافقه في ذلك حاكم بومباى ، الذي طلب توجيه انذار إلى الإمام تركي بن عبد الله بعدم التعرض لأراضي السيد سعيد ، لأن ذلك لن يكون تصرفا مقبولا من بريطانيا على حد قوله[٣] .

في الوقت الذي سعى فيه للاتصال بمحمد على باشا والى مصر ، علّه يقوم بممارسة أي نفوذ ضد الإمام تركى ، أو على الأقل القيام بمساعدة سلطان مسقط ضد هذا التوسع السعودي الجديد ، بحكم روابط الصداقة بين الباشا والسيد سعيد ، « أما إذا لم يكن تركى خاضعا لباشا مصر ، فقد يفكر

---

(١) د . عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم : محمد على وشبه الجزيرة العربية ، ص ٣٥٢ ، د . صلاح العقاد : التيارات السياسية في الخليج العربي ، ص ١٢٩ .

(٢) ج . ج . لوريمر : دليل الخليج ، القسم التاريخي ، جـ ٢ ، ص ٧١١ .

(٣) جون . ب . كيلى : بريطانيا والخليج ، جـ ١ ، ص ٣٩٦ .

الباشا في ـ اخضاعه ـ لسلطته مرة أخرى ، وهذا سوف يتيح لبريطانيا فرصة لصنع سياستها الجديدة ، بالنسبة لهذه المشكلة »[1] .

ولعلنا نتساءل هنا عن ماهية العلاقة التي تربط الإمام تركى بن عبد الله وحكومته في نجد ، والمناطق الخاضعة لنفوذه ، ومحمد على باشا وحكومته التي يمثلها والٍ من قبله في الحجاز ؟ .

فرغم ما ذهب اليه بعض المؤرخين من أن الإمام تركى استمر في دفع الجزية لحكومة الباشا[2] ، ربما انطلاقا من سياسة عدم الاصطدام بها وهو في طور البناء لدولته الجديدة ، إلا أننا نستطيع أن نؤكد بأن الإمام تركى بن عبد الله كان يحكم اقليم نجد والاحساء وغيرهما من بعض مناطق شبه الجزيرة العربية التي خضعت لنفوذه ، حكما مستقلا تمام الاستقلال عن ممثل حكومة محمد على في الحجاز ، وهذ إن دل على شيء فإنما يدل على مدى ما يتمتع به الإمام تركى بن عبد الله من رجاحة في العقل وحصافة في السياسة .

وعلى أية حال فقد لعب الشيطان وأهواء المغرضين ، بأفكار مشارى بن عبد الرحمن بن سعود ، ابن عم الإمام تركى ، وابن أخته ، وسولت له نفسه الاقدام على اغتيال الإمام تركى بن عبد الله بن محمد بن سعود مؤسس الدولة

---

(١) جون . ب . كيلى : المرجع السابق ، جـ ١ ، ص ٣٩٦ .

(٢) د . فائق حمدى طهبوب : تاريخ البحرين السياسي ، ص ٣١ .

محمود كامل : الدولة العربية الكبرى ، ص ٤١١ .

د . محمد أنيس : الدولة العثمانية والشرق العربي ، ص ٢٣٤ .

السعودية الثانية ، معتقدا أنه أحق بالإمامة منه ، فاتفق مع بعض خدمه على هذه الجريمة الشنعاء ، وقد قام عبدٌ يدعى إبراهيم بن حمزة ، بتنفيذ هذه الجريمة ، بعد صلاة الجمعة ، آخر ذى الحجة سنة ١٢٤٩ هـ ، التاسع من مايو سنة ١٨٣٤ م ، حين رماه برصاصة بعد خروجه من المسجد ، وهو واقف ينظر في شكوى أحد المواطنين(١) .

وعندما سقط الإمام تركى شهيدا خرج مشارى بن عبد الرحمن بن سعود وأعوانه من المسجد ، شاهرين سيوفهم في وجوه الناس ، وحموا القاتل منهم ولم يلبث مشارى أن سار إلى قصر الإمام ليخرج نساءه وعائلته ، ونساء ابنه فيصل ، ويستولى على جميع ما فيه من المال والعتاد ، ثم بدأ يدعو الناس لمبايعته ، بعد أن أرغم آل الشيخ على ذلك ، آخذا في توزيع الدراهم والكساوى على الناس ليستجلب قلوبهم(٢) ، ولكنه لم ينعم بالحكم طويلا، إذ سرعان ما عاد الأمير فيصل من الأحساء ، ليأخذ بثأر أبيه ، ويتسلم مقاليد الأمور ، ليحمل الرسالة ويؤدى الأمانة .

وباستشهاد الإمام تركى بن عبد الله ، فقدت البلاد زعيما يتصف بالشجاعة والرأي السديد ، وليس له مماثل في الرأي والسياسة ، يجمع بين العفو والحلم والأناة والرئاسة ، وفيٍّ بالعقود(٣) ، فكان لوفاته أصداء واسعة ، وآثارا واضحة على المنطقة بشكل عام ، وعلى دولته بشكل خاص .

---

(١) عثمان بن بشر : عنوان المجد في تاريخ نجد ، جـ ٢ ، ص ٤٨ ـ ٤٩ .

محمد عبد الله الاحسائي : تحفة المستفيد بتاريخ الاحساء في القديم والجديد ، ص ١٥٠ .

د . عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم : محمد على وشبه الجزيرة العربية ص ٢٧٢ .

(٢) محمد عبد الله الأحسائي : تحفة المستفيد بتاريخ الأحساء في القديم والجديد ، ص ١٥٠ .

د . عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم : محمد على وشبه الجزيرة العربية ، ص ٢٧٢ .

(٣) عثمان بن بشر : عنوان المجد في تاريخ نجد ، جـ ٢ ، ص ٤٨ .

وقد أشارت الوثائق البريطانية ، وكذلك بعض المؤرخين إلى أن شيخ البحرين كان له ضلع مباشر في اغتيال الإمام تركى بن عبد الله ، واستدلوا على ذلك بعلامات الفرح والسرور التي بدأت على شيخ البحرين وأعوانه الذين بدأوا في اطلاق نيران المدافع في الهواء معبرين عن فرحتهم الغامرة بمقتل الإمام(١) ، بينما ذهب آخرون إلى أن إسماعيل بك القائد المصرى في المدينة المنورة هو المحرض على اغتيال الإمام(٢) ، ومهما كان المحرض على ذلك فقد استفاد شيخ البحرين من هذه الحادثة ، حين استطاع ضم جزيرة تاروت إلى حكومته بعد اغتيال الإمام ، كما بدأ في تحريض أهالى الأحساء على التمرد والعصيان على الوالي السعودي فيها(٣) ، وبذلك شهدت الأحساء وبعض المناطق في نجد كثير من أعمال الفوضى والاضطراب(٤) ، التي جابهها الإمام فيصل بن تركي بعد ذلك بقوة وإصرار .

وهكذا نرى أن الإمام تركى بن عبد الله ، قد انتهز موقفا تاريخيا لاعادة الدولة السعودية وبنائها ، هذا الموقف الذي نشأ عن انشغال محمد على باشا في مقدمات حرب الشام الأولى ، ثم بدء هذه الحرب .

---

(١) مختارات من سجلات حكومة بومباى

S.R.B.G. No XXIV, P.P. 439 - 442.

د . محمد عرابى نخلة : تاريخ الأحساء السياسي ، ص ٦٤ ـ ٦٥ .

د . فائق حمدى طهبوب : تاريخ البحرين السياسي ، ص ١٣٣ .

(٢) جون . ب . كيلى : بريطانيا والخليج ، جـ ١ ، هامش ص ٤١٥ .

(٣) ج . ج . لوريمر : دليل الخليج ، القسم التاريخي ، جـ ٣ ، ص ١٤٣٥ .

(٤) جون . ب . كيلى : المرجع السابق ، جـ ١ ، ص ٤١٥ .

ب ـ إعادة بناء الدولة في عهد الإمام فيصل بن تركي

قبل أن ندخل في التفاصيل الأساسية لجهود الإمام فيصل بن تركي ، التي بذلها في استعادة أمور الحكم في الرياض وماتبع ذلك من أعمال وجهود لتدعيم بناء الدولة التي أسسها والده الإمام تركى بن عبدالله بن محمد بن سعود ، يجدر بنا أن نلقى شيئا من الايضاح على الدور الكبير الذي لعبه الإمام فيصل في تأسيس دعائم الدولة عندما كان أميرا وقائدا مغوارا في صفوف جيش والده ، هذا الدور الذي تخللته أحداث كبيرة أوصلت الإمام فيصلا إلى سدة الحكم في نهاية الأمر ، بما فيها من العنف والمرارة ، لتجعله أكثر حرصا وضبطا للأمور في تثبيت دعائم دولته[1] ، التي تولالها بعد استشهاد والده .

ولا غرو في ذلك ، إذ أن فراره من مصر سنة ١٢٤٣ هـ ـ ١٨٢٨ م ، وعودته إلى نجد للانضمام إلى والده ، لهو خير دليل على عزمه القوى على تحرير بلاده من الوجود الخارجي أيا كان نوعه[2] ، وبالفعل فقد أصبح الأمير فيصل بعد فترة وجيزة الساعد الأيمن لوالده في تأسيس وبناء الدولة السعودية الثانية ، وارساء الاستقرار فيها[3] ، وقد خاض الأمير فيصل غمار الحرب في أكثر من وقعة حربية ، دلّت بشكل قاطع على شجاعته العسكرية وشخصيته القيادية التي تميز بها في هذه المرحلة .

(١) د . محمد عرابي نخلة : تاريخ الأحساء السياسي ، ص ٩٤ .

(٢) عثمان بن بشر : عنوان المجد في تاريخ نجد ، جـ ٢ ، ص ٣٢ .

(٣) سنت جون فلبى : تاريخ نجد ، ص ١٩٤ .

فقد قاد الأمير فيصل سنة ١٢٤٧ هـ / ١٨٣١ م ، جيشا قويا إلى عالية نجد ، للقضاء على عربان عتيبة الذين شقوا عصا الطاعة على حكومة والده ، وعندما رأى الكفة العسكرية تميل لصالح قبيلة عتيبة ومن شايعهم ، أخضع الأمور للعقل والرأى ، فتراجع بجنوده إلى بلد القويعية لكى لا يعرضهم إلى الهلاك في تلك الحرب(١) .

وفي العام التالي ـ أي في سنة ١٢٤٨ هـ ، سار الأمير فيصل بن تركي إلى قبائل عنزة في الدهناء ، للقضاء على عصيانهم ودسائسهم التي يقومون بها ضد حكومة الرياض ، وأرغمهم على التفرق والهروب من أمامه(٢) ، ثم كان آخر هذه الحروب التي خاضها الأمير فيصل كقائد في جيش والده ، والتي اكتفينا بالاشارة إلى ثلاث حملات منها ، هي تلك الفتنة التي أثارها سكان جزيرة العماير ، بتحريض من شيخ البحرين(٣) ، سنة ١٢٤٩ هـ / ١٨٣٤ م ، وقد عمت الفوضي معظم أنحاء اقليم الأحساء واستطاع المتمردون قطع الطريق عن القطيف ، وبدأ القتال بينهم وبين رئيس القطيف من قبل الإمام تركى ، السيد عبد الله بن غانم(٤) .

---

(١) عثمان بن بشر : عنوان المجد في تاريخ نجد ، جـ ٢ ، ص ٣٩ .

د . عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم : محمد على وشبه الجزيرة العربية ، ص ٢٦٣ .

(٢) عثمان بن بشر : المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ٤٢ .

(٣) د . فائق حمدى طهبوب : تاريخ البحرين السياسي ، ص ١٣٣ .

(٤) د . محمد عرابى نخلة : تاريخ الأحساء السياسي ، ص ٥٦ ـ ٥٧ .

سار الأمير فيصل بقواته إلى تلك الجهة لاخماد هذه الحركة والقضاء على رؤوس الفتنة فيها ، وتمكن من هزيمة المتمردين في أول لقاء معهم ، مما اضطرهم إلى الهروب والالتجاء إلى قلعة الدمام[1] ، فسارع الأمير فيصل بن تركى وضرب الحصار على بلدة سيهات ، التي كادت أن تستسلم له ، لولا اضطراره هو لفك الحصار عنها ، عندما بلغه استشهاد والده الإمام تركي[2] .

من هنا بدأت شخصية الأمير فيصل تتبلور وتبرز بشكل واضح لأن استشهاد والده رحمه الله ، كان في وقت جد خطير فكأن الأوضاع الخارجية المحيطة بالدولة هي التي ساهمت بشكل مباشر في اغتيال الإمام تركى بن عبد الله ، مما يعنى أن مهمة الأمير فيصل ستصبح أثقل حملا وأكثر تبعات[3].

وعلى أية حال فقد تلقى الأمير فيصل بن تركى خبر استشهاد والده رحمه الله عن طريق مملوك الإمام تركي « زويد العبد » الذي استطاع الهرب من الرياض والوصول إلى الأحساء لابلاغ فيصل بذلك[4] .

وسرعان ما فك الأمير فيصل بن تركي الحصار عن سيهات ، وعاد قافلا إلى الأحساء دون أن يخبر أحدا بوفاة والده ، وعند وصوله اليها دعا رؤساء

---

(١) صلاح الدين المختار : تاريخ المملكة العربية السعودية ، مجلد ١ ، ص ٢٥٩ .

(٢) د . عبد الفتاح أبو علية : الدولة السعودية الثانية ، ص ٢٩ ، محمود شاكر : البحرين، ص ٧٨.

(٣) مختارات من سجلات حكومة بومباى

S.R.B.G. No XXIV, P.P. 440 - 443.

(٤) محمد عبد الله الأحسائي : تحفة المستفيد بتاريخ الأحساء في القديم والجديد ، ص ١٥٠ .

جيشه وأعيانهم ، وأطلعهم الخبر ، وأنه لابد من الأخذ بثأر والده قبل كل شيء ، عندئذ أعطى الجميع عهود الطاعة والولاء للإمام فيصل بن تركي ، وقدم له أمير الأحساء عمر بن محمد بن عفيصان ما يحتاجه من السلاح والعتاد ، فعاد فيصل مسرعا إلى الرياض ، ونزل قريبا منها في التاسع عشر من شهر محرم سنة ١٢٥٠ هـ / ٢٨ مايو سنة ١٨٣٤ م[١] .

بدأ الإمام فيصل بن تركى في رسم خطته العسكرية للقضاء على مشارى بن عبد الرحمن وأعوانه ، ولأنه يدرك أن أهل الرياض غير راضين عن ما فعله مشارى ، طلب من أهلها الذين معه الدخول إلى البلد ليلاً ، والسيطرة على البروج والبيوت المقابلة للقصر ، وفعلا تم ذلك ليلاً ، وبِصَمْتٍ مقصود من أهل الرياض الذين أرغمهم مشارى للخدمة معه ومبايعته[٢] .

سيطر الأمام فيصل وجنوده على زمام المبادرة ، وبدأوا في حصار مشارى وأعوانه ، واصلاء نار الحرب عليهم ، حتى اضطر الرجال الذين كانوا مع مشارى ، داخل القصر من سبيع وغيرهم إلى طلب الأمان من الإمام فيصل عن طريق سويد بن على ، رئيس جلاجل[٣] ، الذي كان معهم في

---

(١) عثمان بن بشر : عنوان المجد في تاريخ نجد ، جـ ٢ ، ص ٥٠ ـ ٥١ .

د . محمد عرابي نخلة : تاريخ الأحساء السياسي ، ص ٦٤ .

(٢) عثمان بن بشر : عنوان المجد في تاريخ نجد ، جـ ٢ ، ص ٥١ .

(٣) جُلاَجِل : بلدة من بلدان سدير ، الناحية المعروفة في نجد ، وأشهر سكنة جلاجل آل سويد من قبيلة الدواسر. عثمان بن بشر : عنوان المجد في تاريخ نجد ، جـ ١ ، هامش ٤٦٧ ، تحقيق عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ .

القصر ، وكان عددهم حينذاك مائة وأربعون رجلا ، فأعطاهم الإمام فيصل الأمان ، إلا من شارك في قتل الإمام تركي[1] ، عندئذ طلب سويد بن على منحه امارة جلاجل لكى يتعاون مع الإمام فيصل ضد مشارى[2] ، وعندما تم له ذلك ، قام برمى الحبال إلى رجال الإمام فيصل لكى يصعدوا إلى القصر ، وفعلا استطاعوا الوصول إلى وسط القصر ، وهجموا على مشارى وأعوانه في مكانهم ، وعددهم ستة رجال فقتلوهم ، وأخرجوهم خارج القصر ليراهم الناس[3] ، ودخل الإمام فيصل بن تركي القصر ، وتولى أمور الحكم ، وجددت له البيعة من جنوده ومن أهل الرياض وعلمائها في شهر صفر سنة ١٢٥٠ هـ / يونيو سنة ١٨٣٤ م[4] .

افتتح الإمام فيصل عهده في الامامة بالكتابة إلى قضاة دولته ، ورؤساء القبائل والأقاليم في جميع النواحي ، مستدعيا اياهم اليه في العاصمة الرياض ، حيث مكثوا لديه ما يقارب شهرا كاملا ، تدارس معهم خلاله أوضاع بلدانهم ، والواجبات المنوطة بهم تجاهها ، ثم أبدى لهم مرئياته ، وشرح لهم سياسته الجديدة ، التي تنطلق من الشريعة الإسلامية ، وأنه سوف ينهج نهج آبائه وأجداده من قبل ، ثم حثهم في نهاية هذا المؤتمر الهام على السمع والطاعة ، وأداء الزكاة ، وحفظ فروض الشريعة الإسلامية ، والحرص على أرواح وممتلكات الرعية ، بعد أن جددوا له البيعة والولاء[5] .

---

(١) عثمان بن بشر : المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ٥١ .

(٢) د . عبد الفتاح أبو عليه : الدولة السعودية الثانية ، ص ٣١ .

(٣) عثمان بن بشر : عنوان المجد في تاريخ نجد ، جـ ٢ ، ص ٥٢ .

(٤) د . عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم . محمد على وشبه الجزيرة العربية ، ص ٢٧٨ .

(٥) د . عبد الفتاح أو عليه : الدولة السعودية الثانية ، ص ٣٥ .

وهو بهذا يؤكد العزم والاصرار على تثبيت دعائم دولته وأركانها ، بعد أن شارك في دور التأسيس لتلك الدولة في عهد والده الشهيد تركى بن عبد الله بن محمد بن سعود .

وقد واجه الإمام فيصل في بداية حكمه بعض الاضطرابات التي وقعت بين أهل وادى الدواسر(١) ، فتصدى لها الامام فيصل بقوة كبيرة ، تحت قيادة أحمد بن عبد الله بن عياف ، الذي سار بجنده إلى هناك ، وأقام قرابة شهر اشتبك خلاله في عدة وقعات حربية ، أدت في نهاية الأمر إلى حضور رؤساء أهل الوادى إلى الإمام فيصل مقدمين له الطاعة والولاء(٢) ، إلا أن بعض قبيلة الدواسر ، لم يقدم الولاء للإمام ، فسار هو بنفسه اليهم وأدبهم ، وأعادهم للإنضواء تحت مظلة الدولة ، وأخذت الزكاة منهم ، ومن مَنْهُم على شاكلتهم من العربان الذين رفضوا دفع الزكاة لعمال الإمام(٣) .

وسار بعد هذه الوقعة إلى بلدة الشعرا(٤) ، ومكث فيها أربعين يوما ، يبعث عماله إلى القبائل لأخذ الزكاة منهم ، في الوقت الذي كان فيه الفقهاء والعلماء

---

(١) يبعد عن الرياض جنوبا سبعمائة كيلو متر ، ويعتبر ملتقى لطرق عسير ونجران والرياض وعالية نجد وجنوبها .

عبد الله بن خميس : معجم اليمامة ، جـ ١ ، ص ٤٥٠ .

(٢) عثمان بن بشر : عنوان المجد في تاريخ نجد ، جـ ٢ ، ص ٦٦ ـ ٦٧ .

(٣) صلاح الدين المختار : تاريخ المملكة العربية السعودية ، مجلد ١ ، ص ٢٨٠ .

(٤) بلدة تقع في عالية نجد ، قرب بلدة الدوادمي ، وغالب سكانها من قبيلة بني زيد .

عثمان بن بشر : عنوان المجد في تاريخ نجد ، جـ ٢ ، هامش ص ١٣٣ ، تحقيق عبد الرحمن آل الشيخ .

يلقون الدروس والمواعظ على الناس كل يوم بعد صلاة العصر وبحضور زعماء العشائر والقبائل[1] ، فكأنه بذلك قرن الدين بالدنيا ، يحارب العاصى والمتمرد ، ويرشد طالب العلم والمعرفة .

وعندما بلغ الإمام وهو في مقره ذاك أن بعض عربان قحطان قد رفضوا دفع الزكاة ، وهربوا من أمام عماله المكلفين بتحصيلها ، سار هو بنفسه وبقوة من جنوده وقاتلهم ، وغنم منهم كثيرا من الإبل والغنم والمتاع ، ثم عاد إلى مقره في الشعرا[2] .

وقد كان لهذا الاصرار وهــذه العزيمـة التي أبداهــا الإمام فيصل في تلك النواحـي أثر إيجـابي في استقـرار الدولـة[3] ، إذ سرعان ما تقـدم رؤساء القبائل ، أمثال محمد بن فيصل الدويش أمير قبيلة مطير ، ومحمد بن قرملة أمير قبيلة قحطان ، وبعضا من رؤساء قبيلة الدواسر ، وغيرهم من رؤساء القبائل ، أتوا اليه ليقدموا فروض الولاء والاخلاص ، وبايعوا على دين الله ورسوله والسمع والطاعة[4] .

---

(١) عثمان بن بشر : عنوان المجد في تاريخ نجد ، جـ ٢ ، ص ٦٧ .

سنت جون فلبى : تاريخ نجد ، ص ١٩٦ .

(٢) صلاح الدين المختار : تاريخ المملكة العربية السعودية ، المجلد ١ ، ص ٢٨٠ ــ ٢٨١ .

(٣) د . عبد الفتاح أبو عليه : الدولة السعودية الثانية ، ص ٣٦ .

(٤) د . عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم : محمد على وشبه الجزيرة العربية ، ص ٢٨٠ .

وقام الإمام فيصل خلال إقامته في بلدة الشعرا ، وفي أول سنة ١٢٥١ هـ ـ ١٨٣٥ م ، باجراء تعديلا إداريا في اقليم جبل شمّر[١] ، إذ قام بعزل صالح بن عبد المحسن بن علي ، وتعيين عبد الله بن علي بن رشيد بدلا منه[٢] ، وقد كان ابن رشيد أحد قادة الإمام فيصل الأوفياء ، وشارك معه أثناء معارك الأحساء عندما كان قائدا لجيوش والده الإمام تركي ، كما لعب ابن رشيد دورا بارزا في قتل مشارى بن عبد الرحمن ، الذي اغتال الإمام تركي ابن عبد الله .

ولا شك أن هذا الاجراء الذي اتخذه الإمام فيصل يعتبر ذا مدلول سياسي كبير ، فهو يعرف ابن رشيد عن قرب ، ولديه المام كامل عن مدى اخلاصه له ، وولائه لدولته ، إضافة إلى أن هذا التغيير سيعيد الأمن والاستقرار إلى ذلك الاقليم[٣] ، خاصة وأنه قد أرسل مع ابن رشيد أحد علمائه الأفاضل وهو القاضي عبد العزيز بن عثمان بن عبد الجبار .

---

(١) هو المعروف في معاجم البلدان : بجبل طى ، وهو يقع شمال المملكة ، ويبعد عن الرياض مسافة ثمانمائة كيلو متر ، وعاصمته حائل .

عثمان بن بشر : عوان المجد في تاريخ نجد ، جـ ٢ ، هامش ص ١٤٥ ، تحقيق عبد الرحمن آل الشيخ .

(٢) عثمان بن بشر : عنوان المجد في تاريخ نجد ، جـ ٢ ، ص ٦٧ .

(٣) د . عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم : محمد على وشبه الجزيرة العربية ، ص ٢٨٠ .

ولما علم الإمـام فيصل بامتنـاع بعض العربان في روضة التنهات[1] ، عـن دفـع الزكـاة ، تقـدم بجنوده اليـهم سنة ١٢٥١ هـ / ١٨٣٥ م ، ونـزل في الروضـة ، فسارع العربـان المتمردون بدفــع الزكاة إلى عمال الإمام ، الذي بقى في روضــة التنهـات أكثر مـن شهـرين ، استقبل خلالها رؤساء العشائر والذين قدمـوا له الطاعة والـولاء ودفعـوا الزكاة ، ثم عـاد إلى الرياض بعد ذلك ، ليـدير من هناك شـئون الدولة ، ويبـعث إلى أنحـاء مـتفـرقـة من دولتـه العلمـاء والقضاة لإرشاد الناس في أمور دينهم[2] .

أمـا الطرف الشـرقي من بلاده ، والمتـمثل في اقليم الأحسـاء والمناطق التـابعة له ، فإن الإمـام فيصل لم يكن ليغفل عنه ، ومـهمتـه حيال الاضطرابات التي قـام بهـا العمـاير من بنى خـالد ، في عـهـد والده لم تنتـه إلـى حل مرض ، إضـافة إلى ما قام به الشيخ عبد الله بن أحمد شيخ البحرين وابنه مبارك ، أمير قلعـة الدمـام ، حين أقـدمـا على ضـم جـزيرة تاروت في خضـم الاضطراب الذي عاشته دولة الإمام فيصل ابان استشهاد والده[3] .

---

(١) التنهات : من النهاية ، لأنها تنتهى اليها أودية كثيرة ، وهي من أجمل رياض نجد وأخصبها ، وتبعد عن الرياض نحوا من مائة وخمسين كيلو متر جهة الشمال الشرقي .

عبد الله بن خميس : معجم اليمامة ، جـ ١ ، ص ٢٠٥ ـ ٢٠٨ .

(٢) عثمان بن بشر : عنوان المجد في تاريخ نجد ، جـ ٢ ، ص ٦٨ ـ ٦٩ .

صلاح الدين المختار . تاريخ المملكة العربية السعودية ، مجلد ١ ، ص ٢٨٥ .

(٣) ج . ج . لوريمر : دليل الخليج ، القسم التاريخي ، جـ ٣ ، ص ١٦٣٧ .

د . محمد عرابي نخلة : تاريخ الأحساء السياسي ، ص ٦٤ .

أضف إلى ذلك وصول التاجر البحريني عبد الله بن مشارى سنة ١٢٥١ هـ / ١٨٣٥ م ، قادما من مكة المكرمة ، يحمل رسائل من أحمد باشا يكن والى الحجاز من قبل محمد على باشا في مصر ، إلى سلطان مسقط ، وشيخ البحرين ، والإمام فيصل بن تركي ، تفوضه الالتزام بعائدات الأحساء ، وإدارة الأمور في الأقليم باسم والى الحجاز[١] .

ولكن الإمام فيصل بن تركي لم يعترف بهذا المندوب ومهمته ، بل أمر عامله هناك عمر بن محمد بن عفيصان ، بضرورة اخضاع المتمردين في الاقليم ، وطرد عبد الله بن مشاري هذا ، الذي غادر المنطقة قبل أن يطرد منها بالقوة ، عندما علم بزحف القوات السعودية اليه[٢] .

وقد عمل الإمام فيصل على توطيد الأمن والاستقرار في الاقليم الشرقي من مملكته ، حين أرسل في ربيع الآخر سنة ١٢٥١ هـ / يوليه ـ أغسطس سنة ١٨٣٥ م ، زويد العبد ، على رأس قوة كبيرة من جنوده ، للقضاء على الاضطرابات فيها ، فلما وصل زويد إلى القطيف وسيهات ، قام ببعض العمليات الحربية الناجحة ، واستطاع بذلك أن يعيد الأمن والاطمئنان

---

(١) مختارات من سجلات حكومة بومباى

S. R. B. G. No. XXIV, P.P. 442 - 443.

ج . ج . لوريمر : المرجع السابق ، جـ ٣ ، ص ١٤٣٥ .

جون . ب . كيلي : بريطانيا والخليج ، جـ ١ ، ص ٥٠٠ .

(٢) د . محمد عرابي نخلة : تاريخ الأحساء السياسي ، ص ٦٥ .

ج . ج . لوريمر : دليل الخليج ، القسم التاريخي ، جـ ٣ ، ص ١٤٣٦ .

للاقليم المذكور ، ثم عاد إلى الرياض وبصحبته ابن أمير القطيف ابن غانم وأمير سيهات ابن عبد الرحيم ، اللذان بايعا الإمام فيصل على السمع والطاعة ، وبذلك أصبحت منطقة نجد والأحساء والقطيف وجبل شمر ، خاضعة بشكل مباشر للإمام فيصل بن تركى[١] .

وقد عين الإمام فيصل على بن عبد الله بن غانم خلفا لأبيه في رئاسة القطيف ، ولكنه قُتِل بمؤامرة من وكيل بيت المال الذي قُتِل هو الآخر بعد فترة وجيزة[٢] ، ورغم ذلك استمرت القطيف تدين بالولاء للإمام فيصل بن تركي .

أما فيما يتعلق بالساحل العمانى فقد مارس الإمام فيصل نفس النفوذ الذي كان لوالده في البريمى وساحل عمان ، وبعث بوالٍ من قبله هو سعد بن مطلق المطيرى ، الذي دعم الوجود السعودي في الاقليم ، وأقام حصنا جديدا للحامية السعودية في البريمي ، وأصبح ذو نفوذ في المنطقة[٣] .

ومع أن أولاد عبد الله بن خليفة قد وفدوا على الإمام فيصل عندما كان مقيما بروضة التنهات ، حيث وجدوا منه كل اكرام واجلال ، وعادوا إلى بلادهم معززين مكرمين[٤] ، إلا أن شيخ البحرين استمر في عناده ، واستمر

---

(١) عثمان بن بشر : عنوان المجد في تاريخ نجد ، جـ ٢ ، ص ٦٨ .

الأمير ضارى بن فهيد الرشيد ، نبذة تاريخية عن نجد ، ص ٣٣ .

(٢) محمد سعيد المسلم : ساحل الذهب الأسود ، ص ١٨٤ .

محمود شاكر : البحرين ، ص ٧٩ .

(٣) د . عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم : محمد على وشبه الجزيرة العربية ، ص ٣٥٢ ـ ٣٥٣.

(٤) عثمان بن بشر : عنوان المجد في تاريخ نجد ، جـ ٢ ، ص ٦٩ .

في حصار مينائي القطيف والعقير[1] ، واشتبك مع الوالى السعودي في الأحساء عمر بن محمد بن عفيصان في عدة معارك[2] .

من هنا أدرك الإمام فيصل أنه لا بد من التعاون مع مسقط لاخضاع البحرين ، لا سيما وهو يدرك أطماع سلطان مسقط في البحرين[3] ، وكلف عامله على الأحساء بوجوب التعاون مع سلطان مسقط لهذه الغاية ، التي قد تفيد الطرفين ، ولكن سلطان مسقط كان أضعف من أن يتعاون مع الدولة السعودية ، لأنه لا يستطيع استخدام قواته البحرية إلا بإذن مسبقة من الحكومة البريطانية[4] .

عندها عول الإمام فيصل على استخدام قوته الخاصة لاخضاع البحرين لنفوذه ، ولكن الأحداث التي بدأت تخيم على المنطقة والمتمثلة في التهديد الايراني ، الذي أرسله حاكم شيراز إلى شيخ البحرين سنة ١٢٥٢ هـ ـ ١٨٣٦ م ، طالبا منه اعلان التبعية لايران ، أجبرت شيخ البحرين على انهاء نزاعة مع الدولة السعودية ، عارضا على الإمام فيصل استعداده لرفع الحصار عن سواحل الأحساء ، ودفع جزية سنوية ، والانضواء

---

(١) العُقَيْر : يقع ميناء العُقَيْر في اقليم الاحساء ، على بعد حوالى ٦٤ ميلا جنوب شرق مدينة القطيف .

حمد الجاسر : المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية ، المنطقة الشرقية ، القسم الثالث ، ص ١١٧٤ ـ ١١٨٢ .

(٢) ج . ج . لوريمر : دليل الخليج ، القسم التاريخي ، جـ ٣ ، ص ١٤٣٥ .

(٣) د . محمد عرابي نخلة : تاريخ الأحساء السياسي ، ص ٦٦ .

(٤) ج . ج . لوريمر : المرجع السابق ، جـ ٣ ، ص ١٦٣٧ .

تحت لواء دولـتـه لحمايتـه من أي تـهـديـد خـارجي[1] ، وقد تقبل الإمام فيصل هذا العرض بشعور نبيل ، خـاصـة وهـو يدرك بثـاقب نظره السيـاسي مدى الآثار التي يسـبـبـهـا حـصـار موانيء اقليم الأحساء على اقتصاد دولته إضافة إلى احساسه بالتحركات المريبة لقوات محمد على في الحجاز ، صـوب نجد ، ومنذ ذلك الوقت أصبحت البحرين تخضع بشكل مباشر لنفوذ الإمام فيصل ودولته[2] .

ولم يكن اهتمام الإمام فيصل باعادة بناء دولته ، مقتصرا على اقليم معين دون آخر ، كما أن أهدافه وطموحاته كانت كبيرة في اعادة هذا البناء، وليس أدل على ذلك مما قام به أهل عسـيـر ، حين أرسلوا إلى الإمام فيصل كثيرا مما كسبوه من الأسلحة والخيول بعد انتصارهم في المعارك الحربية التي خاضوها مع أحمد باشا وشريف مكة سنة ١٢٥١ هـ ـ ١٨٣٥ م[3] ، ليؤكدوا بذلك خضوعهم وولائهم للإمام فيصل ، وأنهم يفضلون الانضواء تحت لواء دولته والتعاون معه ضد جيوش محمد على في الحجاز التي يقودها أحمد باشا يكن[4] .

---

(١) ج . ج . لوريمر : دليل الخليج ، القسم التاريخي ، جـ ٣ ، ص ١٢٩٨ ـ ١٢٩٩ ، ١٤٣٦ ، ١٦٣٧ ، د . فائق حمدى طهبوب : تاريخ البحرين السياسي ، ص ١٣٣ ـ ١٣٤ .

(٢) وثيقة رقم ٧ أصلية و ٥٠ حمراء ، محفظة ٢٦٧ عابدين ، محافظ الحجاز رقم ٧ ، دار الوثائق القومية بالقاهرة .

(٣) عثمان بن بشر : عنوان المجد في تاريخ نجد ، جـ ٢ ، ص ٦٨ .

(٤) د . عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم : محمد على وشبه الجزيرة العربية ، ص ١٦٠ ـ ١٦١ .

أدرك والــي العــراق مـن قبـل الدولـة العثمانيـة أهميـة هـذا التعاون بـين الإمــام فيصل وأهــل عــسير ، فبدأ في تتبــع أخبار اقليم عسير عن طريق الإمـام فـيصل بن تركي[1] ، ومع هـذا فـإن التطورات الســريعـة لتلك الأحـداث في اقليم الحجاز وعسير ، قد جعلت الإمام فيصلا يرقبهـا بعناية شديـدة ، خاصـة بعـد ما أحس أن محمد على باشا ـ والى مصر ـ قد بدأ يفكر في معاودة نشاطه في شبه الجزيرة العربية ، وكأنه يعلن عن عودة الصدام المسلح بين والى مصر والدولة السعودية الثانية[2] .

لا سيما وأن الإمام فيصل كان قد تمكن من طرد عبد الله بن مشارى الذي أرسل مـن قبل أحمد باشا يكن والى الحجاز ، ليتولى اقليم الأحساء باسم الوالى المذكور[3] ، الذي يتبع حكومـة محمـد على في مصـر ، وكذلك رفض الإمام فيصل المشاركة مع جيوش والى الحجاز في حملته على عسير[4] .

إلا أن الإمــام فيصل رأى في هــذه الحالة ، والوضع على تلك الصورة أن يلجــأ إلى أسلوب المهادنــة واللين ، علــه بذلك يتجنــب الصدام الحــربي مع جيوش الباشا ، فأرسل أخــاه جلوى بن تركي إلى والى الحجــاز أحمد

---

(١) محفظة رقم ٢٦٤ عابدين ، محافظ الحجاز رقم ٥ ، المرفق العربي بالوثيقة التركي رقم ٦٦ حمراء ، دار الوثائق القومية بالقاهرة .

(٢) د . عبد الفتاح أبو عليه : الدولــة السعوديــة الثانيـة ، ص ٣٧ ، بنـو اميشـان : عبد العزيز آل سعود ـ سيرة بطل ومولد مملكة ، ص ٣٧ .

(٣) جون . ب . كيلي : بريطانيا والخليج ، جـ ١ ، ص ٥٠٠ .

(٤) د . فائق حمدى طهبوب : تاريخ البحرين السياسي ، ص ١٧٤ ، د . محمد عرابي نخلة : تاريخ الأحساء السياسي ، ص ٦٧ .

باشا يكن ، ومعه بعض الهدايا ، مبديا له استعداده في تدعيم علاقة الصداقة معه ومع حكومته ، وشارحا له صعوبة المرحلة التي تعيشها دولته في طور البناء والتشييد ، ولكن الباشا لم يقتنع بذلك ، فأوحى إلى جلوى بشيء من تعليمات محمد على ، القاضية بتعيين خالد بن سعود حاكما على نجد ، لأنه سيخضع لحكومة محمد على ، ويدين لها بالولاء ، فعاد الأمير جلوى إلى أخيه الإمام فيصل ليطلعه على تلك التفاصيل الغير مطمئنة[1] .

عندما وصلت القوات المصرية التي يقودها إسماعيل أغا وخالد بن سعود إلى ينبع في سنة ١٢٥٢ هـ / ١٨٣٦ م ، في طريقها إلى نجد ، قام الإمام فيصل بارسال محمد بن ناهض الحربي رئيس قصر بسام ، ومعه بعض الهدايا في محاولة أخيرة للتفاهم مع قادة هذه القوات ، ولمعرفة امكانياتهم وأعداد قواتهم ، وعندما عاد مندوب الإمام فيصل بالخبر اليقين ، وأكد أن تلك القوات التي يبلغ عددها نحو ألفي جندي بين فارس وراجل ، قد اتخذت طريقها إلى القصيم ، مرورا بالمدينة المنورة والحناكية[2] ، عندئذ قرر الإمام فيصل بن تركي ، المسير بجنوده للتصدى لهذه الحملة قبل

---

(١) مختارات من سجلات حكومة بومباى

S. R. B. G. No. XXIV, P.P. 443 - 445.

ج . ج . لوريمر : دليل الخليج ، القسم التاريخي ، جـ ٣ ، ص ١٦٣٦ .

(٢) تقع الحناكية على جانب الخط الأيمن للمتجه من القصيم إلى المدينة المنورة وتبعد عن المدينة مائة وخمسة عشر كيلو متر ، ويوجد بها الآن مزارع ونخيل وبعض القرى ، وقد سكنها جماعة من بنى عمرو من قبيلة حرب وغيرهم .

عثمان بن بشر : عنوان المجد في تاريخ نجد ، جـ ١ ، هامش ص ٣٨٤ ، تحقيق عبد الرحمن ابن عبد اللطيف آل الشيخ .

وصولها اليه ، ونزل في رياض الخبرا[1] ، بينما إسماعيل أغا وخالد بن سعود قد نزلوا في الرس ، واستمرت المواجهة بين الفريقين دون حدوث معارك حاسمة ، لمدة عشرين يوما[2] ، إلا أن الإمام قد أخذ بمشورة بعض رجاله، في ضرورة تأديب بعض العربان الذين انضموا إلى جانب إسماعيل بك ، والمسير إلى عنيزة للتحصن فيها ، وفعلا وصلها في ٢٥ ذى الحجة سنة ١٢٥٢ هـ / ١٢ أبريل سنة ١٨٣٧ م[3] .

لكن هذا التكتيك العسكرى كان في غير مصلحة الإمام فيصل ، إذ سرعان ما تفرق عنه كثير من جنوده ، ومؤيديه ، فقفل راجعا إلى الرياض ، في الوقت الذي دخل فيه خالد بن سعود وإسماعيل أغا مدينة عنيزة[4] .

كان الإمام فيصل في رجوعه إلى الرياض حذرا في تصرفاته ، فأنزل الخيام والأثقال خارج المدينة ، ودخلها على الخيل ليستطلع سلوك أهلها تجاهه ، وقد وجد شيئا من الجفوة والريبة ، فتدارك الأمر ، وخرج

---

(١) تقع على الضفة الشمالية لوادى الرُمّة ، وهي إحدى البلدان الكبيرة في منطقة غرب القصيم ، ومن أقواها زراعة ، ويمر بها خط الاسفلت المتجه من بريدة إلى المدينة المنورة على بعد ٧٤ كيلو متر من بريدة .

محمد بن ناصر العبودى : المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية ، بلاد القصيم ، القسم الثالث ، ص ١٠٨٣ ـ ١٠٨٤ .

(٢) عثمان بن بشر : عنوان المجد في تاريخ نجد ، جـ ٢ ، ص ٦٩ ـ ٧٠ .

(٣) عثمان بن بشر : عنوان المجد في تاريخ نجد ، جـ ٢ ، ص ٧٠ .

(٤) محمد بن عمر الفاخرى : الأخبار النجدية ، ص ١٧٣ .

بأموالـه وسلاحـه مـن القصر[1] ، واتجه إلى الخرج[2] ليقرر من هناك ما يجب عليه فعله تجاه هذه الأحداث التي أحاطت به .

وبعد أن أقام عشرة أيام كاملة في الخرج ، تمكن خلالها من دراسة الموقف من جميع جوانبه ، واستطاع استدعاء بعض أهله وأشياء من متاعه كانت في الرياض عند رحيله منها ، رحل إلى الأحساء في شهر محرم سنة ١٢٥٣ هـ / ١٨٣٧ م ، وعند وصوله إلى الأحساء كان في استقباله عامله عليها عمر بن عفيصان ورؤساء وأعيان الاقليم ، الذين رحبوا به ، وجددوا له البيعة والولاء ، كما وفد عليه رؤساء بعض القبائل من مطير والعجمان والسهول وسبيع ، وقدموا له فروض الطاعة[3] .

بذلك اتخذ الإمام فيصل بن تركي الأحساء قاعدة لعملياته الحربية والسياسية ، وبدأ منها يرقب الأحداث التي تجرى في وسط نجد على يد خالد بن سعود وإسماعيل أغا ، اللذين استبشرا بخروج الإمام فيصل من الرياض ، ليدخلاها في شهر صفر سنة ١٢٥٣ هـ / ١٨٣٧ م[4] .

---

(١) عثمان بن بشر : المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ٧١ .

(٢) أخصب اقليم في اليمامة ، وتبعد عن الرياض أكثر من ثمانين كيلو متر وتقع جنوبها بميل قليل إلى الشرق ، وأرضها رملية طينية ، وبها عيون كثيرة ، وقاعدتها الدُلم .

عبد الله بن خميس : معجم اليمامة ، جـ ١ ، ص ٣٧١ ـ ٣٧٨ .

(٣) عثمان بن بشر : عنوان المجد في تاريخ نجد ، جـ ٢ ، ص ٧١ ـ ٧٢ .

د . عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم : محمد علي وشبه الجزيرة العربية ، ص ٢٨٦ .

(٤) مختارات من سجلات حكومة بومباي

S. R. B. G. No. XXIV, P.P. 444 - 445.

محمد عمر الفاخري : الأخبار النجدية ، ص ١٧٣ .

ورغم أن خالد بن سعود قد أعلن امارته في البلاد ، وطلب من مختلف الاقاليم تقديم البيعة له ، إلا أن أهل الحوطة والحريق[1] ، رفضوا تقديم البيعة له ، حتى يرحل العساكر المصرية من نجد[2] ، مما أغضب إسماعيل أغا ، ليخرج لهم بجيوشه الكثيرة في شهر ربيع الأول من نفس العام ، بيد أن المعركة انتهت بهزيمة إسماعيل أغا وخالد بن سعود وجنودهما[3] .

أما الإمام فيصل بن تركى الذي كان مقيما في الأحساء ينظم قواته ويرسم الخطة الكفيلة بنجاحه ، في أي معركة قادمة مع أعدائه[4] ، فقد غمرته الفرحة والبشرى عندما علم بهزيمة إسماعيل أغا وجنوده في معركة

---

(١) حَوْطة بنى تَميم أو حوطة الجنوب تمييزاً لها عن حوطة سدير في شمال اليمامة ، وتبعد عن الرياض حوالى ١٥٠ كيلو متر شطر الجنوب .

الحَرِيق : بلدة في أعلى وادى نعام ، عامرة بالسكان والنخيل والمزارع ، وقد ذكرها الهمدانى في كتابه .

عبد الله بن خميس : معجم اليمامة ، جـ ١ ، ص ٣١٢ ، ٣٥٤ .

(٢) د . محمد عرابي نخلة : تاريخ الأحساء السياسي ، ص ٦٩ .

(٣) إبراهيم بن صالح بن عيسى : تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد ، ص ١٦٣ .

محمد بن عمر الفاخرى : الأخبار النجدية ، ص ١٧٣ ـ ١٧٤ .

(٤) د . عبد الفتاح أبو عليه : الدولة السعودية الثانية ، ص ٤٤ .

الحلوة[1] ، التي خاضها مع أهـل الحوطـة والحريق هو وخالد بن سعود ، وأراد عندئذ أن يستغل هذا الوضع الذي أحاط بالقوات المصرية ، فخرج من الأحساء على رأس قوات كبيرة من أتباعه وجنوده ، واتجه إلى الخـرج ، حيث استنفر أهـل الحوطـة والحريـق ومـن يليهم من تلك الجهات ، فلبوا النداء وانضموا إلى قواتـه ، وكان معهـم الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ ، وسار بهم الإمام فيصل لينتصر على خالـد بن سعـود وأهـل الرياض في أول معركة بينهم في المصانع ، ثم في منفوحة[2] ، التي أعطاها الإمام فيصل الأمان بعد أن صالحه أهلها وبايعـوه ، ثم تقـدم الإمام فيصل بن تركي بجنـوده ليضرب الحصار القوى على الرياض في أول يوم من جمادى الثاني سنة ١٢٥٣ هـ ، السابع من سبتمبر سنة ١٨٣٧ م[3] .

---

(١) الحَلْوَة : البلدة الثانية في حوطة بنى تميم بعد الحِلّة ، وأعلى بلدة في وادى بُرَيْك ، ولأهل الحلوة موقف مشرف في حادثة سنة ١٢٥٣ هـ حينما غزا خالد بن سعود وإسماعيل أغا الحوطة والحلوة ، وقفوا موقف الأبطال وزلزلوا الغزاة زلزالا شديدا .

عبد الله بن خميس : معجم اليمامة ، جـ ١ ، ص ٣٣٨ .

(٢) المَصَانِعَ : ضاحية من ضواحي الرياض ، ذات نخيل ومزارع ، ينفرج عنها وادى حنيفة غربا وشرقا ، ويسقى نخيلها ومزارعها .

مَنْفُوحة : قرية مجـاورة لمدينة الرياض جنوبيها ، وتقع في مثلث ضلعاه الشرقي والغربي واديا « الوِتْر ـ البطحاء الآن ، وحنيفة » ، اللذان يلتقيان ، بعد منفوحة مباشرة في رأس الزاوية الجنوبية ، وقاعدته القف الذي يقع بين منفوحة والرياض ، والذي أصبح الآن حياً مترامى الأطراف ويطلق عليه اسم منفوحة .

عبد الله بن خميس : المرجع السابق ، جـ ٢ ، ص ٣٧٠ ، ٣٩٧ ـ ٤٠٠ .

(٣) عثمان بن بشر : عنوان المجد في تاريخ نجد ، جـ ٢ ، ص ٧٤ ـ ٧٥ .

إبراهيم بن صالح بن عيسى : تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد ص ١٦٣ .

واستمر الحصار الذي فرضه الإمام فيصل على الرياض مدة تربو على شهرين ، وصلت خلالها إلى جيوش الإمام فيصل تعزيزات كبيرة من أهل المحمل وسدير[١] ، ولكن طول الحصار ، وسأم الجنود منه ، ثم ما صاحب ذلك من تدخلات بعض القبائل الموالية لأهل الرياض ، والقوات المصرية الْمُحَاصِرَة ، من قبائل سبيع وقحطان ، جعل الإمام يفك الحصار عنها في الثاني عشر من شهر شعبان سنة ١٢٥٣ هـ ، الحادى عشر من نوفمر سنة ١٨٣٧ م ، ويتجه إلى منفوحة[٢] .

وقد حاول الإمام فيصل أن يجرى مفاوضات سلمية مع خالد بن سعود لكى يحمى المنطقة من ويلات الحرب والهلاك ، مؤكدا له أن « أهل نجد لا يرضون بولاية الترك ولا أتباعم »[٣] ، ولكن يبدو أن خالدا لم يكن يملك من اتخاذ القرارات ما يفاوض عليه ، فتجددت الحرب بين الجانبين[٤] .

---

(١) المِحْمَل : اقليم من أقاليم العارض ، وقاعدته ثادق .

سُدَيْر : من أكبر أقاليم اليمامة ، شماليها ، تنحدر أوديته من ظهر طويق ، ويحد اقليم سدير من الجنوب العَتْك ، ومن الغرب مرتفعات جبل طويق ومنحدراته الغربية ، ومن الشمال المرتفعات والقفاف المشرفة على روضة السُّبلة وما حولها شرقا وغربا ، ومن الشرق جبل مُجزِّل ، وقاعدة اقليم سدير المجمعة .

عبد الله بن خميس : معجم اليمامة ، جـ ٢ ، ص ١٨ ــ ٢٠ ، ٣٤٤ .

(٢) محمد بن عمر الفاخرى : الأخبار النجدية ، ص ١٧٤ .

عثمان بن بشر : عنوان المجد في تاريخ نجد ، جـ ٢ ، ص ٧٥ ــ ٧٦ .

(٣) عثمان بن بشر : المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ٧٦ .

(٤) محمد بن عمر الفاخرى : المصدر السابق ، ص ١٧٤ .

د . عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم : محمد على وشبه الجزيرة العربية ، ص ٢٩٩ .

ويبدو أن محمد على قد أحس بصعوبة الموقف الذي تمر به قواته في نجد ، والتي يقودها خالد بن سعود وإسماعيل أغا ، لا سيما وأنه بدأ في التطلع إلى تحقيق أهدافه في الجزيرة العربية ، بعد أن أصبحت حكومته في الشام تنعم بنوع من الاستقرار ، بعد معاهدة كوتاهية ـ الهدنة المسلحة ، ليحقق آماله في العراق عن طريق الجزيرة العربية ، كبديل للشام الذي لم تستطع حكومته هناك الانطلاق منه للعراق ، فقرر تعزيز هذه القوات بقوات جديدة ، يقودها خورشيد باشا(١) ، الذي أصبح هو القائد العسكرى العام في نجد(٢) .

وقد لجأ خورشيد باشا في بداية الأمر إلى أسلوب المخادعة والملاينة مع الإمام فيصل بن تركي ، الذي كان لا يزال مقيما في منفوحة ، ويخوض الحرب مع القوات المصرية في الرياض ، فبعث إليه الشريف عبد الله بن جباره حاكم ينبع في شهر شوال سنة ١٢٥٣ هـ / ١٨٣٨ م ، ومعه بعض الهدايا والوعود الخادعة(٣) .

---

(١) هو محمد خورشيد باشا ، قائد ألباني مستعرب ، جاء إلى مصر صغيرا وتعلم في مدارسها المدنية ثم العسكرية ، وكان في حملة محمد على باشا التي أرسلها إلى الحجاز أولا ، ثم أرسله محمد على هذه المرة إلى نجد لمساندة خالد بن سعود وإسماعيل أغا ، وقد عين بعد ذلك وكيلا للجهادية بمصر ، ثم مديرا للدقهلية ، وتوفى بالمنصورة سنة ١٢٦٥ هـ .

عثمان بن بشر : عنوان المجد في تاريخ نجد ، جـ ٢ ، هامش ص ١٥٧ ، تحقيق عبد الرحمن ابن عبد اللطيف آل الشيخ .

(٢) ج . ج . لوريمر : دليل الخليج ، القسم التاريخي ، جـ ٣ ، ص ١٦٣٦ .

(٣) عثمان بن بشر : عنوان المجد في تاريخ نجد ، جـ ٢ ، ص ٧٧ .

محمد بن عمر الفاخرى : الأخبار النجدية ، ص ١٧٤ .

استطاع مبعوث الباشا أن يوقف المعارك الحربية التي كانت تدور بين الإمام فيصل في منفوحة ، وبين القوات المصرية المُحَاصِرَة في الرياض ، ولم يعقب ذلك إلا رحيل الإمام فيصل إلى الدُّلَمْ[1] ، في شهر ذو القعدة من نفس العام ، وكأنه قد توصل إلى اتفاق مع مبعوث الباشا ، إذ أننا نراه قد بدأ في تدعيم نفوذه في مختلف الأقاليم ، فأرسل عمر بن عفيصان إلى الأحساء ، وحمد بن يحيى بن غيهب إلى عمان ، والزهيرى إلى وادى الدواسر ومحمد بن عبد الله بن جلاجل إلى الأفلاج[2] ، في حين أنه قد أرسل أخاه جلوى بهدايا من الخيل والجيش العمانيات إلى خورشيد باشا[3] .

يذهب بعض المؤرخين إلى أن أعوان الإمام فيصل هم الذين شككوا له في شروط الصلح مع الشريف عبد الله بن جبارة ، مندوب الباشا ، وأن قبوله حكم الأحساء فقط دون نجد خطأ جسيم ، لأن هذا الصلح مجرد خدعة من خورشيد باشا ، ليستولى على نجد ومن ثم الاتجاه إلى

---

(١) الدُّلَمْ : قاعدة اقليم الخرج قديما ، وكبرى مدنها ، وتبعد عن الرياض حوالى مائة كيلو متر .

عبد الله بن خميس : معجم اليمامة ، جـ ١ ، ص ٤٣٦ .

(٢) الأفلاج ، جمع فلج بالتحريك ، وهو الماء الجارى من العين أو النهر وهي منطقة عامرة بالسكان والعمران والنخيل في الجزء الجنوبي من اليمامة ، ويحد منطقة الأفلاج من الشمال الخرج والحوطة ، ومن الغرب جبل العارض ـ طويق والسليل ، ويحدها من الجنوب والشرق رمال الربع الخالي والدهناء ، وقاعدتها لَيْلَى ، وتبعد عن الرياض ٣٣٤ كيلو متر .

عبد الله بن خميس : المرجع السابق ، جـ ١ ، ص ٩٥ ـ ١٠٣ .

(٣) عثمان بن بشر : المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ٧٧ ـ ٧٨ .

الأحساء ومن هنا بدأ الإمام فيصل بن تركي في تدعيم نفوذه ، ولم يغادر الدلم إلى الأحساء(١) .

ولعلنا نستطيع أن نقول هنا أنه طالما أن الإمام فيصل قد أوفد أخاه جلوى إلى خورشيد باشا ، وبهدايا قيمة ، بعد مقابلة مبعوث الباشا بشهرونيف(٢) ، وأنه قد أبدى استعداده ، ورغبته في التعاون مع الباشا وحكومته(٣) ، فلماذا لا يكون الاخلال بالشروط قد تم من قبل خورشيد باشا ، الذي بدأ في المسير إلى نجد ، دون التقيد ببنود الصلح تلك التي أبرمت مع الإمام فيصل ، كما أن هناك قرينة واضحة في تلك الأحداث وهي أن الإمام فيصل وأعوانه لو أرادوا الاخلال بتلك الشروط التي جعلت الإمام ينسحب إلى الدلم ، لهاجموا الرياض قبل أن يصلها أي مدد من جيوش خورشيد باشا ، حتى أن الأمير جلوي بن تركى الذي أتى مع جيوش الباشا من المدينة المنورة إلى عنيزة لم يتأكد من النية المبيتة لدى خورشيد باشا تجاه حرب الإمام فيصل ، إلا بعد نزوله في عنيزة ، فتحايل على الباشا وهرب إلى أخيه في الخرج ، ليعلمه بسوء نية الباشا ، وأنه ينوى الحرب لا غيره(٤) .

---

(١) د . عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم : محمد على وشبه الجزيرة العربية ، ص ٣٠٠ .

د . عبد الفتاح أبو عليه : الدولة السعودية الثانية ، ص ٤٩ .

(٢) عثمان بن بشر : عنوان المجد في تاريخ نجد ، جـ ٢ ، ص ٧٧ .

(٣) وثيقة رقم ٣٣ أصلى و ٦٦ حمراء ، محفظة رقم ٢٦٤ عابدين ، محافظ الحجاز رقم ٥ ، دار الوثائق القومية بالقاهرة .

د . فائق حمدى طهبوب : تاريخ البحرين السياسي ، ص ١٧٦ .

(٤) عثمان بن بشر : عنوان المجد في تاريخ نجد ، جـ ٢ ، ص ٨١ .

ويبدو من سياق الأحداث أن خورشيد باشا ، كان آت لمهمة خاصة ، وهي الوصول إلى السواحل الشرقية لشبه الجزيرة العربية ، وتحقيق أهداف وطموحات محمد على باشا ، وقد أدرك خورشيد باشا ، الخطر الكبير الذي يمثله وجود الإمام فيصل بن تركى في المنطقة ، ليصبح حائلا دون تحقيق هذه الأهداف والطموحات ، حيث عبر عن ذلك في رسالته التي بعثها إلى صاحب الدولة في مصر ، في ٩ جمادى الآخرة سنة ١٢٥٤ هـ حين قال : « إن فيصلا المتقدم الذكر منذ ما فك حصار الرياض ، مقيم إلى الآن في الموضع المسمى ـ خرج[١] ـ الكائن فيما بين الحوطة والحريق وبين الرياض وأهالى هذه الجهات يوالونه ويحرضون سائر العربان على موالاته ، وأما الذين لا يوالونه في الظاهر فيمسكون الحبل من طرفيه ، على أن كل من في الطاعة من أهالى نجد ، حضريًها وبدويًها ، إنما هم في الطاعة رسميا ، والمفهوم أن هؤلاء إذا أسند اليهم أي عمل لا يقومون به بصدق واخلاص ما لم يزل وجود فيصل المار الذكر من الكون » ، ثم يبدى رغبته في تلك الرسالة إلى أنه أراد ارسال الشريف عبد الله برسالة إلى الإمام فيصل في مكان اقامته ، إلا أن مرض الشريف المذكور ، وتدهور الحالة الأمنية بين المدينة المنورة وينبع ، قد أدت إلى صرف النظر عن ذلك كما يقول[٢] .

---

(١) يقصد اقليم الخرج الذي يقع جنوب الرياض ، وسبق لنا تعريفه .

(٢) وثيقة رقم ٣٧ أصلى ، ١٩٧ حمراء ، محفظة ٢٦٤ عابدين ، محافظ الحجاز رقم ٥ ، دار الوثائق القومية بالقاهرة .

وعلى أية حال فقد تقدم خورشيد باشا بقواته ، ليصل عنيزة في آخر شهر صفر سنة ١٢٥٤ هـ / مايو سنة ١٨٣٨ م[١] ، ومنها اتجه إلى الرياض حيث التقى هناك بقوات خالد بن سعود وإسماعيل أغا ، التي كانت قابعة في الرياض ، تنتظر وصول الباشا وقواته اليها ، وفي شهر شعبان من نفس العام خرج خورشيد باشا ، وخالد بن سعود بجيوشهم الجرارة إلى الدلم ، التي يقيم فيها الإمام فيصل بن تركي ، واستعد الإمام لهذه القوات ودارت بينه وبينهم عدة معارك قوية ، ولكنها لم تحسم الأمر ، ثم قدم عمر بن عفيصان من الأحساء ونزل في السُّلَمِّيَّة[٢] ، وأرسل إلى الإمام يخبره بقدومه واستعداده للمساعدة ، وبالفعل دارت معركة حاسمة في السابع من شهر رمضان المبارك سنة ١٢٥٤ هـ ، بين جيوش الإمام وعمر بن عفيصان من جهة ، وجيوش خورشيد باشا وخالد بن سعود من جهة أخرى ، إلا أن الامدادات التي بدأت تتابع على جيوش الباشا من الرياض ، أوهنت من عزيمة جند الإمام ، فبدأ فيهم الخلل واختلاف الرأي ، وعندها أدرك الإمام فيصل صعوبة الموقف ، وطلب الصلح مع الباشا ، على أن يؤمن دماء وأموال أهل الدلم ، وعندما تم له ذلك ، خرج إلى الباشا ، وبقى عنده قرابة أربعة أيام ، رحل

---

(١) إبراهيم بن صالح بن عيسى : تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد ، ص ١٦٣ .

محمد بن عمر الفاخري : الأخبار النجدية ، ص ١٧٤ .

(٢) السُّلَمِّيَّة : إحدى بلدان الخرج الشرقية ، ويعتبر آل عفيصان من قبيلة عائذ رؤساء لبلدة السلمية منذ القدم .

عبد الله بن خميس : معجم اليمامة ، جـ ٢ ، ص ٢٩ .

بعدها إلى القاهرة في الثاني من شهر شوال سنة ١٢٥٤ هـ / ١٩ ديسمبر ١٨٣٨ م[١] .

وباستسلام الإمام فيصل بن تركى إلى خورشيد باشا ، انتهت مرحلة اعادة بناء الدولة التي قام بها الإمام فيصل ، وناضل من أجلها بكل ما أوتى من قوة[٢] ، تلك المرحلة التي أعقبت مرحلة التأسيس في عهد والده الإمام تركي بن عبد الله رحمه الله .

ولا شك في أن تلك المرحلتين كانتا تشكلان ازعاجا لحكومة محمد على في مصر[٣] ، مما جعلها تلجأ في نهاية الأمر إلى القضاء عليها بالقوة المسلحة .

وقد كان الإمام فيصل بن تركي من أعظم الأمراء همة وشجاعة ، فقد أجمع المؤرخون على أنه كان من الصفوة الممتازة ، ومن أتقى أئمة آل سعود ، فهو ميال للبحث والدرس ، محب للإطلاع والمعرفة ، حافظا للقرآن الكريم ، وكان يجمع بين اللين والشدة ، تغلب عليه الأريحية ودماثة الخلق في التعامل مع جلسائه[٤] .

---

(١) عثمان بن بشر : عنوان المجد في تاريخ نجد ، جـ ٢ ، ص ٨١ ـ ٨٤، محمد بن عمر الفاخري : الأخبار النجدية ، ص ١٧٤ ـ ١٧٥ ، الأمير ضاري بن فهيد الرشيد : نبذة تاريخية عن نجد ، ص ٣٤ ، د . عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم : محمد على وشبه الجزيرة العربية ، ص ٣٠٧ـ٣٠٩ .

(٢) د . محمد عبد الله ماضى : النهضات الحديثة في جزيرة العرب ، ص ٨٣ .

(٣) كارل بروكلمان : تاريخ الشعوب الإسلامية ، ص ٥٥٦ .

(٤) أحمد عبد الغفور عطار : صقر الجزيرة ، جـ ١ ، ص ٨٨ ، أمين سعيد : تاريخ الدولة السعودية ، ص ١٤٥ ، حافظ وهبة : جزيرة العرب في القرن العشرين ، ص ٢٣٢ ـ ٢٣٣ ، سنت جون فلبى : تاريخ نجد ، ص ١٩٤ .

ويكفيه فخرا أنه كان الساعد الأيمن لوالده أثناء مرحلة تأسيس الدولة السعودية الثانية ، والقائم على اعادة بناء الدولة بعد استشهاد والده ، رغم ما تعرض له من الصعاب والتحديات ، وسوف نراه يعود أخيرا إلى بلاده بعد خروج جيوش الباشا منها ، وبعد معاهدة لندن المعروفة سنة ١٢٥٦ هـ / ١٨٤٠ م ، ليعيد بناء الدولة ويرسي دعائمها ، على أسس متينة وصلبة ، بعد أن عركته الليالي والأيام ، وخرج منها يحمل زاد الحاكم السياسي الطموح ، الذي سيساعده على مجابهة الصعاب والأحداث ، وهو ما تم بالفعل على يد الإمام فيصل بن تركى بن عبد الله في مرحلة حكمه الثانية .

ومن هنا نقرر حقيقة تاريخية ثابتة تتمثل في تلك الجهود الجبارة التي قام بها الإمام فيصل بن تركي خلال فترة زمنية قياسية لا تتجاوز خمس سنوات ، استطاع خلالها اعادة بناء دولته ، لا سيما وأنه قد تسلم مقاليد الحكم في ظروف غير طبيعية ، كانت المنطقة خلالها تتأرجح على ما يشبه فم البركان الثائر ، ولكن الإمام فيصل وبعزيمة الأبطال ، استطاع بتوفيق الله أن يكمل ما بدأه والده العظيم .

ولأن الأوضاع الخارجية كانت أكبر من أن تتحملها المنطقة بشكل عام ودولة الإمام فيصل بشكل خاص ، وبالذات تلك الأحداث التي تجرى في الشام بين محمد على باشا والدولة العثمانية ، فقد أثرت بشكل مباشر على هذه الدولة وعلى الجزيرة العربية بشكل عام ، وهو ما سنتطرق اليه في الصفحات التالية من هذا البحث .

جـ - الموقف في الشام وأثره في تطور أحوال الدولة السعودية الثانية

عندما كان محمد على باشا - والى مصر - يأتمر بأوامر السلطان العثماني في أوائل القرن الثالث عشر الهجرى ، التاسع عشر الميلادي ، لم يتردد في شن الحرب على الجزيرة العربية ، وارسال الحملات العسكرية المتتابعة عليها ، والتي أدت في نهاية الأمر إلى سقوط الدرعية ، والقضاء على الدولة السعودية الأولى ، مما أدى إلى انتشار الفوضى والاضطرابات السياسية في ربوع الجزيرة العربية ، وبالذات في اقليم نجد .

تلك الاضطرابات التي لم تستطع حكومة الباشا القضاء عليها ، أو أنها لم تحاول ذلك ، مكتفية بوضع حاميات عسكرية في أنحاء متفرقة من المنطقة ، لتضمن التبعية الاسمية لها ، وبالتالى الحصول على الضرائب التي تذهب إلى خزينتها ، وقد لعبت الأحداث السياسية والعسكرية التي مرت بها حكومة محمد على في اليونان دورا ايجابيا في تخفيف قبضتها العسكرية على شبه الجزيرة العربية[(١)] ، ثم تكرر ذلك الحدث التاريخي أثناء حروب الشام الأولى التي خاضها محمد على ضد الدولة العثمانية[(٢)] ، وكأن الأحداث استمرت متتالية على حكومة الباشا لتشل حركته في شبه الجزيرة العربية ، وبالتالى افساح المجال أمام أئمة آل سعود لاعادة بناء دولتهم على أسس ثابتة وقوية ، وهذا ما سنلحظه أثناء

---

(١) د . فؤاد سعيد العابد : سياسة بريطانيا في الخليج العربي ، ص ١٢٢ ، أمين سعيد : تاريخ الدولة السعودية ، ص ١٤٦ .

(٢) د . عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم : محمد على وشبه الجزيرة العربية ، ص ٣٩٥ ، د . فؤاد سعيد العابد : المرجع السابق ، ص ١٢٢ - ١٢٣ .

استقرائنا لأهم الأحداث والأعمال القوية التي قام بها كل من : الإمام تركى بن عبد الله بن محمد بن سعود ، ونجله الإمام فيصل بن تركي ، في تأسيس وبناء الدولة السعودية الثانية ، التي كان قيام حرب الشام الأولى بين الدولة العثمانية ومحمد على فرصة ثمينة لها، لتعيد الأمن والاستقرار إلى ربوع الجزيرة العربية، ولتستعيد نفوذ أسرة آل سعود ، الذي قُضِي عليه بواسطة محمد على وجنود الدولة العثمانية .

وقد أدرك الإمام تركي بن عبد الله أن الحاميات المصرية التي تقبع في أنحاء متفرقة من اقليم نجد ، هي أعجز من أن تتصدى لعزيمته وطموحاته فأخذ على عاتقه مسئولية اخراجهم من المنطقة ، ليسترد ملك آبائه وأجداده وينشىءدولته[1] .

ثم استمر الإمام تركي في تدعيم نفوذه في مختلف أنحاء الجزيرة[2] ، وكأنه قد أدرك أن الحرب التي تجرى في الشام بين محمد على ، والدولة العثمانية ، هي لمصلحة الجزيرة العربية ، التي بدأت تتنفس الصعداء على يديه ، إذ أن الاستقرار قد بدأ يعود إلى ربوعها .

---

(١) أمين سعيد : تاريخ الدولة السعودية ، ص ١٤٦ .

د . محمد أنيس : الدولة العثمانية والشرق العربي ، ص ٢٣٤ .

د . عبد الله صالح العثيمين : حول كتاب الدولة السعودية الثانية للدكتور أبو عليه ... مجلة الدارة ، العدد الأول ، السنة الثالثة ربيع الأول سنة ١٣٩٧ هـ ، ص ٢٤٨ .

(٢) عثمان بن بشر : عنوان المجد في تاريخ نجد ، جـ ٢ ، ص ٤٢ .

سنت جون فلبي : تاريخ نجد ، ص ١٨٣ ــ ١٨٥ .

وليس هناك من شك في أن هذه الحرب التي جرت في الشام قد شجعت الإمام تركي بن عبد الله في المضى قدما لتدعيم أركان دولته ، فها هو يرسل جيوشه إلى عالية نجد في شهر صفر سنة ١٢٤٧ هـ / يوليو سنة ١٨٣١ م ، لكبح جماح العربان الخارجين على حكومته من قبائل عتيبة(١) ، رغم أنه يدرك أن هناك قوات في الحجاز تابعة لحكومة محمد على في مصر ، إلا أن الأوضاع التي تحيط بحكومتها في الشام لا تساعدها على ارسال قوات جديدة إلى شبه الجزيرة العربية في هذا الوقت بالذات .

وفي سنة ١٢٤٨ هـ ـ ١٨٣٢ م ، قاد الإمام تركي بنفسه حملة قوية على الأحساء لمعاقبة فلاح بن حثلين وقبيلته من العجمان(٢) ، وأخضع تلك القبيلة وقبيلة بنى مرة لنفوذه الكامل ، وراح بعد ذلك يدعم نفوذه في مدن وموانىء اقليم الأحساء ، حيث مكث هناك ما يقرب من شهرين يتقبل خلالهما البيعة والولاء من أهل الأقليم(٣) ، ولم ينس الإمام خلال تلك المدة أن يتقرب بالمصاهرة إلى أهل المنطقة ، فيتزوج ابنة هادى بن مذود رئيس عربان آل كثير(٤) ، وكأنه بذلك يؤكد لهم انتهاء زمن الفوضى والحروب الأهلية التي عاشها اقليم الأحساء في سنوات خلت(٥) .

---

(١) عثمان بن بشر : المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ٣٩ .

صلاح الدين المختار : تاريخ المملكة العربية السعودية ، مجلد ١ ، ص ٢٤٥ .

(٢) عثمان بن بشر : المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ٤٣ ـ ٤٤ .

(٣) د . محمد عرابي نخلة : تاريخ الأحساء السياسي ، ص ٥٦ .

(٤) عثمان بن بشر : عنوان المجد في تاريخ نجد ، جـ ٢ ، ص ٤٢ .

(٥) ج . ج . لوريمر : دليل الخليج ، القسم التاريخي ، جـ ٣ ، ص ١٤٣٣ .

ومهما يكن من أمر فإن محافظ مكة من قبل محمد على ، قد أصابه الذعر والخوف من تحركات الإمام تركي في قلب الجزيرة العربية ، وسواحلها الشرقية ، فبالإضافة إلى رسالة الشريف محمد بن عون ـ أمير مكة ، التي بعثها في سنة ١٢٤٥ هـ ـ ١٨٣٠ م ، والتي ضمنها كثيرا من الخوف والقلق عن تحركات الإمام تركي بن عبد الله في عالية نجد وجمعه للزكاة من قبائل عتيبة ، القاطنة بنواحي مكة[١] ، فإن احتلال الأحساء من قبل الإمام تركى ، وهزيمة بنى خالد ، قد جعلت محافظ مكة المكرمة ، يرسل إلى محمد على تفاصيل هذه العمليات ، وازدياد نفوذ الإمام تركي في المنطقة ، وقد طلب محافظ مكة من محمد على السماح له بتسيير حملة عسكرية للقضاء على النفوذ السعودي هناك قبل انتشاره في نواح كثيرة من الجزيرة العربية ، وربما الامتداد إلى الحجاز[٢] ، إلا أن الظروف التي كانت تمر بها حكومة محمد على في الشام ، والاستعدادات التي يبذلها الباشا لخوض الحرب مع الدولة العثمانية ، كانت كفيلة باستبعاد أية فكرة من هذا النوع قد تقوم بها حكومة الحجاز ضد حكومة تركى بن عبد الله في نجد[٣] .

وتأكد ذلك حين طلب محمد على من محافظ الحجاز « توجيه النصح لإمام السعوديين بأن يركن للهدوء ، وإلا أرسل عليه جيشاً يكتسحه اكتساح

(١) محفظة ١٣ بحر برا ، وثيقة رقم ٦٤ ، دار الوثائق القومية بالقاهرة .

(٢) د . فائق حمدى طهبوب : تاريخ البحرين السياسي ، ص ١٧٣ .

(٣) د . عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم : محمد على وشبه الجزيرة العربية ، ص ٢٦٠ ـ ٢٦١.

د . فؤاد سعيد العابد : سياسة بريطانيا في الخليج العربي ، ص ١٢٢ .

السيل»[١] ، وهذا شيء مستبعد في ذلك الوقت على الأقل ، لأن الظروف التي يمر بها محمد على في الشام لن تمكنه من تنفيذ هذا التهديد ، ولكن محمد على أراد استخدام التهديد كوسيلة بديلة ، وبشكل مؤقت علها تؤدى إلى نتيجة ايجابية مع هذا الحاكم الجديد ، الذي بدأ يثير القلق لحكومة الباشا في الجزيرة العربية ، وهو لا يزال في معمعة الحرب مع الدولة العثمانية في الشام .

لكن الإمام تركى لم تفت من عزيمته تلك التهديدات والتحذيرات التي يطلقها الباشا ، فسار قدما وبخطى حثيثة وراسخة في تدعيم أركان دولته وفي أنحاء متفرقة من الجزيرة العربية[٢] ، حتى أن الوثائق البريطانية قد وصفته بأنه يعد من الحكام المستقلين في حكمهم ، إلا أنه حاول استمالة محمد على إلى جانبه والتقرب إليه ، بدفع جزية قليلة له ، لكي يحصل على اقرار منه بحقه في الحكم[٣] .

وعلى أية حال فقد طلب أهالي عمان من الإمام تركي أن يبعث لهم بأمير وقاض ليعلمهم المبادىء السلفية التي تسير عليها حكومة نجد ، فبعث لهم «عمر ابن محمد بن عفيصان أميرا ، والشيخ محمد بن عبد العزيز العوسجى قاضيا، فلما وصلا إلى عمان هرع الأهالى لتحيتهما ، وبذلك امتد النفوذ السعودي مرة ثانية إلى البريمي وساحل عمان »[٤] .

---

(١) د . فائق حمدى طهبوب : المرجع السابق ، ص ١٧٣ .

(٢) ج . ج . لوريمر : دليل الخليج ، القسم التاريخي ، جـ ١ ، ص ٣٢٨ .

(٣) مختارات من سجلات حكومة بومباى

S. R. B. G. No. XXIV. P.P. 438 - 440.

(٤) د . عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم : محمد على وشبه الجزيرة العربية ، ص ٣٥١ .

أعقب ذلك توقيع سلطان مسقط على الاتفاقية الثنائية بينه وبين مندوب الإمام تركي سعد بن مطلق المطيرى ، والتي تم بموجبها تعهد سلطان مسقط على دفع الزكاة السنوية للدولة السعودية ، إضافة إلى استعداد الطرفين للتعاون في قمع التمردات التي تقع داخل حدود كل منهما(١) .

مما أدى إلى ردة فعل قوية لدى السلطات البريطانية في الخليج العربي ، التي لم تخف قلقها حيال هذا التوسع السعودي ، واستنكرت بذلك البند الخاص بتبادل المساعدة بين الإمام وسلطان مسقط ، حول قمع التمردات التي يقوم بها العربان في داخل حدود كل منهما ، معللة ذلك بالعداوة القديمة بين السعوديين ومحمد على في مصر(٢) ، وكأنها كانت تخشى من استغلال محمد على لهذا البند كي يتدخل في شئون سلطنة عمان ، مع أنها تفضل أن يتدخل في وسط الجزيرة العربية ، ويقضى على أي نفوذ للدولة السعودية ومجددها الإمام تركى بن عبد الله(٣) ، ولكن سلطان عمان أكد للبريطانيين بأن التزامه هذا سيكون خاضعا لرغبات البريطانيين أنفسهم قبل أي شيء آخر(٤) .

---

(١) ج . ج . لوريمر : دليل الخليج ، القسم التاريخي ، جـ ٢ ، ص ٧١١ ، د . صلاح العقاد : التيارات السياسية في الخليج العربي ، ص ١٢٩ ، أمين سعيد : تاريخ الدولة السعودية ، ص ١٤٣ .

(٢) ج . ج . لوريمر : المرجع السابق ، جـ ٢ ، ص ٧١١ ، د . عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم : محمد على وشبه الجزيرة العربية ، ص ٣٦٤ .

(٣) جون . ب . كيلي : بريطانيا والخليج ، ص ٢٩٦ .

(٤) ج . ج . لوريمر : دليل الخليج ، القسم التاريخي ، جـ ٢ ، ص ٧١١ .

ولا غرو في ذلك فبريطانيا تعرف أن محمد على منشغلا بحرب الشام في الوقت الحالي ، إذا فالخطر على مصالحها في الخليج سيكون عن طريق الإمام تركي بن عبد الله ، الذي بدأ في تدعيم نفوذ دولته بسرعة عجيبة ، جعلت سكان المنطقة يعترفون بسيادته عليهم(١) ، ومن هنا لم تكن اتصالات الإمام تركي مع حكومة بومباى ، ذات نتائج مثمرة ، فهي ربما تفضل أن تتصل بشيوخ الساحل العماني ، وتعقد معهم الاتفاقيات ، بدلا من الاتصال بالدولة السعودية في الداخل(٢) ، رغم إدراكها بأن الإمام تركي لن يسمح بظهور القرصنة على سواحل دولته الشرقية ، وهي التي كانت بريطانيا تخشاها وتتغنى بالقضاء عليها(٣) .

وقد ذهب بعض المؤرخين إلى رأي آخر يتمثل في أن « حكومة بومباى لم تقف موقف العداء الصريح للامتداد السعودى في عمان ... لأن سقوط عمان في أيدى السعوديين وبسط نفوذهم عليها لا يعنى بالضرورة عودة ـ القرصنة ـ بل يمكن أن يعين ذلك في حماية تجارة بريطانيا نتيجة للتجانس الذي سيفرضه السعوديون على المنطقة »(١) .

---

(١) مختارات من سجلات حكومة بومباى

S. R. B. G. No. XXIV. P. P. 439 - 441.

(٢) د . عبد الرجيم عبد الرحمن عبد الرحيم : محمد على وشبه الجزيرة العربية ، ص ٣٥٢ .

(٣) مختارات من سجلات حكومة بومباى

S. R. B. G. No. XXIV. P. 440.

د . صلاح العقاد : التيارات السياسية في الخليج العربي ، ص ١٢٩ .

(٤) د . عبد العزيز عبد الغني إبراهيم : علاقة ساحل عمان ببريطانيا ، ص ٢٧٧ .

وعلى أية حال فقد كانت الفترة الزمنية الممتدة من ١٢٤٧ ـ ١٢٤٩ هـ / ١٨٣١ ـ ١٨٣٣ م ، وهي الفترة التي خاض فيها محمد على باشا الحرب الأولى في الشام ضد الدولة العثمانية ، إلى أن تم التوصل إلى إيقافها بعقد اتفاقية الهدنة المسلحة في كوتاهية ، قد شكلت فرصة ثمينة جدا للإمام تركي بن عبد الله ، ليدعم نفوذ دولته ، وينطلق في فتوحاته ، ويفرض سيطرته على المنطقة ، حتى أصبح الحاكم الفعلي لها ، فأوامره مطاعة ، وتعليماته منفذة في كل مكان وعلى أي مستوى(١) ، لأن أقاليم الجزيرة العربية قد دانت له ، والقوى المحيطة به أصبحت تخشاه وتخطب وده ، وهو يتصرف في دولته وفق دستورها الخالد ، الشريعة الإسلامية ، ويفرضها على رعيته بلا هوادة(٢) .

ولقد « ظل محمد على طوال فترة حكم الإمام تركى بن عبد الله ، يرفض القيام بأي تدخل عسكري في شئون نجد ، ولم يسمح لحكومة الحجاز القيام بأي عمل من هذا النوع »(٣) ، وهذا يعطينا دليلا واضحا على أن الأوضاع التي تعيشها حكومة الباشا في الشام ، حتى بعد أن وضعت الحرب أوزارها لم

---

(١) مختارات من سجلات حكومة بومباى

S. R. B. G. No. XXIV. P. P. 438 - 442.

د . عبد الله صالح العثيمين : حول كتاب الدولة السعودية الثانية للدكتور أبو عليه ، مجلة الدارة ـ عدد ١ ، السنة ٣ ، ص ٢٤٩ .

جي . بي . كيلى : الحدود الشرقية لشبه الجزيرة العربية ، ص ٩٧ ـ ٩٨ .

(٢) صلاح الدين المختار : تاريخ المملكة العربية السعودية ، مجلد ١ ، ص ٢٥٢ ـ ٢٥٣ .

أمين سعيد : تاريخ الدولة السعودية ، ص ١٤٣ .

(٣) د . عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم : محمد على وشبه الجزيرة العربية ، ص ٢٨٢ .

تساعدها في التوجه إلى الجزيرة العربية ، بنفس القوة التي توجهت لها فيها ، ابان حملات محمد على على الدولة السعودية الأولى .

وبالرغم من أن إبراهيم باشا قد أصبح حاكما عاما للبلاد السورية ، وقائدا للجيش فيها ، ورغم ما بذله من تنظيمات إدارية وسياسية وحربية ، كتعيين محمد شريف باشا حاكما عاما على سورية ، وسليمان باشا الفرنساوي على صيدا ، ومحمود نامي بك محافظا لبيروت ، وكذلك تعيين حنا بك بحرى على إدارة الشئون المالية ، وما صاحب ذلك من محاولات جادة لفرض سيطرة الحكومة على اقليم الشام واقرار النظام والأمن في ربوعه ، إلا أن نظام الحكم الذي بدأت حكومة الباشا في تطبيقه هناك ، والمتمثل في الاحتكار التجاري ، وتجنيد الأهالي بالقوة ، وفرض ضريبة باهظة عليهم بمختلف مذاهبهم ونحلهم ، وأخيرا نزع السلاح من أيديهم ، أدى حينذاك إلى ثورة عارمة في مختلف أنحاء الشام(١) .

مما أدى إلى عدم وجود الاستقرار والهدوء في خضم هذه الاضطرابات التي عمت الأهالي ، ولم يجد إبراهيم باشا حينذاك بدا من التصدي لكبح جماحها ، وتنفيذ أوامر والده ، ولكن الثورة لم تكد تخمد هنا حتى تقوم هناك وبشكل شبه مستمر طوال سنوات احتلاله للشام(٢) .

---

(١) عبد الرحمن الرافعي : عصر محمد على ، ص ٢٥٧ ـ ٢٦٤ .
أسد رستم : إدارة الشام ، ص ١٤٤ .
(٢) عبد الرحمن الرافعي : المرجع السابق ، ص ٢٦٤ ـ ٢٦٩ .

وليس هناك أي شك في أن انشغال محمد على في الشام وفي هذه الفترة بالذات ، وما يبذله من محاولات مستمرة لفرض سيطرة حكومته على المنطقة ، قد أثر بشكل مباشر على مركزه في الجزيرة العربية ، إذ أن الضعف قد بدأ يتسلل اليه[١] ، رغم وجود حاميات عسكرية في الحجاز وفي اليمن ، ورغم أن قسما كبيرا من جيوشه قد انسحب من آسيا الصغرى ، وفق اتفاقية الهدنة المسلحة المسماة « كوتاهية » سنة ١٢٤٨ هـ / ١٨٣٣ م[٢] .

من هنا نرى أن الإمام تركي بن عبد الله حين تلقيه خبرا من الأحساء في سنة ١٢٤٩ هـ / ١٨٣٤ م ، عن وجود بعض الاضطرابات وأعمال الفوضى التي عمت الاقليم بسبب عصيان سكان جزيرة العماير ، المساندين من شيخ البحرين لم يتردد في ارسال قوات كبيرة تحت قيادة ابنه الأمير فيصل ، ليعيد الأمن والاستقرار للاقليم ، ويضرب بيد من حديد على أيدى الخارجين[٣] ، وهذا يدل بلا شك على مدى ما كان يتمتع به الإمام تركي من نفوذ مطلق في شبه الجزيرة العربية وسواحلها الشرقية ، وكأنه مدرك بأن الخطر من الغرب لن يأتيه في هذه المرحلة على الأقل ، وإلا لما أقدم على إرسال قائده الفذ وعضده القوى إلى شرق الجزيرة العربية ، لكبح جماح المتمردين دون أن يحسب حسابا لحكومة الحجاز ومن ورائها محمد على .

---

(١) د . بدر الدين عباس الخصوصي : محمد على والخليج العربي ، مجلة كلية الآداب ، جامعة الكويت ، عدد ٥ ، سنة ١٣٩٤ هـ ، ص ١٠٢ .

(٢) د . فائق حمدى طهبوب : تاريخ البحرين السياسي ، ص ١٧٣ .

د . فؤاد سعيد العابد : سياسة بريطانيا في الخليج العربي ، ص ١٢٢ ـ ١٢٣ .

(٣) صلاح الدين المختار : تاريخ المملكة العربية السعودية ، مجلد ١ ، ص ٢٥٩ ـ ٢٦٠ .

محمد سعيد المسلم : ساحل الذهب الأسود ، ص ١٨٢ ـ ١٨٣ .

وقد استمر النفوذ السعودي على قوته واتساعه في عهد الإمام فيصل بن تركي ، أبان فترة حكمه الأولى[1] ، بعدما تسلم الأمانة من والده ، وهذا بلا شك ما أزعج محمد على وجعله يعيد حساباته فيما يتعلق بشبه الجزيرة العربية وما يجرى فيها ، لأنه بات يرى « في قيام الدولة السعودية ثورة تهدد سيادته في قلب نجد والمناطق الشرقية من الجزيرة »[2] .

ولعلنا نستطيع الآن أن نتطرق إلى الملامح الرئيسية في تطور أحوال الدولة السعودية الثانية ، في عهد الإمام فيصل بن تركي ، وخلال السنوات التي أعقبت معاهدة كوتاهية ، وحتى إرسال حملة خورشيد باشا ، وهي الفترة التي كانت الثورات في الشام على أشدها ، وحكومة محمد على باشا لم تستقر هناك بعد ، لكي تتجه بقوة إلى الجزيرة العربية .

فحينما عاد الإمام فيصل إلى الرياض تمكن من استعادتها ، ثم أعلن سياسته لرؤساء الأقاليم والقبائل ، الذين قدموا له فروض الطاعة والولاء في عاصمته الرياض[3] .

---

(١) د . عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم : محمد على وشبه الجزيرة العربية ، ص ٣٩٥ .

(٢) د . عبد الفتاح أبو عليه : الدولة السعودية الثانية ، ٣٨ .

(٣) عثمان بن بشر : عنوان المجد في تاريخ نجد ، جـ ٢ ، ص ٥٠ ـ ٥١ .

د . عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم : المرجع السابق ، ص ٢٧٨ .

محمد سعيد المسلم : ساحل الذهب الأسود ، ص ١٨٤ .

« ويبدو أن تلك الأحداث لم تكن بمنأى عن تفكير محمد على ، غير أنه لم يكن في مقدوره اعادة تثبيت حكمه في تلك الجهات » ، لأن البيت السعودى قد بدأ في عهد الإمام فيصل يستعيد قوته وهيبته ، في الوقت الذي كان محمد على منشغلا بنزاعه مع الدولة العثمانية في الشام ، فلم يكن بمقدوره حينذاك أن يخوض حربين في جبهتين متباعدتين هما الشام ونجد[١] ، ومع أن معاهدة كوتاهية قد جعلته يتنفس الصعداء ، ليلتفت إلى الجبهة النجدية ، إلا أن نظام الحكم في الشام قد أجَّل هذه الالتفاته بضع سنوات وهو ما واكب عهد الإمام فيصل ، وجعل دولته تتطور بشكل مرضى وحثيث .

فقد أمضى الإمام فيصل سنوات حكمه الأولى في نضال مستمر ليدعم أركان دولته ، ويوطد سلطانه في نجد والأقاليم التابعة له[٢]، فبعد أن قبض الزكاة من العربان الذين امتنعوا عن دفعها في روضة التنهات ، وبعد أن قبل البيعة من عربان مطير وقحطان والدواسر[٣] ، راح الإمام فيصل بن تركي يثبت أركان حكومته في اقليم الاحساء ، ويتطلع للقضاء على من شقوا عصا الطاعة

---

(١) د . بدر الدين عباس الخصوصى : دراسات في تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر ، جـ ١ ، ص ١٢٥ ـ ١٢٦ ، د . بدر الدين عباس الخصوصي : محمد على والخليج العربي ، مجلة كلية الآداب والتربية ، جامعة الكويت ، عدد ٥ ، سنة ١٩٧٤ م ، ص ١٠٢ .

(٢) عثمان بن بشر : عنوان المجد في تاريخ نجد ، جـ ٢ ، ص ٦٦ ـ ٦٧ ، د . محمد عبد الله ماضي : النهضات الحديثة في جزيرة العرب ، ص ٨٣ ، صلاح الدين المختار : تاريخ المملكة العربية السعودية ، مجلد ١ ، ص ٢٨٠ ـ ٢٨١ .

(٣) د . عبد الفتاح أبو عليه : الدولة السعودية الثانية ، ص ٣٦ .

على والده من قبله ، محاولا أن يستفيد من أطماع سلطان مسقط في البحرين ، الذي كان يتحين الفرصة المناسبة للانقضاض على البحرين والاستيلاء عليها ، وقد أوعز الإمام فيصل إلى عامله في الأحساء ، بأهمية التعاون مع سلطان مسقط ضد البحرين ، إلا أنه يبدو أن سلطان مسقط كان يريد اشعال الخلاف بين الإمام فيصل وشيخ البحرين ليستفيد هو من ذلك(١) ، ولكن عندما شعر الإمام فيصل باستحالة التعاون مع إمام مسقط ، وأحس بتحركات محمد على في الحجاز وعسير ، قبل دون تردد خضوع البحرين لدولته ودفعها للزكاة ، كما تعهد بحماية البحرين من أي هجوم خارجي ، خاصة أمام التهديد الايراني الذي تلقاه شيخ البحرين(٢) .

وبينما كان عامل الإمام فيصل على البريمي وساحل عمان يوطد نفوذ الدولة السعودية ، ويكوّن الحاميات القوية فيها(٣) ، كان أهل عسير يرسلون للإمام فيصل بعض ما غنموه من حروبهم مع جيوش محمد على باشا التي يقودها والي الحجاز أحمد باشا يكن(٤) ، ويراسلون الإمام في محاولة منهم للتنسيق معه من أجل تشتيت جهود حكومة الحجاز لكي لا تقوم بتركيز

---

(١) د . فائق حمدى طهبوب : تاريخ البحرين السياسي ، ص ١٣٣ ــ ١٣٤ .

(٢) ج . ج . لوريمر : دليل الخليج ، القسم التاريخي ، جـ ٣ ، ص ١٢٩٨ ــ ١٢٩٩ .

د . محمد عرابي نخلة : تاريخ الأحساء السياسي ، ص ٦٦ ــ ٦٧ .

(٣) د . عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم : محمد على وشبه الجزيرة العربية ، ص ٣٥٢ ــ ٣٥٣.

(٤) عثمان بن بشر : عنوان المجد ، في تاريخ نجد ، جـ ٢ ، ص ٦٨ .

جهودها في ميدان واحد(١) ، ولكن الإمام فيصل أدرك وجود استقرارا أكثر لقوات محمد علي في الشام ، والتي بدأ يتجه أكثرها إلى وسط الجزيرة العربية(٢) ، بعد أن قضت على ثورة محمد أغا ـ تركجه بيلمز ـ في الحجاز وفي اليمن(٣) .

لجأ عند ذلك الإمام فيصل إلى المجاملة والأسلوب السياسي ، فأرسل أخاه جلوى ومعه الهدايا إلى أحمد باشا والى الحجاز ، علَّه يسعى لدى حكومة محمد علي في مصر ، لاقناعها بعدم ارسال حملات عسكرية إلى نجد ، لأن حدود دولته لم تصل إلى الحجاز ، الذي يتبع حكومة الباشا ، ولكن تلك الوساطة لم تجد نفعا لدى والى الحجاز ، وعاد الأمير جلوى إلى أخيه في الرياض ، ليؤكد له سير الحملة العسكرية إلى نجد والتي يقودها خالد بن سعود وإسماعيل أغا(٤) .

ومن هنا نقول أنه إذا كانت الفترة الأولى من حكم الإمام فيصل بن تركي قد تميزت بوجود العداء المسلح بين محمد علي وبين الإمام ، فذلك ناتج عن ما أفرزته حرب الشام الأولى من نتائج وحيثيات مختلفة ، أثرت بشكل مباشر على حكومة محمد علي في مصر بوجه خاص وعلى الجزيرة العربية بوجه عام .

---

(١) د . عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم : المرجع السابق ، ص ١٦٠ ـ ١٦١ .

(٢) عثمان بن بشر : المصدر السابق : جـ ٢ ، ص ٦٩ ، الأمير ضارى بن فهيد الرشيد : نبذة تاريخية عن نجد ، ص ٣٣ .

(٣) د . جاد طه : سياسة بريطانيا في جنوب اليمن ، ص ٦١ .

(٤) د . عبد الفتاح أبو عليه : الدولة السعودية الثانية ، ص ٤٢ ـ ٤٣ .

لقد أدرك محمد على ازدياد النفوذ السعودي في وسط الجزيرة العربية منذ سنة ١٢٥٠ هـ / ١٨٣٤ م ، وهي السنة التي تسلم فيها الإمام فيصل مقاليد الأمور في الدولة السعودية الثانية ، وكان الموقف حينذاك قد تأزم بشكل قوى بين محمد على والسلطان العثماني في الشام ، إذ بلغت الحرب الدبلوماسية ذروتها بين الجانبين(١) ، ولكن محمد على خشى أن يصبح الإمام فيصل ودولته حجر عثرة في سبيل أهدافه وطموحاته التوسعية ، التي يريد أن ينفذها في الجزيرة العربية والعراق ، كما أنه خشى أن تصبح الدولة السعودية سهما يصيبه من تلك الجهة ، فيما لو نشبت الحرب بينه وبين السلطان العثماني مرة أخرى(٢) .

عندها اتقدت نار الحرب في شبه الجزيرة العربية ، ابتداء من اليمن ومرورا بالحجاز ، وانتهاء بنجد ، على أيدى قوات محمد على باشا ، التي يقودها إبراهيم يكن في اليمن ، وأحمد باشا يكن في الحجاز ، وأخيرا خورشيد باشا في نجد(٣) ، ورغم ما بذله الإمام فيصل من محاولات سياسية وعسكرية لايقاف زحف هذه القوات ، إلا أن جيوش خورشيد باشا استطاعت أن تستولى

---

(١) د . عبد العزيز نوار : تاريخ العراق الحديث ، ص ٢٠٨ .

د . عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم : محمد على وشبه الجزيرة العربية ، ص ٢٨١ .

(٢) د . أحمد مصطفى أبو حاكمه : تاريخ الكويت ، القسم الأول ، جـ ٢ ، ص ١٢٢ .

د . عبد العزيز نوار : مصر والخليج العربي في القرن ١٩ ، مجلة الهلال المصرية ، عدد ١١ ، السنة ٧٢ ، سنة ١٩٦٤ م ، ص ١٦٢ ــ ١٦٣ .

أحمد عسه : معجزة فوق الرمال ، ص ٣٦ .

(٣) سيد يو : خلاصة تاريخ العرب ، ص ٢٨٥ .

على اقليم نجد ، بعد أن استسلم الإمام فيصل في الجولة العسكرية الأخيرة في الدلم سنة ١٢٥٤ هـ / ١٨٣٨ م[(١)] ، وبعد أن قدم الكثير من الجهد والمال للمحافظة على أمن واستقرار دولته التي أسسها والده وجدد هو بنائها .

ويتبين لنا من هذا الاستعراض لأهم مجريات الأحداث في الشام ، والحرب التي كانت دائرة هناك بين محمد على والدولة العثمانية ، وما تلاها من تطبيق معين لأنظمة الحكم التي حاول الباشا فرضها على أهل الشام ، أن تلك الأحداث كانت عاملا مميزا لتطور أحوال الدولة السعودية الثانية خلال عهدى الإمام تركى بن عبد الله بن محمد بن سعود والإمام فيصل بن تركى ، ذلك التطور الذي كاد أن يعيد الأمن والطمأنينة لربوع الجزيرة العربية ، لا سيما والدولة السعودية الثانية تنطلق من العقيدة الإسلامية السلفية كمنهج للحكم ودستورا للدولة ، وما قضاؤها على الاضطرابات وأساليب النهب والسلب التي كانت سائدة في المنطقة ، إلا دليلا على قوة دعائمها ، وأصالة مبادئها ، ولكن أهداف محمد على باشا وأطماعه في الجزيرة العربية والخليج العربي ، ومن ورائهما العراق حالت دون ذلك كله .

---

(1) Document : F. O. 78/373. C/A/61064. No. 3. P. 93.

محمود كامل : الدولة العربية الكبرى ، ص ٤١١ .

د ـ علاقة الدولة السعودية الثانية بالدولة العثمانية

قضى الإمام تركى بن عبد الله بن محمد بن سعود وابنه الأمير فيصل عامي ١٢٤٧ هـ / ٣١ ـ ١٨٣٢ م ، في تحرك مستمر لتوطيد دعائم الدولة السعودية الثانية في شبه الجزيرة العربية ، بعد أن خفت القبضة العسكرية للدولة العثمانية وواليها في مصر محمد على ، الذي أصبح يخوض حربا ضد السلطان العثماني ودولته في الشام .

وعندما أدرك الإمام تركي خلال تلك الفترة أن الدولة العثمانية تخوض حربا مع واليها في مصر ، الذي لازالت قواته تتمركز في الحجاز ، تبادل مع والى بغداد من قبل الدولة العثمانية على رضا باشا الرسائل والهدايا حيث بعث الإمام تركى هدية مع حمد بن يحيى بن غيهب رئيس شقراء ، إلى والى بغداد ردا على رسالته ، التي وصلت للإمام عندما كان نازلا على ماء الرميحة سنة ١٢٤٧ هـ / ١٨٣١ م ، وقد كانت رسالة الباشا تحمل كثيرا من معاني الصداقة والمحبة التي أبداها والى بغداد للإمام تركى بن عبد الله ودولته[١] .

وليس هناك من شك في أن الدولة العثمانية التي سيرت حملاتها العسكرية إلى شبه الجزيرة العربية ، من أجل القضاء على الدولة السعودية الأولى في

(١) عثمان بن بشر : عنوان المجد في تاريخ نجد ، جـ ٢ ، ص ٤٢ .
صلاح الدين المختار : تاريخ المملكة العربية السعودية ، مجلد ١ ، ص ٢٤٩ .

أوائل القرن الثالث عشر الهجري ، أوائل القرن التاسع عشر الميلادي ، قد أدركت أنها لم تكن موفقة إلى حد ما في قرارها السياسي الخاص باسناد تلك المهمة إلى محمد على ، الذي بدأت قواته تخوض حربا ضروسا ضد الدولة العثمانية في الشام ، بقيادة ابنه إبراهيم باشا ، فلم تتردد حينذاك من التقرب إلى الدولة السعودية الثانية وأمراءها من آل سعود ، لا سيما وأنها قد لمست التفاف أبناء الجزيرة حول هذه الدولة السلفية[١] .

في الوقت الذي كانت تسعى فيه الدولة العثمانية إلى وضع كل العراقيل أمام تحركات محمد على وأهدافه في الجزيرة العربية ، لكى لا يتمكن من الوصول إلى العراق عن طريقها ، لادراكها بمدى أفكاره وخططه السياسية في هذا المجال ، ليكمل بذلك دورانه حول الشام من الجنوب والشرق ، وبالتالى محاصرة العراق من الشمال والجنوب[٢] .

أما الإمام تركى وابنه الإمام فيصل فلم يغب عن ذهنيهما هذا الموقف الحيوى الهام ، والذي سيساعد على بناء دولتهما في وسط الجزيرة العربية ، مع ادراكهما لخطورة قوات محمد على في الحجاز وفي مصر ، وكذلك قواته في الشام التي خاضت حربا قوية ضد الدولة العثمانية .

من هنا استمر إتصال على رضا باشا والى بغداد بالإمام فيصل بن تركى ، ليؤكد له أن الدولة العثمانية تعتبره من المنتمين لها ، وهي

---

(١) أحمد عسه: معجزة فوق الرمال ، ص ٣٥ .

(٢) د . فؤاد سعيد العابد : سياسة بريطانيا في الخليج العربي ، ص ١٢٥ .

على أتم الاستعداد لتقديم كامل المساعدة له لكى يتمكن من طرد قوات محمد على باشا من الجزيرة العربية ، وعرض والى بغداد خدماته للإمام فيصل قائلا : « أرجو أن تفيدنا عما يناسب حالك من المساعدة وفيه تقويتك ونجاح أمورك ومصلحتك »(١) .

وقد ذهب بعض المؤرخين إلى أن والى بغداد قد انتهز فرصة وجوده في منطقة جنوب العراق في شهر رجب سنة ١٢٥٣ هـ / ١٨٣٧ م ، ليرسل إلى الإمام فيصل بن تركي رسالة يلومه فيها على عدم مراسلته ، ويحثه على اعلان ولائه للدولة العثمانية لكى يحفظ امارته من هجمات محمد على باشا والى مصر التي يعتزم شنها على دولته(٢) .

وكان الإمام فيصل بن تركى يأمل في مساعدة والى العراق ليستطيع مقاومة جيوش محمد على التي يقودها خالد بن سعود وإسماعيل أغا ، خاصة وهو يدرك سوء العلاقة بين الدولة العثمانية ، ومحمد على بسبب حروب الشام ، إلا أن مساعدة والى بغداد الذي يمثل الدولة العثمانية ، لم تبرز إلى حيز التنفيذ وبشكل عملى ، وكأنها أثر لما يجرى في الشام في تلك الفترة ، حين بلغت الحرب الدبلوماسية ذروتها منذ عام

---

(١) د . عبد الحميد البطريق ، محمد على ومشروع غزو العراق ، مجلة كلية الآداب ـ الجامعة الأردنية ـ عدد ١ ، يناير ١٩٦٩ م ، ص ٥٣ .

(٢) د . عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم : محمد على وشبه الجزيرة العربية ، ص ٣٠١ .

١٢٥٣ هـ / ١٨٣٧ م ، بين الباب العالى ومحمد على في مصر[١] ، لذلك أصبحت مساعداتها للإمام فيصل في وسط الجزيرة العربية عبارة عن تدخل سياسي تمثل في التحريض المستمر ، وابداء الرغبات للإمام فيصل ، بحرص الدولة العثمانية على استمرار امارته في نجد ، وتمكنه من القضاء على جيوش محمد على ، ولم تتعدى المساعدة العثمانية ذلك الأسلوب السياسي إلى التدخل العسكري المباشر[٢] .

وغنى عن القول أن الحرب في الشام التي لازالت آثارها باقية ، وبوادر تجددها ظاهرة ، كانت كفيلة باحجام والى بغداد عن ارسال أية مساعدة للإمام فيصل بن تركى في نجد ، لأنه كان مشغولا بتعزيز الشمال العراقي ضد قوات محمد على التي تسيطر على الشام بقيادة إبراهيم باشا في سوريا .

وبما أن الدولة العثمانية كانت تهتم في المقام الأول باستخدام والى بغداد للتجسس على تحركات محمد على في الجزيرة العربية[٣] ، والعمل على مقاومتها بأي وسيلة ممكنة ، فقد أوحى والى بغداد إلى عبد الله الفداغ أحد التجار النجديين المقيمين في الكويت ، والذي يعد من أصحاب المكانة

---

(١) د . فائق حمدى طهبوب : تاريخ البحرين السياسي ، ص ٢٠٩ .

د . عبد العزيز نوار : مصر والخليج العربي في القرن ١٩ ، مجلة الهلال المصرية ، عدد ١١ ، السنة ٧٢ ، ١٩٦٤ م ، ص ١٦٣ .

(٢) د . محمد عرابي نخلة : تاريخ الأحساء السياسي ، ص ٧١ .

(٣) د . عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم : محمد على وشبه الجزيرة العربية ، ص ٣٨٣ .

الكبيرة في المنطقة[1] لكى يكتب للإمام فيصل بن تركى ، ويؤكد له حرص الوالى على انتصاره في تلك المعارك التي يخوضها ضد جيوش محمد على ، كما أن الوالى قد أبدى استعداده لارسال بعض الجنود إلى الإمام إذا تم له النصر ، وكأنه يريد أن يرفع من معنويات الإمام وجنده ، وقد أشار عبد الله الفداغ على الإمام فيصل في رسالته المؤرخة في ١٦ رمضان سنة ١٢٥٣ هـ ، بأن يكتب إلى والى بغداد رسالة يطلب فيها تزويده بأمر من السلطان العثماني ، يؤكد تبعيته للدولة العثمانية ، ومن ثم يقرأ هذا الأمر بين الحاضرة والبادية في مختلف أقاليم الجزيرة العربية ، وتبعا لذلك تنسحب قوات محمد على من المنطقة ، بناء على أوامر السلطان[2] ، باعتبار أن محمد على من ولاة الدولة العثمانية .

ولعل الإمام فيصل بن تركي عندما انسحب بقواته إلى الدلم ، بعد مفاوضاته مع الشريف عبد الله بن جبارة ، في منفوحة كان يحاول استكشاف حقيقة موقف الدولة العثمانية وواليها في بغداد ، ومدى ما سيجنيه من مساعدة فعلية في هذه الحرب ، التي ستضع النقاط على الحروف فيما يتعلق بصدق نوايا الدولة العثمانية حيال علاقاتها مع الدولة السعودية الثانية .

---

(١) محفظة ٢٦٤ عابدين ، محافظ الحجاز رقم ٥ ، وثيقة رقم ٣٢ أصلى ، و ٦٦ حمراء ـ دار الوثائق القومية بالقاهرة .

(٢) محفظة ٢٦٤ عابدين ، محافظ الحجاز رقم ٥ ، المرفق العربي بالوثيقة التركية رقم ٦٦ حمراء ، دار الوثائق القومية بالقاهرة .

وفي الوقت الذي بدأ الإمام فيصل في إعادة تنظيم قواته ، وزيادة تحصيناتها في الدلم ، ذهب بعض المؤرخين إلى القول بأنه بدأ يستحث والى بغداد ، وقبطان البصرة من قبل الدولة العثمانية ، ويطلب منهما المساعدة العاجلة ، محذرا أياهما من مغبة التواني والتأخر عن نجدته ، لأن قوات محمد على ستزحف إلى الأحساء ، ومنها إلى البصرة ، وهو ما تخشاه الدولة العثمانية(١) .

ولقد كان الإمام فيصل ذكيا وحذرا جدا أمام هذه المتغيرات السريعة ، إذ أنه عندما أدرك أن والى بغداد لم يكن ليقدم له أكثر من الوعود والرسائل التشجيعية ، لجأ حينذاك إلى الأسلوب السياسي في التعامل مع خورشيد باشا ، الذي بدأت طلائع قواته تزحف على نجد فأرسل أخاه الأمير جلوى إلى خورشيد باشا ، ومعه الهدايا ، ورد على رسالة خورشيد باشا التي استفسر فيها من الإمام فيصل عن ماهية علاقتـه بكل من على رضا باشا والى بغداد وشيخ عسير ، وجاء في رد الإمام فيصل أن تلك الإتصالات مع والي بغداد ما هي إلا نتيجة لما يربطه مع الوالى من صداقة سابقة وتعاون ، نظرا لما قام به والى بغداد من تعاون مثمر في كفه لعشائر بنى خالد والظفير عن مهاجمة حدود دولته ، أما علاقته بعسير فهي غير واردة(٢) .

---

(١) د . محمد عرابي نخلة : تاريخ الأحساء السياسي ، ص ٧١ .

د . فؤاد سعيد العابد : سياسة بريطانيا في الخليج العربي ، ص ١٢٤ .

د . فائق حمدى طهبوب : تاريخ البحرين السياسي ، ص ١٧٧ .

(٢) د . عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم : محمد على وشبه الجزيرة العربية ، ص ٣٨٣ .

د . محمد عرابي نخلة : تاريخ الأحساء السياسي ، ص ٦٩ ـ ٧٠ .

ويبدو من خلال ذلك أن خورشيد باشا ، قد بدأ يشك في تصرفات الإمام فيصل ، وأن مهادنته ربما ستمكنه من التعاون مع الدولة العثمانية وتدعيم علاقاته معها ، وبذلك تصبح أهداف خورشيد باشا في جنوب العراق وشرق ووسط الجزيرة العربية تحت رحمة الإمام فيصل ، الذي ستصله مساعدات الدولة العثمانية عن طريق واليها في بغداد(١) ، لأن الأستانة بدأت تنظر إلى الإمام تركى بن عبد الله ومن بعده ابنه الإمام فيصل على أنهما ولاة نجد والأحساء(٢) ، وعلاقة الدولة العثمانية بهما بدأت في تحسن مستمر بعدما خاض واليها في مصر حربا قوية ضدها في الشام .

ورغم أن خورشيد باشا قد علم بالاتصالات الجارية بين على رضا باشا والي بغداد ، وسليمان بن غنام شيخ قبيلة العقيل والتي حاول فيها والي بغداد أن يستحث أواصر القربي لدى شيخ عشائر العقيل لكي يقنع الإمام فيصل بن تركى ، باعلان ولائه للدولة العثمانية(٣) ، إلا أنه قد حاول هو في وضع عيون له في الزبير والبصرة وبغداد لتنقل له أخبار تلك المناطق ، وربما يعود سبب ذلك إلى قلقه وخوفه المتزايد من استمرار ومن ثم تحسن العلاقات السياسية بين الإمام فيصل بن تركى والدولة العثمانية ، ممثلة بواليها في بغداد .

---

(١) د . فائق حمدى طهبوب : تاريخ البحرين السياسي ، ص ١٧٨ .

(٢) د . أحمد مصطفى أبو حاكمة : تاريخ الكويت ـ القسم الأول ، جـ ٢ ، ص ١٤٣ ـ ١٤٤ .

(٣) د . فائق حمدى طهبوب : تاريخ البحرين السياسي ، ص ١٧٨ .

د . محمد عرابي نخلة : تاريخ الأحساء السياسي ، ص ٧١ .

وقد عبر عن ذلك في رسالته التي بعثها إلى صاحب الدولة والعاطفة بتاريخ ٣ جمادى الأولى سنة ١٢٥٤ هـ / يوليـو سنة ١٨٣٨ م ، والتي قال فيها : « سبق أن أوفد فيصل بن تركى أخاه مبديا الرغبة في الولاء وتقديم الخدمات ، ولكن المشاهد من أحواله أنه يتجه الآن اتجاها آخر ، وأن معظم الأهالى يميلون إلى جهات العراق والكويت والبصرة ... »[١] .

من هنا يظهر لنا أن علاقة الدولة السعودية الثانية بالدولة العثمانية ، لم تكن على نفس النمط الذي كانت عليه علاقات الدولة السعودية الأولى ، فالأحداث التاريخية التي أحاطت بالدولة السعودية الثانية ، وكذلك الأحداث التي أحاطت بالدولة العثمانية ، أبان حروب الشام الأولى التي خاضتها مع محمد على ، جعلت الدولة العثمانية هي التي تخطب ود الدولة السعودية الثانية ، لكي تضرب بها قوات محمد على في الجزيرة العربية ، لتوقفه بذلك عن تحقيق أهدافه وخططه السياسية والعسكرية التي يعتزم تنفيذها في شبه الجزيرة العربية وبغداد ، بعد أن بسط نفوذه على الشام .

مما يؤكد لنا أن حرب الشام الأولى كانت ذات أثر واضح وجلى في زيادة تدعيم هذه العلاقة بين الدولة السعودية الثانية والدولة العثمانية ، ولكن اضطراب الأحوال في ولاية بغداد والآتي من الشام ، وكذلك احجام والي بغداد عن تقديم المساعدة العسكرية للإمام فيصل بن تركى ، كان كفيلا باستيلاء قوات محمد على على شبه الجزيرة العربية ، وبالتالي استسلام الإمام فيصل لقائد تلك القوات خورشيد باشا ، لتنتهي بذلك تلك العلاقة السياسية مع انتهاء حكم الإمام فيصل بن تركي في فترته الأولى .

(١) محفظة ٢٦٤ عابدين ، محافظ الحجاز رقم ٥ ، وثيقة رقم ٣٢ أصلى ، و ٦٦ حمراء ، دار الوثائق القومية بالقاهرة .

الفصل الثالث
محمد على والخليج العربي

أ - محمد على والتجارة في الخليج والمحيط الهندى .

ب - تقدم محمد على نحو الأحساء وسياسته نحو البحرين.

جـ - خطة محمد على بالنسبة للبصرة والمحمرة وبغداد .

د - الحوار البريطاني : حول الحرب أم الديبلوماسية ؟

أ ـ محمد على والتجارة في الخليج والمحيط الهندي

منذ أن تولى محمد على حكم مصر كان جل همه منصرفا إلى أن يجعل من مصر قوة حربية ذات بأس شديد ، وكان يخصص حوالي نصف دخل الدولة لهذه الغاية ، لذلك كان الباشا يجبر المزارعين على بيع محصولات الأراضي التي يزرعونها للحكومة ، وبالثمن الذي تحدده الدولة ، لتتمكن الحكومة من جمع تلك المحصولات في مخازنها وبالتالي تصدرها للخارج ، وكان الفلاح حينذاك يشترى ما يحتاجه لغذائه أو لاستهلاكه المحلي من الدولة وبالثمن الذي تحدده للبيع[1] ، وكأن محمد على قد شعر بضرورة سيطرة الدولة على كل وسائل الانتاج ، لكي يتمكن من تطويرها ووضعها في خدمة النظام الذي أنشأه[2] ، إذ صارت ملكية معظم الأراضي في البلاد بيد الحكومة التي تولت أمر احتكار التجارة ، نتيجة لاشرافها على ميدان الزراعة وميدان الصناعة[3] ، ليمتد بذلك « احتكار الحاصلات الزراعية إلى احتكار توزيعها وتصديرها ، وتصنيع الباقي منها »[4] .

(١) د . محمد فؤاد شكرى وآخرون : بناء دولة مصر محمد على ، السياسة الداخلية ، ص ٤٧ .

(٢) د . جلال يحيى : المجمل في تاريخ مصر الحديثة ، ص ٢٢٥ .

(٣) جورج كيرك : موجز تاريخ الشرق الأوسط ، ص ١٥١ .

(٤) صبحى وحيده : في أصول المسألة المصرية ، ص ١٥ .

ويظهر لنا من هذا أن محمد على كان ذا صفة تجارية فريدة يتمتع بها ، ويبذل قصارى جهده في تطبيقها حتي أصبح التجار الأجانب لا يجدون غير الباشا ، لكي يتعاملوا معه ، نتيجة لنظام الاحتكار الداخلي فسيطر بذلك على التجارة الخارجية سيطرة تامة[١] .

وقد كان ذلك النظام من العوامل المهمة التي جعلت بريطانيا تقف في وجه محمد على باشا في سوريا ، لكي لا يطبق نظامه الاحتكاري في الشام[٢] ، إذ سرعان ما كلف اللورد بالمرستون Palmerston وزير خارجية بريطانيا سفير حكومته في الأستانة اللورد بونسنبي Ponsonby لكي يهتم بمراجعة الأنظمة الخاصة بتجارة بريطانيا مع الدولة العثمانية ، ليتوصل في نهاية المطاف وبعد مفاوضات متعددة مع الباب العالى إلى عقد المعاهدة التجارية المعروفة باتفاقية بلطة ليمان Balta liman في سنة ١٢٥٤ هـ / ١٨٣٨ م ، والتي تتألف من ثمانية بنود أساسية ، وثلاثة أخرى إضافية ، والتي كان لها من الآثار العميقة على نظام الاحتكار في ممتلكات محمد على باشا ، ما أدى في النهاية إلى الغائه[٣] ، كما أن تلك المعاهدة كان القصد من ورائها تمزيق معاهدة كوتاهية التي عقدت سنة ١٢٤٨ هـ / ١٨٣٣ م بين محمد على والباب العالي ، والكيد للباشا بمختلف الأساليب[٤] .

---

(١) د . محمد فؤاد شكرى وآخرون : بناء دولة مصر محمد على « السياسة الداخلية » ، ص ٥٢ .

(2) Document : F. O. 78/247. P.P. 109 - 120. 11/11/1834.

(٣) د . أحمد عزت عبد الكريم : دراسات في تاريخ العرب الحديث ، ص ٢٧٢ .

د . عبد العزيز نوار : تاريخ العرب المعاصر ، مصر والعراق ، ص ١٤٠ ـ ١٤١ .

(٤) د . محمد عبد اللطيف البحراوى : حركة الاصلاح العثماني في عصر السلطان محمود الثاني ، ص ٢٢٣ .

ولعل الباشا قد شعر بخطورة تطبيق هذا النظام في سوريا على علاقاته مع بريطانيا وخشيته من الاصطدام بها ، وهو لا يزال في حرب مع الدولة العثمانية ، وأبدى حينذاك استعداده لتنفيذ الاتفاقية التجارية المعقودة بين بريطانيا والباب العالى[1] ، ورغم المزايا التجارية التي منحها محمد على للأوروبيين في مصر ، إذ كانوا يدفعون ضريبة جمركية قدرها ٣٪ ، بينما يدفع المسلمون ٤٪ ، والذميون ٥٪ ، فضلا عما يدفعونه من اتاوات جبرية وعوائد مرور ، يعفى الأوروبيون من دفعها[2] ، إلا أن الحكومة البريطانية وقفت موقفا حازما في وجه النظام الاحتكارى لمحمد على[3] .

وليس هناك من شك في أن الأموال والمشروعات السياسية والتجارية التي كانت تختمر في ذهن محمد على ، ومحاولته تنفيذها ، تعطى الباحث صورة واضحة لمدى ما يتمتع به الباشا من طموحات كبيرة ذات أهداف واسعة ، يعمل على توطيدها وتدعيم مركزه فيها ، حيث أننا قد رأيناه « يوازن بين القيمة الاستراتيجية في مشروع غزو الجزائر الذي راودته عليه فرنسا ، وما للشام والعراق من تلك الاستراتيجية ، فيختار ثانيهما من أجل التجارة مع الهند ، وعلى ذلك بدأ هجوم جيش إبراهيم على الشام »[4] في حروبه الأولى سنة ١٢٤٧ هـ / ١٨٣١ م .

---

(1) Document : F. O. 78/373. No. 14. P.P. 70 - 72. xC/A/61064.

(٢) د . محمد فؤاد شكرى وآخرون : بناء دولة مصر محمد على « السياسة الداخلية » ، ص ٢٨٠ .

(٣) جون مارلو : تاريخ النهب الاستعمارى لمصر ، ص ١١٢ .

(٤) د . محمود عبد اللطيف البحراوى : حركة الإصلاح العثماني في عصر السلطان محمود الثاني ، ص ١٥٣ .

وبما أن موقع الجزيرة العربية يعتبر من المواقع الاستراتيجية الممتازة والفريدة ، لاشرافها على أهم وأقصر طريق بحرى عالمي ، يربط بين الشرق والغرب ، وهو البحر الأحمر ، إضافة إلى إشرافها على الخليج العربي الذي يعتبر طريقا حيويا للتجارة مع الهند والشرق الأقصى(١) ، كانت أنظار محمد على باشا تتجه إلى الجزيرة العربية والخليج العربي ليحقق فيها طموحاته وأهدافه(٢) ، لذا فإن انسحاب إبراهيم باشا من وسط الجزيرة العربية والأحساء ابان حروبه ضد الدولة السعودية الأولى لم تكن نهاية المطاف لأطماع محمد على ، بل استمرت الأحلام تراوده ليعود لتلك المنطقة ويحقق فيها أهدافه(٣) ، لادراكه بأن « الأحساء هي خير قاعدة يمكنه الانطلاق منها ليحقق أهدافه وطموحاته في الخليج العربي »(٤) .

وحين انشغاله بحملاته على السودان وبناء جيشه الجديد ، لم يغفل عن الجزيرة العربية وسواحلها البحرية ، فأرسل إلى حاكم الحجاز سنة ١٢٣٧ هـ / ١٨٢١ م بضرورة المحافظة على سواحل البحر الأحمر ، واتخاذ الاحتياطات اللازمة لتأمين الموانيء اليمنية ضد السفن البريطانية التي ترد اليها(٥) .

---

(١) نبيل عبد الحي رضوان : الدولة العثمانية وغربي الجزيرة العربية ، ص ٩ .

(٢) د . حسن أحمد إبراهيم : محمد على في السودان ، ص ٣٨ .

(٣) د . فؤاد سعيد العابد : سياسة بريطانيا في الخليج العربي ، ص ١٢٢ .

(٤) د . محمد عرابي نخلة : تاريخ الأحساء السياسي ، ص ٣٤ .

(٥) د . فاروق عثمان أباظة : عدن والسياسة البريطانية في البحر الأحمر ، ص ١٠٩ ــ ١١٠ .

د . عبد الحميد البطريق : من تاريخ اليمن الحديث ، ص ٦٠ ــ ٦١ .

أخذ محمد علي في اظهار نواياه وأهدافه التوسعية في شبه الجزيرة العربية بعيد حرب الشام الأولى سنة ١٢٤٧ هـ / ١٨٣١ م ، حين تحركت قواته من الحجاز في حملة على عسير واليمن(١) ، ولا غرو في ذلك إذ أن رغبة الباشا كانت كبيرة في الاستفادة من تجارة الشرق عن طريق الاستيلاء والتحكم في الطرق التجارية المسيطرة على هذه التجارة وأهمها طريقا البحر الأحمر والخليج العربي ، إضافة إلى حرصه المستمر في المحافظة على تجارة البن التي يشتهر بها اليمن ، حيث تجلى ذلك في اسراع الباشا بايفاد عميلا له لشراء البن من مخا وارساله إلى السويس حالما تم الاستيلاء على مخا ، قاعدة تجارة البن هناك(٢) .

وقد وجد الباشا فرصته المناسبة بعد توقيعه للهدنة المسلحة « صلح كوتاهية » سنة ١٢٤٨ هـ / ١٨٣٣ م ، حيث أتاحت له سحب عدد كبير من قواته المتواجدة في آسيا الصغرى لتوجيهها إلى شبه الجزيرة العربية(٣) ، إلا أن محاولة السيطرة على جنوب وشرق الجزيرة العربية ستؤدى إلى الاصطدام بالانجليز ، وهو ما لم يرغب محمد علي في وقوعه في البداية لاسيما وهو المعروف بنهجه السياسى الفريد الذي يخدم أغراضه وأهدافه دون المساس بالأطراف الأخرى ، حتى أن بعض المؤرخين أشار إلى تلك الميزة التي تتوفر في الباشا(٤) .

(١) د . أحمد مصطفى أبو حاكمه : تاريخ الكويت ، القسم الأول ، جـ ٢ ، ص ١٢٠ .

(٢) د . محمد فؤاد شكرى وآخرون : بناء دولة مصر محمد على « السياسة الداخلية » ، ص ٥٧ .

(٣) د . فائق حمدى طهبوب : تاريخ البحرين السياسي ، ص ١٧١ .

(٤) د . أحمد مصطفى أبو حاكمة : تاريخ الكويت ، القسم الأول ، جـ ٢ ، ص ٩٣ نقلا عن هنرى دودول : مؤسس مصر الحديثة ، ص ١٢٨ .

وعند ادراك محمد على لهذا القلق البريطاني المتزامن مع تحركات قواته إلى اليمن وجنوب الجزيرة العربية ، أكد للقنصل البريطاني في مصر الكولونيل باتريك كامبل ، أنه لا يفكر في توسيع مشروعاته خارج البحر الأحمر ولا يبغى مد أملاكه شرقى صنعاء[1] .

وقد كان محمد على متحمسا لانشاء علاقات تجارية بين مصر والهند البريطانية ، وقام بعدة محاولات في هذا النطاق إلا أن محاولاته تلك لم يحالفها النجاح ، رغم حرص بريطانيا على سلامة طرق مواصلاتها التي تربطها مع الهند والتي يسيطر الباشا على أهمها في البحر الأحمر ، والأراضي المصرية[2] .

منذ أن وطئت أقدام قوات محمد على باشا أرض الجزيرة العربية ، وتطلعات الباشا إلى فتح اليمن وامتلاكها تزداد يوما بعد يوم ، خاصة وأنها تنطلق من أطماع اقتصادية أكثر منها سياسية ، فموانيها التجارية الهامة ، وموقع تلك الموانىء على البحر ، ومدى ما يمكن أن تدره من ريع جماركها من مال وفير ، إضافة إلى تجارة البن المربحة التي يتطلع الباشا إلى احتكارها[3] ،

---

(1) Document : F. O. 78/3185. 617070. P. 52. 23/2/1837.

(٢) د . محمد فؤاد شكرى وآخرون : بناء دولة مصر محمد على « السياسة الداخلية » ، ص ٥٠٧ .

جون مارلو : تاريخ النهب الاستعمارى لمصر ، ص ٤٠ .

(٣) د . عبد الحميد البطريق : من تاريخ اليمن الحديث ، ص ٦٢ .

د . السيد رجب حراز : المدخل إلى تاريخ مصر الحديث ، ص ٢٤٤ ـ ٢٤٥ .

كل ذلك جعل محمد على يتجه إلى جنوب الجزيرة العربية ، لاخضاعها إلى نفوذه ، وفرض سيطرته عليها ، رغم أن هناك أمورا يعيشها الباشا تجعله لا يفصح عن أهدافه تلك ، من أهمها الموقف البريطاني المتصلب تجاه تحركات الباشا في هذا الجزء من المنطقة .

ولقد ظل مشروع غزو اليمن مطويا في صدر محمد على إلى عام ١٢٤٨ هـ / ١٨٣٢ م ، حينما قامت ثورة الجند الغير نظاميين بزعامة محمد أغا « تركجه بيلمز » في الحجاز ، ابان حرب الشام الأولى التي يخوضها محمد على مع الدولة العثمانية ، والتي ابتهج لقيامها الباب العالى ، وأرسل بذلك فرمانا إلى قائد الثوار « تركجه بيلمز » يقره على ولاية الحجاز نكاية بمحمد على باشا[١] ، إلا أن محمد على لم يرض عن قيام تلك الثورة ، ولم يعترف بفرمان السلطان[٢] ، وانتهز بذلك الفرصة ليوطد نفوذ حكومته في الحجاز واليمن ، فأرسل حملة عسكرية بقيادة أحمد باشا يكن للقضاء على هذه الثورة ومثيريها ، ولكن الثوار لم يصمدوا أمام قوات أحمد باشا يكن ، بل هربوا إلى اليمن ، ومنها انتهت ثورتهم قبل أن يشتد عودها ، دون أن يستفيدوا منها إلا القتل والتشريد[٣] ، في حين أن تلك الثورة قد أثارت في نفس محمد على ذلك المشروع الذي كان يخفيه لسنوات خلت ، خاصة وأن الأوضاع التي يعيشها اليمن أصبحت تساعد الباشا على تحقيق آماله ورغباته[٤] ، لا سيما وهو الآن

---

(١) عبد الرحمن الرافعي : عصر محمد على ، ص ٣١٠ .

(٢) د . فاروق عثمان أباظة : الحكم العثماني في اليمن ، ص ٣٥ .

(3) Document : F. O. 78/227. 60952. No. 10.

(4) Document : F. O. 78/228. 60952. No. 62.

قد تخلص من أخطر ثورة ضد حكمه في الجزيرة العربية ، من هنا أفصح عن غزو اليمن في شهر رمضان سنة ١٢٥٠ هـ / يناير سنة ١٨٣٥ م[١] ، إذ قرر إرسال قوة جديدة بقيادة إبراهيم باشا يكن[٢] ، وجعله سر عسكر اليمن ، وسارت تلك الحملة برا وبحرا ، وأخذ الأسطول المصري تحت قيادة حافظ على بك يستولى على الموانىء اليمنية ، بينما القوات البرية التي يقودها إبراهيم باشا تستولى على المدن اليمنية الهامة ، وتضع فيها الحاميات القوية حتى تمكنت تلك الحملة من الاستيلاء على جميع المدن والموانىء اليمنية الهامة ، باستثناء عدن[٣] ، واستقر إبراهيم باشا في الحديدة ، وجعلها مقرا لولايته ، وبدأ في تعيين المحافظين والولاة على مدن اليمن المختلفة[٤] .

« ولما كانت الناحية الاقتصادية هي الأساس الذي بنيت عليه آمال محمد على في الاستيلاء على اليمن فقد وجه حاكم اليمن أكبر اهتمام للسيطرة على المناطق التي تجود فيها زراعة البن لأنه المحصول الرئيسي الذي عزم الباشا على احتكاره تطبيقا لسياسته الاقتصادية في البلاد التي حكمها »[٥] ، وقام

(١) د . عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم :محمد على وشبه الجزيرة العربية ، ص ٢٠٥ .

(٢) إبراهيم يكن « إبراهيم باشا توفيق » هو ابن أخت محمد على ، وشقيق أحمد باشا يكن الأصغر ، ولد بالقاهرة سنة ١٨٠٤ م ، واشترك في حروب الشام ، وبذل جهدا كبيرا في حصار عكا ، وكانت ثقة محمد على به كبيرة .

د . عبد الحميد البطريق : من تاريخ اليمن الحديث ١٥١٧ ـ ١٨٤٠ م ، هامش ص ٧٥ .

(٣) الشيخ عبد الواسع يحيى الواسعي : تاريخ اليمن المسمى « فرجة الهموم والحزن في حوادث وتاريخ اليمن » ، ص ٢٣٣ .

(4) Document : F. O. 78/247. P. 119.

(٥) د . عبد الحميد البطريق : المرجع السابق ، ص ٩٩ .

بفرض ضرائب باهظة على التجار التابعين لشركة الهند الشرقية بلغت نسبتها ٥ر٧٪ بينما التجار الأمريكيون يدفعون ٣٪ فقط ، مما أثار حفيظة وزير خارجية بريطانيا اللورد بالمرستون Palmerston ، الذي طالب بسرعة رفع هذه القيود عن التجار البريطانيين ، والا ستضطر حكومته لاتخاذ الاجراءات الكفيلة بانهاء ذلك(١) ، بدأ بعد ذلك إبراهيم باشا يكن يمد ناظريه إلى توسيع رقعة ممتلكاته في اليمن ، وطلب من والى الحجاز تزويده بالامدادات اللازمة والجنود ، ليتمكن من الاستيلاء على مدينة تعز وتوابعها ، إلا أن ظروف والي الحجاز منعته من تلبية ذلك(٢) ، ويذهب بعض المؤرخين إلى أن تعز قد استسلمت للجيش المصري بقيادة إبراهيم باشا يكن في ربيع أول سنة ١٢٥٣ هـ الموافق يونية سنة ١٨٣٧ م ، وأنه قد تم تعيين مصطفى بك أحد قادة الحملة حاكما عليها ، وقد زف إبراهيم يكن البشرى إلى محمد على باشا عن اتمام قواته لفتح كامل اقليم تعز بعد ست معارك قاتل فيها الجيش المصرى قتال الأبطال(٣) .

كان سرور محمد على باشا بالغا في السعادة والغبطة عندما وصلته الأنباء عن خضوع كامل الساحل الشرقي للبحر الأحمر من السويس

---

(١) د . فاروق عثمان أباظة : عدن والسياسة البريطانية في البحر الأحمر ، ص ١٥١ .

د . عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم : محمد على وشبه الجزيرة العربية ، ص ٢٣٢ .

(٢) وثيقة رقم ١٤٤ نمرة ٣٨٧ ، محفظة ٢٦١ عابدين ، دار الوثائق القومية بالقاهرة ، نقلا عن د . عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم : من وثائق شبه الجزيرة العربية في عصر محمد على ، مجلد ١ ، ص ٤١٣ ـ ٤١٤ .

(٣) د . عبد الحميد البطريق : من تاريخ اليمن الحديث ١٥١٧ ـ ١٨٤٠ م ، ص ٧٩ ـ ٨٠ .

وحتى باب المندب للسيادة المصرية ، بينما القنصل البريطاني في مصر يبدو على النقيض تماما ، حينما بعث برسالة إلى وزير خارجيته اللورد بالمرستون Palmerston ، ينبئه فيها بسيطرة جيوش محمد على على أغلب المدن والموانىء اليمنية(١) .

كان إبراهيم باشا يكن يعتبر تعز مفتاح صنعاء ، فلما اطمأن إلى دخول الساحل اليمني في حوزة الحكم المصرى ، بدأ في الاستعداد للقيام بحملات جديدة داخل اليمن ، ولكنه كان في حاجة إلى الامدادات البشرية والعسكرية ، إذ أن جل جيشه أصبح موزعا على شكل حاميات بين الأقاليم اليمنية التي فتحها ، إضافة إلى ضرورة تزويده بإذن من محمد على باشا بفتح صنعاء ، فبقى حينذاك ينتظر الاذن بالسماح له وارسال الامدادات اليه ، وخلال تلك الفترة حاول أن يستولى على عدين وهي حاضرة اقليم هام بين زبيد وإب ، فأرسل كتيبة بقيادة البكباشي محمد صادق ، استطاعت أن تخضع مشائخ الأقليم والأهالي ، الذين طلبوا الانضواء تحت مظلة الحكم المصرى(٢) .

---

(1) Document : F. O. 78/257. xC/A/61064. No. 2.

(٢) د . السيد رجب حراز : المدخل إلى تاريخ مصر الحديث من الفتح العثماني إلى الاحتلال البريطاني ، ص ٢٤٦ .

د . عبد الحميد البطريق : من تاريخ اليمن الحديث ١٥١٧ ـ ١٨٤٠ م ، ص ٨٢ .

ثارت صنعاء بسبب سوء الأوضاع السياسية والمعيشية التي تمر بها في عهد الإمام المنصور على بن المهدى الذي خرج عليه عمه القاسم[١] ، من هنا استطاع إبراهيم يكن باشا من اسكات قاسم عم الإمام براتب شهرى ومكافأة مالية ، مع السماح له بالإقامة في مخا ، لكى يتمكن هو من اخضاع أمام صنعاء ، تلك المدينة التي بات الباشا يتوق لفتحها بين الفنية والأخرى حتى أن إمام صنعاء اضطر إلى الكتابة إلى أحمد باشا والى الحجاز عله يتوسط لدى إبراهيم باشا بالكف عن الاعتداءات التي يقوم بها إبراهيم باشا بين الحين والآخر على جهات مختلفة من حكومته[٢] ، إلا أنه لم يلبث أن أعلن ولاءه للحاكم المصرى في اليمن ، ليتقى شر البريطانيين بعد سيطرتهم على عدن[٣] .

ووردت إلى محمد على بعض الرسائل من أهالى وأعيان حضرموت يطالبونه فيها بإرسال الموظفين والجنود إلى الاقليم لحفظ الأمن وتنظيم الأحوال هناك ، مؤكدين له في رغبتهم الانضواء تحت إدارة حكومته ، التي أقامها إبراهيم يكن في اليمن[٤] .

---

(١) محمود كامل : اليمن شماله وجنوبه تاريخه وعلاقاته الدولية ، ص ٢٣١ .

(٢) د . السيد رجب حراز : المدخل إلى تاريخ مصر الحديث من الفتح العثماني إلى الاحتلال البريطاني ، ص ٢٤٦ ، د . عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم : محمد على وشبه الجزيرة العربية ، ص ٢١١ ـ ٢١٧.

(٣) د . فاروق عثمان أباظة : عدن والسياسة البريطانية في البحر الأحمر ١٨٣٩ ـ ١٩١٨ ، ص ٢١٦ .

(٤) د . فاروق عثمان أباظة : الحكم العثماني في اليمن ١٨٧٢ ـ ١٩١٨ م ، ص ٣٧ .

وقد قام الكابتن جيمس ماكنزى James Mackenzie من فرقة خيالة البنغال الخفيفة ، باعداد تقرير كامل في أواخر شهر صفر ١٢٥٣ هـ الموافق للأول من يونيو سنة ١٨٣٧ م ، أرسله إلى رئيس لجنة المراسلات بالجمعية الآسيوية الملكية في لندن ، أوضح من خلاله انتصارات محمد على ، على سواحل البحر الأحمر ، وأشار إلى أن تلك القوات قد استولت بالفعل على الساحل الممتد من السويس والعقبة شمالا حتى المخا قرب مضايق باب المندب عند أقصى الطرف الجنوبي للبحر الأحمر ، وأنه بذلك سيصبح مسيطرا على تجارة اليمن والحجاز وهما أهم اقليم الضفة الغربية للجزيرة العربية ، ولم ينس المسؤول البريطاني أن يشير إلى احتكار محمد على للتجارة الداخلية بصفة عامة ، وكذلك ما يفرضه من رسوم جمركية على التجارة الواردة من الهند ، والتي تصل إلى ١٠ ٪ كما يقول في تقريره ذاك[١] .

ويعنى ذلك أن بريطانيا كانت تعلم بأطماع محمد على في اليمن ، لذلك باتت ترصد حركات قواته في شبه الجزيرة العربية ، خاصة في السواحل اليمنية ، التي تتيح له التحكم في تجارة البن ، والطرق البحرية الهامة المؤدية إلى الهند ، وهي تعلم أن محمد على لن يسمح بتهديد نفوذه في الاقليم ، فلم يعد أمامها من حل سوى اتباع أساليب الخداع والتمويه مع الباشا لتصل إلى غرضها المنشود ، لأن التقارير التي تصلها من الجواسيس الانجليز

---

(١) نقلا عن مجلة الدارة عدد ٢ ، السنة الأولى ، ص ١٨٢ .

Document : F. O. 78/3185. P.P. 22 - 32.

تثبت بما لا يدع مجالا للشك تطلعات محمد على المستمرة ، للسيطرة على كل الساحل اليمني بما في ذلك ميناء عدن الهام ، خاصة وأن حكومته في الشام بدأت تتجه إلى الاستقرار والهدوء ، مما يجعل قبضته في سواحل الجزيرة العربية تشتد عن ذي قبل[١] .

« وما أن يفرض محمد على سيطرته على عدن ، فسوف يسعى دون أدنى شك لبسط نفوذه على حضرموت ، ذلك الاقليم الذي يمتد إلى السواحل الجنوبية للجزيرة العربية ، وينقسم حاليا بين عدد من صغار الأمراء والمشائخ وهم أضعف من أن يقفوا في وجه محمد على أو الحيلولة دون تقدمه ، وإذا ما زحفت قوات محمد على ، على طول ساحل حضرموت فإنها سوف تدخل عمان وينتهى بها الأمر إلى احتلال مسقط والبلاد الواقعة على الجانب الجنوبي الغربي من الخليج الفارسي ـ العربي ـ ، وبذلك يسيطر الباشا على الجزيرة العربية كلها »[٢] ، فأصبح ظهور قوات محمد على في البحر الأحمر دليلا واضحا لبريطانيا على معرفة نوايا وأهداف الباشا الاقتصادية في المنطقة ، وتطلعه إلى التحكم في موانئها الهامة ، عندئذ بدأت في محاولة سباق معه للسيطرة على المنطقة والمواقع الهامة فيها ، وأخذ الجانبان في مراقبة بعضهما البعض ، وكل

---

(1) Document : F. O. 78/227. 60952. No. 24.

Document : F. O. 78/228. 60952. No. 62.

(٢) نقلا من مجلة الدارة ، عدد ٢ ، السنة الأولى ، ص ١٨٢ .

(2) Document : F. O. 78/3185. P.P. 22 - 32.

منهما يتجسس على الآخر بطريقته الخاصة ، بينما استمرت « تجارة البن في يد السلطات المصرية في اليمن إلى أن تم للانجليز الاستيلاء على عدن ، وأخذ نفوذهم يمتد نحو المناطق التي تزرع البن ، وعندئذ أخذت تجارته تتسرب إلى عدن وقل الوارد منه إلى تعز ومخا »[١] ، وهو ما تريد بريطانيا تحقيقه .

ورغم أن وزير خارجية محمد على قد أبدى قلق حكومته من الاجراءات التي تتخذها الحكومة البريطانية بشأن ايجاد موقع لها قرب مخا[٢] ، إلا أن استيلاء بريطانيا على عدن ، هو العلاج الناجح في نظر الساسة البريطانيين لايقاف توغل محمد على في بلاد اليمن ، وأتبعت ذلك الاحتلال بانذار الباشا بأن « أي محاولة من جانبه للمساس بعدن تعد اعتداءً على جزء من الأملاك البريطانية»[٣] .

ولا غرو في ذلك فقد هال الانجليز تقدم قوات محمد على في شبه الجزيرة العربية والسودان ، وبدأ القلق يراودهم حول مصير تجارة الهند ، التي بدأت أهداف الباشا فيها واضحة ، خاصة عندما بدأ في منع السفن الأوروبية الآتية من بومباى لكى لا تصعد في البحر الأحمر شمالى جدة[٤] ،

---

(١) د . عبد الحميد البطريق : من تاريخ اليمن الحديث ١٥١٧ ـ ١٨٤٠ م ، ص ١٠١ .

(٢) د . فاروق عثمان أباظة : عدن والسياسة البريطانية في البحر الأحمر ، ص ١٧٥ .

(٣) جورج كيرك : موجز تاريخ الشرق الأوسط ، ص ١٢٢ .

(٤) د . فاروق عثمان أباظة : الحكم العثماني في اليمن ، ص ٣٨ .

رغم أنهم يدركون أن محمد على باعتباره وال مسلم يسير على نمط السياسة العثمانية في اتخاذ اليمن كحجاب واق للحجاز وللأماكن المقدسة في مكة المكرمة والمدينة المنورة بشكل خاص[1] .

احتلت بريطانيا عدن في شهر ذو القعدة سنة ١٢٥٤ هـ المصادف للتاسع عشر من يناير سنة ١٨٣٩ م ، لتوجه ضربة قاضية لمحمد على في اليمن ، لارغامـه على الانسحاب منهـا[2] ، ولم تكتف بـهذا الاحتلال فقط ، بل بدأت في الاتصال بمشائخ القبائل المجاورة لعدن ، لتتقرب منهم بالهدايا والهبات الثمينة ، لكي يخلعوا عصا الطاعة التي منحوها لإبراهيم باشا يكن حاكم اليمن من قبل محمد على ، وبدأ الحاكم البريطاني في عدن الكابتن هينز Haines يحرض الأهالى على عدم دفع الزكاة المفروضة للإدارة المصرية في اليمن[3] ، لكى يفرض هيمنة تجارية على تجارة البن وتحويلها إلى عدن التي يسيطرون عليها[4] ، في الوقت الذي حاولوا فيه جذب العمليات التجارية إلى ميناء عدن من جميع المناطق اليمنية .

---

(1) Document : F. O. 78/228. 60952. No. 62.

(٢) أمين الريحاني : ملوك العرب ، جـ ١ ، مجلد ١ ، ص ٤١٤ ـ ٤١٥ .

(٣) د . فاروق عثمان أباظة : عدن والسياسة البريطانية في البحر الأحمر ، ص ٢٠١ .

(٤) د . محمد فؤاد شكرى وآخرون : بناء دولة مصر محمد على « السياسة الداخلية » ، ص ٧١٧ .

د . أحمد حسن جودة : المصالح البريطانية في الكويت حتى عام ١٩٣٩ م ، ص ٣٩ .

من هنا نستنتج أن السياسة البريطانية قد قامت على اتباع أسلوب المعاكسة الاقتصادية والسياسية ، لاضعاف النفوذ المصري في اليمن لكي يضطر إلى الانسحاب منها ، ويبتعد بذلك عن البحر الأحمر ، الطريق الحيوي لمصالحها التجارية والسياسية في الشرق[1] ، وقد عبر عن ذلك الكابتن هينز Haines في رسالته التي بعثها للقنصل البريطاني في القاهرة الكولونيل كامبل Campbell ، حيث أشار إلى أن طموح محمد على هو غزو اليمن كله ، واحتكار البن ، واغراق المنتجات المصرية للقطر كله ، ولم يعد يوقفه من التحرك شمالا وجنوبا إلا المقاومة الشديدة وطبيعة البلاد الجبلية الحصينة[2] .

وقد كان إبراهيم يكن باشا قد عرض تصورا كاملا للأحداث التي تجرى في اليمن ، وطلب من الباشا توجيهه بما يجب عليه اتخاذه حيال تلك الأحداث ، فتلقى بذلك جوابا ذا طابع سياسي محض حيث طُلب منه التزام الحكمة والمعاملة الحسنة مع الانجليز دون اظهار المعارضة لهم ، حتى تصدر له الإرادة من محمد على بهذا الشأن[3] ، ولكن التقارير التي أرسلها الكابتن هينز Haines تؤكد أن حكومة محمد على في اليمن قد دربت بعض اليمنيين على استخدام أسلحة المدفعية والأسلحة الأخرى ، ليتمكنوا بمقدرتهم الذاتية من الصمود أمام المحاولات البريطانية المبيتة ضدهم[4] ،

(1) Document : F. O. 78/373. C/A/61064. No. 21. P.P. 98 - 99.

(2) Document : F. O. 78/373. C/A/61064. No. 21. P.P. 101 - 103.

(٣) وثيقة رقم ١٠٥ ، محفظة ٢٦٤ عابدين ، محافظ الحجاز رقم ٦ دار الوثائق القومية بالقاهرة .

(٤) د . فاروق عثمان أباظة : عدن والسياسة البريطانية في البحر الأحمر ، ص ١٨٩ .

وليس ذلك بمستبعد على شخصية سياسية مثل محمد على باشا ، الذي يحاول دائما حماية مصالحه وأهدافه بأساليب مختلفة ، حسب الأوضاع التي يمر بها ، وهو الذي طلب من إبراهيم يكن باشا افادته عن كل مجريات الأحداث التي تجرى هناك بين أهالى اليمن والحاكم البريطاني هينز Haines ، ومدى ميلهم اليه ، وكذلك افادته عن موقف امام صنعاء من النفوذ البريطاني(١) .

وعندما علم محمد على بوصول بعض عملاء الانجليز إلى مخا ، لكي يجمعوا العمال والصناع وأرباب المهن ، لتشغيلهم في عدن ، خشى أن يقوى النفوذ البريطاني هناك ، ويقضى بالتالى على كل أهدافه وتطلعاته الاقتصادية والسياسية على حد سواء(٢) ، أرسل حينذاك إلى إبراهيم يكن يحذره « من النتائج الاقتصادية التي تترتب على اخلاء مخا من العمال والصناع وأرباب الحرف ، ويطلب اليه العمل على منع انتقالهم إلى عدن ، وإلى جانب ذلك كان خائفا على تجارة البن التي احتكرها أن تنتقل من مخا إلى عدن ، حيث تتحول إلى التجار الانجليز ، فيفقد بذلك احتكاراً ثمينا مضمون الفائدة ، وقد ظهرت النتيجة التي كان يخشاها عقب استيلاء

---

(١) وثيقة رقم ٩٤ حمراء ، محفظة ٢٦٧ عابدين ، محافظ الحجاز رقم ٧ ، دار الوثائق القومية بالقاهرة .

وثيقة رقم ٢٤ حمراء ، محفظة ٢٦٧ عابدين ، محافظ الحجاز رقم ٧ ، دار الوثائق القومية بالقاهرة .

(٢) د . فاروق عثمان أباظة : المرجع السابق ، ص ٢١٦ .

الانجليز على عدن ، إذ وصلته رسالة كتبها محافظ مخا يشكو فيها من أن ـ احتلال ـ الانجليز لعدن ، قد أثر كثيرا على ورود البن إلى مخا ، وأن عملاء مخا في تجارة البن قد تواروا عن الأبصار »(١) .

وعلى أية حال فقد بدأت المتاعب تظهر ضد حكومة محمد على في اليمن منذ أن احتل البريطانيون عدن، حيث ظهر ذلك واضحا في الشكوى التي رفعها الحاكم المصرى هناك والذي أكد « بأن ذلك سوف يؤدى بطبيعة الحال إلى خلل بالمصالح المصرية » ، إلا أن محمد على فضل عدم الاصطدام بالانجليز وطلب من حاكم اليمن عدم اظهار أي معارضة لهم(٢) ، لادراكه أهمية هذه المنطقة للسياسة البريطانية ، التي ترى في سيطرته هو على الجزيرة العربية بوجه عام والبحر الأحمر بوجه خاص خطرا كبيرا يهدد مواصلاتها إلى الهند عبر البحر الأحمر ، والخليج العربي ، وهو يعرف ذلك الموقف منذ حملاته الحربية على الدولة السعودية الأولى، ويعرف أطماع بريطانيا في تلك النواحي(٣)، لا سيما وهو يخوض الآن حربا من نوع آخر مع الدولة العثمانية في الشام .

ورغم ذلك فإنه لم يرفع يده عن اليمن بشكل كامل ، حيث أرسل إلى إمام صنعاء أحد رجاله المدعو سعيد حسين وعندما بلغ ذلك القنصل البريطاني في مصر ، سارع إلى الاستفسار عن مهمة هذا المندوب ، وهل هي لتحريض

---

(١) د . عبد الحميد البطريق : من تاريخ اليمن الحديث ١٥١٧ ـ ١٨٤٠ م ، ص ٩٢ ـ ٩٣ .

(٢) د . عبد الحميد البطريق : المرجع السابق : ص ٩٣ ـ ٩٤ .

(٣) جورج فورستر سادلير : رحلة عبر الجزيرة العربية خلال عام ١٨١٩ م ، ص ٢٧٤ ـ ٢٧٧ .

القبائل ضد البريطانيين ، كما ذكر حاكم عدن أم لا ؟ رد عليه الباشا بأن المندوب المشار اليه كان يحمل معه اقتراحا بتقليد حكم صنعاء للإمام مقابل جزية سنوية يدفعها للباشا[1] .

لكن تطلعات محمد على باشا لم تعد مقصورة على البحر الأحمر فحسب ، بل تعدته إلى الخليج العربي ، وشرقي الجزيرة العربية ، وبما أنه كان يجمع بين الطموح وبعد النظر بدرجة كبيرة ، فإن مطامحه تلك تطرح مسائل هامة وجوهرية في ميدان العلاقات الدولية[2] ، ولكنه كان يتصرف دوما بحذر ولباقة شديدة ، خاصة كلما أقدم على اتخاذ أي خطوة في الجزيرة العربية لها مساس بالاطماع البريطانية ، « سواء كان ذلك في عدن والمنطقة المطلة على مياه البحر الأحمر ، أم كان ذلك في شرقي الجزيرة والخليج »[3] ، فهو الذي ظل زمنا يخشى من التدخل المباشر في اليمن خوفا من التدخل البريطاني ، حيث كانت بريطانيا ترصد تحركات قواته على أرض الجزيرة العربية ، ولا تريد له أن يصل إلى سواحل جنوب شبه الجزيرة ومدخل البحر الأحمر ، أو سواحل الخليج العربي ، رغم أنه « قد حاول بشتى الوسائل الممكنة أن يتغلب على معارضة البريطانيين لوجوده في اليمن وذلك بعرض صداقته عليهم واستعداده لمراعاة المصالح

(1) Document : F. O. 78/404. P.P. 97 - 98. 22/2/1840.

(٢) بيير رنوفان : تاريخ العلاقات الدولية في القرن التاسع عشر ، القسم الأول ، ص ١٣٠ .

(٣) د . أحمد مصطفى أبو حاكمة : تاريخ الكويت ، القسم الأول ، جـ ٢ ، ص ١٢٧ .

البريطانية في موانىء البحر الأحمر ، غير أن النتائج السياسية الدولية التي ترتبت على انتصاراته على الباب العالي واقتراب القوات المصرية من الأستانة ، جعلت المسألة المصرية تتجاوز حدود تركيا »[١] ، متيحة بذلك الفرصة أمام وزير خارجية بريطانيا اللورد بالمرستون Palmerston ، الذي كان شديد الحقد على محمد على باشا ، ونمو دولته التي يعتزم تأسيسها لتشمل جميع بلاد العرب ، كما ذهب إلى ذلك بالمرستون نفسه[٢] .

ولنا أن نلم وبشيء من الايضاح عن أهم الملامح البارزة في تطلعات محمد على باشا التجارية في الخليج العربي ، وشرقي الجزيرة العربية ، والتي سارت بشكل متواز إلى حد ما مع تطلعاته التجارية في اليمن والبحر الأحمر ، والتي كانت بريطانيا تدركها منذ حروب الباشا ضد الدولة السعودية الأولى ، وحاولت حينذاك احتوائها ومعرفة أبعادها المختلفة[٣] ، إلا أن محمد على كان حريصا على عدم اثارة مخاوف الانجليز ، والتأكيد لهم بين الفينة والأخرى بأنه لا يرغب في المساس بمصالحهم في الجزيرة العربية ، بشكل عام ، رغم قناعته بالأهمية التجارية لاقليم الأحساء بشكل خاص ، وشرقي الجزيرة العربية بشكل عام ، فلما تمكن خورشيد باشا من الاستيلاء على اقليم نجد ، لم يتردد

(١) د . فاروق عثمان أباظة : عدن والسياسة البريطانية في البحر الأحمر ، ص ٢٢٣ .

(٢) د . عبد الحميد البطريق : من تاريخ اليمن الحديث ١٥١٧ ـ ١٨٤٠ م ، ص ٢٧ .

د . حسن أحمد إبراهيم : محمد على في السودان ، ص ٣٧ .

(٣) جورج فورستر سادلير : رحلة عبر الجزيرة العربية خلال عام ١٨١٩ م ، ص ١٥٨ .

محمد على في ابلاغ القنصل البريطاني بالقاهرة الكولونيل كامبل Campbell خبر خضوع شبه الجزيرة العربية وسواحلها الشرقية إلى نفوذه[1] ، ليثبت بذلك ادراكه الكامل للأهمية الاقتصادية التي يلعبها اقليم الأحساء في امداد قواته في وسط الجزيرة بما تحتاج إليه من موارد غذائية ، إضافة إلى أهميتها كقاعدة توسعية نحو بلدان الخليج العربي الأخرى[2] .

وبما أن الباشا كان يطمح إلى تقليل نفقات قواته المتواجدة في الجزيرة العربية ، لكى لا تستنزف جهد وقوة قواته المتمركزة في الشام التي من المحتمل أن تخوض حربا أخرى ضد الدولة العثمانية ، فقد كان حريصا على أن تعتمد تلك القوات في نفقاتها على المساعدات الممكنة التي يستطيع والى الحجاز تقديمها ، إضافة إلى المساعدات المادية والعسكرية التي يمكن الحصول عليها من المنطقة ذاتها[3] ، وليس أدل على ذلك من قيام خورشيد باشا بتعيين أحمد السديرى على اقليم الأحساء ليستميل قلوب الأهالي تجاه حكومته ، لمعرفته بمكانة السديري في نفوس الناس ، ولكنه

---

(١) جون . ب . كيلي : بريطانيا والخليج ١٧٩٥ ـ ١٨٧٠ ، جـ ١ ، ص ٥٠٦ ـ ٥٠٧ .

د . فؤاد سعيد العابد : سياسة بريطانيا في الخليج العربي ، ص ١٢٦ .

(٢) د . فائق حمدى طهبوب : تاريخ البحرين السياسي ، ص ١٧٨ .

د . محمد عرابي نخلة : تاريخ الأحساء السياسي ، ص ٥٩ .

(٣) د . بدر الدين عباس الخصوصي : محمد على والخليج العربي ـ مجلة كلية الآداب والتربية ، جامعة الكويت ، عدد ٥ سنة ١٣٩٤ هـ ، ص ١٠٣ .

سرعان ما أرسل محمد أفندى ليفرض الضرائب الباهظة على الأهالي[١] ، بعد أن استقر وضع قواته في نجد ، وأصبحت في حاجة ملحة إلى المال والسلاح الوفير .

ونظرا لما تتميز به البحرين من أهمية استراتيجية وتجارية ، وما تملكه من مصادر طبيعية وغنى في مصائدها من اللؤلؤ الطبيعي ، مما يجعلها تغطى جانبا كبيرا من نفقات القوات المصرية المرابطة في شبه الجزيرة العربية[٢] ، فقد سارع خورشيد باشا إلى طلب الجزية السنوية من حكام البحرين[٣] ، في الوقت الذي أكد في رسالة بعثها إلى محمد على أهمية البحرين وأنها كانت تابعة لآل سعود من قبل ، وتدفع لهم الزكاة السنوية[٤] ، أوفد مندوبه محمد رفعت أفندى إلى البحرين ليوقع مع الشيخ عبد الله بن أحمد شيخ البحرين اتفاقا يقضى بدفع ضريبة سنوية للحكومة المصرية ، مقابل حمايتها له من أي تدخل خارجي[٥] .

---

(١) عثمان بن بشر : عنوان المجد في تاريخ نجد ، جـ ٢ ، ص ٨٥ ـ ٨٧ .

(٢) د . عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم : محمد على وشبه الجزيرة العربية ، ص ٣٢٢ .

(٣) مختارات من سجلات حكومة بومباى ، شركة أرامكو بالظهران .

Document : S. R. B. G. No. XXIV. P.P. 444 - 448.

(٤) وثيقة ٧ أصلية ، و ٥٠ حمراء ، محفظة ٢٦٧ عابدين ، محافظ الحجاز رقم ٧ ، دار الوثائق القومية بالقاهرة .

(٥) د . عبد الفتاح أبو عليه : الدولة السعودية الثانية ، ص ٥٢ .

د . أحمد مصطفى أبو حاكمة : تاريخ الكويت ، القسم الأول ، جـ ٢ ، ص ١٣٨ ـ ١٣٩ .

لم يغفل كذلك القائد المصرى خورشيد باشا من الأهمية التجارية في المشيخات العربية في الخليج العربي ، ويذهب المؤرخون في ذلك إلى أن عدم توافر الامدادات العسكرية والاقتصادية اللازمة لقوات خورشيد باشا نظرا لموقف حكومة القاهرة في حرب الشام ، والأوضاع الدائرة هناك ، فقد أدى ذلك به إلى التوغل في الساحل العماني ، وسلطنة مسقط ، إضافة إلى إرساله للمبعوثين شمالا إلى الكويت والبصرة وجنوب العراق[(١)] ، وكذلك إرسال مبعوثيه إلى بوشهر على الساحل الفارسي[(٢)] ، لادراكه الكامل بأهمية تلك المناطق الاقتصادية والتي تعتبر بمثابة « مركز تموين لنجد في كثير من السلع الغذائية والتجارية »[(٣)] .

وبما أن محمد على كان يدرك مدى الحرص البريطاني على سلامة الخليج العربي بشكل عام ، والساحل العماني بشكل خاص ، فقد قرر في وقت مبكر للقنصل البريطاني في مصر ، بأنه ليست لديه أية نوايا عدوانية ضد حكم صديقه سلطان مسقط ، وهو يكن له كل تقدير واحترام[(٤)] ، ولا شك في أن التكوين التجاري الذي تمتاز به شخصية محمد على ، وإدراكه لأهمية مسقط

---

(١) د . بدر الدين عباس الخصوصي : دراسات في تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر ، جـ ١ ، ص ١٣٣ .

د . عبد العزيز نوار : مصر والخليج العربي في القرن ١٩ ، مجلة الهلال المصرية ، عدد ١١ السنة ٧٢ سنة ١٩٦٤ م ، ص ١٦٤ .

(٢) د . محمد عرابي نخلة : تاريخ الأحساء السياسي ، ص ٨٣ .

(٣) د . عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم : محمد على وشبه الجزيرة العربية ، ص ٣٧٣ .

(٤) جون . ب . كيلي : بريطانيا والخليج ، جـ ١ ، ص ٥٨٨ .

التجارية ، التي أصبحت ذات مستوى دولي ، بعد تدخل الحكومة الأمريكية في المنطقة ، وعقدها لأول امتياز تجارى تحصل عليه حكومة غربية في ممتلكات السيد سعيد(١) ، قد جعلته يسعى إلى إقامة علاقات ودية مع سلطان مسقط ، لكى تيسر له الاتصال بحرا بشرق الجزيرة العربية فيما لو أراد ارسال أي سفن بحرية إلى هناك عن طريق البحر الأحمر والخليج العربي(٢) .

ازداد شعور السلطات البريطانية بالخطر الذي أتى مع قوات محمد على إلى وسط الجزيرة العربية والخليج العربي ، وبدأت تقف موقفا حازما تجاه تلك القوات لتكرر ما قامت به في الطرف الجنوبي الغربي من شبه الجزيرة العربية تجاه الباشا وقواته(٣) ، لأنها وجدت في محمد على منافسا خطيرا على وجودها التجاري في الخليج العربي ، وسياسته في المنطقة ، وفرض نفوذه عليها ، سيكون عقبة كؤود أمام الأطماع البريطانية بشكل عام ، وطرقها التجارية إلى الهند بشكل خاص .

وعلى أية حال فإن تخوف وزير الخارجية البريطانية اللورد بالمرستون Palmerston من نوايا محمد على في منطقة الخليج لم يهدأ ،

---

(١) د . عبد العزيز عبد الغني إبراهيم : بداية الامتيازات الأمريكية في الشرق الأوسط ، مجلة الدارة ، عدد ١ ، السنة ٨ ، ص ١٠٠ .

(٢) ج . ج . لوريمر : دليل الخليج ، القسم التاريخي ، جـ ٢ ، ص ٧١٢ .

(٣) ج . ج . لوريمر : دليل الخليج ، القسم التاريخي ، جـ ٢ ، ص ١٠٦٨ .

جون . ب . كيلي : بريطانيا والخليج ١٧٩٥ ــ ١٨٧٠ م ، جـ ١ ، ص ٤٠٧ ــ ٤٠٨ ، ٥٤٧ .

لا سيما بعد تلقيه لتلك التقارير التي بات يبعثها جواسيسه في الخليج بصفة مستمرة ، مؤكدين له ورود الأوامر من محمد على إلى خورشيد باشا ، يحثه فيها على مواصلة الزحف حتى سلطنة عمان(١) ، ولا غرو في أن تزداد عوامل القلق والخوف لدى البريطانيين ، ذلك بأن الساحل الشرقي للبحر الأحمر من السويس إلى باب المندب أصبح يخضع للتبعية المصرية ، إضافة إلى وصول قوات خورشيد باشا إلى السواحل الشرقية لشبه الجزيرة العربية وبسط نفوذها على موانيء الخليج العربي ، مما يعني أن هذين الخطين الملاحيين عبر البحر الأحمر والخليج العربي ، قد أصبحا تحت رحمة محمد على باشا ، وهذا من شأنه تحطيم التجارة البريطانية والمصالح الاقتصادية هناك في المقام الأول ، إضافة إلى ما سيتبع ذلك من آثار كثيرة وكبيرة تخشاها الحكومة البريطانية ، وتحسب لها ألف حساب ، لا سيما وأنها تهدد طرق مواصلاتها إلى درة التاج البريطاني ـ الهند .

---

(١) جون . ب . كيلي : المرجع السابق ، ص ٥٨٤ .

ب ـ تقدم محمد على نحو الأحساء وسياستــــه نحــو البحـــرين

منذ أن اعتلى محمد على باشا أريكة الحكم في مصر ، وهو ينهج وفق استراتيجية معينة في الحكم ، ليحقق من خلالها الأهداف والطموحات التي يرمى إليها ، خاصة وأنه يتمتع بصفات من العبقرية والدهاء ، جعلته ذا شخصية معينة ، وذا شأن في العالم الإسلامي(١) ، ولعل الدولة العثمانية عندما أسندت إليه مهمة التصدى للدعوة السلفية في شبه الجزيرة العربية ، لم تكن تدرك هذه الأهداف التي تختلج في خيال محمد على ، إلا أن بريطانيا كانت هي المدركة لهذه الأهداف ، ولتلك الصفات التي يتميز بها الباشا عن من سواه من ولاة الدولة العثمانية في ذلك الوقت .

سارعت الحكومة البريطانية بايفاد الكابتن جورج فورستر سادلير Captain. G. F. Sadleir لمقابلة إبراهيم باشا وتقديم الهدايا والتهاني له ، بمناسبة انتصاره على الدولة السعودية الأولى في الدرعية ، ولمعرفة أهدافه وطموحاته التوسعية في الجزيرة العربية ، في الوقت الذي تعرض فيه استعدادها للتعاون مع الباشا في الاستيلاء على السواحل الشرقية لشبه الجزيرة العربية ، ورغم الصعوبات التي جابهها المندوب البريطاني في رحلته تلك إلا أنه لم يستطع سبر أغوار عقلية إبراهيم باشا ، الذي استمر في ملاينته ومجاراته حتى تأتيه إجابة والده من مصر(٢) ، والتي يبدو أنها

---

(١) جورج . فورستر . سادلير . رحلة عبد الجزيرة العربية خلال عام ١٨١٩ ، ص ١٥٥ .

(٢) جورج . فورستر . سادلير : المصدر السابق ، ص ١٨٠ ـ ١٨٢ ، ٢١٥ ـ ٢١٦ .

لـم تكن على مـايتـمـنى المنـدوب البـريطانـي ومـن ورائـه حكومتـه ، إلا أن سادلير Sadleir قـد توقـع في تقـرير رفعـه إلى حكومتـه بأن مشاريع الباشا لا يمكن أن تصل إلى الاحتفاظ بأقاليم ربما لا توازي مكاسبه فيها نفقات الغزو لها ، وهو يشير بذلك إلى انسحاب جيوش محمد على من وسط الجزيرة العربية، حـيث أكد أن الباشـا قد « اقـتصـر على تأسـيس قـوته على السـاحل الغـربي للجـزيرة العربية لكونـه أقـرب مـن أجـل الاتصال بالمنشأة العسكرية في مصر التي يحصل منها على الامدادات في المؤن والعتاد والاعداد بشكل سريع »[١] .

فإذا كان محمد على قد وضع حامية عسكرية في حصن الرياض سنة ١٢٣٨ هـ / ١٨٢٢ م بهدف حمايته من أي انتفاضة قد تقوم في وسط اقليم نجـد[٢] ، فـربما أن أفكاره كـانت حـينـذاك تراوده بشيء مـن الاسـتـقـلال وتحـقـيـق المطامـح الذاتيـة في المنطقـة ، إلا أن مـوقـفه النابع من تبـعيتـه للسلطـان كان يحتم عليه استبعاد هـذه الفكرة أو تأجيلـها إلى الوقـت المناسب له[٣] .

جاءت حرب الشام الأولى التي خاضها محمد على ضد الدولة العثمانية ، وانتصاراته التي حققها في بداية تلك الحرب[٤] ، لتبـعث في ذهن البـاشـا ما

---

(١) جورج فورستر . سادلير : رحلة عبر الجزيرة العربية خلال عام ١٨١٩ ، ص ٦٣ .

(٢) مختارات من سجلات حكومة بمباى ـ شركة أرامكو بالظهران .

Document : S. R. B. G. No. XXIV. P.P. 437 - 438.

(٣) د . أحمد حسن جوده : المصالح البريطانية في الكويت حتى عام ١٩٣٩ م ، ص ٣٤ .

(٤) وثيقة رقم ٨٢٤ ، دفتر ٤٠ معيه تركى ، ص ١٣٠ ، دار الوثائق القومية بالقاهرة .

يختمر فيه من أهداف وطموحات ينوى تحقيقها في شبه الجزيرة العربية ، حيث أعلن ذلك صراحة للجند الغير نظاميين الذين ثاروا في مكة بقيادة محمد أغا ـ تركجه بيلمز ـ عندما قال لهم : « علمت من الأوراق الواردة أخيرا أنكم قمتم من جدة بعد ذلك القتال وتوجهتم إلى مكة المكرمة كي تبسطوا عليها أيديكم بالسوء بزعمكم الفاسد ، واني لمرسل عليكم تحت امرة يكننا أحمد باشا آلايين من مشاة جند الجهادية ، وآلايا من فرسانهم وألف فارس من العربان يزحفون عليكم ، فإن أصررتم على زعمكم الباطل فلا ريب أنهم سيحملون عليكم حملة تشتت شملكم جميعا ، وان زعمتم أنكم ستجدون السلامة في الفرار فلن تفلحوا إذا أبدا ، فبلاد العرب بأسرها قد التحقت بمصر ولله الحمد ، كما اطلعتم على ذلك في الوقائع ، وقد أوشكت بغداد أن تصبح تابعة لنا ، وكم من بلاد أخرى ستخضع ، وقد بلغ من يأس رجال استامبول أن أرسلوا الينا قبوكتخدانا نجيب أفندى وسيطا للصلح ، فأينما توجهتم فلن تبلغوا السلامة »[1] .

وكان محمد على يعرف أن فرنسا ستؤيده في أي مشروع من شأنه تدعيم نفوذه في الجزيرة العربية ، لعله يقطع الطريق التجاري البريطاني المؤدى إلى الهند ، إلا أن الايحاء النمساوى الذي تلقاه محمد على في بداية عام ١٢٤٩ هـ / الموافق لشهر مايو سنة ١٨٣٣ م ، حيال امتداد نفوذه في شبه الجزيرة العربية ، كان بمثابة احياء للحلم الذي يداعب فكر الباشا منذ فترة ليست بالقصيرة[2] ، لدرجة أدرك معها القنصل

(١) د . عبد الحميد البطريق : من تاريخ اليمن الحديث ١٥١٧ ـ ١٨٤٠ م ، ص ٦٧ .

(٢) جورج انطونيوس : يقظة العرب ، ص ٨٦ .

البريطاني في القاهرة ، الأبعاد السياسية التي ينتهجها محمد على في تسهيلات أمور الحج للحجاج القادمين من اسطمبول وغيرها من الأماكن الأخرى ، مؤكدا أن هذه الجهود التي يبذلها الباشا في مكة والمدينة ، هي لأهداف سياسية أكثر منها دينية ، ولكي يرتفع من خلالها ذكر اسمه وشهرته في أنحاء العالم الإسلامي(١) .

أصبحت حرب الشام الأولى وما نتج عنها من عقد اتفاقية الهدنة المسلحة كوتاهية سنة ١٢٤٨ هـ / ١٨٣٣ م ، إضافة إلى ثورة الجند غير النظاميين في الحجاز ، هي الشرارة التي أشعلت في نفس الباشا تحقيق أهدافه وطموحاته في الجزيرة العربية(٢) ، وكان وسط الجزيرة العربية وشرقها ينعم باستقلال ذاتي ابان حكم الإمام تركى ابن عبد الله وابنه فيصل ، ولم يعد لمحمد على وممثل حكومته في الحجاز أحمد باشا يكن إلا مجرد تهديدات(٣) ، لم يكن محمد على ليقتنع بها ، لا سيما وهو يسيطر على الشام بعد انتصاراته العسكرية التي أحرزها هناك ضد الدولة العثمانية ، وهو الساعي لتحقيق أهدافه وطموحاته التوسعية التي يتطلع من خلالها إلى الخليج العربي والى العراق ، لا سيما وأن ضم العراق لحكومة الباشا ، يجعل الشام ينعم بهدوء أكثر لاكتمال حلقة الدولة التي يعتزم محمد على انشاءها والسيطرة عليها ، لتشمل كافة أقاليم الجزيرة العربية إضافة إلى العراق والشام .

(1) Document : F. O. 78/247. P. 120. 11/11/1834.

(٢) محمود بهجت سنان : البحرين درة الخليج العربي ، ص ١٥١ .

(٣) د . أحمد مصطفى أبو حاكمة : تاريخ الكويت ، القسم الأول ، جـ ٢ ، ص ١٢١ ـ ١٢٢ .

وكانت أولى خطوات الباشا في هذا المجال هي تعيين تاجر بحريني في أوائل عام ١٢٥١ هـ / صيف ١٨٣٥ م[١] ، يسمى عبد الله بن مشارى ، وقد تم تزويده بثلاثة خطابات من أحمد باشا يكن والى الحجاز إلى كل من سلطان مسقط ، والشيخ عبد الله بن أحمد أمير البحرين ، والإمام فيصل بن تركى ، وكان التاجر البحريني المذكور يحمل تفويضا من والى الحجاز لجمع عائدات الأحساء باسم الوالى .

كان هدف محمد على من ارسال عبد الله بن مشارى إلى الأحساء ينطلق من اتجاهين : أحدهما وهو الأهم هو جس نبض واختبار لمدى سيطرة الإمام فيصل على اقليم الأحساء[٢] ، الذي ينوى الباشا السيطرة عليه في تلك الفترة ، والتأكد من موقف الإمام فيصل وقوته في المنطقة ومدى نفوذه فيها ، أما الاتجاه الثاني الذي يرمى إليه محمد على في ارسال مندوبه ذاك ، فهو صرف أنظار الإمام فيصل عن اليمن ، وتعطيل مساعداته لقبائل عسير التي كان يعتقد أن الإمام فيصل كان يدعمها سرا ، مما يجعل فرض سيطرة حكومة الباشا على اليمن يجابه بقوة وعنف من قبائل عسير ، وهو ما يعرقل مخططات الباشا التي يرمى إلى تنفيذها في المنطقة[٣] .

---

(1) Document : F. O. 78/373. C/A/61064. No. 21. P.P. 101 - 103.

جون . ب . كيلى : بريطانيا والخليج ، جـ ١ ، ص ٥٠٠ .

(٢) ج . ج . لوريمر : دليل الخليج ، القسم التاريخي ، جـ ٣ ، ص ١٤٣٥ ، ١٦٣٦ .

(٣) د . فائق حمدى طهبوب : تاريخ البحرين السياسي ، ص ١٧٤ .

حاول محمد على باشا استمالة الإمام فيصل بن تركى إلى جانبه وكذلك اختباره في مدى تقبله لفكرة الولاء لحكومته ودفع الخراج اليه ، فأرسل دوسرى بن عبد الوهاب أبو نقطة للإمام فيصل في سنة ١٢٥١ هـ / ١٨٣٥ م[١] ، ليطلب منه تزويد الجيش الذي سيهاجم عسير ببعض الاحتياجات وليرسل بعض قواته لمشاركة ذلك الجيش[٢] .

أدرك الإمام فيصل أن هناك مؤامرة تحاك ضده وضد حكومته ، فحاول أن يلجأ إلى الأسلوب الدبلوماسي لكي لا يصطدم مع حكومة محمد على في الحجاز ، فأرسل أخاه جلوى بن تركى مزودا ببعض الهدايا إلى والى الحجاز أحمد باشا يكن ، « مبديا له رغبته في طيب العلاقة ، شارحا له موقفه ، ومحاولاته في سبيل دولته »[٣] ، وكأنه يريد أن يوسط والى الحجاز في الأمر ، عله يقوم بدور الوساطة لاقناع حكومة محمد على في مصر ، بصرف النظر عن تلك الحملات العسكرية إلى وسط الجزيرة العربية .

خشى محمد على من ازدياد نفوذ الإمام فيصل بن تركى في المنطقة ، وصمم على اخضاع وسط الجزيرة العربية لارادته ، لينطلق منها إلى الساحل الشرقي والخليج العربي ، ولكى يعطى عملياته في نجد نوعا من الشرعية وليكتسب ثقة أهالى المنطقة ، اتبع سياسة جديدة تقوم على أساس استخدام

---

(١) صلاح الدين المختار : تاريخ المملكة العربية السعودية في ماضيها وحاضرها ، مجلد ١ ، ص ٢٨٤ ـ ٢٨٥ .

(٢) ج . ج . لوريمر : دليل الخليج القسم التاريخي ، جـ ٣ ، ص ١٦٣٦ .

(٣) د . عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم : محمد على وشبه الجزيرة العربية ، ص ٢٨٢ .

الحكام المحليين كأداة لتنفيذ مخططاته ، وبدأ تلك السياسة بالافراج عن الأمير خالد بن سعود[1] ، شقيق الأمير عبد الله بن سعود آخر أمراء الدولة السعودية الأولى ، وكان خالدا هذا مقيما بالقاهرة ، مما جعله يتطبع بالصفات التي يريدها محمد على ، إضافة إلى اكتسابه لثقة الباشا ، ولا شك أن الافراج عن الأمير خالد بن سعود وارساله على رأس حملة عسكرية إلى نجد اسما لا فعلا ، تعد لفتة سياسية بارعة من محمد على ، باعتبار أن خالدا هذا أحد أفراد البيت السعودي ، وسيكون له نظرة خاصة لدى أهل نجد ، وبذلك يخدم « أهداف محمد على باشا دون ريب ، إذ يقبل بحكمه عرب نجد والبلدان التي كانت خاضعة لحكم آل سعود »[2] .

أعد محمد على حملة قوية تحت قيادة إسماعيل بك ، وخالد بن سعود ، بدأت تحركها صوب نجد في سنة ١٢٥٢ هـ / ١٨٣٦ م ، ليؤكد أن نجاحه في حروب الشام وسيطرة حكومته عليها ، جعلته يلتفت بقوة إلى شبه الجزيرة العربية عامة ، واقليم نجد بصفة خاصة[3] ، وقد أصدر الباشا تعليماته إلى موظفى دولته ومحافظي المدينة المنورة وجدة وينبع ، كى يسهلوا عملية نقل

---

(١) جون . ب . كيلي : بريطانيا والخليج ١٧٩٥ ـ ١٨٧٠ م ، جـ ١ ، ص ٥٠٢ .

أحمد عبد الغفور عطار : صقر الجزيرة ، جـ ١ ، ص ٨٩ .

(٢) د . أحمد مصطفى أبو حاكمة : تاريخ الكويت ، القسم الأول ، جـ ٢ ، ص ١٢١ .

د . بدر الدين عباس الخصوصي : محمد على والخليج العربي ، مجلة كلية الآداب والتربية ، جامعة الكويت ، ص ١٠٣ .

(٣) الأمير ضارى بن فهيد الرشيد : نبذة تاريخية عن نجد ، ص ٣٣ .

أمين سعيد : تاريخ الدولة السعودية ، ص ١٤٦ .

المعدات والمؤن العسكرية التي تحتاجها هذه الحملة المتجهة إلى نجد ، وقد حذر محمد على المعنيين بالأمر من تأخير أي مدد يصل لتلك الحملة عن طريق المواني البحرية[1] .

حاول الإمام فيصل تدارك الأمور قبل استفحالها فأرسل محمد بن ناهض الحربي ببعض الهدايا إلى إسماعيل بك وخالد بن سعود وهما في ينبع ، إلا أن مهمة هذا المندوب لم تؤد إلى نتيجة ايجابية يستند اليها الإمام ، مما حدا به إلى المسير من الرياض إلى القصيم لملاقاة هذه الحملة المصرية في الوقت الذي تقدمت فيه قوات إسماعيل بك وخالد بن سعود إلى المدينة المنورة ، ومنها إلى الحناكية في طريقها إلى القصيم ، حتى نزلت بلد الرس[2] ، إحدى مدن القصيم المعروفة ، ومنها تقدمت لتنزل في مدينة عنيزة إحدى مدن القصيم الكبيرة ، وذلك في شهر المحرم سنة ١٢٥٣ هـ ـ أبريل سنة ١٨٣٧ م ، وعندما علم قائدا الحملة بخروج الإمام فيصل بن تركى من الرياض ، توجها اليها في شهر صفر من نفس العام ، واستقرت بذلك القوات المصرية بالرياض منذ ذلك التاريخ[3] .

راح الأمير خالد بن سعود يعلن امارته على نجد ، ويطلب من مختلف البلدان البيعة والولاء له[4] ، في الوقت الذي كان قد أعاد فيه عيسى بن

---

(١) د . عبد الفتاح أبو عليه : الدولة السعودية الثانية ، ص ٤١ .

(٢) عثمان بن بشر : عنوان المجد في تاريخ نجد ، جـ ٢ ، ص ٦٩ ـ ٧٠ .

(٣) محمد بن عمر الفاخرى : الأخبار النجدية ، ص ١٧٣ .

إبراهيم بن صالح بن عيسى : تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد ، ص ١٦٢ .

(٤) د . فائق حمدى طهبوب : تاريخ البحرين السياسي ، ص ١٧٦ .

على رئيس جبل شمر السابق ومعه بعض الجنود إلى امارته في الجبل عندما كان مقيما في عنيزة[1] ، وفعلا بايعته كثير من البلدان ، إلا أن بعضها الآخر قد رفض تقديم الولاء للأمير خالد باعتبار أنه يعمل لحساب محمد على وهذا ما يرفضه أهل نجد ، فسار عليهم إسماعيل بك وخالد بن سعود لاخضاعهم بالقوة ، إلا أنهما هزما من قبل أهل الحريق والحوطة والحلوة هزيمة منكرة ، ونجا خالد بن سعود ومن معه من أهل نجد ، ولحق بهم إسماعيل بك والبقية الباقية من جنوده ، وتحصنوا في الرياض وراحوا يطلبون النجدة من الحجاز ومصر[2] .

رغم أن الإمام فيصل بن تركى حاول انتهاز الفرصة التي لاحت أمامه ، ليستغل الموقف السيىء الذي تعيشه قوات اسماعيل بك وخالد بن سعود بعد هزيمتها من أهالى الحلوة والحوطة ، وذلك بضرب الحصار العسكرى على الرياض ومن بقى فيه معهما من الجنود والأتباع[3] إلا أن محمد على كان قد قدّر خطورة الموقف في نجد ، ورأى أنه لا بد من تعيين حاكم قوى لهذه البلاد ، وفي نفس الوقت يكون محلا لثقته هو لكى يقوم على تنفيذ سياسته التي يضمرها في نفسه ، والتي تنطلق من وسط الجزيرة العربية كمرتكز لها ، لتتوسع في الخليج العربي والعراق وفق أهدافه وطموحاته البعيدة[4] ، وقد كان

(١) عثمان بن بشر : المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ٧٢ .

(٢) محمد بن عمر الفاخرى : الأخبار النجدية ، ص ١٧٣ .

(٣) عثمان بن بشر : عنوان المجد في تاريخ نجد ، جـ ٢ ، ص ٧٤ ـ ٧٦ .

(٤) د . عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم : محمد على وشبه الجزيرة العربية ، ص ٢٩٢ ـ ٢٩٤ ، د . عبد الحميد البطريق : محمد على ومشروع غزو العراق ، مجلة كلية الآداب ، الجامعة الأردنية ، العدد ١ ، يناير ١٩٦٩ م ، ص٤٩ .

ذلك الشخص هو القائد محمد خورشيد باشا الذي كان يملك شخصية فذة وقادرة على استقطاب قبائل العرب[١] .

طال حصار الإمام فيصل للرياض ، وكادت أن تستسلم المدينة له ، لولا ذلك المدد الذي وصل لمناصرة خالد بن سعود وإسماعيل بك ، والذي يقوده فهيد الصييفى رئيس سبيع ومعه بعضا من قبائل قحطان ، مما اضطر الإمام فيصل إلى الانسحاب إلى منفوحة ، ومن هناك حاول اجراء مفاوضات للصلح مع خالد بن سعود ، الذي لم يتوصل معه إلى نتيجة مرضية ، مما جعل المعارك الحربية تتجدد بينهما[٢] ، ولعلنا نستطيع أن نقرر هنا أن خالد بن سعود ، أعجز من أن يعقد صلحا مع الإمام فيصل فهو مجرد أداة في أيدى محمد على وقادته ، وربما أن هذه المفاوضات ليست إلا مناورة سياسية حتى تكتمل عناصر القوات المرسلة بقيادة خورشيد باشا الذي أرسل بالفعل الشريف عبد الله بن جباره حاكم ينبع ، ليجرى مفاوضات من نوع آخر مع الإمام فيصل بن تركى ، حيث أنه وصل ومعه بعض الهدايا والمراسلات الودية ، والتي نتج عنها انسحاب الإمام فيصل إلى الدلم[٣] دون ضمانات تذكر ، ولا سيما وأن أحمد باشا يكن عندما استنجد به خالد بن سعود وإسماعيل بك بعد هزيمتهم من أهالي الحلوة قد أعلن صراحة أن هناك قواتاً ستصل إلى الرياض ،

---

(١) د . محمد عرابي نخلة : تاريخ الأحساء السياسي ، ص ٢٣٩ .

(٢) عثمان بن بشر : عنوان المجد في تاريخ نجد ، جـ ٢ ، ص ٧٥ ـ ٧٦ .

(٣) عثمان بن بشر : المصدر السابق ، ص ٧٧ .

محد بن عمر الفاخرى : الأخبار النجدية ، ص ١٧٤ .

ويجب على خالـد بن سعـود كما يقول الوالى « أن يسوس الأمور ، ريثما تصل العساكر »[1] ، مما يعنى أن والى الحجاز لديه خبر مسبق بتحرك تلك القوات إلى نجد ، مما يؤكد الرأى الذي ذهبنا اليه في أن تلك المفاوضات التي أجراها خالد بن سعود مع الإمام فيصل بن تركى ، وما أعقبها من مفاوضات مع الشريف عبد الله بن جبارة ، ما هي إلا مناورة سياسية القصد منها كسب الوقت لتصل القوات التي أعدت لهذه المهمة .

أوفـد الإمام فيصل بن تركى « أخاه الأمير جلوى إلى خورشيد باشا وهـو في المدينـة المنورة بهدية من الخيل والركاب العمانيات والقيلان فقدم عليه في المدينة وأقبل معه إلى القصيم »[2] ، وكأن الإمام فيصل يؤكد بذلك جنوحه للسلم خاصة بعـد مفاوضاتـه مـع الشريف عبد الله بـن جباره ، والتي تراجـع الإمـام على ضوئها إلى الدلم ، إلا أن خورشيد باشا لم يظهر مـن النوايا ما يؤكد على جنوحـه للسلم حيث أنه بـدأ في تنظيم قواتـه وترتيبها عندمـا كان مقيمـا في الحناكية ، وأرسل مـن هنـاك قـوة جـديدة إلى نجـد تحـت قيادة ملاّ سليمان ، وهو رجل كردى ومعه حسن المعاون ، وفي شهر صفر سنة ١٢٥٤ هـ ـ ٢٨ أبريل سنة ١٨٣٨ م ، بدأ في المسير من الحناكية إلى القصيم ، وبدأ في اجتذاب رؤساء القبائل والأقاليم إلى جانبه[3] ،

(١) د . عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم : محمد على وشبه الجزيرة العربية ١٢٣٤ـ ١٢٥٦ هـ/ ١٨١٩ ـ ١٨٤٠ م ، ص ٢٩٥ ـ ٢٩٦ ، نقلا عن : وثيقـة رقـم ٥٤ حـمـراء ، محـفظة ٢٦٢ عابدين ، دار الوثائق القومية بالقاهرة .

(٢) عثمان بن بشر : عنوان المجد في تاريخ نجد ، جـ ٢ ، ص ٧٧ .

(٣) عثمان بن بشر : المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ٨٠ .

إبراهيم بن صالح بن عيسى : تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد ، ص ١٦٣ .

ورغم أن خورشيد باشا قد كتب إلى محمد على رسالة يلقى فيها باللوم على الإمام فيصل ، وأنه بدأ يتجه إلى عدم تقديم الولاء لحكومة الباشا ، رغم ايفاده لأخيه قبل ذلك[١] ، إلا أن مجريات الأحداث وتحركات خورشيد باشا السريعة في اتجاه نجد ، تثبت أن تلك الرسالة لا تعبر عن مكنونات ضمير الباشا ، الذي لم يأل جهداً في تدعيم نفوذه وقوته وسط نجد ، ولم يلبث خورشيد باشا أن رد على استفسارات محمد على نفسه ، والتي تسأل عن مكان إقامة الإمام فيصل ، وعن اتجاهاته وتحركاته ، وأكد أنه لا بد من اخضاع الأقليم بالقوة لأن الإمام فيصل كما يقول الباشا لا يزال مستمرا « في تحريض القبائل التي يرجى نفعها ، على الابتعاد عن ـ ولائنا ـ أنه لا يريد أن يخدمنا »[٢] .

على أية حال لقد زحف خورشيد باشا بقواته في شهر رجب سنة ١٢٥٤ هـ / أكتوبر ١٨٣٨ م ، ونزل الوشم ، ثم سار منها إلى الرياض ليصطحب معه خالد بن سعود[٣] ، ولكى يظهر لأهل نجد أنه جاء لاسترداد الحكم وتسليمه إلى خالد بن سعود ، وفي نفس الوقت بدأ خورشيد باشا في مراسلة محمد بن عريعر الذي كان مقيما في العراق ، والذي سارع في التوجه إلى الأحساء ، وبدأ في عملياته العسكرية من هناك ، إلى

(١) وثيقة رقم ٣٣ أصلى و ٦٦ حمراء ، محفظة ٢٦٤ عابدين ، محافظ الحجاز رقم ـ ٥ ـ ، دار الوثائق القومية ، بالقاهرة .

(٢) وثيقة رقم ٣٧ أصلى و ٩٧ حمراء ، محفظة ٢٦٤ عابدين ، محافظ الحجاز رقم ـ ٥ ـ ، دار الوثائق القومية ، بالقاهرة .

(٣) محمد بن عمر الفاخرى : الأخبار النجدية ، ص ١٧٤ .

أن استطاع السيطرة على الجزء الساحلي من اقليم الأحساء[1] ، لتصبح قوة الإمام فيصل تقاتل على جبهتين وهو ما أراده خورشيد باشا وخطط له .

تقدم خورشيد باشا نحو الدلم التي حاصرها بقواته ، ودارت هناك عدة معارك قوية ، أيقن بعدها الإمام فيصل أنه لا فائدة من الاستمرار في القتال لاسيما وأن المدد يأتي تباعا إلى جيوش الباشا ، فعرض حينذاك رغبته في الاستسلام بشرط أن يحافظ خورشيد باشا على أرواح وممتلكات من كان معه من أهل الدلم وغيرهم ، فوافق الباشا على ذلك ، واستسلم الإمام فيصل بن تركى في أول شهر شوال سنة ١٢٥٤ هـ / ديسمبر سنة ١٨٣٨ م ، ومن ثم تم ترحيله إلى القاهرة برفقة حسن اليازجي[2] .

رحل خورشيد باشا من الرياض في شهر ربيع الأول سنة ١٢٥٥ هـ ـ مايو سنة ١٨٣٩ م ، قاصدا ثرمدا وبنى فيها قصرا ، متخذا اياها قاعدة له ولجنوده بعد أن فرض كامل سيطرته على اقليم نجد[3] ، ويمكننا حينئذٍ أن نقرر هنا أن الانتصارات التي أحرزها محمد على في الشام ضد الدولة العثمانية في حربه الأولى ، هي التي جعلت أهدافه في الجزيرة العربية تتزايد عن ذي

(١) د . محمد عرابي نخلة : تاريخ الأحساء السياسي ، ص ٧١ ـ ٧٢ .

د . فؤاد سعيد العابد : سياسة بريطانيا في الخليج العربي ، ص ١٢٤ ـ ١٢٥ .

د . فائق حمدى طهبوب : تاريخ البحرين السياسي ، ص ١٧٧ ـ ١٧٨ .

(٢) عثمان بن بشر : عنوان المجد في تاريخ نجد ، جـ ٢ ، ص ٨٣ ـ ٨٤ .

د . عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم: محمد على وشبه الجزيرة العربية ، ص ٣٠٧ ـ ٣٠٩.

(٣) عثمان بن بشر : المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ٨٨ .

محمد بن عمر الفاخرى : الأخبار النجدية ، ص ١٧٥ .

قبـل ، لكي يحقـق له نفـوذا قويـا ومنفصـلا عـن الدولـة العثمـانية إلا أن محمـد على الذي يمتـاز بالحـذر الشديد ، والدهـاء السياسي ، لم يكن ليغفل عـن الموقـف البريطاني المتصلب ضـد هـذه الأهداف والطموحات ، التي يتميز بها الباشا ، خـاصة وأنـه قـد أبلـغ القنصل البريطاني في القـاهـرة خضوع كامل الجزيـرة العربية ، وسواحلها الشرقية لنفوذه في أوائل سنة ١٢٥٤ هـ / أوائـل سنة ١٨٣٨ م ، قبـل أن يستسلم الإمـام فيصل لخورشيد باشا[١] ، وكأنه يريد أن يجس النبض وردود الفعل لدى السلطات البريطانية قبل أن يسيطر سيطرة تامة على أنحـاء الجزيرة العربية ، وهو ما تحقق بالفعل في أوائل عـام ١٢٥٥ هـ / أوائل عـام ١٨٣٩ م ، حين بعث المقيم البريطاني في الخليـج بتقرير كامل إلى سكرتير الحكومـة في بمبـاى ، نقـل مـن خلاله أنبـاء السيطـرة الكاملة لمحمد على على الجزيرة العربية ، وتخوفه من امتدادهـا لتشمل البحـرين[٢] ، في الوقـت الذي نقـل فيه قنـصل بريطـانيا في القـاهـرة الكولونـيل كامـبل Campbell ، إلى محـمـد على ما تضمنته برقيـة وزيـر خارجيـة بريطانـيا اللورد بالمرسـتـون Palmerston رقـم ١٧ وتاريـخ ١٥ ينايـر سنـة ١٨٣٩ م ، والتي أبدى من خـلالهـا قلقـه حـيـال

---

(١) جون . ب . كيلي : بريطانيا والخليج ١٧٩٥ ـ ١٨٧٠ م ، جـ ١ ، ص ٥٠٦ ـ ٥٠٧ .

د . بدر الديـن عباس الخصوصي : دراسات في تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر ، جـ ١ ، ص ١٣٢ .

(2) Document : F. O. 78/373, C/A/61064, No. 3. P. 93.

المحتشدات العسكرية التي تقوم بها قوات الباشا في الجزيرة العربية وسواحلها الشرقية ، إلا أن محمد على كان أحذر من أن يعترف بأهداف تلك التحركات ، إذ أكد للقنصل البريطاني بأن هذه القوات ما هي إلا لتدعيم حكومة خالد بن سعود ، ولتوفير عدد من الجمال تكفى لحاجة عمليات تلك القوات في الجزيرة العربية ، وتطرق الباشا من خلال ذلك إلى أن ما ينقل عن طريق بعض الأشخاص عن هذه التحركات ما هو إلا من قبيل التخمين والظنون الفاسدة[١] ، مما يؤكد لنا أن محمد على عندما استعمل خالد بن سعود كحاكم لاقليم نجد ، وما أتبع ذلك من اتخاذ ثرمدا كقاعدة لخورشيد باشا ، أنما أراد من وراء ذلك تحقيق أهدافه وطموحاته دون أن يثير انتباه بريطانيا في المقام الأول ، وسكان الجزيرة العربية في المقام الثاني[٢] .

كان خورشيد باشا يدرك أهمية الأحساء الاستراتيجية والاقتصادية منذ حصار الدلم[٣] ، ناهيك عن أنها تحتل بؤرة تفكيره ، إذ أنها تأتي في أولويات أهداف وطموحات سيده محمد على في القاهرة ، الذي يسعى جاهدا لاخضاع الساحل الشرقي للجزيرة العربية لنفوذه ، لكي يحقق من هناك كامل مخططاته التوسعية نحو البصرة وبغداد .

(1) Document : F. O. 78/373, C/A/61064. No. 20. P. P. 87 - 88.

(٢) ج . ج . لوريمر : دليل الخليج ، القسم التاريخي ، جـ ٣ ، ص ١٦٣٨ ـ ١٦٣٩ .

د . محمد عبد الله ماضى : النهضات الحديثة في جزيرة العرب ، ص ٨٣ .

(٣) د . عبد العزيز نوار : تاريخ العراق الحديث من نهاية حكم داود باشا إلى نهاية حكم مدحت باشا ، ص ٢١٤ .

عقد خورشيد باشا العزم على الاستيلاء على الأحساء ولو بالقوة ، إلا أن استشارته لحكومته في القاهرة ، والتي لم تؤيده على غزو الأحساء نظرا لتفرق قواتها في الشام والجزيرة العربية ، فهي تفضل منحهم الأمان والتقدم اليهم سلما(١) ، حينئذ أرسل خورشيد باشا إلى رؤساء أهل الأحساء لكي يأتوا اليه بعد انتصاره على الإمام فيصل في الدلم ، وأعطاهم الأمان ، فقدموا اليه ، إلا عمر بن عفيصان الذي توجه للبحرين ومنها إلى الكويت ، ولما قدم أهل الأحساء للباشا ، أمنهم على أنفسهم وأذن لهم بالرجوع إلى ديارهم ، وعين الباشا أحمد السديرى أميرا على الأحساء في شهر شوال سنة ١٢٥٤ هـ / يناير سنة ١٨٣٩ م ، وأرسل معه قوة كبيرة لضبط الأمور هناك ، وأخيرا أسند امارة الأحساء لأحد قادته المعروفين بالبطش والجبروت وهو محمد رفعت أفندى ، هادفا من وراء ذلك تقوية نفوذه وسيطرته على الاقليم ، بينما جعل أحمد السديرى ، قائما على بيت المال هناك ، إلا أن سوء الإدارة التي اتبعها محمد رفعت أفندى قد أدت إلى سرعة انتهائه حيث قتل بأيدي سكان الاقليم ، الذين سئموا من سلوكه وتصرفاته الرعناء(٢) .

كان خورشيد باشا قد أتم استيلاءه على موانىء الأحساء المهمة كالقطيف وسيهات والعقير ، ووضع بها إدارة منظمة إضافة إلى بعض الحاميات

---

(١) وثيقة رقم ٢ أصلية و ٣٧ حمراء ، محفظة ٢٦٧ عابدين ، محافظ الحجاز رقم ٧ ، دار الوثائق القومية ، بالقاهرة .

(٢) عثمان بن بشر : عنوان المجد في تاريخ نجد ، جـ ٢ ، ص ٨٥ ـ ٨٧ .

محمد عبد الله الأحسائي : تحفة المستفيد بتاريخ الأحساء في القديم والجديد ، ص ١٥٤ .

للمحافظة على الأمن في تلك المناطق[1] ، وليؤكد بذلك انفراد محمد على باشا بالحكم في بلاد العرب وشواطئها الشرقية المطلة على الخليج العربي[2]، بدأ خورشيد باشا يتطلع إلى التوسع نحو امارات الخليج العربي وعمان تمهيدا لاخضاع البحرين لنفوذه ، واستعمل في سبيل ذلك نفس النهج الذي سار عليه محمد على حينما أرسل خالد بن سعود إلى وسط الجزيرة العربية ، ليتخذ منه ستارا يخفى وراءه تحقيق أهدافه ، فأرسل خورشيد باشا سعد ابن مطلق المطيري إلى ناحية البريمي وعمان ، للاستفادة من خبرته في تلك الجهات لمعرفته السابقة بها[3] ، ولكي يظهر أن سعد بن مطلق ما هو إلا مندوب من قبل خالد بن سعود الذي يحكم نجد اسما لا فعلا بطبيعة الحال ، وهذا ما تنتهجه حكومة محمد على في القاهرة في المقام الأول ، حيث نراها تكتب إلى خورشيد باشا وتقول له : « ... أن لا يضع نفسه هدفا للانتقاد بل عليه أن يحيل بالكلام على عاتق خالد بك »[4] .

---

(١) مختارات من سجلات حكومة بمباى :

S. R. B. G. No. XXIV. P.P. 445 - 447.

محمد سعيد المسلم : ساحل الذهب الأسود ، ص ١٨٥ .

(٢) سيديو : خلاصة تاريخ العرب ، ص ٢٨٥ .

(٣) محمد بن عمر الفاخرى : الأخبار النجدية ، ص ١٧٥ .

د .فؤاد سعيد العابد : سياسة بريطانيا في الخليج العربي ، ص ١٢٧ .

د . صلاح العقاد : التيارات السياسية في الخليج العربي ، ص ١٤٦ .

(٤) إرادة نمرة ٧ ، محفظة ٢٦٧ عابدين ، محافظ الحجاز رقم ٧ ، دار الوثائق القومية بالقاهرة .

وقد زُوِّد سعد بن مطلق برسائل من خورشيد باشا إلى شيوخ الامارات العربية في الساحل العماني ، كما زوّد بقوة من الفرسان والمشاة ، وقد وصل إلى الشارقة في شهر محرم سنة ١٢٥٥ هـ / مارس سنة ١٨٣٩ م ، ورغم أن الشيخ سلطان بن صقر حاكم الشارقة قد استقبله استقبالا حسنا ، إلا أن قبائل بنى نعيم رفضوا الاستجابة له والانضواء تحت سلطة حكومة محمد على التي يمثلها وتسليمه واحة البريمي[١] .

وقد راح المندوب المصرى هناك يبعث بالرسائل إلى ابنى سلطان مسقط لكي يقدموا الطاعة والولاء إلى خالد بن سعود الذي يحكم نجد ، ورغم أن محمد على كان يفكر جديا في الاستيلاء على عمان تحقيقا لطموحاته وأهدافه ولموقعها المتميز في الخليج ، إلا أنه آثر السياسة ، لكى يستعين بسلطان مسقط في غزو البحرين[٢] .

ورغم تلك السياسة التي ينتهجها الباشا إلا أن بريطانيا لم تغفل لحظة واحدة عن تلك التحركات ، إذ سرعان ما تحرك المقيم البريطاني في الخليج الكابتن هنيل Hennell ، وبدأ في استثارة مشائخ المنطقة واعداً اياهم

---

(١) د . عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم : محمد على وشبه الجزيرة العربية ، ص ٣٥٤ .

جى . بى . كيلى : الحدود الشرقية لشبه الجزيرة العربية ، ص ٩٩ ـ ١٠٠ .

(٢) نقلا عن مجلة الدارة ، العدد الثاني ، السنة الأولى ، ص ١٨٥ :

Document, F. O. 78/3185. P.P. 22 - 23.

د . فاروق عثمان أباظة عدن والسياسة البريطانية في البحر الأحمر ، ص ١٢٣ .

بالمساعدة المادية والعسكرية للوقوف في وجه تحركات جيوش محمد على التي يمثلها سعد بن مطلق المطيري ومن ورائه خورشيد باشا ، وكان له ما أراد[١] .

لم يلبث خورشيد باشا أن تطلع إلى البحرين[٢] ، تلك الجزيرة التي اكتسبت موقعا هاما في طرق المواصلات التجارية إلى الهند ، فأفصح عن نواياه تجاهها في أواخر عام ١٢٥٤ هـ / أوائل عام ١٨٣٩ م[٣] ، وكان لا بد له من أن يحسب حساب العوامل الجانبية التي قد تؤثر على تحقيق أهدافه خاصة فيما يتعلق بالوجود البريطاني في المنطقة ، فقام حينذاك باجراء اتصالات مع السيد سعيد سلطان مسقط ، الذي لاحت له الفرصة التي ينتظرها منذ أمد ليس بالقصير ، واستهدفت تلك الاتصالات قيام السيد سعيد بمعاونة قوات خورشيد باشا في احتلال البحرين ، على أن يسمح لسلطان مسقط بالسيطرة عليها نظير مبلغ من المال يدفعه سنويا إلى حكومة محمد على ، إلا أن سلطان مسقط لم يستمر في مشروعه ذاك لأنه « أدرك أن اتصاله بمحمد على يتعارض معارضة صريحة وصداقته للحكومة البريطانية »[٤] ، إلا أن

---

(١) د . محمد عرابي نخلة : تاريخ الأحساء السياسي ، ص ٩٥ .

(٢) تقع جزيرة البحرين ضمن منطقة الخليج العربي ، ما بين خطى طول ٤٨ ، ٥٧ ، وخطى عرض ٢٤ ، ٣٠ ، على شكل أرخبيل من الجزر على بعد ١٥ ميلا عن الساحل الشرقي للجزيرة العربية ، و ١٥٠ ميلا عن الساحل الايراني ، و ١٨ ميلا عن شبه جزيرة قطر . « أمل إبراهيم الزياني : البحرين بين الاستقلال السياسي والانطلاق الدولى ، ص ٨ .

(٣) ج . ج . لوريمر : دليل الخليج ، القسم التاريخي ، جـ ٣ ، ص ١٦٤١ .

(٤) د . فائق حمدى طهبوب : تاريخ البحرين السياسي ، ص ١٩٠ .

ج . ج . لوريمر : دليل الخليج ، القسم التاريخي ، جـ ٢ ، ص ٧١٧ ـ ٧١٨ .

خورشيد باشا قد كتب للمقيم البريطاني في الخليج بأنه مستعد للهجوم على البحرين ، وكأنه يريد أن يجس نبض الحكومة البريطانية في حالة مواصلة زحف قواته باتجاه البحرين[١] ، ومع ذلك فإن وكيله في الأحساء محمد رفعت أفندى قد استمر في تدعيم نفوذ حكومته في الاقليم ، إذ سيطر على القلاع والحصون وأخضع كثيرا من المدن والاقاليم « التي تشكل شريطاً حيوياً ومعبراً للتجارة بين البحرين وأجزاء شبه الجزيرة العربية الداخلية ، ولكى يتحقق له ذلك راح يفكر في أمر مقابلة شيخ البحرين للتباحث معه فيما يتعلق بأوضاع ممتلكاته في القطيف والبحرين »[٢] .

ورغم أن المقيم البريطاني في الخليج الكابتن هنيل Hennell[٣] قد وجه تحذيراً إلى خورشيد باشا ، بعدم التفكير في غزو البحرين حتى يتلقى هو توجيهات محددة من حكومته في الهند ، وأشار المقيم البريطاني في رسالته تلك

---

(1) Document : F. O. 78/374. ^xC/A/61064.

ج . ج . لوريمر : المرجع السابق ، جـ ٣ ، ص ١٣٠٦ .

(٢) د . بدر الدين عباس الخصوصي : دراسات في تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر ، جـ ١ ، ص١٣٦.

(٣) ولد هانيل من أب يعمل صائغا بمنطقة روزهل في برمنجهام سنة ١٨٠٠ م والتحق بالخدمة العسكرية سنة ١٨١٩ م بالفرقة ١٢ من مشاة بومباى ، وفي سن السادسة والعشرين عين في منطقة الخليج كمساعد للمقيم ، وقد استطاع خلال الفترة التي قضاها في الخليج أن يكتسب ثقة شيوخ الساحل ، لقد كان هنيل أعظم المقيمين السياسيين البريطانيين الذين خدموا في منطقة الخليج ، وقد أحيل إلى المعاش في شهر أكتوبر سنة ١٨٥٤ م ليعود إلى ستنهام ، ويموت فيها في سبتمبر سنة ١٨٨٠ م وله من العمر ثمانون عاما .

جون . ب . كيلى : بريطانيا والخليج ، جـ ١ ، ص ٧٠٦ ـ ٧٠٧ .

إلى ضرورة اعطائه خبرا مسبقا فيما لو قام الباشا بأي عمل حربي في الخليج(١) ، إلا أن وكيل خورشيد باشا في الأحساء محمد رفعت أفندى قد بدأ في اتصالاته مع شيخ البحرين ، عبد الله بن أحمد ، محاولا في بداية الأمر أن يخفى أهداف مهمته الأساسية ، وأنه يريد التحقق من وجود عمر بن عفيصان ومن معه من أعداء الحكومة المصرية ، الذين هربوا إلى البحرين ، وقد أعد عن تلك المهمة تقريرا وافيا رفعه إلى خورشيد باشا الذي رفعه بدوره إلى محمد على(٢) .

حاول شيخ البحرين أن يطلب حماية بريطانيا ، لكن حكومة الهند لم تكن تعرف موقف حكومة لندن تجاه تحركات محمد على ، ونظرا لحذره الشديد وقلقه المستمر الذي كان يعيشه منذ أن سمع بتحركات الجيوش المصرية خشية من البطش الذي عرف عن تلك القوات ابان حملات إبراهيم باشا على الجزيرة العربية ، إضافة إلى الشائعات التي كانت تتردد عن وجود تعاون بين قوات خورشيد باشا وسلطان مسقط للاستيلاء على البحرين حاول شيخ البحرين المراوغة والادعاء بأنه من رعايا الحكومة الايرانية ، وأنه سيعلن تبعيته لها(٣) .

---

(1) Document : F. O. 78/374. C/A/61064.

(٢) د . أحمد مصطفى أبو حاكمة : تاريخ الكويت ، القسم الأول ، جـ ٢ ، ص ١٣١ ـ ١٣٢ .

(3) Document : (I. O. R) L./P, S/9/110. No. 14. P. 425.

ج . ج . لوريمر : دليل الخليج ، القسم التاريخي ، جـ ٣ ، ص ١٣٠٤ ، ١٦٤١ .

د . فؤاد سعيد العابد : سياسة بريطانيا في الخليج العربي ، ص ١٢٨ .

بعث خورشيد باشا إلى محمد على رسالة يوضح فيها موقف حاكم البحرين وتردده من الدخول في دائرة حكومته ، وحمّل حكومة بغداد مسئولية هذا التردد لدعمها لشيخ البحرين ، مؤكّداً في رسالته تلك أهمية البحرين للاحساء والقطيف ، وبأنها كانت تدفع الزكاة لآل سعود قبل ذلك ، ولم ينس خورشيد باشا أن يبدى تخوفه من احتلال الانجليز لجزيرة البحرين لأهميتها في الخليج العربي[1] .

ولعله من الانصاف أن نقول أن شيخ البحرين كان في وضع لا يحسد عليه ، ومن الصعوبة عليه أن يختار حليفه من هؤلاء الثلاثة الجدد الذين بدأوا في تهديده ، ومحاولة خطب وده ، إلا أنه وبعد أن اطمأن إلى مندوب خورشيد باشا ، فضل في نهاية الأمر التعاون مع محمد على وقواته نظرا لوجود أكثر من عامل يدعوه إلى ذلك من أهمها : سيطرة قوات الباشا على الساحل الشرقي الذي يعتبر منفذا رئيسيا للبحرين على الجزيرة العربية ، إضافة إلى وجود الروابط الدينية واللغوية بين البحرين وسكان الجزيرة العربية ، وهذا لا يتأتى مع الانجليز والايرانيين أصحاب الأطماع المبيتة في البحرين .

دخل الشيخ عبد الله بن أحمد الخليفة شيخ البحرين في اتفاقية مع مندوب خورشيد باشا ، في ٢٣ صفر سنة ١٢٥٥ هـ / الموافق ٨ مايو سنة ١٨٣٩ م[2] ، وأصبح يدفع الزكاة للسلطات المصرية وفق بنود تلك الاتفاقية

---

(١) وثيقة رقم ٧ أصلية و ٥٠ حمراء ، محفظة ٢٦٧ عابدين ، محافظ الحجاز رقم ٧ ، دار الوثائق القومية ، بالقاهرة .

(٢) د . عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم : محمد على وشبه الجزيرة العربية ، ص ٣٣٢ .

بدر الدين عباس الخصوصي : دراسات في تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر ، جـ ١ ، ص ١٤٦ ـ ١٥١ ، د . فؤاد سعيد العابد : سياسة بريطانيا في الخليج العربي ، ص ١٣٠ .

التي أكدت تبعية البحرين لحكومة نجد ، كما كانت عليه في السابق ، وقد جاء مضمون تلك الاتفاقية في رسالة بعث بها عبد الله بن أحمد إلى خورشيد باشا عقب الانتهاء من توقيعها حيث قال : « ... فقد صار الصلح بيننا وبينكم على يد محمد أفندى ... على أن نحن نعادى من عاداكم ونوالى من والاكم ، وانتم كذلك ، ونؤدى لجنابكم الزكاة »[1] ، وقد رد خورشيد باشا على تلك الرسالة برسالة إلى شيخ البحرين في السابع عشر من جمادى الأولى سنة ١٢٥٥ هـ جاء فيها : « مضمونة وصلنا جوابكم ، وما ذكرتموه من قبل الاتفاقية التي صار بينكم وبين محمد أفندى معاوننا ، والمعاهدة الذي صار في حكم الشروط ، فقد صار عندنا معلوم ، وهذا هو المأمول من صداقتكم ، وإن شاء الله نحن وانتم حال واحد ، ولا تعاينوا منا إلا الحشمة والاكرام ، وما يسر خاطركم بحول الله وقوته ... »[2] ، ويظهر من ذلك أن خورشيد باشا يسير في تحركاته تجاه البحرين والخليج العربي وفق استراتيجية معينة رسمها له محمد على ، الذي كان يهدف إلى عدم إثارة الانجليز في تحركاته تلك ، وقد تأكد لنا ذلك من استقرائنا للوثائق التي أظهرت نوايا محمد على باشا الغير معلنة في البحرين ، والتي لا يعرفها إلا المقربون منه أمثال خورشيد باشا ، الذي كان يدرك أهداف سيده ، وطموحاته ، فهو يقول في رسالة وجهها إلى محمد على من ثرمدا في ٢٩ جمادى الأولى سنة ١٢٥٥ هـ ، أي بعد رسالته إلى شيخ

(١) د . محمد عرابي نخلة : تاريخ الأحساء السياسي ١٨١٨ ـ ١٩١٣ م ، ص ٧٩ .

(٢) صورة المرفق العربي للوثيقة رقم ١٣٧ حمراء ، محفظة ٢٦٧ عابدين ، محافظ الحجاز رقم (٧) ، دار الوثائق القومية ، بالقاهرة .

البحرين باثنى عشر يوما : « وصل لنا خطاب ولى النعم ذى المكارم المعتادة المؤرخ في ٢١ ربيع الأول سنة ١٢٥٥ هـ رقم ١٠ ، المشتمل على أنه أرسل لنا صورة التقرير الذي أعطى لقنصل الانكليز العام في المحروسة بناء على سلوكهم « أي الانجليز » بخصوص جزيرة البحرين لتكون معلومة للداعى ، بحيث إذا سألوا الداعى يكون الجواب وفقا لتلك الصورة رعاية لمقتضى المصلحة ، كما وصلت الينا صورة ارادتين باللغتين العربية والتركية فأحطت علما بالخطاب الوارد وبتينك الصورتين ، وأن الأجوبة التي أجبناهم بها أولاً وآخراً تشبه الصورة التي جاءتنا ضمن ذلك الخطاب العالى ، وليس في أجوبتنا اشارة إلى أن يتركوها بوجه من الوجوه ... »(١) .

لم يخرج خورشيد باشا عن السياسية التي يريدها محمد على تجاه البحرين ، وأجوبته للانجليز أولا وآخرا تشبه الصورة التي يريدها محمد على ، والتي أعطى صورة منها لخورشيد باشا ليسير عليها في تعامله مع الانجليز ، وهو ما أكده خورشيد باشا في رسالته سالفة الذكر لمحمد على ، ويجدر بنا هنا أن نتعرف على أجوبة خورشيد باشا للانجليز التي تطابق أهداف وسياسة محمد على ، وذلك من خلال كتابه المرسل إلى المقيم البريطاني في الخليج والمؤرخ في السابع عشر من جمادى الأولى سنة ١٢٥٥ هـ ، حيث قال : « ورد الينا جوابكم المورخ ١٣ ربيع الأول وبه تشيروا من خصوص التحرك على بنادر

(١) وثيقة رقم ١٦٥ حمراء ، محفظة ٢٦٧ عابدين ، محافظ الحجاز رقم ـ ٧ ـ ، دار الوثائق القومية ، بالقاهرة .

العرب المتصلة بسواحل خليج فارس وعدن ، عدم قبول مصالحة البحرين ، فمما نفيد به سعادتكم أن الأقاليم النجدية والتابع لها في السابق في حكم السعود ، ومن حيث أن خالد بك فهو ولد سعود ، وسعادة ذو السطوة والجلال أفندينا محمد على باشا قد أنعم عليه بتملك آل سعود ، وأنه يكون ما كانوا عليه ، وكذلك قد صار الاتفاق مع عبد الله بن أحمد الخليفة على قد القانون الذي كان جارى عليهم بمدة السعود فقط ، وهذا شيء صار في شريف علم سعادتكم ، ولا يخفي الجناب العالي أن عبد الله الخليفة فهو الأمين على البحرين ، وليس القصد بسوق عساكر اليه أو خلافه ولا يكون عندنا مقصد آخر إلا لراحة العباد واصلاح البلاد ، وأما من خصوص الدولة العلية الانكليزية والدولة المصرية ، فتعلم أنهم أصدقاء لبعض زيادة عن غيرهم وبحول الله وقوته لا يزالون على هذه الحالة على الدوام ... »[1] .

رغم احتجاج الحكومة البريطانية الشديد الذي بعث به المقيم البريطاني في الخليج الكابتن هنيل Hennell إلى خورشيد باشا ومندوبه في البحرين محمد رفعت أفندى ، والذي أبدى فيه رفض حكومته الكامل لتلك المعاهدة التي تمت مع شيوخ البحرين ، إلا أن خورشيد باشا قد حاول اقناع المقيم البريطاني ، بأن مصالح حكومته في الخليج وفي البحرين لن يمسها أي أذى نتيجة لهذه

---

(١) صورة المرفق العربي للوثيقة رقم ١٣٧ حمراء ، محفظة ٢٦٧ عابدين ، محافظ الحجاز رقم ـ ٧ ـ ، دار الوثائق القومية بالقاهرة .

المعاهدة ، وليس هناك أي داع للاهتمام بالبحرين من الآن ، أنها أصبحت تابعة لحكومة محمد على في نجد(١) .

لكن الانجليز الذين كانوا يبدون قلقهم المستمر نحو أهداف الباشا في البحرين منذ حروب إبراهيم باشا في الجزيرة العربية ، والذي تمثل في تنبؤات الكابتن جورج فورستر سادلير Captain. G. F. Sadleir عندما كان في مسقط في طريقه لمقابلة إبراهيم باشا حينذاك(٢) ، لم يهدأ لهم بال حيال هذه التحركات التي يقوم بها خورشيد باشا والتي ختمت بتلك الاتفاقية مع شيخ البحرين ، لا سيما وأن وزير خارجية بريطانيا اللورد بالمرستون Palmerston ، كان يتلقى معلومات وفيرة من خلال تقارير الساسة البريطانيين في المنطقة ، والتي كان على ضوئها يتصرف الوزير البريطاني مع محمد على وقادته لكي يحول دون تحقيق أهدافه وطموحاته في الخليج العربي بشكل عام ، وجزيرة البحرين بشكل خاص(٣) .

وصل الكابتن هنيل Hennell المقيم البريطاني في الخليج على رأس حملة بحرية إلى البحرين في محاولة لاقناع الشيخ عبد الله بن أحمد للتنكر لهذه الاتفاقية والانضمام إلى الحكومة البريطانية التي ستقدم له العون

---

(١) جون . ب . كيلى : بريطانيا والخليج ، جـ ١ ، ص ٥٥٦ .

د . أحمد مصطفى أبو حاكمه : تاريخ الكويت ـ القسم الأول ، جـ ٢ ، ص ١٣٠ .

د . فائق حمدى طهبوب : تاريخ البحرين السياسي ، ص ٢٠١ .

(٢) جورج فورستر سادلير : رحلة عبر الجزيرة العربية خلال عام ١٨١٩ ، ص ١٧٥ .

(3) Document : F. O. 78/374. xC/A/61064.

والحماية ضد أي تهديد خارجي[1] ، ورغم أن خورشيد باشا حاول ايفاد مندوبه في الأحساء محمد رفعت أفندى للتأكد من موقف شيخ البحرين بعد مقابلته للمقيم البريطاني[2] ، إلا أن الأحداث التاريخية التي كانت تحيط بحكومة محمد على في القاهرة خاصة تلك الضغوط التي بدأت تمارسها بريطانيا ضده ، قد أقنعته بضرورة عدم التدخل في شئون البحرين ، ليصدر بذلك ارادته رقم ١١ في أواخر شهر ربيع الأول سنة ١٢٥٥ هـ الموافق ١١ يونيو سنة ١٨٣٩ م[3] ، والتي تقضي بتعميد خورشيد باشا بعدم التدخل في شئون البحرين ، وأن يترك للشيخ عبد الله بن أحمد حق التصرف في شئونها ، وزود الباشا حكومة بريطانيا بصورة من هذه الارادة التي أنهت الوجود المصرى في البحرين[4] ، ولم يعقب ذلك إلا قتل محمد رفعت أفندى وكيل خورشيد باشا في الأحساء ، حين ضاق به أهل الاقليم ذرعا ، وبتصرفاته فخرج له ثلاثة رجال منهم وقتلوه أثناء عودته من رحلته اليومية التي يقوم بها إلى عين نجم المشهورة ، وذلك في شهر شعبان سنة ١٢٥٥ هـ

---

(١) ج . ج . لوريمر : دليل الخليج ، القسم التاريخي ، جـ ٣ ، ص ١٣٠٨ .

د . عبد العزيز نوار : مصر والخليج العربي في القرن ١٩ ، مجلة الهلال المصرية العدد ١١ ، السنة ٧٢ ، ص ١٦٨ .

(٢) د . فؤاد سعيد العابد : سياسة بريطانيا في الخليج العربي ، ص ١٣٣ ـ ١٣٤ .

(٣) د . محمد عرابي نخلة : تاريخ الأحساء السياسي ١٨١٨ ـ ١٩١٣ م ، ص ٩١ ـ ٩٢ .

(٤) د . فائق حمدى طهبوب : تاريخ البحرين السياسي ١٧٨٣ ـ ١٨٧٠ م ، ص ٢٠٥ .

المصادف لشهر أكتوبر سنة ١٨٣٩ م[١] ، مما جعل نفوذ محمد على في شرق الجزيرة العربية يصاب بنكسة شديدة ، ظهر تأثيرها على قائده هناك خورشيد باشا ، الذي حاول أن يقوم باجراء تعديلات جذرية في إدارة اقليم الأحساء ، فاستدعى عيسى بن على رئيس جبل شمر ، وجعله مسئولا لبيت المال في ذلك الاقليم ، معفيا بذلك أحمد السديرى من منصبه ، كما أرسل شخصا آخر يسمى محمد أفندى ، لكى يصبح وكيلا له في الأحساء بدل وكيله المقتول[٢] ، لكن السياسة البريطانية التي كانت تؤلب الدول الأوروبية ضد محمد على وتوسعاته في الجزيرة العربية ، كانت أسرع من أي اجراء قد يتخذه خورشيد باشا في ذلك الاقليم ، لفرض سيطرته وتدعيم نفوذه ، ورغم أنه قد حاول مع حكومته في القاهرة لكى تسعى في سبيل استقلال البحرين ، لتمنع وقوعها في أيدى الانجليز[٣] ، إلا أنه لم يمض وقت طويل ، إلا وجيوشه تنسحب من الأحساء والجزيرة العربية في طريقها إلى مصر ، وهو ما سنعرفه في صفحات لاحقة من هذا البحث .

---

(١) محمد عبد الله الأحسائي : تحفة المستفيد بتاريخ الأحساء في القديم والجديد ، ص ١٥٤ .

سنت جون فلبى : تاريخ نجد ، ص ٢٠٧ .

(٢) عثمان بن بشر : عنوان المجد في تاريخ نجد ، جـ ٢ ، ص ٨٧ .

د . عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم : محمد على وشبه الجزيرة العربية ، ص ٣٤٤ـ ٣٤٦ .

(٣) د . محمد عرابي نخلة : تاريخ الأحساء السياسي ١٨١٨ ـ ١٩١٣ م ، ص ٩٣ .

ومن هنا يتضح لنا أن تقدم قوات محمد على نحو الأحساء والبحرين ، وما سار عليه من سياسة معينة تجاه البحرين ، واستيلائه عليها ، انما هي أمور قد أعدت وتم التشاور حولها لدى حكومة القاهرة ، ولكن وفق أسلوب سياسي معين ، لا سيما وأن محمد على كان يدرك ماهية الأخطار التي ستقف في وجهه تجاه تحقيق هذه الأهداف ، فتذرع بعدة أمور لكي يحقق غرضه ، ويصل إلى طموحاته التي كانت ترتكز على البحرين ، فقد كانت البحرين تمثل في ذهن محمد على القاعدة التي ينطلق منها شمالا إلى العراق والتي تنطلق منها تجارته أيضا إلى الأسواق الشرقية ، إلا أن السياسة البريطانية لم تعط الفرصة للباشا ليصل إلى غاياته التي كادت أن توجد من تلك الامارات الصغيرة ، كيانا واحدا ومتكامل ، وهو ما لا ترغبه بريطانيا ، فقطعت عليه خطوط الرجعة ، ابتداء من منعها اياه ارسال السفن التي طلبها قائده هناك خورشيد باشا ، ومرورا بتلك التهديدات والتحذيرات التي يتلقاها الباشا عن طريق القناصل الانجليز ، وانتهاء بمؤتمر لندن ومعاهدة لندن ، التي ستنهى طموح الباشا في الجزيرة العربية بشكل عام ، وهو ما سنتحدث عنه في الفصل الأخير من هذا البحث .

جـ ـ خطة محمد على بالنسبة
للبصـرة والمحمّـرة وبغــداد

إن مخططات وأهداف محمد على باشا التوسعية لم تكن لتقتصر على شبه الجزيرة العربية وحدها ، فحكومته في الشام تريد الهدوء والاستقرار ، وهو في مناطق الجزيرة العربية وسواحلها البحرية يريد أن يفرض سيطرته ويدعم نفوذه فيها ، وفي الشام عن طريقها ، إذا لا بد له من أن يتطلع إلى العراق لكى يكمل حلقة نفوذه التي أصبحت تشتمل على مصر والسودان في افريقيا ، وشبه الجزيرة من البحر الأحمر إلى الخليج العربي والشام في أسيا ، ولم يبق عليه إلا ضم العراق لتكوين دولته المنتظرة التي كان يحلم بانشائها[1] ، ولعل الدولة العثمانية كانت مدركة لتلك الأهداف التي تختمر في ذهن الباشا حيال العراق منذ أن كلفته بمحاربة الدعوة السلفية في نجد ، « فأرادت أن تضرب السعوديين بمحمد على ، ولعل السلطان العثماني حينئذ كان حريصا على هزيمة محمد على أكثر من حرصه على هزيمة السعوديين »[2] .

ولقد ظل محمد على مهتما بتتبع أخبار العراق ، وجمع كافة المعلومات عنها ، فقد كتب في أوائل عام ١٢٣٧ هـ / أواخر عام ١٨٢١ م ، إلى محافظ المدينة المنورة خطابا يطلب فيه ضرورة موافاته بأنباء العراق أولا بأول ، وأن يرسل اليها من قبله الجواسيس سواء من المدينة أو عنيزة ، أو جبل شمر ، والذين لهم علاقات في تلك النواحي ، لكى تكون الأخبار التي ينقلونها مؤكدة

---

(١) عبد الرحمن الرافعي : عصر محمد على ، ص ٢١٩ .

(٢) مجلة الدارة : العدد الثاني ، السنة الأولى ، ص ١٦٣ ـ ١٦٤ .

ومهمة ، ولعل ذلك الاهتمام بالعراق ، ناتج عن سوء العلاقات التي كانت بين تركيا وايران ، والاحتمالات المتوقعة عن غزو شاه ايران لبغداد[١] .

لاحت الفرصة أمام محمد على لغزو العراق ، وتحقيق أطماعه التوسعية هناك حينما كتب له الصدر الأعظم باسم السلطان العثماني في الخامس عشر من شهر شعبان سنة ١٢٣٨ هـ / ٢٧ أبريل سنة ١٨٢٣ هـ يقول له : « ان والى بغداد قد أقر بعجزه عن رد اعتداء العجم ، وصدهم عن بغداد »[٢] ، وطلب منه أن يرسل ابنه إبراهيم باشا على رأس حملة كبيرة لكى تقوم بمهمة الدفاع عنها ، ولعل الباشا الذي كان لا يزال منغمسا في تدعيم أركان دولته ، إضافة إلى أنه لا يزال تابعا للسلطان العثماني ، لم يرد أن يقوم بغزو العراق لحساب الدولة ، لأنه ربما يحتاجها هو في وقت آخر ، وهو ما حصل بالفعل بعد حرب الشام الأولى ، عند ذلك اعتذر محمد على عن تنفيذ هذه المهمة بحجة أن حملته في السودان لم تنته بعد ، وأنه لا يزال منشغلا بمراقبة التحركات البريطانية في موانىء البحر الأحمر الجنوبية[٣] .

وقد ذهب بعض المؤرخين إلى أن هناك وثيقة طلب فيها محمد على من السلطان العثماني أن يترك الباشا للدولة العثمانية مصر ، على أن توليه العراق ، ولعل ذلك ناتج عن اغراء من محمد على ليس إلا للسلطان

(١) د . عبد الحميد البطريق : محمد على ومشروع غزو العراق ، مجلة كلية الآداب ، الجامعة الأردنية ، عدد ١ ، يناير ١٩٦٩ م ، ص ٥٠ .

د . أحمد مصطفى أبو حاكمة : تاريخ الكويت ، القسم الأول ، جـ ٢ ، ص ١٤٢ .

(٢) د . عبد الحميد البطريق : المرجع السابق ، ص ٥٠ .

(٣) د . عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم : محمد على وشبه الجزيرة العربية ، ص ٣٧٧ .

العثماني ، كي يثبت له أنه يستطيع السيطرة على العراق واعادة الأمور إلى طبيعتها في تلك الولاية[1] .

قبيل أن يخوض محمد على باشا حرب الشام الأولى ضد الدولة العثمانية ، أدرك أهمية الدور الذي يمكن أن يكون للعراق في مواجهة قواته الزاحفة إلى الشام ومهاجمتها عبر الصحر اء ، فسعى جاهدا لدى الباب العالى كى يسند حكم العراق إلى أحد أصدقائه من أهل العراق الذين لجأوا إلى مصر ، وهو بكر بك الكركوكلى ، إلا « أن الباب العالى قد أدرك حقيقة خطة محمد على التي كان يهدف إلى تنفيذها من وراء اسناد العراق إلى الكركوكلى ، فرفض هذا المطلب ، ولكن بدبلوماسية ناجحة لكى لا يثير غضب تابعه القوى في مصر »[2] .

وقد أظهرت الثورة التي قام بها الجند الغير نظاميين في الحجاز بقيادة محمد أغا « تركجه بيلمز » أثناء حروب الشام الأولى ، مكنونات محمد على حيال ، أهدافه في العراق ، حين قال في رسالته التي بعثها لهم في التاسع من شهر صفر سنة ١٢٤٨ هـ / الموافق ٨ يوليو سنة ١٨٣٢ م : « ... وحيث من المأمول بحول الله وقوته ... فإن قلعة عكا على وشك الفتح ، ومن ثم

---

(١) محمد حسين زيدان : الوثائق تتلكم ، مجلة الدارة ، العدد الثاني ، السنة الأولى ، ص ١٦٤ .
د . عبد العزيز نوار : تاريخ العراق الحديث ، ص ٢٣٣ .

(٢) د . عبد العزيز نوار : تاريخ العرب المعاصر ـ مصر والعراق ، ص ٢٨١ ـ ٢٨٢ .

فتــح الشـام ، حتى أن مدينــة حلب أيضا سيتم فتحهــا خـلال يوم أو يومين بإذن الله تعالى وسيلتحق الشام كله بالحكومة المصرية إن شاء الله ، حتى أن بغـداد أيضاً سيتم فتحهـا .. »[١] ، كما أكد للثوار في رسالـة أخرى إلى أن « أهل بغداد قد طردوا الوالى المنصوب عليـهم من طرف الدولة العثمانية ، وأقاموا من بينهم واليا آخر ايذانا بالانضمام إلى مصر .. »[٢] .

كانت أهداف وطموحات محمد على في العراق معروفة لدى ابنه وقائد جيوشـه فـي الشام إبراهـيم باشـا ، الذي أفصح عن ذلك المعنى أثناء حصار عكا عنــدما سـئل إلى أى مـدى سـوف تقف فتوحـات أبيه ، أجـاب على ذلك بقولــه ، حيث تنطـق العربية في أي مكان ، لذلك فـإن بغــداد سـتكون واحـدة مـن أهـدافـه[٣] ، ولا غـرو في ذلك فقد كانت الأنبـاء التي وردت من الشـام إلى البصرة وبغداد مفرحة جـدا للأهالى ، لا سيما وأن دخول إبراهيم باشا إلى دمشق قد أدى إلى هبـوط الأسـعار في تلك النواحـى ، وهى التي كـانت في السابق باهظة الارتفاع بصورة غير طبيعية كما تصفها الوثائق البريطانية[٤] .

---

(١) وثيقة رقم ٨٢٣ ، دفتر ٤٠ معية تركى ، ص ١٣٠ ، دار الوثائق القومية بالقاهرة .

(٢) د . عبد الحميد البطريق : من تاريخ اليمن الحديث ١٥١٧ ـ ١٨٤٠ م ، ص ٦٦ .

(3) Document : F. O. 78/246, 61070. No. 42.

(4) Document : (I. O. R.) L/p, S/9/93. No. 29. P. 356.

Document : (I. O. R.) L/p, S/9/95. No. 53, 31. P.P. 201 - 202.

ويعنى ذلك أن محمد على كان يفكر جديا في السيطرة على العراق منذ أن بدأ في حرب الشام الأولى ضد الدولة العثمانية[١] ، حيث أنه كان حريصا على سلامة جيوشه التي تتمركز في الشام لكى لا تهاجمها الدولة العثمانية من ناحية العراق ، لذلك استمر في محاولاته السياسية لكي يفرض نفوذه على العراق ويدخل في حوزته أجزاء كبيرة من أعالى نهر الفرات والمناطق المحيطة به[٢] ، ومن هنا كان تشجيع إبراهيم باشا ومساعداته التي زود بها يحيى الجليلى ، الذي كان مقيما في حلب بعد أن طردته الدولة العثمانية من ولاية الموصل ، والذي كان يتحين الفرصة المواتية لكى يعود إلى ولايته ، وعند وصول إبراهيم باشا إلى الشام انتهز الجليلى تلك المناسبة ليشن هجوما قويا على الموصل ويستولى عليها باسم حكومة محمد على ، في الوقت الذي قام فيه صفوق الجربا ـ شيخ عشائر شمر الجربا بخلع طاعة الدولة العثمانية والانضمام إلى محمد على ، عندها كانت السعادة تغمر إبراهيم باشا ، الذي بدأ في ارسال كتبه ومندوبيه إلى كبريات المدن العراقية في بغداد ، والبصرة ، وكربلاء والنجف والزبير لكى يكسبهم إلى جانبه[٣] .

---

(1) Document : (I. O. R.) L/p, S/9/93. P.P. 340 - 342.

(2) Document : F. O. 78/247, P. 113.

Document : (I. O. R.) L/p, S/9/96. No. 4. P. 392.

(٣) د . عبد العزيز نوار : تاريخ العراق الحديث ، ص ١٨٣ ـ ١٩٦ .

د . عبد العزيز نوار : المصالح البريطانية في أنهار العراق ، ص ١٦ ، ٣٨ .

سعت الدول الأوروبية لايقاف محمد على عن تنفيذ سياسته التوسعية التي بدأت تهدد الدولة العثمانية ، والتي ستضع تلك الدول في موقف حرج تجاه هذا الوضع الجديد الذي ستعيشه الدولة العثمانية ، وكانت بريطانيا في مقدمة تلك الدول ، لأن حروب محمد على في الشام ستجعله يتحكم في مفتاح طرقها التجارية المتجهة إلى الهند ، وهذا ما عبر عنه ورى Werry القنصل البريطاني في حلب ، في رسالته التي بعثها إلى كامبل Campbell في مصر حين قال : « إن إبراهيم باشا يفكر في انشاء ٣٠ مركبا على بحيرة أنطاكية لينزلها نهر الفرات ، لغزو بغداد »[(١)] ، كما وأن معاهدة كوتاهية ـ الهدنة المسلحة ـ سنة ١٢٤٨ هـ / ١٨٣٣ م ، قد أعطت محمد على الفرصة لكى يتحرك إلى الجزيرة العربية ويسيطر على مداخل البحر الأحمر وموانئه الهامة ، وهذا ما أشار إليه هنرى دودويل H. Dodwell من « أن هدف محمد على من فتوحه في جزيرة العرب بعد سنة ١٨٣٥ م كان الوصول إلى البصرة وبغداد »[(٢)] .

ولعلنا نتساءل هنا عن عدم اقدام محمد على باشا على غزو العراق عن طريق الشام ، لا سيما وأنه قد بدأ في فرض سيطرة حكومته على معظم المدن الشامية ، وابنه إبراهيم باشا هو قائد تلك الجيوش المتمركزة في ولاية الشام ، لكن معرفة السياسة التي اتبعتها الإدارة المصرية في الشام

---

(١) د . لطيفة محمد سالم : الحكم المصرى في الشام ١٨٣١ ـ ١٨٤١ م ، ص ٦٠ .

(٢) د . فاروق عثمان أباظة : عدن والسياسة البريطانية في البحر الأحمر ١٨٣٩ ـ ١٩١٨ م ، ص ١١٩ .

تعطى جوابا مقنعا لتلك التساؤلات ، فقد بدأ الاشمئزاز من حكومة محمد على في الشام منذ سنة ١٢٥٠ هـ / ١٨٣٢ م ، حين أصدر أوامره إلى ابنه إبراهيم باشا باحتكار أصناف الحرير للحكومة ، وبفرض ضريبة جديدة على الأهالى[١] ، ورغم أن تلك الضريبة كانت متباينة بتباين قوى الأفراد المالية ، إلا أنها قد فرضت على المسلمين والنصارى على حد سواء ، مما أثار موجات السخط والغضب في مختلف طبقات الأهالى في الشام[٢] ، فقد كانت أقل ضريبة شخصية للفرد خمسة عشر قرشا ، وأكثرها خمسمائة قرش[٣] ، كما سنت الحكومة المصرية في الشام نظام التجنيد الاجبارى على الأهالى وهو ما لم يكن معروفا لدى الشاميين ، ويروى لنا أحد المؤرخين المعاصرين كيفية سن هذا النظام وأصداءه ، في أهالي الشام حيث يقول : « شعرت الدولة الحاكمة ـ يعنى حكومة محمد على ـ بحرج مركزها ، .. فرأت نفوذها انما تحفظه القدرة المدافعة ، فسنت نظاما على الأهالي في الخدمة العسكرية ، ولم تحدد مدة الخدمة ، وبدأت تجند من الشعب من تجده صالحا للجندية ، ولم ترع حرمة الكبير ولا الصغير ، فساقت المثرى قبل الفقير ، ورفضت أن تأخذ بدلا عن الخدمة ، فازداد حنق الأهالى عليها ، لأنهم ظنوا الخدمة تدوم ما داموا أحياء ، فهاجروا التماسا للتخلص من هذا العبء »[٤] .

(١) محمد كرد على : خطط الشام ، جـ ٣ ، ص ٦٢ .

(٢) سهيل زكار : بلاد الشام في القرن ١٩ ، دراسة وتحقيق « مشهد العيان بحوادث سوريا ولبنان » د . ميخائيل مشاقة ، ص ١٦٤ .

(٣) محمد كرد على : المرجع السابق ، جـ ٣ ، ص ٥٨ .

(٤) سهيل زكار : بلاد الشام في القرن ١٩ ، دراسة وتحقيق « مشهد العيان بحوادث سوريا ولبنان » ، د . ميخائيل مشاقه ، ص ١٦٩ .

ثم زاد حنق الأهالى على حكومة الباشا في الشام حين أقدم على نزع السلاح منهم ، وهم في مجتمع يرى أن الوسيلة الأولى لحماية الفرد وأمنه هي بندقيته[1] ، وحمل السلاح في ذلك المجتمع يعد من المقومات الأساسية للرجولة ، إضافة إلى ذلك فإن إبراهيم باشا كان يحشد الناس لبناء الثكنة العسكرية بطريقة السخرة ، مما حدا بالأهالى إلى الفرار إلى رؤوس الجبال والأودية ، وأحيانا يلجئون إلى تشويه أنفسهم بخلع إحدى عيونهم أو قطع أصابعهم ليعفوا من الخدمة العسكرية[2] .

كل تلك التشريعات والنظم التي بدأت حكومة محمد على في الشام في فرضها على الأهالي أدت إلى تجدد الثورات والاضطرابات بصورة شبه مستمرة في أنحاء متفرقة من الشام ، فهي لم تكد تقف هنا حتى تقوم هناك[3] ، مما جعل الإدارة المصرية في الشام تعيش فترة استنفار عسكرى شبه دائم وبالتالى تنشغل عن التفكير الجدى في غزو العراق عن طريق الشام ، رغم أن محمد على قد أكد للقنصل البريطاني في القاهرة الكولونيل Campbell في شهر شعبان سنة ١٢٤٩ هـ ، ديسمبر ١٨٣٣ م ، أنه حريص على توطيد الدعائم بين سوريا والعراق ، وهو يعبر بذلك عن طموحاته في العراق عن طريق الشام[4] .

---

(١) جورج أنطونيوس : يقظة العرب ، ص ٩٢ .

(٢) محمد كرد على : خطط الشام ، جـ ٣ ، ص ٦٠ .

(٣) محمد شفيق غربال : منهاج مفصل لدروس العوامل التاريخية في بناء الأمة العربية على ما هي عليه اليوم ، ص ٩٧ ، سهيل زكار : المرجع السابق ، ص ١٦٥ ـ ١٨٠ .

(4) Document : F. O. 78/228, 60952. No. 72.

عندما تمكن محمد على من اعادة سيطرته على أجزاء شبه الجزيرة العربية ، وتمكنت قواته التي يقودها خورشيد باشا من بسط نفوذ الباشا على نجد والأحساء والبحرين ، لم تكن العراق إلا هدفا في ذهن الباشا يحاول الوصول اليه عن طريق الجزيرة العربية ، وهذا ما أكده الكابتن جيمس ماكنزى James Mackenzie في تقريره المؤرخ في التاسع والعشرين من شهر رمضان سنة ١٢٥٢ هـ ، السادس من يناير سنة ١٨٣٧ م ، والذي قدمه إلى وزارة الخارجية البريطانية ، وأشار من خلاله إلى « أنه اتضح له من محادثاته مع كبار الضباط في جيش محمد على أن خطة الباشا قائمة على أساس أنه فور الانتهاء من ثورة عسير ، فإن الجيوش سوف تواصل تحركاتها للاستيلاء على عدن ، وبعدها حضرموت ثم مسقط وعمان ، وبعد ذلك يصبح أمر غزو البصرة وبقية العراق أمرا ميسورا »[١] ، وفي ربيع الأول سنة ١٢٥٣ هـ الموافق للأول من يونيو سنة ١٨٣٧ م ، كتب ماكنزى Mackenzie رسالة أخرى إلى وزارة الخارجية البريطانية ، أكد فيها ما سبق له أن أشار اليه في رسالته السابقة حيال أهداف وطموحات محمد على في البصرة وبغداد[٢] .

عندما أدرك محمد على وقائده في الجزيرة العربية أن والى العراق كان يحيك له الدسائس في شبه الجزيرة العربية ، وأن الإمام فيصل بن تركى على

---

(١) د . عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم : محمد على وشبه الجزيرة العربية ، ص ٣٧٨ .

د . جاد طه : سياسة بريطانيا في جنوب اليمن ، ص ٦٣ .

(٢) نقلا عن مجلة الدارة عدد ٢ السنة الأولى ، ص ١٨٤ .

Document : F. O. 78/3185. P.P. 22 - 32.

اتصال مع هذا الوالى[١] ، زاد استحواذ مشروع غزو العراق على أفكار الباشا وقائده ولا سيما وأن محمد أغا « تركجه بيلمز » الذي ثار على محمد على في الحجاز ابان اشتعال حرب الشام الأولى ، والذي هرب على سفينة بريطانية إلى الهند ، قد أصبح مسئولا عسكريا في البصرة ، « حيث شغل فيها منصب سر عسكر ، أو قبودان باشا ـ حاكما على البحر والبر ـ على السفن الموجودة بالبصرة » ، مما يعنى أن تلك النواحي قد أصبحت تمثل مركزا مناهضا لنفوذ محمد على في شبه الجزيرة العربية[٢] ، وهذا ما تمثل في سلوك خورشيد باشا عندما رفض التعاون مع الإمام فيصل بن تركى ، حينما علم باتصاله مع على رضا والى بغداد ، لخشيته من أن يثمر هذا التعاون بين الإمام والوالى إلى عرقلة أهدافه وطموحاته في العراق ، بل بالأصح أهداف وطموحات محمد على باشا[٣] .

كان أول اتصال يتم بين قائد قوات محمد على في شبه الجزيرة العربية خورشيد باشا وأهل العراق هو اتصاله بأعداء السعوديين من آل عريعر ، والذين كانوا يقيمون في العراق ، حين عيّن محمد بن عريعر أميرا على الأحساء ، لكي يفتح له جبهة خلفية على قوات الإمام فيصل قبل التقائه معه في المعركة النهائية[٤] ، وحينما تمكنت قوات خورشيد باشا من الوصول إلى الأحساء

(١) وثيقة رقم ٣٣ أصلى ، ٦٦ حمراء ، محفظة ٢٦٤ عابدين ، محافظ الحجاز رقم ـ ٥ ، دار الوثائق القومية بالقاهرة .

(٢) د . عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم : محمد على وشبه الجزيرة العربية ، ص ٣٧٧ .

(٣) د . فائق حمدى طهبوب : تاريخ البحرين السياسي ١٧٨٣ ـ ١٨٧٠ م ، ص ١٧٨ .

(٤) د . عبد العزيز نوار : تاريخ العراق الحديث من نهاية حكم داود باشا إلى نهاية حكم مدحت باشا ، ص ٤١١ .

سارع القائد المصرى « بارسال وفود إلى شيخى الكويت والبحرين يخطرهما بتقدم جيوشه ، ويطالبهما بتقديم ما يحتاجه الجيش من تموين عند وصوله إلى ساحل الخليج »[١] ، مما يجعلنا نقرر هنا بأن تركيز محمد على لنشاطه حول البحرين بعد استقراره في الأحساء ناتج عن قناعته بأن البحرين تعد من أبرز المواقع الاستراتيجية التي تمكنه من ميزة التحرك السريع في الاتجاه الذي يريد التحرك اليه ، سواء باتجاه امارات الساحل العماني في جنوب الخليج العربي ، أم في اتجاه البصرة وبغداد في العراق شمال الخليج العربي[٢] ، وهذا ما تضمنه البند الثالث من بنود المعاهدة التي أبرمها محمد رفعت أفندى وكيل خورشيد باشا مع الشيخ عبد الله بن أحمد شيخ البحرين[٣] .

وعندما كان خورشيد باشا ملقيا باللوم على حكومة بغداد لاغرائها شيخ البحرين بعدم الانضواء تحت مظلة حكومة محمد على[٤] ، فإنه كان يرقب تحركات قبائل المنتفق في جنوب العراق التي بدا له أنها تستعد لمهاجمة قواته في الجزيرة العربية ، لا سيما وأن قبائل العراق الشمالية

---

(١) جون . ب . كيلى : بريطانيا والخليج ١٧٩٥ ـ ١٨٧٠ م ، جـ ١ ، ص ٥٢٤ .

(2) Document : (I. O. R.) L/p, S/9/110. No. 14. P. 425.

د . بدر الدين عباس الخصوصي : دراسات في تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر ، جـ ١ ، ص ١٣٥ .

(٣) د . أحمد مصطفى أبو حاكمة : تاريخ الكويت ، القسم الأول ، جـ ٢ ، ص ١٣٨ .

(٤) وثيقة رقم ٧ أصلية ، و ٥٠ حمراء ، محفظة ٢٦٧ عابدين ، محافظ الحجاز رقم ـ ٧ ـ ، دار الوثائق القومية بالقاهرة .

بدأت في مهاجمة الحدود السورية في الشام[1] ، وهذا ناتج دون شك عن إدراك سلطات الدولة العثمانية لأهداف محمد على في تحركاته الأخيرة التي يرمى من ورائها إلى الاطباق على العراق عن طريق تلك القوات المصرية المرابطة في بلاد الشام من ناحية الشمال ، وبقوات شبه الجزيرة العربية من ناحية الجنوب[2] ، ولقد ظهر ذلك واضحا في الطلبات التي أرسلها تركجه بيلمز إلى على رضا عندما كان في الموصل حين طلب منه « أن يبعث له بوجه السرعة عسكرا وأسلحة وجبه خانة بقدر ما يكفى للمحافظة على البصرة ، ... والوقوف في وجه الغزو المرتقب »[3] ، ويقصد به غزو خورشيد باشا .

وعلى أية حال فإن ضم العراق إلى حكومة محمد على قد أصبح ضرورة لا بد من تحقيقها خاصة بعدما تمركزت قواته على السواحل الشرقية للجزيرة العربية ، إضافة إلى وجود قواته المتمركزة في الشام ، وهذا ما كان يدركه خورشيد باشا ، الذي كان احتلاله للبحرين بمثابة تعبير واضح لاتخاذها قاعدة لشن هجومه على البصرة منها ، واستخدام السفن التابعة لآل خليفة

---

(١) د . أحمد مصطفى أبو حاكمة : تاريخ الكويت ، القسم الأول ، جـ ٢ ، ص ١٤٣ .

(٢) د . بدر الدين عباس الخصوصي : دراسات في تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر ، جـ ١ ، ص ١٢٩ .

د . فؤاد سعيد العابد : سياسة بريطانيا في الخليج العربي ، ص ١٢٥ .

(٣) د . عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم : محمد على وشبه الجزيرة العربية ، ص ٣٨٤ .

في نقـل قواتـه مـن البحـرين إلى الأطراف الجنوبية من العراق[1] ، لا سيما وأنه قـد بعث بمندوبيه إلى كل من الكويت والمحـمرة بحـجة الحصـول على الامـدادات والمؤن اللازمـة لجيشـه[2] إلا أن المصـادر التـاريخيـة ومـجريات الأحـداث تؤكـد أن مـهمـة هـؤلاء المندوبين وبالذات مندوبـه في الكويت هي مهمـة سياسيـة في المقـام الأول[3] ، وأن وجـود هذا المندوب في الكويت انما هـو لجمع الأخـبار عـن المنطقـة عامة والعراق خاصـة ، لا سيمـا وأن الكويت في نظـر البـاشـا تستطيع أن تلعب دورا كبيرا في تلك المهمة ، نظرا لموقعها المتـوسط ، ووجـود ارتبـاطـات عـائليـة بين سكان الكويت وسـكان الزبـيـر والبصرة[4] .

لقد لقي مندوب خـورشيـد باشا لدى شيخ الكويت كل ترحيب وتعاون ، واسـتطاع من هـناك أن يرسل عـدة قـوارب مـحملة بالشـعـيـر إلى القطيف كـامـدادات للقـوات المصـرية المتـواجـدة هناك ، إضـافـة إلى تمكنه مـن جـمـع المعلومات والأخبار التي ستساعد خورشيد باشا في غزو العراق ، كما أنه نتيجة

---

(١) جون . ب . كيلي : بريطانيا والخليج ، جـ ١ ، ص ٥٣٢ .

د . عبد الحميد البطريق : محـمـد علي ومشروع غزو العراق ، مجلة كلية الآداب ، الجامـعة الأردنية عدد ١ ، يناير ١٩٦٩ م ، ص ٥٣ .

(٢) د . محمد عرابي نخلة : تاريخ الأحساء السياسي ، ص ٩٣ .

(٣) ج . ج . لوريمر : دليل الخليج ، القسم التاريخي ، جـ ٣ ، ص ١٥١٣ ـ ١٥١٤ .

د . أحمد حسن جوده : المصالح البريطانية في الكويت ، ص ٣٤ .

(٤) د . أحمد مصطفى أبو حاكمة : تاريخ الكويت ، القسم الأول ، جـ ٢ ، ص ١٤٦ ـ ١٤٧ .

لهذه المكانة المتميزة التي يحتلها المندوب المصرى لدى شيخ الكويت وصلت إلى القوات المصرية في القطيف الشحنة الوحيدة من الذخيرة والعتاد على سفينة كويتية من ميناء الحديدة على البحر الأحمر وذلك في شهر رمضان سنة ١٢٥٥ هـ الموافق نوفمبر سنة ١٨٣٩ م[١] ، إضافة إلى قيام شيخ الكويت بالتعاون مع خورشيد باشا ومؤيديه من عناصر القوات العثمانية في العراق التي تريد الانضمام إلى حكومة محمد على ، حيث قام بنقل بعض الكتائب العثمانية على سفنه البحرية لتنضم إلى المصريين[٢] .

رغم أن السلطات البريطانية قد أبدت قلقها حيال تحركات خورشيد باشا في شمال الخليج ، وأنها بعثت بمساعد المقيم البريطاني في الخليج الملازم ادموندز T.Edmunds إلى شيخ الكويت في شهر شوال سنة ١٢٥٥ هـ الموافق ٣٠ اكتوبر سنة ١٨٣٩ م[٣] ، لكى يتعرف منه على تحركات خورشيد باشا ومهمة مندوبه هناك ، إلا أن التقرير الذي أعده ادموندز Edmunds كان بمثابة تاكيد على أهداف الباشا في العراق وأن شيخ الكويت راغب في التمسك

---

(١) ج . ج . لوريمر : دليل الخليج ، القسم التاريخي ، جـ ٢ ، ص ١٥١٣ ـ ١٥١٤ .

نوريه محمد ناصر الصالح : علاقات الكويت السياسية بشرقي الجزيرة العربية والعراق العثماني ، ص ٢٢ .

(٢) د . عبد العزيز نوار : مصر والخليج العربي في القرن ١٩ ، مجلة الهلال المصرية ، عدد ١١ ، السنة ٧٢ ، ص ١٦٤ .

أحمد عسه : معجزة فوق الرمال ، ص ٢٨ .

(٣) ج . ج . لوريمر : دليل الخليج ، القسم التاريخي ، جـ ٢ ، ص ١٥١٤ .

بصداقة محمد على[١] ، مما حدا بالمقيم البريطاني في الخليج الكابتن هنيل Hennell إلى التوجه مرة ثانية إلى الكويت في ربيع الأول سنة ١٢٥٦ هـ / مايو سنة ١٨٤٠ م ، لكى يتعرف منه عن نوايا خورشيد باشا بشأن البصرة ، وتحركاته المرتقبة تجاهها ، لا سيما وأن قنصل بريطانيا في القاهرة كان هو الآخر يؤكد رغبة محمد على في السيطرة على بغداد ، سواء عن طريق سوريا أو الجزيرة العربية[٢] ، إلا أن شيخ الكويت أكد للمقيم البريطاني أنه لم يلمس من المبعوثين التابعين للباشا أي احتمال لتحرك مصرى صوب البصرة[٣] .

ولا شك أن محمد على الذي عُرف بالحذر والدهاء السياسي يدرك أهداف البريطانيين ويعرف مواقفهم تجاه تلك المواقع التي لها علاقة بمصالحهم الاقتصادية في الهند ، مما يعنى أن تقدم جيوشه في وسط وشرق الجزيرة العربية ما هو إلا لتحقيق أطماعه وطموحاته في العراق إلا أنه كان يخفيها عن الانجليز ومندوبيهم[٤] ، لأنه ما فتىء يتلقى التقارير والأخبار

---

(١) د . بدر الدين عباس الخصوصي : محمد على والخليج العربي ، مجلة كلية الآداب والتربية ، جامعة الكويت ، العدد ٥ ، جماد أول سنة ١٣٩٤ هـ ، ص ١١٧ .

(2) Document : F. O. 78/373. C/A/61064. No. 20. P.P. 90 - 91.

(٣) جون . ب . كيلى : بريطانيا والخليج ١٧٩٥ ـ ١٨٧٠ م ، جـ ١ ، ص ٥٥٩ ـ ٥٦٠ .

د . فؤاد سعيد العابد : سياسة بريطانيا في الخليج العربي ، ص ١٤١ .

(٤) وثيقة رقم ١٦٥ حمراء ، محفظة ٢٦٧ عابدين ، محافظ الحجاز رقم ٧ ، دار الوثائق القومية بالقاهرة .

Document : F. O. 78/374. C/A/61064.

التي تسره ، والتي يسعى بلا شك للحصول عليها عن أحوال العراق بشكل عام ، ومدن البصرة وبغداد بشكل خاص ، طوال تلك الفترة التي كانت قواته متواجدة في الجزيرة العربية[1] ، وهذا ما كان يرمى إليه خورشيد باشا من تحركه في الكويت ، وليس ذلك فحسب بل منذ أن وطئت قدماه مدن القصيم قادما من المدينة المنورة ، وهو يعد العدة لترسيخ نفوذ محمد على باشا في نجد ، والأحساء ومن ثم التقدم نحو البصرة وبغداد[2] ، ولكن وفق سياسة معينة يقف وراءها محمد على دون ريب .

زاد تحمس خورشيد باشا لتنفيذ فكرة غزو العراق بعد أن أتته الأخبار من عيونه وأنصاره هناك[3] ، أمثال الشيخ حمود بن جسار ، الذي تربطه به صداقة وطيدة منذ أن كان محافظا لمكة المكرمة ، والذي بدأت علاقاته تزداد رسوخا منذ وصول الباشا إلى عنيزة ، حيث بدأ في تبادل المراسلات معه ، إلى أن قدم له الشيخ ابن جسار تقريرا شاملا في السابع والعشرين من شهر جمادى الأولى سنة ١٢٥٥ هـ ـ أغسطس سنة ١٨٣٩ م ، وفيه اشارات

---

(١) وثيقة رقم ١٧ أصلى ، و ١٦١ حمراء ، محفظة ٢٦٦ عابدين ، محافظ الحجاز رقم ٧ ، دار الوثائق القومية بالقاهرة .

(٢) د . أحمد مصطفى أبو حاكمة : تاريخ الكويت ، القسم الأول ، جـ ٢ ، ص ١٤٥ ـ ١٤٦ .

(٣) د . عبد الحميد البطريق : محمد على ومشروع غزو العراق ، مجلة كلية الآداب الجامعة الأردنية ، عدد ١ ، يناير ١٩٦٩ م ، ص ٥٥ .

د . عبد العزيز نوار : مصر والخليج العربي في القرن ١٩ ، مجلة الهلال المصرية ، عدد ١١ ، السنة ٧٢ ، ص ١٦٧ .

واضحة من شخصيات معروفة في بغداد والبصرة والزبير يؤيدون قدوم الباشا إلى تلك النواحي ، ويؤكدون له أنهم هم الذين أوفدوا ابن جسار ليدعو الباشا للقدوم اليهم[1] ، عندها لم يتردد خورشيد باشا في ارسال خطاب إلى محمد على يرجو فيه الموافقة على صدور التعليمات اليه لكى يقوم بغزو العراق ، مؤكدا أهمية تلك النواحي وأهمية السيطرة عليها حيث قال : « ... لا يحصل إلا الخير وبلوغ المرام خصوصا بهذا الفتح والنصر العمم الذي صار لسعادة سر عسكر باشا ، ولا يخفاكم أن هذا ملكا عظيما يضاهى ملك مصر الآن ، وهو الآن كالحسام الجوهر الذي سقط في جفين ، فبحسب ظنى أن أخذه واجب غير أنه يلزم الاستحراص والقوة ... »[2] ، مشيرا في تلك الرسالة إلى أن تنفيذ هذا المشروع لن يحمل الحكومة أعباء كثيرة ، فالأخبار التي جاءته من أنصاره مؤكدة ، والذخيرة والسلاح يمكن الحصول عليها من تلك الجهات بأسعار رخيصة دون الحاجة إلى حملها ، ودفع تكاليف ايصالها إلى هناك ، ولم ينس الباشا أن يشير إلى أنه مدرك هو الآخر لموقف الانجليز حيال تلك الأهداف حيث قال : « من خصوص الانكليز فإنه إذا صار معهم مكالمة عن الموجودين بالمحروسة ـ يعنى مصر ـ وأما الذي بهذه الجهات فلا لنا عليهم تعدى ، كون أن البر في يدنا وممشانا في البر فهو أقرب وأسهل ... »[3] .

---

(١) صورة المرفق العربي للوثيقة رقم ٤ حمراء ، محفظة ٢٦٧ عابدين ، محافظ الحجاز رقم ٧ ، دار الوثائق القومية بالقاهرة .

(٢) وثيقة رقم ٤ حمراء ، محفظة ٢٦٧ عابدين ، محافظ الحجاز رقم ٨ ، دار الوثائق القومية ، بالقاهرة .

(٣) وثيقة رقم ٤ حمراء ، محفظة ٢٦٧ عابدين ، محافظ الحجاز رقم ٨ ، دار الوثائق القومية ، بالقاهرة .

إلا أن تحمس خورشيد باشا ذلك قد جاء في وقت متأخر نوعا ما ، حيث أصبح الموقف الدولى في غير مصلحة محمد على نفسه ، سواء في الشام أو الجزيرة العربية ، حيث أن معركة نصيبين وما نتج عنها ، ووفاة السلطان محمود الثاني ، قد جعلت الدول الأوروبية وفي مقدمتها بريطانيا صاحبة المصلحة الأولى في ايقاف محمد على وتوسعاته في الشام وفي الجزيرة العربية على حد سواء ، جعلتها تلك الأحداث تقف بكل قوة وبمختلف الأساليب السياسية والعسكرية في وجه تطلعات الباشا وتحركاته ، لترغمه على صرف النظر عن ذلك المشروع ، واصدار الأوامر إلى خورشيد باشا بالانسحاب من الجزيرة العربية لأن الوقت ليس وقت المصلحة التي يتصورها ذلك القائد والتي يأملها الباشا نفسه[١] .

ورغم أن بعض المؤرخين يعتقدون أن خورشيد باشا « كان يتصرف في العامين الأخيرين ـ من وجوده في الجزيرة العربية ـ بمفرده ، دون الرجوع إلى أخذ رأى محمد على باشا في تنفيذ الخطط والتعليمات الموكلة اليه »[٢] ، وأنه كان يحكم على الأمور على ضوء خبراته بمنطقة الخليج والعراق فقط[٣] ، إلا أن الرأى المؤكد الذي ذكره خورشيد باشا في رسائله إلى حكومته هو عدم انتظام البريد ومضى زمن طويل يصل إلى خمسة

---

(١) إرادة نمرة ٢١ ، محفظة رقم ٢٦٧ عابدين ، محافظ الحجاز رقم ٨ ، دار الوثائق القومية ، بالقاهرة .

(٢) د . أحمد مصطفى أبو حاكمة : تاريخ الكويت ، القسم الأول ، جـ ٢ ، ص ١٢٤ .

(٣) د . عبد العزيز نوار : تاريخ العرب المعاصر ـ مصر والعراق ، ص ٣٩٨ .

أشهر دون أن يحاط بأى معلومات من قبل حكومته مما يجعله يتصرف وفق ما لديه من تعليمات سابقة دون أن يكون لديه المام بمتغيرات الأحداث وموقف حكومته منها ، وهو يؤكد في رسائله تلك أنه مرتبط بحكومته ومخلص لها ، إلا أنه في حاجة إلى كل التعليمات التي تطرأ على سياسة حكومته لينهج نهجها ، ويسير وفق سياستها[١] .

من هنا نستطيع أن نقرر أن خطة محمد على في التحرك نحو البصرة وبغداد والسيطرة على العراق من الجنوب كطريق بديل عن السير اليه من الشام الذي لم يستطع منه التحرك نحو العراق لم تكن وليدة الظروف التي ترتبت على وصول قوات الباشا إلى وسط الجزيرة العربية وشرقها كما اعتقد بعض المؤرخين[٢] ، وانما هي خطة موضوعة من قبل محمد على ، وحكومته في القاهرة منذ أن بدأت تلك القوات تتجه إلى الجزيرة العربية[٣] ، لا سيما وأن أوضاع حكومة الباشا في الشام لا تساعدها على التحرك من هناك إلى العراق ، إضافة إلى التحركات البريطانية المتمثلة في حملة

---

(١) وثيقة رقم ٢ أصلية ، و ٣٧ حمراء ، محفظة ٢٦٧ عابدين ، محافظ الحجاز رقم ٧ ، دار الوثائق القومية بالقاهرة .

وثيقة رقم ٤ أصلية ، و ٣٨ حمراء ، محفظة ٢٦٧ عابد ين ، محافظ الحجاز رقم ٧ ، دار الوثائق القومية بالقاهرة .

(٢) د . بدر الدين عباس الخصوصي : دراسات في تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر ، جـ ١، ص ١٣٢ .

(٣) د . فائق حمدى طهبوب : تاريخ البحرين السياسي ، ص ١٧٩ .

تشزني Chesney عبر نهر الفرات والتي حاول الباشا تعطيلها بمختلف الأساليب[١] ، إلا أنه في نهاية الأمر خضع للتهديدات البريطانية ، وبدأ في تسهيل مهمة تلك الحملة ، وتقديم كل شيء تحتاج إليه ويرضى قائدها[٢] ، مستبدلا ذلك الطريق إلى العراق بطريق آخر وهو غزوها من الجنوب عن طريق الجزيرة العربية .

ومما يؤكد ما ذهبنا إليه تلك العلاقات التي حاول محمد على تدعيمها مع شاه ايران ، الذي كان ينوى ايفاد عدد من الشباب الايراني للدراسة في القاهرة[٣] ، إضافة إلى التحركات الايرانية تجاه البصرة وبغداد بعيد مغادرة أحد المبعوثين التابعين لمحمد على وبمساعدة من شيخ قبائل المنتفق[٤] ، مما يسهل المجال أمام خورشيد باشا للتحرك من الجنوب باتجاه البصرة والمحمرة وبغداد ، والتي ستخضع له دون عناء يذكر ، خوفا من العدوان الايراني المرتقب ، الذي لا يريده أهالى العراق بأي وجه من

(١) جون . ب . كيلى : بريطانيا والخليج ، جـ ١ ، ص ٤٨٥ ـ ٤٨٦ .

جورج كيرك : موجز تاريخ الشرق الأوسط ، ص ١٢١ .

(2) Document : F. O. 78/257, xC/A/61064. No. 26.

د . عبد العزيز محمد الشناوى : الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها ، جـ ٢ ، ص ٧٧٦.

(3) Document : (I. O. R.) L/p, s/9/111. P.P. 695 - 696.

(4) Document : (I. O. R.) L/p, s/9/115. No. 26.

الوجوه ، إضافة إلى تلك العلاقات والتأييد الذي يحظى به خورشيد باشا من بعض قبائل وشخصيات جنوب العراق(١) .

وعلى أية حال فقد كان الساسة البريطانيون وعلى رأسهم وزير الخارجية اللورد بالمرستون Palmerston ، مدركين لأهداف وطموحات محمد على باشا ، حيث ذكر الوزير البريطاني في رسالته التي بعثها إلى قنصل حكومته في القاهرة في أواخر عام ١٢٤٨ هـ الحادى عشر من مارس سنة ١٨٣٣ م ما نصه : « ان خطة محمد على الحقيقية ترمى إلى تأسيس دولة عربية تضم جميع البلدان التي يتكلم أهلها العربية »(٢) ، من هنا لم يزل بالمرستون Palmerston مستمرا في جمع المعلومات والتقارير من جميع الساسة البريطانيين في الخليج والجزيرة العربية ، لكي يكونّ فكرة كاملة عن تطلعات وتحركات الباشا ، إلا أنه لم يجد عناءً في وضع سياسة حكومته موضع التنفيذ ليوجه تحذيرا صريحا إلى محمد على عن طريق القنصل البريطاني في القاهرة يؤكد من خلاله « .. أن الحكومة البريطانية لا يمكن أن تنظر بعين اللامبالاة إلى تنفيذ مثل هذه الخطط »(٣) ، و « أن الحكومة البريطانية لا يمكنها أن تغض الطرف عن تنفيذ مثل هذه النوايا(٤) .

---

(١) د . محمد عرابي نخلة : تاريخ الأحساء السياسي ، ص ٩٧ .

د . عبد الحميد البطريق : محمد على ومشروع غزو العراق ، مجلة كلية الآداب ، الجامعة الأردنية ، عدد ١ ، يناير سنة ١٩٦٩ م ، ص ٥٥ .

(٢) د . حسن أحمد إبراهيم : محمد على في السودان ، ص ٣٧ .

(٣) د . أحمد مصطفى أبو حاكمة : تاريخ الكويت ، القسم الأول ، جـ ٢ ، ص ١٢٠ .

(٤) بدر الدين عباس الخصوصي : محمد على والخليج العربي ، مجلة كلية الآداب والتربية ، جامعة الكويت ، العدد الخامس ، جمادى الأولى ١٣٩٤ هـ ، ص ١٠٤ .

سارت الحكومة البريطانية على استراتيجية معينة إلى أن تمكنت في نهاية الأمر من ابعاد محمد على عن مشروع غزو العراق عن طريق الجزيرة العربية ، وبالتالى اقتلاعه من شرق الجزيرة العربية ووسطها وغربها ، وكذلك اقتلاعه من الشام الذي خاض فيه حربين عسكريتين ضد الدولة العثمانية ، وقد انتهجت الحكومة البريطانية في هذا الموقف أسلوبين مختلفين هما الأسلوب العسكرى ، والأسلوب السياسي ، إلى أن توصلت إلى ما أرادت وهذا ما سنتحدث عنه في صفحات لاحقة من هذ البحث .

ويظهر لنا من خلال هذا الاستعراض لخطة محمد على بالنسبة لامتداد نفوذه تجاه البصرة والمحمرة وبغداد ، أن الباشا كان حريصا في عدم استثارة بريطانيا تجاه تحركاته ، وأنه لم يكن راغبا في الاصطدام بها لكى يتم مخططاته بهدوء ، دون احتكاك قد يؤدى إلى اعاقة تقدمه ، لذلك كان طوال تلك الفترة حريصا على التأكيد للساسة البريطانيين بأنه لن يقوم بأي عمل في الخليج العربي أو في العراق يتعارض مع مصالح الحكومة البريطانية وسياستها رغم أن الواقع الذي ينتهجه الباشا كان معاكسا لذلك تماما ، مما يعطى لنا انطباعا خاصا عن شخصية الباشا السياسية ، وما يمتاز به من مكر ودهاء سياسي[1] ، استطاع من خلاله أن يغير من حسابات الساسة الانجليز ويربك مخططاتهم ولو إلى حين .

(1) Document : F. O. 78/404. P. 99.

د ـ الحوار البريطاني :

حول الحرب أم الديبلوماسية ؟

رأت الحكومة البريطانية ورأى الساسة البريطانيون أنه من الأجدى ايقاف تحركات محمد على باشا ، التي يقوم بها في الجزيرة العربية والتي باتت تهدد طرق المواصلات البريطانية ومصالحها الاقتصادية في الهند ، لا سيما وأن حكومة محمد على في الشام التي يتزعمها ابنه إبراهيم باشا تسيطر على معظم أقاليم الشام ، وهو من طرق المواصلات الهامة لدرة التاج البريطاني ـ الهند ، التي تمر بالعراق والخليج العربي ، إضافة إلى سيطرة حكومة الباشا على مداخل البحر الأحمر في غربي الجزيرة العربية ، مما يعطى الانطباع الكامل لدى بريطانيا ورجال السياسة فيها إلى أن حكومة محمد على في مصر « قد أصبحت تسيطر على الطرق المؤدية إلى الهند » مع ادراكهم إلى أن نظام الاحتكار الذي يطبقه الباشا يتعارض بشكل مباشر مع مصالح بريطانيا الاقتصادية[1] .

لقد ظهر الفزع البريطاني حيال هذا الخطر الجديد في العالم العربي على تصرفات وأساليب الساسة الانجليز ، وأرائهم المختلفة التي بدأوا في تداولها ، وطرح الحلول التي يرون أنها كفيلة بالقضاء على هذه الدولة الجديدة وما قد تسببه من أخطار جسيمة على المصالح البريطانية وكان كل من هؤلاء الساسة البريطانيين يدلى بالرأى الذي يرتأيه ويعتقد أنه أنجح علاج لهذا الخطر ، وكل

(١) د . جلال يحيى : المجمل في تاريخ مصر الحديثة ، ص ٢٣٨ .

منهم يرى الحل الأمثل لتلك المشكلة من واقع معايشته للأحداث ، وموقعه من مكان حدوثها ، وقد خصصنا هذا الجزء من البحث لتلك الفترة من الحوار البريطاني حول الحرب أم الديبلوماسية ، في كيفية ايقاف هذا الخطر المتمثل في تحركات محمد على في الجزيرة العربية ، لا سيما وأن أصحاب الحوار هذا هم أقطاب السياسة الخارجية في بريطانيا في تلك الفترة ، بدءا من وزير الخارجية اللورد بالمرستون Lord Palmerston ، وسفير حكومته في الأستانة وقناصلها في القاهرة وبغداد والخليج العربي ، إضافة إلى حاكم بومباى الذي أدلى بدلوه هو الآخر في تلك الأحداث والحوار الدائر حولها .

رغم أن وزير خارجية بريطانيا اللورد بالمرستون Palmerston كان يكتفى في بداية حرب الشام الأولى باحالة التقارير التي تصله عن تحركات محمد على إلى مجلس الهند ، إلا أن التقرير الذي بعثه السفير البريطاني في الأستانة ستراتفورد كاننج Stratford Canning والذي طالب فيه بشن هجوم فورى على مصر ، لايقاف ذلك الخطر ، لأن مصالح بريطانيا التجارية باتت مهددة من جراء تلك الحرب التي يقوم بها محمد على ضد الدولة العثمانية في الشام[١] ، وما اضافه هنرى أليس على هذا التقرير من ملاحظات هامة بعثها إلى بالمرستون Palmerston في شهر شعبان سنة ١٢٤٨ هـ الموافق للأسبوع الأول من يناير سنة ١٨٣٣ م ، قد تركت انطباعاً قوياً على الوزير البريطاني ، تمثل في رسالته إلى اللورد

(١) جون . ب . كيلى : بريطانيا والخليج ، جـ ١ ، ص ٤٦٧ ـ ٤٦٨ .

جرانفيل والتي قال فيها : « ... ينبغى ارغام محمد على باشا بحصر نفوذه في مصر فقط ، لأن احتلال سوريا سوف يؤدى بالضرورة إلى احتلال بغداد ، واقامة دولة واحدة من مصر وسوريا والعراق بزعامة محمد على باشا لن تفيد بريطانيا في شيء »[١] ، وكأنه بذلك قد آمن بملاحظات هنرى أليس التي قال فيها : « أنه ليس من مصلحة الدولة الأوروبية الحاكمة في الهند أن تقوم على أرض الفرات دولة إسلامية قوية ، .. كما أن أية دولة تنشأ في هذه المنطقة سوف يمتد نفوذها بلا أدنى شك إلى جميع أقطار شبه الجزيرة العربية وقد تصبح في مدى قصير دولة بحرية هامة ، وان عدم وجود دولة كهذه في الوقت الحاضر لهو خير ضامن ضد غزو الهند ... »[٢] .

ولعل القنصل البريطاني في بغداد الكولونيل تايلور Rubert Taylor كان يسير في نفس المنهج الذي تسير عليه حكومته ، حين بدأ في اظهار كثير من الملاحظات التي تخدم المصلحة البريطانية في خطابه الموجه للقنصل البريطاني في سورية[٣] ، وكأن بريطانيا قد بدأت منذ انتصار محمد على في حروب الشام الأولى في السير وفق استراتيجية معينة ، للوقوف أمام طموحات وأهداف الباشا التي ستهدد المصالح الاقتصادية

(١) جون . ب . كيلى : بريطانيا والخليج ، جـ ١ ، ص ٤٧١ .

(٢) جون . ب . كيلى : المرجع السابق ، جـ ١ ، ص ٤٧٠ .

(3) Document : (I. O. R.) L/p, s/9/93. P.P. 344 - 345.

للحكومة البريطانية في الهند والطرق المؤدية اليها ، وقد أوضح اللورد بالمرستون Palmerston سياسة حكومته تلك في رسالة بعثها إلى الكولونيل كامبل Campbell في شهر رمضان سنة ١٢٤٨ هـ المصادف لشهر فبراير سنة ١٨٣٣ م ، مشيرا فيها إلى أن حكومته مهتمة بالمحافظة على كيان الدولة العثمانية ، لأن بقاءها يعتبر عاملا رئيسيا في بقاء التوازن الدولى في أوروبا ، ويضمن للحكومة البريطانية سلامة الطرق التجارية الموصلة إلى الهند(١) .

سارت جنبا إلى جنب أعمال المسح والمراقبة على أيدى رجال البحرية الهندية في الخليج العربي مع المراقبة وجمع المعلومات التي يقوم بها القنصل البريطاني في مصر في تتبع حركات الباشا وتدوين التقارير عن أهدافه وطموحاته ، وكذلك عن أساليبه في الإدارة والحكم(٢) .

وعندما قامت ثورة الجند الغير نظاميين في الحجاز بقيادة محمد أغا « تركجه بيلمز » ، أخذ الانجليز يتتبعون أنباءها بصورة مباشرة ، لدرجة أن محمد على قد أدرك هذا الحرص من الانجليز ، فأرسل في طلب القنصل

---

(١) د . محمد فؤاد شكرى : مصر والسودان ـ تاريخ وحدة وادى النيل السياسية في القرن ١٩ ، ص ١٤ .

د . محمد فؤاد شكرى وآخرون : بناء دولة مصر محمد على « السياسة الداخلية » ، ص ٧٤٩ .

(2) Document : F. O. 78/227. 60952. No. 9.

ج . ج . لوريمر : دليل الخليج ، القسم التاريخي ، جـ ١ ، ص ٣٢٢ .

البريطاني في القاهرة ، وأبلغه أن تفاقم أمر هؤلاء المتمردين سيعرض المصالح التجارية البريطانية في البحر الأحمر للخطر ، وأن ارساله قوات إلى اليمن لكبح جماح الثوار سيضفى نوعا من الأمن والاستقرار على الاقليم لينعكس بالتالى على سلامة السفن والتجارة البريطانية(١) .

ورغم أن القنصل البريطاني كامبل Campbell ، كان قد أكد لوزير خارجيته في رسالة بعثها في شهر ذو القعدة سنة ١٢٤٨ هـ ، ابريل سنة ١٨٣٣ م ، إلى أن تركجه بيلمز قد قام بثورته تلك اعتقادا منه بقرب نهاية حكم محمد على في الجزيرة العربية ، مفترضا أن الباشا سيهزم في الشام بواسطة الدولة العثمانية(٢) ، إلا أن مقابلة كامبل تلك لمحمد على قد جعلته يؤيد ارسال حملة مصرية لليمن لكبح جماح المتمردين لاعتقاده بأن ذلك سيعود بالمصلحة الاقتصادية المباشرة على بريطانيا(٣) ، ولعل تلك الحملة المصرية وما صحبها من اقتناع القنصل البريطاني في مصر ، وحكومة الهند البريطانية في ارسالها ، قد جاءت في وقت كانت الآراء السائدة بين الساسة الانجليز متفائلة نوعا ما ، في امكانية الاستفادة من قوات محمد على باشا سواء في الشام أم في البحر الأحمر ، حيث أشار إلى ذلك اللورد بونسنباى Lord, Ponsonby في رسالته إلى قنصل

---

(١) د . عبد الحميد البطريق : من تاريخ اليمن الحديث ١٥١٧ ـ ١٨٤٠ م ، ص ٧١ ـ ٧٢ .

(٢) د . فاروق عثمان أباظة : عدن والسياسة البريطانية في البحر الأحمر ، ص ١١٣ ـ ١١٤ .

(3) Document : F. O. 78/227. 60952. No. 10.

بريطانيا في مصر الكولونيل كامبل Campbell في ربيع الثاني سنة ١٢٤٩ هـ الموافق للحادى والثلاثين من أغسطس سنة ١٨٣٣ م[١] ، ورسالته إلى اللورد بالمرستون Palmerston في جمادى الأولى سنة ١٢٤٩ هـ الموافق السادس عشر من سبتمبر سنة ١٨٣٣ م[٢] ، واللتين تطرق فيهما إلى إمكانية الاستفادة من جيوش محمد على في الشام للوقوف ضد الخطر الروسي الذي يهدد طرق المواصلات البريطانية إلى الهند .

وقد وافق القنصل البريطاني في مصر الكولونيل كامبل Campbell زميله في الأستانة الرأى ، وأشار في رسالة بعثها إلى بالمرستون Palmerston في جمادى الثاني سنة ١٢٤٩ هـ ، السابع والعشرين من أكتوبر سنة ١٨٣٣ م إلى أنه يحبذ ترك البحر الأحمر وموانئه المهمة تحت سيطرة محمد على لأنه بحكم وضعه في مصر يسيطر على الساحل الغربي للبحر الأحمر ، وباخماد ثورة المتمردين في الحجاز سيصبح الباشا مسيطرا على الساحل الشرقي للبحر الأحمر أيضا ، مما يسهل حركة التجارة البريطانية إلى الهند مع هذا الشريان المائى الهام ، لا سيما وأن الباشا قد أقنع كامبل أنه حريص على المحافظة على صداقته مع الانجليز ، أصحاب النفوذ البحرى الكبير في البحرين الأبيض المتوسط والأحمر[٣] . ثم عاد القنصل البريطاني وأكد وجهة نظره تلك في رسالة بعثها إلى

---

(1) Document : F. O. 78/228. 60952.

(2) Document : F. O. 78/224. 61070. No. 57.

(3) Document : F. O. 78/228. 60952. No. 62.

بونسنباى Ponsonby في ربيع الثاني سنة ١٢٥٠ هـ الموافق للحادى والعشرين من أغسطس سنة ١٨٣٤ م ، وأنه بالامكان اعطاء بعض المساعدة للباشا كى يسيطر على بغداد ، ليصبح حائلا دون الخطر الروسي الذي بدأ يهدد جوانب مختلفة من آسيا كما يقول(١) .

حتى أن هنرى أليس قد تطرق في تقريره سالف الذكر إلى الآراء التي كان ينادى بها محمد على ، والتي يحاول من خلالها عدم اثارة بريطانيا ، واقناعها بأن امتداد سلطته خارج مصر في مصلحة بريطانيا ومصلحته في آن واحد ، حيث قال : « إن قيام دولة إسلامية تسعى إلى اكتساب خبرة الدول الأربعة فيما يختص بالتجارة والسلاح ، ويشمل نفوذها سوريا وبلاد ما بين النهرين ، وتتمتع بامكانيات بلد كمصر ، سوف يضع حداً للأطماع الروسية في الأقاليم الآسيوية للباب العالى ، وبانشاء هذه الدولة ويكون بها علاقات للدفاع المشترك مع حكومة الشاه سيجعل في مقدورها أن تقدم مساعدات فعالة لشاه فارس ضد الاعتداءات الروسية ، وبالتالى تحبط خططها لغزو الهند ، والخلاصة أنه لو نفذت خطة محمد على باشا فسوف يتمخض عنها قيام حلف رباعى يضم السلطان التركي أولا ، والوالى الجديد لمصر وسوريا والعراق ثانيا ، وشاه فارس ثالثا والحكومة البريطانية بوصفها الدولة المسيطرة على الهند رابعا ، وذلك بهدف اقامة دفاع مشترك في الأقطار الآسيوية الخاضعة لهم ضد روسيا »(٢) .

---

(1) Document : F. O. 78/246. 61070. No. 42.

(٢) جون . ب . كيلي : بريطانيا والخليج ١٧٩٥ ـ ١٨٧٠ م ، جـ ١ ، ص ٤٦٩ .

غير أن اللورد بالمرستون Palmerston وزير خارجية بريطانيا ، الذي بات يكن العداء لمحمد على ، لاعتقاده بأن الباشا قد بدأ يشكل خطرا متزايدا على الأمن الأوروبي في حروبه الأولى ضد الدلة العثمانية ، والتي أنتجت معاهدة انكيار سكليسى Unkiar-Skelessi ، إضافة إلى تهديده المباشر للطريقين الرئيسيين للمواصلات التجارية البريطانية إلى الهند ، عبر البحر الأحمر والخليج العربي ، لم يؤيد تلك الأفكار والآراء التي ذهب اليها الساسة البريطانيون حول امكانية الاستفادة من جيوش محمد على سواء في الشام أم البحر الأحمر(١) .

كان المقيم البريطاني في بغداد العقيد . ر. تايلور Taylor مؤيدا لأفكار بالمرستون Palmerston في ضرورة التصدى لمشروعات محمد على باشا التي يزمع القيام بها في العراق وشبه الجزيرة العربية ، حتى أنه كان يرى من الضرورة بمكان أن تقوم بريطانيا باستخدام شيء من القوة المسلحة لاحتلال بعض المواقع في القسم الأدنى من الفرات لايقاف التغلغل الروسي والمصرى على حد سواء ، حين أشار إلى ذلك في رسالته الموجهة إلى السكرتير العام لحكومة بومباى في جمادى الثاني سنة ١٢٥٠ هـ الموافق للعاشر من أكتوبر سنة ١٨٣٤ م(٢) .

---

(١) د . عبد العزيز عبد الغنى إبراهيم : علاقة ساحل عمان ببريطانيا ـ دراسة وثائقية ، ص ٢٧٨ .

د . عبد العزيز نوار : تاريخ العراق الحديث ، ص ٢٠٢ .

(2) Document : (I. O. R.) L/p, s/9/97. No. 67. P.P. 358 - 360.

كانت التقارير التي تعد من قناصل بريطانيا في الشرق والتي تؤكد عـزم الباشا على غـزو العراق ، وما تبـع ذلك مـن تلميحـات أفـضى بها محمد عـلى إلى قنـاصـل الـدول الأوروبيـة في الاسكندريـة عـن رغبتـه في اعـلان الانفصـال عـن الباب العالى[1] ، كفيلة باثارة وزير خـارجيـة بريطانيا ليقوم بتوجيه تحذيراته إلى محمد على بعدم التفكير في مثل هذا المشروع الخطير ، الذي لن تقف أمامه بريطانيا مكتوفة اليدين .

ولم تكن ردة الفعل ازاء تحركات الباشا في الشام والجزيرة العربية لتظـهر عـلى وزير خـارجيـة بريطانيـا وقناصله المعتمـدين في الشـرق فـحـسب ، بل تعـدت ذلك لتـصل إلى الملك وليم الرابع الذي بدأ في اظهـار اهتمامه ورجال حكومته بما يجرى من أحداث وتطورات كثيرة على سواحل شبه الجزيرة العربية[2] ، ليهتدى رجال الحكومة البريطانية بعد ذلك إلى وضع خططهم السياسية المتمثلة في ايجاد مصالح تجارية لهم في أنهار العراق ، لكى تسـتـخـدم للمـلاحـة التـجـارية في الظاهر ، وتنفـذ مـخططاتهم العسكرية والديبلوماسيـة في واقـع الأمـر[3] ، دون أن يثـيـروا انتـبـاه أيا من الدول الأوروبيـة المتنافسـة على المنطقة ، وكذلك الدولة العثمانية صاحبة الشرعية

---

(1) Document : F. O. 78/247. P.P. 109- 110.

د . عبد الحميد البطريق : محمد على ومشروع غزو العراق ، مجلة كلية الآداب ، الجامعة الأردنية ، العدد الأول يناير سنة ١٩٦٩ م ، ص ٥٦ ــ ٥٧ .

(٢) جون . ب . كيلى : بريطانيا والخليج ، جـ ١ ، ص ٤٠٧ ــ ٤٠٨ .

(٣) د . عبد العزيز نوار : تاريخ العراق الحديث ، ص ٢٠٣ ــ ٢٠٤ .

فيهـا والتي طُلِبَ منها اصدار فرمـان سلطـانى بالسمـاح للبعـثة الـتي يرأسها رودسن شيزنى Rowdson Chesney بمزاولة أعمالها في تلك الأنهار .

عندما كان الباب العالى مترددا في اصدار فرمان يسمح لبريطانيا بحق الملاحة في أنهار العراق ، كانت السفارة الروسية في الأستانة تبذل مساعيها الحثيثة للحيلولة دون إصدار هـذا الفرمان[١] ، بينما كانت السلطات المصرية في الشام تعترض على تفريـغ أجزاء الباخـرتين اللتين سيتم استعمالهما في نهر الفرات[٢] ، ممـا أثار الغضب فـي نفس اللورد بالمرسـتون Palmerston الذي بات يفكر في فـرض حـصار بحـرى عـلى الاسكندريـة لارغـام محمـد على على تـغـيـير مـوقـعـه تجاه حملة الفـرات ، إلا أن وصـول أنبـاء من القنصل البـريطاني في القـاهرة عن خضـوع البـاشا للتهـديدات البـريطانية ، واصـدار تعليـماتـه إلى ولـده في الشـام لتقـديم المسـاعدة لتلك الحملة ، قد خـفف من غضب الوزير البـريطاني وجـعله يغيـر مـوقـفـه العـسكري تجاه حـصـار الاسكندرية[٣]، لا سيما وأنه قد حصل من الباب العالى على فرمان بحق الملاحة في أنهار العراق في شهر شعبان سنة ١٢٥٠ هـ ــ ديسمبر سنة ١٨٣٤ م[٤] ،

(١) د . عبد العزيز محمد الشناوى : الدولة العثمانية دولة إسلامية ، جـ ٢ ، ص ٧٧٦ .

(٢) د . لطيفة محمد سالم : الحكم المصرى في الشام ، ص ٦٠ ــ ٦١ .

د . رأفت الشيخ : في تاريخ العرب الحديث ، ص ٣٠٨ .

(٣) جون . ب . كيلى : بريطانيا والخليج ، جـ ١ ، ص ٤٨٥ ــ ٤٨٨ .

(٤) د . عبد العزيز نوار : تاريخ العرب المعاصر ــ مصر والعراق ، ص ٤٢٤ .

وأخضع محمد على لتنفيذ هذا الفرمان وتقديم المساعدة لرجال البعثة البحرية البريطانية وتسهيل الطرق أمامها لانجاح مهمتها ، وقد بات الساسة البريطانيون بعد ذلك يرقبون تحركات محمد على في شبه الجزيرة العربية وسواحلها الشرقية والغربية بشيء من الحرص والحذر ، ففي الوقت الذي يبلغ فيه قنصل بريطانيا في القاهرة حكومته بسيطرة قوات الباشا على المدن اليمنية الهامة[1] كان الضابط البحرى البريطاني هينز Haines يقوم باستطلاع حقيقة الموقف على السواحل اليمنية بعد وصول قوات محمد على إلى اليمن[2] ، بينما كان المقيم البريطاني في الخليج هنيل Hennell يبعث بتقاريره السياسية إلى حكومته في لندن ، عن طريق طهران ، والتي يتحدث فيها بشيء من الكراهية والحقد عن تحركات محمد على في المنطقة آملا من حكومته اتخاذ الاجراءات الرادعة ضد الباشا وقواته[3] .

ورغم أن الكولونيل كامبل Campbell في القاهرة أشار في رسالة بعثها إلى وزير خارجيته في شهر ذو القعدة سنة ١٢٥٢ هـ الموافق للثالث والعشرين من فبراير سنة ١٨٣٧ م ، بأنه يعتقد أن الباشا لا يضمر لحكومة بريطانيا أية نوايا عدوانية في السواحل الغربية لشبه الجزيرة

(1) Document : F. O. 78/257. xC/A/61064. No. 2.

(٢) د . فاروق عثمان أباظة : عدن والسياسة البريطانية في البحر الأحمر ، ص ١٢٧ .

(٣) د . فؤاد سعيد العابد : سياسة بريطانيا في الخليج العربي ، ص ١٢٥ ـ ١٢٦ .

العربية ، إلا أنه مع ذلك سيقدم لحكومته معلومات وافية عن أهدافه في تلك الجهات وعن تحركات قواته فيها[١] ، أما الكابتن جيمس ماكنزى James Mackenzie فقد قطع الشك باليقين في رسالته المؤرخة في أوائل شهر صفر سنة ١٢٥٣ هـ ـ الأول من شهر يونيو سنة ١٨٣٧ م ، حيال أهداف الباشا التي سيكون من ضمنها الاستيلاء على عدن ومسقط وأنه من المعتقد أن الحكومة البريطانية لن تسمح للباشا بهذا الاعتداء في فتوحاته ، لاعتبارات سياسية واستراتيجية كما يقول المسئول البريطاني[٢] ، وكان اللورد بونسنبى Ponsonby في الآستانة يذهب إلى نفس المنهج في تقاريره إلى حكومته في تلك الفترة ، مؤكدا أنه لا يوجد هناك أية قوة يمكنها الوقوف في وجه الباشا ، ولا بد عندئذ من اتخاذ قرار بريطاني حاسم حيال تلك التحركات التي أصبحت تهدد المصالح البريطانية في الهند[٣] ، أما المقيم البريطاني في بغداد الكولونيل تايلور Taylor فقد انزعج هو الآخر من تحركات الجيوش المصرية في وسط الجزيرة العربية ، وكتب إلى وزير خارجية حكومته في شهر شعبان سنة ١٢٥٣ هـ الموافق

(1) Document : F. O. 78/3185. 61070. P. 22.

(٢) نقلا عن مجلة الدارة العدد الثاني السنة الأولى ، ص ١٨٥ :

Document : F. O. 78/3185. P.P. 22 - 32.

(3) Document : F. O. 78/306. No. 257; 61070.

جون ب . كيلي : بريطانيا والخليج ، جـ ١ ، ص ٥٠٤ ـ ٥٠٥ .

للتاسع والعشرين من نوفمبر سنة ١٨٣٧ م ، ليتعرف على موقفها تجاه هذه التحركات التي يقوم بها الباشا في المنطقة(١) .

أصدر اللورد بالمرستون Palmerston تعليماته إلى الكولونيل كامبل Campbell بضرورة الاتصال بمحمد على ، وابلاغه بطريقة ودية بأن حكومة بريطانيا لا يمكنها أن تنظر تجاه هذه التحركات بعين اللامبالاة والسكوت عن تنفيذ هذه الخطط التي تراود الباشا(٢) ، ولم يكتف بالمرستون Palmerston بهذه التعليمات بل أصدر تعليمات أخرى أشد لهجة من الأولى ، وطلب من كامبل Campbell نقلها إلى الباشا والتأكيد له من خلالها بأن حكومة بريطانيا لن تقف مكتوفة اليدين عن التحركات التي يقوم بها محمد على في الشام وشبه الجزيرة العربية ، كمحاولة منه لمد نفوذه إلى الخليج العربي والعراق(٣) .

وفي شهر رمضان سنة ١٢٥٣ هـ الموافق للسادس من ديسمبر سنة ١٨٣٧ م ، وفي أثناء متابعة وزير الخارجية البريطانية للأحداث الدائرة في الشام ، أوعز الوزير البريطاني إلى قنصل حكومته في مصر بأن يطرح اقتراحا سرياً وغير رسمي على محمد على ، بأنه من الأفضل

---

(١) د . بدر الدين عباس الخصوصي : دراسات في تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر، جـ ١ ، ص ١٣٠ ـ ١٣١ .

(2) Document : F. O. 78/318. No. 4. xC/A/61064.

(٣) جون . ب . كيلي : بريطانيا والخليج ١٧٩٥ ـ ١٨٧٠ م ، جـ ١ ، ص ٥٠٦ .

جورج كيرك : موجز تاريخ الشرق الأوسط ، ص ١٢١ ـ ١٢٢ .

للباشا الاستمرار في نظام التجنيد الذي تطبقه حكومته في مصر والشام ، ويشرح الوزير البريطاني لقنصل حكومته هدف هذا الاقتراح في رسالته تلك إلى أن الباشا سيحاول فرض هذا النظام الأكثر فاعلية ـ انطلاقا من ثقته في القنصل البريطاني .

كما يعتقد الوزير الانجليزي ، وبعد فترة قصيرة يصبح الباشا منبوذاً من الشعب المصرى والسورى على حد سواء كما يقول بالمرستون ، وبذلك ينفتح الطريق أمام بريطانيا لتكّون جيشا مناهضا لحكومة الباشا في الشام من الأهالى الذين يكرهون نظام التجنيد ، ولكنهم سيكونون جيشا أهليا لمحاربة حكومة محمد على ، وعندئذ تنتهز بريطانيا فرصتها كما يقول الوزير البريطاني من خلال اشتعال الحرب شبه الأهلية بين حكومة الباشا وأهل الشام[1] ، وهذا ما يوضح لنا السر الكامن وراء المساعدة البريطانية التي لقيها محمد أغا « تركجه بيلمز » ابان ثورته على محمد على في الحجاز واليمن ، تلك المساعدات التي تمثلت في نقل ـ بيلمز ـ من ميدان المعركة الخاسرة في اليمن إلى أن وصل إلى البصرة في العراق وأسند له فيها منصبا قياديا .

ولم يغفل وزير خارجية بريطانيا عن تحركات الباشا في اليمن إذ طلب من قنصل حكومته في مصر ابلاغ محمد على بأن بريطانيا لا تنظر بعين الرضا لتلك التحركات التي يحاول أن يقدم عليها الباشا في سبيل اخضاع عدن وحضرموت لنفوذ حكومته مهما كانت المبررات والأغراض التي كان الباشا يحاول أن يستتر خلفها[2] .

---

(1) Document : F. O. 78/318. No. 24. C/A/61064.

(٢) د . فاروق عثمان أباظة : عدن والسياسة البريطانية في البحر الأحمر ، ص ١٢٤ .

أثارت تلك التصريحات التي أبلغها محمد على إلى القنصل البريطاني في مصر عن خضوع اقليم نجد وشبه الجزيرة العربية ـ من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة ـ وسواحلها الشرقية إلى الخليج العربي لنفوذ دولته ، اهتمام رجال السياسة البريطانيين بشكل عام ، خاصة وأن الباشا كان يُلَمّح في أواخر شهر صفر سنة ١٢٥٤ هـ ، أواخر شهر مايو سنة ١٨٣٨ م إلى رغبته القويةفي اعلان الاستقلال عن الباب العالي ، ليعلن هوب هاوس صراحة عن انحياز بريطانيا إلى جانب السلطان العثماني ، وأنه لا بد لحكومته أن تستولى على مواقع مهمة في البحر الأحمر والخليج العربي ، مثل عدن وجزيرة خرج ، للتصدى لقوات محمد على باشا في المنطقة[١] .

ورغم أن الحكومة البريطانية قد وجهت بلاغا رسميا إلى محمد على في شهر جمادى الأولى سنة ١٢٥٤ هـ الموافق لشهر أغسطس سنة ١٨٣٨ م بعدم الخروج عن طاعة السلطان ، والا اضطرته إلى ايقاف تحركاته بالقوة المسلحة بالتعاون مع الدول الأوروبية[٢] ، إلا أنها عقدت مع الدولة العثمانية المعاهدة التجارية المعروفة بمعاهدة بلطة ليمان Balta Liman[٣] ، والتي كانت نتائجها السياسية أبعد أثراً وأشد خطورة من نتائجها الاقتصادية

---

(١) جون . ب كيلى : بريطانيا والخليج ١٧٩٥ ـ ١٨٧٠ م ، جـ ١ ، ص ٥٠٦، ٥٠٧، ٥١٠ ـ ٥١١ .

(٢) د . محمد فؤاد شكرى وآخرون : بناء دولة مصر محمد على ـ « السياسة الداخلية » ، ص ٧٥٣.

(٣) د . سليمان بن محمد الغنام : قراءة جديدة لسياسة محمد على باشا التوسعية ، ص ١٥٣ ـ ١٥٤ ، جون مارلو : تاريخ النهب الاستعمارى لمصر، ص ١١٣ ـ ١١٤، د . لطيفة محمد سالم: الحكم المصرى في الشام ، ص ٦٢ .

والتجارية على أهداف وطموحات محمد على باشا ، لدرجة أن قنصل بريطانيا في مصر قد أظهر سروره وارتياحه ، عندما أبلغه الباشا استعداده لتنفيذ تلك الاتفاقية حال وصولها اليه من الباب العالى مع الفرمان اللازم لها ، فكتب القنصل البريطاني بذلك إلى حكومته(١) .

عندما تواردت المعلومات من بغداد إلى الحكومة البريطانية عن زحف قوات محمد على إلى الخليج العربي باتجاه اقليم الأحساء والقطيف في طريقها إلى البحرين ، خرجت الحكومة البريطانية عن سياستها التقليدية في المناورات السياسية ، ليبعث الوزير البريطاني بالمرستون Palmerston ، برسالة شديدة اللهجة إلى القنصل الانجليزى في القاهرة الكولونيل كامبل Campbell في أوائل شهر رمضان سنة ١٢٥٥ هـ الموافق التاسع والعشرين من نوفمبر سنة ١٨٣٨ م طالبا منه سؤال محمد على عن صدق هذه المعلومات ، وابلاغ الباشا عن ثقة الحكومة البريطانية بعدم تفكير الباشا في البقاء في الجزيرة العربية وتأسيس حكومة له بها ، لأن مثل هذا العمل سوف ينظر له بحزم وشدة من قبل الحكومة البريطانية(٢) ، في الوقت الذي صدرت فيه الأوامر إلى قائد الأسطول البريطاني في المياه الهندية الأميرال فرد ريك ميتلاند Fredrick, Maitland بالتحرك صوب

(1) Document : F. O. 78/373. No. 14. P.P. 70 - 72.

(2) H.Temperly, and. L.M. Penson: Foundations of British foreign Policy. P. 127.

الخليج العربي في محاولة لاستعراض العضلات أمام قوات محمد على ، ومنعها من التقدم صوب البحرين بشتى السبل المتوفرة ، وتقديم المساعدة الممكنة لشيخ البحرين[1] .

وقد طلب اللورد بالمرستون Palmerston من حاكم الهند مراقبة الأوضاع في شبه الجزيرة العربية ، ودراسة التقارير الواردة من هنيل Hennell وميتلاند Maitland عن تحركات خورشيد باشا في المنطقة ، كما كلف المعتمدين البريطانين هناك بضرورة الاتصال بشيوخ المنطقة وتشجيعهم على الوقوف أمام تحركات القوات المصرية[2] ، وعلى الحكومة البريطانية في الهند أن تتصدى لأى عمل يقوم به خورشيد باشا في منطقة الخليج ولو أدى ذلك إلى استخدام القوة المسلحة ، وهو ما عبر عنه الوزير البريطاني بعد ذلك في رسالته إلى هوب هاوس وبعبارات واضحة[3] .

بينما كان المقيم البريطاني في بغداد الكولونيل تايلور Taylor يرفع التقارير المتتابعة إلى حكومته في لندن وإلى حكومة الهند البريطانية والتي يأمل فيها أن تقوم الحكومة البريطانية بامداد والى بغداد بالأسلحة والذخيرة لكى يتصدى للغزو المصرى المنتظر ، كان يحبذ للوالى العثماني هناك تولى الضباط البريطانيين لقيادة الجيش[4] ، في الوقت الذي كان

(١) د . فؤاد سعيد العابد : سياسة بريطانيا في الخليج العربي ، ص ١٢٩ .

(٢) د . فائق حمدى طهبوب : تاريخ البحرين السياسي ، ص ١٨٤ ـ ١٨٥ .

(٣) جون . ب . كيلى : بريطانيا والخليج ١٧٩٥ ـ ١٨٧٠ م ، جـ ١ ، ص ٥٢٦ .

(٤) د . عبد العزيز نوار : تاريخ العراق الحديث ، ص ٢٨٦ ـ ٢٨٧ .

فيه أحد الأعضاء البارزين في البرلمان البريطاني وهو الدكتور بورنج Bowring يقوم باعداد التقرير الذي كلفته به الحكومة البريطانية عن امكانيات مصر الاقتصادية وأهميتها الاستراتيجية وأحوال السكان فيها(١) ، ليتم التعرف عن قرب على مقدار خطرها في الخليج العربي ، الذي بدأت قوات محمد على تزحف اليه ، في الوقت الذي أرسل فيه الكولونيل كامبل Campbell من القاهرة تقريرا آخر أبدى من خلاله قلقه المتزايد عن وجود مهندسين فرنسيين أحدهما يعمل في خدمة محمد على منذ عشرين عاما وهو لينان دى بيلفون Linant, de, Pell Fond ، والآخر التحق بخدمته حديثا ، وهو مهندس الطرق والكبارى موجيل Mougel وكلاهما متحمس لفتح قناة ملاحية تربط بين البحر الأحمر والبحر المتوسط(٢) .

رغم أن المقيم البريطاني في الخليج هنيل Hennell قد زود رؤساءه بتقارير منتظمة عن تقدم قوات خورشيد باشا في شرقي الجزيرة العربية ، فقد كان يفضل بقاء البحرين مسقلة عن أي حماية قد تخضع لها من قبل الحكومة البريطانية في الهند(٣) ، إلا أن سلوك شيخ البحرين تجاه خورشيد باشا وميله للتحالف معه ، قد أثار رجال السياسة البريطانيين في

---

(١) د . سليمان بن محمد الغنام : قراءة جديدة لسياسة محمد على باشا ، ص ١١٠ ــ ١١١.

(٢) جون مارلو : تاريخ النهب الاستعمارى لمصر ، ص ٤٨ .

(٣) جون . ب . كيلى : بريطانيا والخليج ١٧٩٥ ــ ١٨٧٠ م ، جـ ١ ، ص ٥٢٩ ، د . بدرالدين عباس الخصوصى : دراسات في تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر ، جـ ١ ، ص ١٣٨.

الهند الذين قرروا عدم الوقوف في وجه سلطان. عمان فيما لو أراد غزو البحرين مرة أخرى[١] .

صدرت التعليمات من الحكومة البريطانية للمقيم البريطانى في بوشهر في شهر ذى الحجة سنة ١٢٥٤ هـ الموافق لشهر فبراير سنة ١٨٣٩ م ، تؤكد عليه بذل كل ما في وسعه لعرقلة تقدم القوات المصرية ، كما أعطت أوامر صريحة إلى قائد البحرية في المياه الهندية ميتلاند Maitland للقيام بزيارة للساحل العماني لمعرفة موقف شيوخ المنطقة من تحركات الباشا ، وقد حصل منهم ميتلاند Maitland ، ومساعد المقيم السياسي في الخليج الكابتن ت . ادموندز Captain. T.Edmunds ، على تعهدات شبه جماعية بعدم اقامة علاقات ودية مع مبعوث القائد المصرى في المنطقة ، وأكدوا على حسن نواياهم بأنهم مستعدون لمقاومة تلك القوات[٢] .

وبينما كانت حكومة الهند البريطانية ومندوبيها في الخليج مترددون في كيفية الوقوف أمام التحركات التي تقوم بها قوات محمد على في الشاطىء الشرقي للجزيرة العربية[٣] ، كان بالمرستون Palmerston يؤكد رفض حكومته لأى امتداد لحكومة الباشا في الجزيرة العربية لأنها ستشكل عقبة

(١) ج . ج . لوريمر : دليل الخليج ، القسم التاريخي ، جـ ٣ ، ص ١٣١٠ .

(٢) ج . ج . لوريمر : المرجع السابق ، جـ ٢ ، ص ١٠٦٨ .

(٣) ج . ج . لوريمر : المرجع السابق ، جـ ٣ ، ص ١٣٠٤ .

د . فائق حمدى طهبوب : تاريخ البحرين السياسي ١٧٨٣ ـ ١٨٧٠ م ، ص ١٩٣ .

كؤود في طريق سياستها الشرقية[1] ، وازداد غضب الوزير البريطاني ، حينما تلقى رسالة القنصل البريطاني في القاهرة المؤرخة في ٢٣ محرم سنة ١٢٥٥ هـ الموافق للثامن من أبريل سنة ١٨٣٩ م والمرفق بها تقرير خطير من الكابتن هينز Haines يتطرق من خلاله إلى الجهود التي يبذلها محمد على في اليمن ، لتهديد النفوذ البريطاني هناك ، ولم ينس القنصل البريطاني في مصر أن يضيف بعض عبارات التشاؤم حول الدور الذي يلعبه الساسة الفرنسيون في سياسة محمد على ، لكى يقف في طريق المصالح البريطانية ، وأكد المسئولان البريطانيان على أنه لا بد من وضع حدٍّ لتقدم قوات الباشا في الجزيرة العربية ، لأن احتلال عدن من قبل بريطانيا لا يسعد الباشا بأي حال من الأحوال[2] .

في الجانب الآخر تقدمت حكومة الهند البريطانية خطوات أكثر جرأة في مقاومة التحركات التي يقوم بها خورشيد باشا في الشاطىء الشرقي لشبه الجزيرة العربية ، فأوعزت إلى المقيم البريطاني في الخليج الكابتن هنيل Hennell ، بأن يقدم احتجاجا إلى قائد القوات المصرية يبلغه فيه عن عدم رغبة الحكومة البريطانية عن هذه التحركات التي يقوم بها تجاه البحرين ، في الوقت الذي أعطت أوامرها إلى « قائد بحريتها في

(١) د . سليمان بن محمد الغنام ، قراءة جديدة لسياسة محمد على باشا ، ص ١٠٩ .

(2) Document : F.O. 78/373. xC/A/61064. No. 21. P.P. 98 - 99.
Document : F.O. 78/373. xC/A/61064. No. 21. P.P. 101 - 103.

الخليج ميتلاند Maitland ، بأنه في حالة طلب شيخ البحرين تدخل بريطانيا وتعهده بأن يضع أرضه تحت الحماية البريطانية ، فعلى القائد البريطاني أن يؤكد له أنه تحت حماية مؤقتة من جانب اسطول صاحبة الجلالة في الخليج ، وابلاغ خورشيد باشا بفحوى هذا الاجراء »[١] .

قام المقيم البريطاني في الخليج الكابتن هنيل Hennell بارسال الدكتور ماكنزى Mackenzie إلى الكويت والبصرة والمحمرة ، ليتعرف من هناك عن صحة ما يتردد من اشاعات حول وجود عملاء للباشا منتشرون في جميع أنحاء منطقة الخليج ، في الوقت الذي بعث فيه بنسخة من الرسالة التحذيرية التي سبق أن أرسلها هنيل Hennell إلى خورشيد باشا في القطيف ، لتسلم له هذه المرة عن طريق شيخ الكويت لكى يقوم بافهام الباشا بأهمية الأخطار التي تنطوى عليها هذه التحركات[٢] ، إلا أن الأنباء التي ترددت عن اتعقاد اتفاقية ثنائية بين شيخ البحرين ومندوب خورشيد باشا جعلت المقيم البريطاني يتجه بنفسه إلى البحرين لمعرفة ذلك عن قرب وفي محاولة لافساد ذلك الاتفاق ، لا سيما وأن مندوب آخر من خورشيد باشا قد وصل إلى الشارقة ومعه تفويض من الأمير خالد بن سعود للاستيلاء على الساحل العمانى[٣] ، من هنا لم يتردد المقيم البريطاني بعد أن يئس من تراجع شيخ البحرين عن ذلك الاتفاق ، من التوجه إلى شيوخ الساحل العمانى

(١) ج . ج . لوريمر : دليل الخليج ، القسم التاريخي ، جـ ٣ ، ص ١٣٠٦ .

(٢) د . أحمد مصطفى أبو حاكمة : تاريخ الكويت ، القسم الأول ، جـ ٢ ، ص ١٤٩ ـ ١٥٠ .

(٣) د . عبد العزيز عبد الغنى إبراهيم : علاقة ساحل عمان ببريطانيا ـ دراسة وثائقية ، ص ٢٨٠.

ليحصل منهم على تعهدات خطية بمناصرة بريطانيا ، والتصدى لمخططات خورشيد باشا ، وقد وعدهم المقيم البريطاني بتزويدهم بالأسلحة والذخيرة لاستخدامها ضد القوات المصرية[١] ، بينما سلم احتجاجين خطيين إلى شيخ البحرين وخورشيد باشا ، يظهر فيهما عدم موافقة حكومته على عقد مثل هذا الاتفاق[٢] ، ولأن المقيم البريطاني في الخليج كان يخشى من تأثير صداقة محمد على للسيد سعيد ، سلطان مسقط ، فقد اقترح على حكومته استرضاء السيد سعيد بمساعدته في ضم البحرين[٣] ، من هنا تكرر النهج الذي تسلكه بريطانيا سياسيا في محاولاتها المتكررة حول التصدى لتحركات محمد على باشا في المنطقة والمتمثل في عقد الاتفاقيات والمعاهدات مع مشائخ المنطقة ، وتم عندئذ عقد الاتفاقية التجارية بين مسقط وبريطانيا في شهر ربيع الأول سنة ١٢٥٥ هـ الموافق للحادى والثلاثين من شهر مايو سنة ١٨٣٩ م ، والتي أصبحت في انتظار التصديق عليها بين الحين والآخر ، ومن أهم بنودها تعيين

---

(١) ج . ج . لوريمر : دليل الخليج ، القسم التاريخي ، جـ ٢ ، ص ١٠٧٠ ، مختارات من سجلات حكومة بومباى

S. R. B. G. No. XXIV. P.P. 446 - 449.

د . عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم : محمد على وشبه الجزيرة العربية، ص ٣٥٨ ـ ٣٥٩.

جى . بى . كيلى : الحدود الشرقية لشبه الجزيرة العربية ، ص ١٠٠ .

(٢) صورة المرفق العربي للوثيقة رقم ١٣٧ حمراء ، محفظة رقم ٢٦٧ عابدين ، محافظ الحجاز رقم ـ ٧ ـ ، دار الوثائق القومية بالقاهرة .

د . بدر الدين عباس الخصوصي : دراسات في تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر ، جـ ١ ، ص ١٥٧ .

(٣) د . صلاح العقاد : التيارات السياسية في الخليج العربي ، ص ١٤٧ .

قنصل بريطاني في السلطنة ، ولعله الخطوة الأولى التى أرادت بها بريطانيا السير لاستعادة نفوذها في سواحل الخليج العربي[1] .

كتب اللورد بالمرستون Palmerston إلى السفير البريطاني في الأستانة اللورد بونسنبى Ponsonby ، في أواخر شهر صفر سنة ١٢٥٥ هـ ، الموافق للحادى عشر من شهر مايو سنة ١٨٣٩ م ، طالبا منه الاستيضاح من الباب العالى عن مغزى الفتوحات التي يقوم بها محمد على في الجزيرة العربية وهل الباشا يقوم بها بناء على أمر من السلطان العثماني ، وفي نفس الوقت ذكَّر المسئول البريطاني رجال الدولة العثمانية ، تلك الأخطار التي تهدد الولايات العثمانية في العراق نتيجة لهذه التحركات التي يقوم بها الباشا[2] ، مما يؤكد أن الحكومة البريطانية في تلك الفترة كانت تحاول أن توقف أهداف ومخططات محمد على في الجزيرة العربية دون أن تظهر هي في الصورة ، لكى لا تفتح المجال أمام تدخلات الدول الأوروبية الأخرى ، في الوقت الذي كانت تحاول فيه كسب ثقة الدولة العثمانية ، أي أنها لا زالت تسلك المنهج الدبلوماسي بشكل واضح ، وتحاول أن تفرضه كحل حاسم لتحركات محمد على .

---

(١) جون . ب . كيلى : بريطانيا والخليج ١٧٩٥ ـ ١٨٧٠ ، جـ ١ ، ص ٥٨٦ .

د . مديحة أحمد درويش : سلطنة عمان في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ، ص ١٢١ ـ ١٢٢.

(٢) د . بدر الدين عباس الخصوصي : محمد على والخليج العربي ، مجلة كلية الآداب والتربية ، جامعة الكويت ، عدد ٥ ، جمادى الأولى ، سنة ١٣٩٤ هـ ، ص ١٠٨ .

أوعزت الحكومة البريطانية إلى قنصلها في القاهرة الكولونيل كامبل Campbell ، للتباحث مع محمد على والحصول منه على وعد قاطع بعدم ارسال السفن البحرية التي كان قد طلبها خورشيد باشا ، لترسل له من جده عبر البحر إلى الخليج العربي ، وكذلك تزويد خورشيد باشا بتعليمات صريحة من حكومته بعدم التقدم إلى ما وراء الأحساء ، وقد تحقق للقنصل البريطاني ما أراد وتزود بصورة من تلك التعليمات[(١)] .

ورغم أن المقيم البريطاني في الخليج قد قام بزيارة إلى الساحل العمانى وحصل على ضمانات كتابية من شيوخ المنطقة بتأييد السياسة البريطانية في التصدى لتحركات جيوش محمد على ، فإنه قد أبلغ وكيل القوات المصرية في الشارقة باستنكار حكومته لهذه التحركات وأن عليه أن يغادر المنطقة حالا ، لأنها قد أصبحت تحت الحماية البريطانية[(٢)] ، ومع ذلك أشار في تقريره إلى حكومة بومباى في شهر جمادى الأولى سنة ١٢٥٥ هـ الموافق للرابع عشر من شهر يوليو سنة ١٨٣٩ م ، إلى أن شيخ البحرين وغيره من شيوخ الخليج العربي ينظرون إلى الحرب الدائرة في الشام بين قوات محمد على والدولة العثمانية نظرة خاصة ،

---

(1) Document : F.O. 78/374. xC/A/61064.

ارادة نمرة ٧ ، محفظة رقم ٢٦٧ عابدين ، محافظ الحجاز رقم - ٧ - ، دار الوثائق القومية بالقاهرة .

(٢) ج . ج . لوريمر : دليل الخليج ، القسم التاريخي ، جـ ٣ ، ص ١٦٤٣ .

جون . ب . كيلى : بريطانيا والخليج ١٧٩٥ - ١٨٧٠ ، جـ ١ ، ص ٥٦٢ - ٥٦٣ .

ففي حالة انهزام إبراهيم باشا قائد القوات المصرية هناك فإن الجميع سيقفون موقفاً عدائياً من حملة خورشيد باشا وقواته[1] ، وكأن المقيم البريطاني يشير من طرف خفي إلى الوقوف عسكرياً ضد محمد على في الشام ، لتختل قواه في الجزيرة العربية ، منطلقا في ذلك من تعليمات بالمرستون Palmerston التي أرسلها إلى كامبل Campbell في أوائل ربيع الثاني سنة ١٢٥٥ هـ ، الخامس عشر من شهر يونيو سنة ١٨٣٩ م ، والتي طالب فيها بالدفاع عن البحرين بالقوة المسلحة ، مع تقديم تحذير شديد اللهجة إلى محمد على بعدم التفكير بالزحف تجاه البصرة بواسطة قائده في الجزيرة العربية خورشيد باشا ، لأن ذلك سيجعل بريطانيا تلجأ إلى استخدام القوة المسلحة لمنع الباشا من تحقيق مخططاته[2] .

استمر المقيم البريطاني في الخليج هنيل Hennell في مواصلة تحركاته المضادة لأهداف وطموحات محمد على وقائده خورشيد باشا ، وأعد تقريرا عاجلا إلى حكومة بمباى مبديا فيه شكوكه من جدوى الاحتجاجات التي يقدمها كامبل Campbell إلى محمد على في القاهرة ، مؤكدا في تقريره ذاك أن خير وسيلة لايقاف الباشا عند حده هي التهديد بالقوة المسلحة ، وأنه لا بد من تعزيز الأسطول البريطاني في الخليج ، ليتم من خلاله فرض حصار بحرى على الموانىء الشرقية لساحل الجزيرة العربية ،

---

(١) د . محمد عرابى نخلة : تاريخ الاحساء السياسي ١٨١٨ ـ ١٩١٣ م ، ص ٨٩ .

د . فائق حمدى طهبوب : تاريخ البحرين السياسي ١٧٨٣ ـ ١٨٧٠ م ، ص ٢٠٤ .

(٢) جون . ب . كيلى : بريطانيا والخليج ١٧٩٥ ـ ١٨٧٠ ، جـ ١ ، ص ٥٥٣ ـ ٥٥٤ .

فيما لو حاول خورشيد باشا اعادة مندوبه إلى الساحل العمانى مرة أخرى ، وكذلك توجيه انذار إلى شيوخ المنطقة بعدم التعاون مع خورشيد باشا مستقبلا والا قام الأسطول البريطاني بتدمير تحصيناتهم ، واختتم المقيم البريطاني تقريره سالف الذكر بضرورة المحافظة على الساحل العماني لكيلا يضيع في أثر البحرين التي فقدت بسبب ما أسماه بسياسة العجز والتردد التي تسير عليها حكومته(١) .

لقيت مقترحات هنيل Hennell تأييداً قوياً وصريحاً من قبل حاكم بومباى الجديد السير جيمس كارناك James Carnac الذي أعلن عقب قراءته لتقرير هنيل Hennell أنه يتحتم على البريطانيين الوقوف في وجه تحركات محمد على التي يقودها خورشيد باشا ، وذلك بمساعدة الحكام العرب في المنطقة ، لأن أنصاف الحلول قد تؤدى إلى الفشل الذريع كما يقول ، وإلا فإن محمد على سيتمكن من النجاح في بسط سيادته الكاملة على الساحل الشرقي للجزيرة العربية(٢) ، غير أن الحاكم العام البريطاني في الهند أوكلاند Auckland لم يوافق على هذا الرأى حين أبلغ جيمس كارناك James Carnac في شهر جمادى الأولى سنة ١٢٥٥ هـ الموافق بداية أغسطس سنة ١٨٣٩ م ، اعتراضه على ذلك وأنه لا بد من موافقة حكومة لندن ، في حالة القيام بأى عمل من هذا القبيل ،

---

(١) جون . ب . كيلي : المرجع السابق ، جـ ١ ، ص ٥٦٣ ـ ٥٦٤ .

(٢) د . عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم : محمد على وشبه الجزيرة العربية ١٢٣٤ ـ ١٢٥٦ هـ ص ٣٦٠ ـ ٣٦١ .

إذ لا بـد مـن الالـتزام بالخـط السياسـى الذي قررتـه تـلك الحكومـة ازاء محمد على[١] .

أصبحت الأحداث في الشام تفرض وضعا آخر على حكومة لندن لا سيما بعد تفوق جيوش محمد على على جيوش السلطان العثماني في معركة نصيبين، وقد بعث كلا من سفير بريطانيا في الأستانة اللورد بونسنبى Ponsonby ، وقنصلها في مصر الكولونيل كامبل Campbell برسالة مشتركة إلى وزير خارجية بريطانيا في شهر ربيع الثاني سنة ١٢٥٥ هـ الموافق للخامس من يوليو سنة ١٨٣٩ م ، أبلغاه فيها ما تمخض عنه اجتماع ممثلى الدول الأوروبية الخمس بوزير خارجية الدولة العثمانية ، والذي رغبت فيه دولته في الصلح مع محمد على ، وتطرق المسئولان البريطانيان في تلك الرسالة إلى الوضع العسكرى في الشام ، ليكون الوزير البريطاني على بينة من أمره فيما يصدره اليهما من تعليمات[٢] .

غير أن العقيد تايلور Taylor المقيم البريطاني في بغداد ، قد حذر حكومته من أهداف وطموحات محمد على في الشواطىء الشرقية لشبه الجزيرة العربية في رسالة بعثها إلى اللجنة السرية في لندن في أوائل

---

(١) د . فؤاد سعيد العابد : سياسة بريطانيا في الخليج العربي خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر ، ص ١٣٧ .

د . بدر الدين عباس الخصوصي : دراسات في تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر ، جـ ١ ، ص ١٦٤ .

(2) Document : F.O. 78/375. XC/A/61064. P.P. 4 - 6 and No. 55.

جمادى الثانية سنة ١٢٥٥ هـ الموافق للخامس عشر من أغسطس سنة ١٨٣٩ م ، طالبا من حكومته تزويد ، ولاة بغداد بالأسلحة والذخيرة والضباط البريطانيين للوقوف أمام تحركات محمد على باشا ، كما أشار إلى أهمية النفوذ السياسي الذي يجب أن يبذله السفير البريطانى في الأستانة لاستغلال نفوذه لدى الباب العالى لتحقيق المصالح البريطانية التي أصبحت مهددة من قبل قوات محمد على وقائده في الجزيرة العربية خورشيد باشا[١] .

حاول اللورد بالمرستون Palmerston أن يصبغ السياسة البريطانية في مختلف جهات الجزيرة العربية بصبغة واحدة وهي عقد معاهدات الصداقة وابرام الاتفاقيات التجارية مع أهل البلاد في سبيل التصدى لنفوذ محمد على في المنطقة ، وهذا ما أشار اليه في استغراب عن الأسباب التي تحول بين حكومة الهند ووكيلها في عدن لعقد مثل هذه المعاهدات[٢] ، لا سيما وأن مساعد المقيم البريطاني في الخليج قد نجح في الحصول على تعهد مكتوب من شيوخ أبو ظبى ودبى والشارقة وأم القوين بمساندتهم للسياسة البريطانية ومعارضتهم للسياسة المصرية في أواخر ربيع الأول سنة ١٢٥٥ هـ العاشر من يونيو سنة ١٨٣٩ م[٣] .

---

(1) Document : (I. O. R.) L/p, S/9/103. No. 7. P.P. 184 - 187.

(٢) د . فاروق عثمان أباظة : عدن والسياسة البريطانية في البحر الأحمر ، ١٨٣٩ ـ ١٩١٨ م ، ص ٢٢١ .

(٣) د . عبد العزيز عبد الغنى إبراهيم : علاقة ساحل عمان ببريطانيا ـ دراسة وثائقية ـ ، ص ٢٨١ .

وبعد أن طلبت الحكومة البريطانية من محمد على صراحة أن يسحب قواته من اليمن في أواخر عام ١٢٥٥ هـ / أواخر عام ١٨٣٩ م ، ورأت أن الباشا لا يزال يناور بأساليبه السياسية المعروفة[١] ، بعث وزير الخارجية البريطانية برسالة إلى الكولونيل هودجز Hodges في أوائل شعبان سنة ١٢٥٥ هـ الرابع عشر من أكتوبر سنة ١٨٣٩ م ، طالبا منه اعطاءه تفصيلات كاملة عن القدرة العسكرية التي يمتلكها الباشا لحماية الاسكندرية ، إضافة إلى قواته في الشام ، وتدوين المقترحات التي تفيد الجهات البريطانية والقدرة العسكرية التي تحتاجها تلك الجهات لمهاجمة الاسكندرية ، وكأنه بذلك قد وطد العزم على استعمال القوة المسلحة للتصدى للباشا[٢] ، وهذا ما أشار اليه هودجز Hodges من طرف خفى ، عندما تحدث عن مقابلته للباشا التي سأله فيها عن وفده إلى امام صنعاء ، والتي أشار اليها أنها تأدية للواجب المرير تجاه ما أسماه بالمكر الذي يكيده الباشا للمصالح البريطانية في المنطقة[٣] .

---

(١) د . عبد الحميد البطريق : من تاريخ اليمن الحديث ١٥١٧ ـ ١٨٤٠ م ، ص ١٠١ ـ ١٠٢ .

د . عبدالرحيم عبدالرحمن عبد الرحيم : محمد على وشبه الجزيرة العربية ١٢٣٤ ـ ١٢٥٦ هـ / ١٨١٩ ـ ١٨٤٠ م ، ص ٢٣٧ ـ ٢٣٨ .

(2) Document : F.O. 78/377. 61070.No. 2. P.P. 3 - 4.

Document : (I. O. R.) L/p, s/9/113. No. 1609 and No. 1583.

(3) Document : F.O. 78/404. P.P. 97 - 98. 22/2/1840.

كان تخوف الوزير البريطاني اللورد بالمرستون Palmerston من نوايا محمد على في الأجزاء الشرقية من شبه الجزيرة العربية ، يزاداد يوما بعد يوم لا سيما وأنه قد تلقى تقارير من رجال حكومته في المنطقة تزيد من تشاؤمه ، وكان أهمها ذلك التقرير الذي بعثه تايلور Taylor في شهر رمضان سنة ١٢٥٥ هـ ، الموافق للثالث عشر من نوفمبر سنة ١٨٣٩ م ، والذي أشار من خلاله أن خورشيد باشا قد وُجِّهَ ثانيةً لمد نفوذه إلى الساحل العمانى[١] ، وهذا ما أكده مجددا مساعد المقيم البريطانى في الخليج ادموندز T. Edmunds ، في تقريره الذي أرسله إلى حكومته في شهر شوال سنة ١٢٥٥ هـ الموافق لشهر ديسمبر سنة ١٨٣٩ م[٢] ، وذلك بعد أن منيت مهمته لدى شيخ الكويت بنوع من الفشل الذي لم يتعوده البريطانيون في المنطقة[٣] .

صرح اللورد بالمرستون Palmerston في أواخر شهر ذى الحجة سنة ١٢٥٥ هـ أواخر شهر فبراير سنة ١٨٤٠ م لهوب هاوس : « أنه يعتقد بأنه قد أصبح من حق حكومة الهند اللجوء إلى القوة إذا دعت الظروف لارغام المصريين على الانسحاب من موانىء الاحساء ومن أية منطقة أخرى يحتلونها على سواحل الخليج ، وأن الحد الأدنى لمثل هذه الاجراءات

(1) Document : (I. O. R.) L/p, s/9/113. No. 44. P.P. 237 - 238.

(٢) جون . ب . كيلى : بريطانيا والخليج ١٧٩٥ ـ ١٨٧٠ ، جـ ١ ، ص ٥٨٤ .

(٣) د . أحمد مصطفى أبو حاكمة : تاريخ الكويت ، القسم الأول ، جـ ٢ ، ص ٢٠١ .

د . فؤاد سعيد العابد : سياسة بريطانيا في الخليج العربي خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر ، ص ١٤١ .

هـو كما اقترح هانيل ، فرض حصار على سواحل القطيف »[1] ، ولا غرو في ذلك إذا عرفنا أنه قد وصلت إلى البصرة في شهر شوال من عام ١٢٥٥ هـ الموافق لشهر ديسمبر سنة ١٨٣٩ م ، ثلاث سفن بريطانية مسلحة تسليحا كافيا ، لتوضع تحت قيادة هنرى . ب . لينش Henry, Blass, Lynch قائد الأسطول البريطاني في أنهار العراق[2] .

ورغم أن وزير خارجية محمد على ، وهو بوغوص بك قد أكد للقنصل البريطاني في القاهرة الكولونيل هودجز Hodges في أواخر شهر ذى الحجة سنة ١٢٥٥ هـ ـ أواخر شهر فبراير سنة ١٨٤٠ م ، عدم وجود أية نوايا عدوانية لدى حكومة الباشا فيما يختص بمصالح بريطانيا في شرق الجزيرة العربية ، إلا أن المقيم البريطانى في الخليج وجه تحذيرا إلى الحاكم المصرى في القطيف في تلك الفترة محذرا أياه من أية محاولة للتسلل إلى عمان عبر المنطقة ، لأن الأسطول البريطاني سيقوم بمنعها ، وقد أيد حاكم بومباى جيمس كارناك James Carnac هذا الاجراء ، أما الحاكم البريطاني العام للهند فقد تردد بين الموافقة والرفض ، إلا أنه كتب إلى وزير خارجية بريطانيا اللورد بالمرستون Palmerston قائلا له : « اننى حتى الآن لم أفهم بوضوح اتجاهات السياسة المصرية ، وكنت أتصور

---

(١) جون . ب . كيلى : المرجع السابق ، جـ ١ ، ص ٥٨٥ .

(٢) ج . ج . لوريمر : دليل الخليج ، القسم التاريخي ، جـ ١ ، ص ٣٥٥ .

د . عبد العزيز سليمان نوار : المصالح البريطانية في أنهار العراق ١٦٠٠ ـ ١٩١٤ م ، ص ٤٩ ـ ٥٥ .

أن تصفية هـذه المشكلة تقع في اختصاصكم ، وأرى على أي حال أنه طالما ظلت لهجة حكام القاهـرة معتدلة فيما يتعلق بتحركات خورشيد باشا في منطقة الخليج فإنه لا يبدو أن هذا القائد سوف يتراجع عن خطته ، في توسيع نفوذه في تلك المنطقة ، وأنه من المحتمل سواء بكثير من الجهد أو بقليل منه أن يمتد نفوذ هـذا القائد أكثر ، كما سيزداد مركزه قوة في هـذه المناطق »[1] ، مما يعنى أن الساسة البريطانيون في الخليج لم يكونوا على توافق في الآراء ، فمنهم من يؤيد المنهـج السياسى ، للوقـوف أمـام هذا الخطر الذي يهـدد مصالحهم ، ومنهم من يذهـب إلى استخـدام القوة ، وخير مثال على ذلك أن نجـد المقيم البريطـانى في الخليـج هنيل Hennell يذهب إلى الكويت في شهر ربيع الأول سنة ١٢٥٦ هـ الموافق لشهر مايو سنة ١٨٤٠ م ، ليستطلع من هناك أهداف ومخططات خورشيد باشا في البصرة وبغـداد ، وهنـاك تأتيـه الأنبـاء من سـواحل الجـزيرة العـربيـة ، عن بدء الانسحاب المصرى من نجـد والاحسـاء[2] ، وعلى نفس النمط ، وبنفس القلق كـان يسـير المقيم البـريطـاني في بغـداد ، الذي بعـث برسـالـة إلى وزير خـارجيته في أواخـر شـهـر ربيـع الأول سنـة ١٢٥٦ هـ ـ الموافق للأول من يونيو سنـة ١٨٤٠ م ، واصفا فيها ما تعانيه تلك الولاية من انهيار وفوضى ، ومبدياً خوفه من سقوطها في أيـدى القـوات التي ستـهاجمـها لأول وهلة ، وان كان يرمى في رسالتـه تلك إلى الخـطر الايرانى ، إلا أن خوفه من قوات

(١) جون . ب . كيلي : بريطانيا والخليج ، ١٧٩٥ ـ ١٨٧٠ ، جـ ١ ، ص ٥٨٠ ، ٥٨٣ ـ ٥٨٤ .

(٢) جون . ب . كيلي : المرجع السابق ، جـ ١ ، ص ٥٩١ .

محمد على في الجزيرة العربية لا يقل أهمية عن الخطر الايرانى ، وقد أمَّل في رسالته تلك من حكومته أن تصل اليه السفن الحربية التي ستقوم بالحفاظ على تلك الولاية والمصالح البريطانية فيها[1] .

مما سبق يتضح لنا أن السياسيين البريطانيين كانوا في تلك الفترة في مرحلة يمكن أن نسميها عدم التوازن ، إذ كان التردد وعدم الثبات على نهج معين هو الطابع المسيطر على رجال السياسة البريطانيين ، إذ أن الباحث حينما يستقرىء ما كان يدور بينهم من رسائل وتقارير ، يلحظ ذلك التردد واضحا ، فهل يوقفون تحركات محمد على في الجزيرة العربية والخليج العربي بالقوة المسلحة والحرب .. أم يلجأون إلى السياسة والحلول الدبلوماسية ..! أم أن هناك حلا آخر يمكنهم اللجوء اليه ؟

(1) Document : (I. O. R.) L/p, s/9/115. No. 26.

الفصل الرابع
فَصْلٌ في المسألة الشرقية

أ - احتلال بريطانيا عدن ، ذي القعدة ١٢٥٤ هـ / يناير ١٨٣٩ م .

ب - حرب الشام الثانية ، معركة نزيب ، ربيع الثاني سنة ١٢٥٥ هـ / يونيو ١٨٣٩ م .

جـ - الحالة في الأستانة - منشور كلخانه « بدء تنظيمات » .

د - انجلترا والحل الدولي : معاهدة لندن ١٢٥٦ هـ / ١٨٤٠ م .

هـ - انسحاب محمد علي من شبه الجزيرة العربية .



أ - احتلال بريطانيا عدن

ذي القعدة ١٢٥٤ هـ / يناير ١٨٣٩ م

كان طريق رأس الرجاء الصالح هو الطريق الأطول لاتصال أوروبا بالشرق ، إذ كانت الرحلة عبر هذا الطريق تستغرق من لندن إلى بومباى نحو أربعة أشهر وأكثر ، إضافة إلى وجود الصعوبات والأخطار التي يلاقيها الملاحون في ذلك الطريق سواء تلك التي تتمثل في قسوة الجو أم البحر ، وعند استخدام السفن البخارية تضاءلت المدة الزمنية للرحلة عبر هذا الطريق لتستغرق شهرين من الزمان ، بدلا من أربعة أشهر ، بينما كان الطريق من غرب أوروبا وحتى الهند عبر البحر المتوسط والبحر الأحمر ، تستغرق الرحلة من خلاله أربعة أسابيع فقط(١) ، من هنا كان الاهتمام البريطاني بطريق البحر الأحمر وموانئه ، وكذلك طريق الخليج العربي الذي يصل إلى موانىء البحر المتوسط من خلال الطريق البري ، عبر أراضى العراق والشام .

وتعتبر مدينة عدن(٢) من أهم الموانىء اليمنية لوقوعها جنوبي

---

(١) د . فاروق عثمان أباظة : عدن والسياسة البريطانية في البحر الأحمر ، ١٨٣٩ ـ ١٩١٨ م ، ص ١٣٥ ـ ١٣٦ .

(٢) تقع شبه جزيرة عدن على الساحل الجنوبي للجزيرة العربية على خط العرض ١٢/٤٧ شمالا ، وخط الطول ١٠/٤٥ْ شرقا ، وتبعد عن الساحل بنحو خمسة أميال ، وتقع عدن الأصلية في شرق شبه جزيرة عدن ، وهي محاطة تقريبا بسلسلة تلال عالية ، تجعل المكان كما لو كان حصنا طبيعيا ، وتعتبر مدينة عدن المفتاح الجنوبي للبحر الأحمر . د . جاد طه : سياسة بريطانيا في جنوب اليمن ، ص ٤ ، ٧١ .

باب المندب[1] ، وبالتالى تحكمها في مداخل البحر الأحمر الجنوبية ، وقد أدرك رجال شركة الهند الشرقية البريطانية أهمية ميناء عدن في طرق مواصلاتها إلى الهند ، عند بداية استخدام البواخر للاستفادة منها كمستودع للفحم لتأمين البواخر البريطانية ، القادمة والمتجهة من والى الهند البريطانية[2] .

ولقد بدأ الاهتمام البريطاني بعدن منذ الحملة الفرنسية على مصر يأخذ طابعا عمليا تمثل في احتلال جزيرة بريم ميون[3] ، والتي تقع في أضيق بقعة في بوغاز باب المندب ، إلا أن الوضع المعيشى الصعب في تلك الجزيرة ، جعل قوة الاحتلال تنتقل إلى عدن ، لتبرم مع سلطان لحج معاهدة تجارية في سنة ١٢١٧ هـ / ١٨٠٢ م[4] ، مفتتحة بذلك أبواب عدن للتجارة الانجليزية القادمة من الشرق والغرب على حد سواء ، وهذا ما جعل اللورد فالنشيا Lord, Valntia ، يتنبأ بعد ذلك ببضع سنوات بما سيكون لعدن من شأن عظيم في المصالح البريطانية حين قال : « أن عدن هي بمثابة جبل طارق في الشرق »[5] .

---

(١) إبراهيم فصيح صبغة الله الحيدرى : عنوان المجد في بيان أحوال بغداد والبصرة ونجد ، ص ١٩٢ .

(٢) د . فاروق عثمان أباظة : عدن والسياسة البريطانية في البحر الأحمر ١٨٣٩ ـ ١٩١٨ م ، ص ١٥١ .

(٣) الاستاذ محمد شفيق غربال : منهاج مفصل لدروس العوامل التاريخية ، ص ١٤٣ .

(٤) د . محمد أنيس : الدولة العثمانية والشرق العربي ١٥١٤ ـ ١٩١٤ م ، ص ١٩٥ .

(٥) جورج كيرك : موجز تاريخ الشرق الأوسط ، ص ١١٣ .

وقد كانت الدولة العثمانية مدركة لأطماع الانجليز في عدن منذ أن قام جورج فورستر سادلير G. F. Sadleir برحلته الشهيرة في وسط الجزيرة العربية ، بعيد حروب محمد على ضد الدولة السعودية الأولى ، حيث كتب الصدر الأعظم إلى محمد على في مصر بضرورة الحرص والتنبه إلى أطماع الانجليز المغلفة بالمكر والدهاء[1] ، وفعلا استطاع البريطانيون ابرام معاهدة مع امام اليمن في أوائل سنة ١٢٣٦ هـ / الخامس عشر من يناير سنة ١٨٢١ م ، بعد أن خلقوا حادثة اعتداء ضد الوكالة البريطانية في ميناء مخا ، يستطيعون من خلالها التدخل مباشرة واملاء المطالب التي يريدونها[2] ، في الوقت الذي جددت فيه المعاهدة التجارية مع سلطان لحج في أواخر عام ١٢٣٧ هـ / الموافق للسادس من سبتمبر سنة ١٨٢٢ م[3] .

وفي سنة ١٢٤٥/٤٤ هـ المصادف لسنة ١٨٢٩ م قامت بريطانيا بعقد اتفاقية صداقة وتجارة مع سلطان لحج ، يتم بموجبها استخدام عدن كمحطة للفحم وقيام وكالة بريطانية فيها[4] ، مما يؤكد أن الانجليز كانوا

---

(١) وثيقة رقم ٢٠٩ ، محفظة ٧ عابدين ، نقلا عن : جورج فورستر سادلير : رحلة عبر الجزيرة العربية ، ص ٢٧٤ ـ ٢٧٧ .

(٢) د . عبد الحميد البطريق : من تاريخ اليمن الحديث ١٥١٧ ـ ١٨٤٠ م ، ص ٥٥ ـ ٥٧ .

(٣) محمود كامل : اليمن شماله وجنوبه تاريخه وعلاقاته الدولية ، ص ٢٣٣ .

(٤) د . عبد الحميد البطريق : من تاريخ اليمن الحديث ، ص ٨٥ .

د . عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم : محمد على وشبه الجزيرة العربية ، ص ٢٣٢ .

خلال هذه الفترة الزمنية الطويلة يسعون بشتى الطرق والأساليب من خلال المعاهدات والاتفاقيات وما يصاحبها من تهديدات عسكرية للتمكن من وضع قدم لهم في اليمن بشكل عام وفي ميناء عدن بشكل خاص .

وبما أن الأهداف والأطماع البريطانية في عدن كانت تنطلق من أهمية موقعها الاستراتيجي الذي تتميز به في طريق مواصلاتها إلى الهند ، فإن تحركات محمد على باشا في الجزيرة العربية منذ حروبه ضد الدولة السعودية الأولى ، كانت تثير مخاوف الانجليز بشكل واضح ، ليتعرفوا على كنهها وغاياتها ، وهذا ما أشار إليه سادلير Sadleir في رسالته إلى القنصل البريطاني في القاهرة عندما وصل إلى المدينة المنورة في رحلته الشهيرة سنة ١٢٣٤ هـ / سبتمبر سنة ١٨١٩ م(١) .

كانت حروب الشام الأولى وما صاحبها من ثورة للجند الغير نظاميين في الحجاز ، كفيلة بابراز أهداف وطموحات محمد على في اليمن ومداخل البحر الأحمر ، ومن أهمها ميناء عدن ، وهذا هو العمل الذي لا تقره بريطانيا ، ولا تلتزم الصمت حياله ، وتمثل موقفها ذلك في تعاطفها الملحوظ مع قائد الجند الثائرين محمد أغا « تركجه بيلمز » ، حين قامت بتهريبه من اليمن إلى بومباى على ظهر سفنها الحربية ، بعد أن ثبت عدم استطاعته الوقوف في وجه قوات محمد على التي تغلبت عليه في الحجاز واليمن .

---

(١) جورج فورستر سادلير : رحلة عبر الجزيرة العربية خلال عام ١٨١٩ م ص ١١٣ ـ ١١٤ .

كان القنصل البريطاني في مصر متتبعا لأهداف وطموحات محمد على في اليمن التي يعتزم تنفيذها هناك خاصة فيما يتعلق بالسيطرة على ميناء عدن الهام ، وكان يرسل التقارير المتتابعة إلى وزير خارجيته اللورد بالمرستون Palmerston ، عن تلك التحركات التي يعتزم الباشا تنفيذها[١] ، وليؤكد من خلالها أن كل الشاطىء اليمنى والمدن اليمنية الهامة قد سلمت لجيوش محمد على التي يقودها أحمد باشا يكن ، وأنها في طريقها للتوغل داخل الاقليم[٢] .

عندما عقد محمد على العزم على تدعيم نفوذه في اليمن بإرسال قوات جديدة تحت قيادة إبراهيم يكن باشا في أواخر عام ١٢٥٠ هـ ، أوائل عام ١٨٣٥م[٣] ، كانت حكومة الهند البريطانية ترسل الكابتن هينز Haines « لاكتشاف المنطقة ، ومدى صلاحية عدن لتكون قاعدة بحرية للسفن الانجليزية ومستودعا للفحم ، ولما عاد إلى الهند لفت نظر حكومة الهند إلى صلاحية ميناء عدن للغرض المنشود »[٤] ، بينما كان القناصل الانجليز في مصر والأستانة يتبادلون الرسائل والمعلومات والآراء فيما بينهم وبين وزير خارجيتهم في لندن ، حول تحركات الباشا في اليمن وفي عدن ، وطموحاته التي يعتزم

(1) Document : F.O. 78/227. 60952. No. 9.

F.O. 78/227. 60952. No. 24.

(2) Document : F.O. 78/247. P. 119. 11/11/1834.

(٣) د . فاروق عثمان أباظة : عدن والسياسة البريطانية في البحر الأحمر ، ص ١١٥ ـ ١١٦ .

(٤) د . عبد الحميد البطريق : من تاريخ اليمن الحديث ١٥١٧ ـ ١٨٤٠ ، ص ٨٨ .

تحقيقها في المنطقة ، ونتائج تحقيقها على المصالح البريطانية بشكل عام ، وطريق الهند بشكل خاص[1] .

ومما أثار البريطانيين اقدام الباشا على الحد من حرية السفن الأوروبية التي كانت تصعد في البحر الأحمر ، شمالى جدة عندما تأتي من بومباى في طريقها إلى أوروبا ، واصداره أمرا بمنع تلك السفن من الصعود في البحر الأحمر شمالى جدة[2] ، إضافة إلى التقرير الخطير الذي رفعه الكابتن جيمس ماكنزى James-Mackenzie في أواخر صفر سنة ١٢٥٣ هـ ، الأول من يونيو سنة ١٨٣٧ م ، والذي أكد فيه أهداف محمد على التوسعية في ميناء عدن العتيد كما يقول ، وأن الباشا لم يؤخره عن تنفيذ تلك الأهداف إلا القضاء على ثورة عسير ، إذ أنه سيبعث بعد ذلك بكتيبة من قواته للاستيلاء عليها ، مؤكدا في ذلك عجز سلطان عدن عن مقاومة قوات الباشا التي ستهاجمه ، ولم ينس المسئول البريطاني أن يذكر حكومته بالأهداف والطموحات الأخرى التي يسعى الباشا لتحقيقها عن طريق الاستيلاء على عدن[3] .

---

(1) Documents : F.O. 78/227. 60952.
F.O. 78/227. 60952. No. 28.
F.O. 78/228. 60952. No. 62.
F.O. 78/3185. 61070. P. 52.

(٢) د . فاروق عثمان أباظة : الحكم العثماني في اليمن ، ص ٣٨ .

(٣) نقلا عن مجلة الدارة ، العدد الثاني ، السنة الأولى ، ص ١٨٤ ـ ١٨٥ .
Document : F.O. 78/3185.

وقد كان إبراهيم يكن باشا ينوى بالفعل الاستيلاء على عدن حين أرسل البكباشى محمد صادق لتنفيذ هذه المهمة ، وكاد أن يتحقق له ما يريد لولا أن قوات الحملة المصرية كانت موزعة بين الأقاليم اليمنية في الداخل ، وموانئها الساحلية الأخرى(١) ، وزاد من قلق البريطانيين في تلك الجهات ما قام به سلطان مسقط من عقد اتفاقية تجارية مع الحكومة الأمريكية ، ليعطى بذلك أول امتياز تحصل عليه حكومة غربية في ممتلكات السيد سعيد(٢) ، مما يعنى أن التجار الأمريكيين سيشكلون منافسة خطيرة للنشاط التجاري لشركة الهند الشرقية البريطانية في منطقة البحر الأحمر والمحيط الهندي وكان محمد على باشا الذي فاز في حرب الشام الأولى وقواته فيها لا تزال تفرض وجودها بشكل قوى ، قد بدأ في اثارة انتباه الدول الأوروبية لاقتصاديات الشرق وأهميته التجارية ، خاصة إذا عرفنا أن السفن الفرنسية قد بدأت في اكثار التردد على منطقة البحر الأحمر بعد انشاء الخط الملاحى المنتظم للسفن التجارية من مرسيليا إلى الاسكندرية ، مكتسبة في ذلك نفوذا خطيرا في البحر المتوسط(٣) .

---

(١) د . السيد رجب حراز . المدخل إلى تاريخ مصر الحديث ، ص ٢٤٦ .

(٢) د . عبد العزيز عبد الغني إبراهيم : بداية الامتيازات الأمريكية في الشرق الأوسط ، مجلة الدارة ، عدد ١ ، سنة ٨ ، ص ١٠٠ .

(٣) د . صلاح العقاد : التيارات السياسية في الخليج العربي ، ص ١٣٥ .

جاكلين بيرين : اكتشاف جزيرة العرب ، ص ٣٣٨ .

شعر اللورد بالمرستون Palmerston وزير خارجية بريطانيا بخطورة قيام حكم قوى يوحد بين مصر والشام ، تحت قيادة محمد على ، وقرر التدخل بحزم وشدة ليمنع ما اعتبره كارثة تحل بمواصلات انجلترا إلى الهند ، والشرق الأقصى[1] ، فأبلغ قنصل حكومته في مصر الكولونيل كامبل Campbell في ربيع الأول سنة ١٢٥٤ هـ الموافق يونيو سنة ١٨٣٨ م ، بضرورة انذار محمد على « بأن أية محاولة عدوانية تقوم بها قواته ضد عدن ستعتبر عدوانا على الممتلكات البريطانية ، وستتخذ بشأنها الاجراءات المناسبة لمواجهتها »[2] ، ولا غرو في ذلك إذ أن محمد على قد أصبح يسيطر على الشام ، وبالتالى فهو يتحكم في طريق الفرات إلى الخليج العربي ، كما أنه أصبح ذا نفوذ قوى في سواحل البحر الأحمر الغربية والشرقية ، ناهيك عن قواته التي بدأت تزحف في وسط الجزيرة العربية باتجاه الخليج العربي والعراق .

كان الكابتن هينز Haines قد أعد تقريرا وافيا لحكومته عن ما يمتلكه ميناء عدن العظيم من قدرات وامكانيات لا يملكها غيره من موانىء الجزيرة العربية ، مؤكدا أن ازدهار هذا الميناء سيقضى على قوة محمد على في ميناء مخا والموانىء الهامة الأخرى في البحر الأحمر ، لما يحتله هذا الميناء من مركز تجاري ممتاز ، يجعل منه أنسب موانىء المنطقة

---

(١) د . محمد كمال الدسوقى : الدولة العثمانية والمسألة الشرقية ، ص ١٨١ .

(٢) د . فاروق عثمان أباظة : عدن والسياسة البريطانية في البحر الأحمر ١٨٣٩ ـ ١٩١٨ م ، ص ١٧٧ .

بالنسبة للمواصلات البريطانية إلى الهند عبر الأحمر طوال فصول السنة ، وكأنه بذلك يشير من طرف خفى إلى أهمية احتلال هذا الميناء بأى وسيلة ممكنة ، وهذا ما جعل القنصل البريطاني في مصر يعتقد أنه لا يمكن لوكلاء الدول الأوروبية الكبرى وهي فرنسا وروسيا والنمسا التساهل فيما لو تم احتلال بريطانياالعدن(١) .

أصبح الساسة البريطانيون مدركين لأطماع وأهداف محمد على في البحر الأحمر ، وما سينتج عنها من اتساع في أجزاء متفرقة من الجزيرة العربية ، لا سيما وأنه قد بدأ في تدعيم نفوذ حكومته في الشام بشكل واضح مما يعنى قدرته على التحكم في طريقي المواصلات البريطانية إلى الهند ، عبر البحر الأحمر والخليج العربي ، ومن ثم كان احتلال عدن هو العلاج الناجح كما يعتقد البريطانيون لايقاف طموحات الباشا والحيلولة دون تحقيقها ، ولكن لا بد لهم من وسيلة يتذرعون بها لاحتلال عدن لكيلا يثيروا الدول الأوروبية الأخرى ، ولكى لا يفقدوا صداقة الدولة العثمانية وثقتها ، وفي شهر رمضان سنة ١٢٥٢ هـ الموافق لشهر يناير سنة ١٨٣٧ م ، ساقت الأقدار ما تمناه الانجليز ، حين جنحت السفينة دوريا دولت Duria Dowlat ، التي تحمل العلم البريطاني وتعود في ملكيتها إلى سيدة هندية ، والتي تحمل بعض البضائع والحجاج القادمين إلى جدة ،

---

(١) د . فاروق عثمان أباظة : عدن والسياسة البريطانية في البحر الأحمر ١٨٣٩ ـ ١٩١٨ م ، ص ١٤٥ ، ١٥٤ .

بالقرب من شاطىء عدن ، ليقوم بعض الأعراب المجاورون لمدينة عدن بمهاجمة السفينة ، وأخذ كثير من بضائعها[١] .

استغلت بريطانيا حادثة السفينة دوريا دولت Duria Dowlat لتبعث بالكابتن هينز Haines إلى سلطان لحج في شهر شوال سنة ١٢٥٣ هـ ، الموافق لشهر فبراير سنة ١٨٣٨ م[٢] ، طالبة منه التعويض عن خسائر هذه السفينة أو اعادة البضائع المنهوبة بحجة أن رعية السلطان هم الذين قاموا بذلك العمل وعندما رفض سلطان لحج الاستجابة لتلك الطلبات عرض عليه المندوب الانجليزي التنازل عن ملكية عدن لتستخدمها بريطانيا كمحطة للسفن البريطانية القادمة من بومباى ، وذلك نظير مبلغ كبير من المال[٣] ، ولا غرو في ذلك فالاتساع المصرى على يد القائد إبراهيم يكن باشا ، بدأ في محاصرة عدن والقبائل اليمنية أصبحت تميل اليه تباعا ، وهذا ما لا ترغبه بريطانيا ولا يميل له سلطان لحج الذي سارع إلى إبرام اتفاق مع القائد البريطاني ، ولعل سلطان لحج كان في اتفاقه ذاك متأثرا بعوامل هامة تحيط به حينذاك ، لا يجد حيالها إلا التساهل مع البريطانيين

(١) أحمد فضل بن على محسن العبدلى : هدية الزمن في أخبار ملوك لحج وعدن ، ص ١٤٣ .

د . عبد الحميد البطريق : من تاريخ اليمن الحديث ١٥١٧ ــ ١٨٤٠ م ، ص ٨٨ .

(٢) أحمد فضل بن على محسن العبدلى : المرجع السابق ، ص ١٤٣ ــ ١٤٤ ،

أمين الريحانى : ملوك العرب ، جـ ١ ، مجلد ١ ، ص ٤١٥ .

(٣) أحمد فضل بن على محسن العبدلى : المرجع السابق ، ص ١٤٣ .

محمود كامل : اليمن شماله وجنوبه ، ص ٢٣٦ .

وتوقيع ذلك الاتفاق معهم ، فقد « كان السلطان واثقا من اصرار بريطانيا على محاصرة ساحل عدن بالأسطول ، وأنه لن يستطيع المقاومة ، ـ إضافة إلى ـ خوفه على مستقبل سلطنة لحج بعد اقتراب القوات المصرية من حدودها ، وانضمام أكثر القبائل التابعة له إلى إبراهيم باشا يكن بعد أن اتصل بها وأجزل لها العطاء ، وربما أنه كان يطمع أيضا في التمتع بالحماية البريطانية حتى تهيىء له الفرصة للتوسع في الداخل »(١) ، وهذا ما حاول الكابتن البريطاني هينز Haines أن يؤكده لسلطان لحج لكى يدفعه إلى توقيع الاتفاقية مع حكومته ، سواء عن طريق الترغيب أو الترهيب(٢) .

كان هدف بريطانيا من الوقوف في وجه تقدم القوات المصرية هو عدم وضع مصالحها في الخليج العربي والبحر الأحمر ، وطرق مواصلاتها إلى الهند تحت سيطرة محمد على الذي سيطر على الشام حينذاك ، وهذا ما أشار له الكولونيل كامبل Campbell في تقريره إلى الدكتور بورنج Bowring حين قال : « موقع عدن حصين فيما أعتقد ، ولا يحتاج الدفاع عنه إلاّ إلى حامية صغيرة جدا ... ، ويخيل إليّ أن الاستيلاء عليها يعود على مصالحنا باكبر الفوائد ... ، ان امتلاك عدن من شأنه أن يضع حدا نهائيا لما قد يجول في ذهن محمد على من مشروعات الفتح والتوسع في هذه الجهات »(٣) ، إذا فاحتلال جزيرة خرج في سنة ١٢٥٤ هـ / ١٨٣٨ م عند

---

(١) د . عبد الحميد البطريق : من تاريخ اليمن الحديث ١٥١٧ ـ ١٨٤٠ م ، ص ٨٩ .

(٢) د . فاروق عثمان أباظة : عدن والسياسة البريطانية في البحر الأحمر ، ص ١٦٥ ـ ١٦٦ .

(٣) د . محمد فؤاد شكرى وآخرون : بناء دولة مصر محمد على « السياسة الداخلية » ، ص ٧١٧ .

رأس الخليج العربي لسد الطريق أمام أي تحرك أو زحف من جانب محمد على صوب العراق ، لا بد أن يتبع باحتلال ميناء عدن أو السيطرة عليه ، لسد الطريق أمام أي تحرك يقوم به محمد على في البحر الأحمر ، ولكيلا يقوم بامداد قواته التي تسير في وسط الجزيرة العربية وتتجه إلى شرقها[١] .

حينما عارض ابن السلطان ورجال دولته الاتفاقية التي أبرمها والده مع الكابتن هينز Haines والتي تقضي بأن يتخلى السلطان عن عدن للانجليز مقابل مبلغ من المال[٢] ، حينذاك كان استخدام القوة هو البديل الوحيد للسيطرة على عدن ، ورغم أن بعض رجال حكومة الهند البريطانية كانوا لا يرون في حادثة السفينة دوريا دولت Duria Dowlat ما يبرر غزو عدن ، مما يعرضهم لمشاكل واصطدامات مع المصريين ومع القوى الغربية الأخرى[٣] ، إلا أن هوب هاوس كتب إلى أوكلاند Auck Laned مؤكدا له في أن مهمته الفورية هي أن يقوم باحتلال عدن ، فهى المنطقة التي

---

(1) H.Temperley and L.M.Penson: Foundations of British Foreign Policy, P. 124.

د . بدر الدين عباس الخصوصي : محمد على والخليج العربي ، مجلة كلية الآداب ، جامعة الكويت ، عدد ٥ ، سنة ١٩٧٤ م ، ص ١٠٤ .

(٢) د . السيد رجب حراز : المدخل إلى تاريخ مصر الحديث ، ص ٢٤٧ .

(٣) د . فاروق عثمان أباظة : عدن والسياسة البريطانية في البحر الأحمر ، ١٨٣٩ ـ ١٩١٨ م ، ص ١٦١ .

كان يساوم عليها منذ وقت طويل ، مشيرا بأنه لا يبدى أي ارتياح تجاه محمد على باشا[١] .

تراجع الكابتن هينز Haines عندما شعر أن هناك خطة للقضاء عليه هو وجنوده على الشاطىء الذي يعتزم النزول فيه ، وبعث بتحذير قوى إلى السلطان ، ثم عاد إلى بومباى[٢] ، ليقدم إلى حكومته تقريرا كاملا عن مهمته تلك ، مقترحا فيه امكانية السيطرة على عدن بالقوة ، بحجة الاهانة التي لحقت بالعلم البريطانى ، والرعايا البريطانيين على السفينة دوريا دولت Duria Dowlat ، وقد أكد المسئول البريطاني أن أهالى عدن لن يشكلوا عقبة في سبيل هذا الاحتلال الذي سيتم بدون التعرض إلى خسائر فادحة في الأرواح والممتلكات ، إلا أن الصعوبة التي ستواجهها القوة البريطانية ، تتمثل في الجيوش التي يسيرها محمد على ، مما يحتم على القوة البريطانية التي ستحتل عدن البقاء هناك لحراستها بالتعاون مع سفن حربية بحرية من الأسطول الهندى البريطاني[٣] .

---

(١) جون . ب . كيلى : بريطانيا والخليج ١٧٩٥ ـ ١٨٧٠ ، جـ ١ ، ص ٥١٠ ، ٥٢٦ .

(٢) أحمد فضل بن على محسن العبدلى : هدية الزمن في أخبار ملوك لحج وعدن ، ص ١٤٤ .

(٣) د . فاروق عثمان أباظة : عدن والسياسة البريطانية في البحر الأحمر ، ١٨٣٩ ـ ١٩١٨ م ، ص ١٧١ ـ ١٧٢ .

في الوقت الذي لم تكن اللجنة السرية في لندن والتي تشرف على حكومة الهند ، بمنأى عن الاجراءات التي تقوم بها حكومة الهند للسيطرة على عدن ، كان الرأى العام البريطانى ، كما جاء في مجلة بلاك وود Black Woods Magazin ، في أحد مقالاتها ، يعارض استخدام القوة لاحتلال عدن ، لأن أهلها قد أبدوا استعدادهم لتقديم التسهيلات التي يطلبها البريطانيون كانشاء مخزن ومحطة للفحم لتموين السفن البريطانية ، وليس هناك خوف من سيطرة الحكومة المصرية على عدن لأن محمد على كما تقول المجلة قد أبدى استعداده لتقديم كافة التسهيلات التي تتطلبها السفن البريطانية على غرار ما هو معمول به في الموانىء المصرية التي يسيطر عليها الباشا[1] ، إلا أن البت في هذه الأمور كان في أيدى الساسة البريطانيون الذين يدركون ما هية الأخطار من وراء تحركات محمد على في البحر الأحمر وسيطرته على عدن ، لأن الوضع في الشام الذي أفرز هذه التحركات لا يزال ما ثلا أمام أنظارهم ، وأعماله في تعطيل خطط البريطانيين الموجهة للعراق لا زالت قائمة[2] ، رغم تاكيداته هو للقنصل البريطاني في القاهرة بعدم تفكيره باحتلال عدن أو أي منطقة في شرقها[3] .

---

(١) د . فاروق عثمان أباظة : عدن والسياسة البريطانية في البحر الأحمر ، ١٨٣٩ ـ ١٩١٨ م ، ص ١٧٣ ـ ١٧٤ .

(٢) د . أحمد مصطفى أبو حاكمة : تاريخ الكويت ، القسم الأول ، جـ ٢ ، ص ١١٩ .

(٣) د . عبد الحميد البطريق : من تاريخ اليمن الحديث ١٥١٧ ـ ١٨٤٠ م ، ص ٨٤ .

عاد الكابتن هينز Haines إلى عدن في شهر شعبان سنة ١٢٥٤ هـ الموافق لشهر اكتوبر سنة ١٨٣٨ م ، وفي نيته تحقيق أهدافه وأهداف حكومته في السيطرة على عدن بالقوة المسلحة لا سيما وأن الوزارة البريطانية قد وافقت على أن تتخذ حكومة الهند كافة الاجراءات العسكرية للاستيلاء على عدن عنوة ، ولكنه أدرك تصميم العرب فيها على المقاومة ، حين بدأوا في التحرش بالسفن البريطانية ، فتراجع إلى جزيرة صغيرة بالقرب من عدن في انتظار الامدادات العسكرية من حكومته[١] ، في الوقت الذي رأى فيه استخدام الحصار الاقتصادى حول الميناء كاجراء حربي فعال للتأثير على معنويات السكان ومعيشتهم ، وكذلك استغلال وجود المنازعات الداخلية بين قبائل المنطقة ، لاشعال نيران الصراع الداخلى بينهم كى لا يقفوا جبهة واحدة ضد الغزو المرتقب .

استعدت حكومة الهند البريطانية لعملية الغزو واحتلال عدن بالقوة ، وأصدرت تعليماتها بأن تتوجه السفينتان فولاج Volage ، ذات الثمانية والعشرين مدفعا ، وكروزر Cruizer ذات الستة عشر مدفعا ، واللتان كانتا تقومان بمهمة في نهر السند ، بسرعة التوجه إلى عدن للمشاركة في عملية الاحتلال ، ويرافق هاتين السفينتين ثلاثمائة جندى أوروبي ، وأربعمائة جندى هندى ، إضافة إلى أربعين جنديا من أطقم المدفعية البريطانية ، وعدد من المهندسين المتخصصين في مجالات متعددة ، لتنضم هذه القوة إلى

(١) د . عبد الحميد البطريق : من تاريخ اليمن الحديث ١٥١٧ ـ ١٨٤٠ م ، ص ٩٠ .
د . السيد رجب حراز : المدخل إلى تاريخ مصر الحديث ، ص ٢٤٧ .

السفن والقوة التي كان يقودها الكابتن هينز Haines والتي كانت تحاصر مدينة عدن ، بينما كان يرافق السلطان محسن العبدلى في عدن سبعمائة رجل فقط ، إضافة إلى فارق التسليح والخبرة العسكرية التي كان يمتاز بها البريطانيون حينئذ[1] .

هنا يتبادر إلى الذهن سؤالا جدير بالإجابة ، فإذا كان سكان مدينة عدن لا يزيدون عن الستمائة نسمة تقريبا في ذلك الوقت[2] ، فلماذا كل هذه الاستعدادات وكل هذه القوة التي أعدت لغزو عدن ..؟ الجواب على ذلك قريب وبسيط ، فإذا كانت بريطانيا تنوى احتلال عدن للوقوف أمام طموحات وتحركات محمد على في المنطقة ، فمن الأولويات أن تحسب ألف حساب لما قد تقوم به قوات الباشا من مساعدة لأهل عدن ، إن لم تشارك ببعض عناصرها في الدفاع عن المدينة وهذا غير مستبعد الوقوع ، حيث أن الكابتن هينز Haines ، قد أكد لحكومته أن المصريين قد دربوا عرب عدن تدريبا فائقا على استخدام مختلف الأسلحة ، مؤكدا أنهم قد اشتركوا بالفعل في المناوشات الحربية التي وقعت بين قواته وقوات عدن[3] .

---

(١) د . فاروق عثمان أباظة : عدن والسياسة البريطانية في البحر الأحمر ، ص ١٨٥ ــ ١٨٦ ، ١٩٥ .

أحمد فضل بن على محسن العبدلي : هدية الزمن في أخبار ملوك لحج وعدن ، ص ١٤٥ .

(٢) أمين الريحاني : ملوك العرب ، جـ ١ ، مجلد ١ ، ص ٤١٥ .

(٣) د . فاروق عثمان أباظة : المرجع السابق ، ص ١٨٩ .

تطـورت الأحـداث بين البـريطـانيين المحـاصرين لعـدن وبين سلطـان لحـج ، لتدفـع بالطـرفين إلى سـاحـة الحـرب ، حيث وقعـت عـدة مناوشات بين الجانبين ، ربما حاول البريطانيون ايجادها لتقوم المعركة التي ينشدونها لكى يحققوا من ورائها هدفهم المرتقب في احتلال عدن ورغم أن أعيان مدينة عـدن أمـثال السيد العيـدروس ، قد حاولـوا اطفـاء نار الحرب التي باتت وشيكة الوقوع ، إلا أن القائد البريطاني قد ألقى بتبعية ذلك على السلطان محـسن العبدلى وأبنه ، اللذين بدأ في المنـاوشات الحربيـة على حـد زعمـه ولكى يظهر نفسه بأنه غير راغب في الحرب بعث بانذاره الأخير إلى السلطان محسن وجميع زعماء قبائل العبادلة ، مخطرا اياهم بوصول قوات بريطانية ضخمـة لاحتـلال عـدن ، وأنـه لا بـد مـن تسليمـهـا لـه ، لكى لا يجـر على قومـه الخسائر المادية والبشرية[1] ، إلا أن أنفـة السلطان وقومـه ، وحبـهم لأرضـهم ، لم تمكن القـائد الانجليزى من أهدافه العدوانيـة التي يرمى إلى تحقيقها دون حرب وتدمير ، مؤكدين أنهم لن يسلموا عدن إلا بعد أن يقدموا في سبيلها أرواحهم وممتلكاتهم ، وما يستطيعون تقديمه من عزيمة واباء .

في صباح الرابع من ذي القعدة سنة ١٢٥٤ هـ ، التاسع عشر من يناير سـنة ١٨٣٩ م ، بـدأت السـفـن البـريطانيـة كـوت Coote وفـولاج Volage ومـاهـى Mahi ، وكـرويـزر Cruizer قصـفـهـا لمينـاء عـدن ، لتسـقـط

---

(١) د . فاروق عثمان أباظة : عدن والسياسة البريطانية في البحر الأحمر ، ص ١٩١ ــ ١٩٤ .

الأبـراج وتتمكن القـوات البريطانيـة الأخرى من الاسـتيلاء على الميناء ورفع العلـم البريطــاني عـلى قـصر السلطـان مـحسن العبدلي[1] ، الذي فـر إلى لحـج مـع أبنائـه وعـائلتـه وأعـيـان مـديـنة عـدن[2] ، ليـعـقد بعـد ذلك مع الانجليز معاهدة يدفعون له بموجبها ستة آلاف ريال تعويضا عن الاحتلال كما تعهد الانجليز بدفع رواتب سنوية للسلاطين والمشائخ في ذلك الساحل كسلطان قبائل الفضلى ويافع والحوشبى وغيرهم[3] .

وهكذا استطاع البريطانيون احتلال عدن وفرض سيطرتهم عليها بالقوة ، بعد أن كانت جميع محـاولاتهم وخططهم قد وصلت إلى الفشل ، والتي كانوا يحاولون من خلالها السيطرة على عدن بأساليب الضغط السياسي والمناورات الحربية لاجبار سلطان لحج وعدن على التنازل عنها .

---

(١) د . عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم : محمد على وشبه الجزيرة العربية ، ص ٢٣٤ .

د . عبد الحميد البطريق : من تاريخ اليمن الحديث ١٥١٧ ـ ١٨٤٠ م ، ص ٩١ .

(٢) الشيخ عبد الواسع يحيي الواسعي : تاريخ اليمن ، المسمى « فرجة الهموم والحزن في حوادث وتاريخ اليمن » ، ص ٥٨ .

أحمد فضل بن على محسن العبدلى : هدية الزمن في أخبار ملوك لحج وعدن ، ص ١٤٥ .

(٣) الاستاذ محمد شفيق غربال : منهاج مفصل لدروس العوامل التاريخية ، ص ١٦ .

محمود كامل : اليمن شماله وجنوبه ، ص ٢٣٦ .

أوضحنا أن الأهداف البريطانية من السيطرة على عدن هو أهميتها لمصالحهم الاقتصادية والاستراتيجية في أهم طريق لمواصلاتهم التجارية إلى الهند عبر البحر الأحمر ، ولكى يقفوا من خلاله في وجه طموحات وأهداف محمد على التي بدأت تتبلور في اليمن ، بعد أن فرض سيطرته على الشام ، وبدأ في التركيز على الجزيرة العربية والخليج العربي ، مما يعنى أن أفضل وسيلة وأسرع اجراء يمكن اتخاذه لايقاف هذا الخطر ، هو السيطرة على عدن باعتبارها نقطة تحكم في البحر الأحمر(١) ، ولعل في طريقة الاحتلال وتوجيهات حاكم بومباى للقائمين على الحملة ، بضرورة احتلال عدن تحت أي ظرف من الظروف ، ثم ما تبع ذلك من حسن المعاملة للأهالى واستجلاب رضا الزعماء والمشائخ بالهبات والرواتب السنوية(٢) ، ما يؤكد ما ذهبنا اليه ، وقد أدرك أحد رجال القانون الأمريكي عدم مشروعية احتلال عدن من الناحية القانونية ، « لأن المفاوضات قد انقطعت بعد أن رفض السلطان أن يتنازل عن سيادته على عدن ، وأنه لم يتم معه اتفاق سابق على استعمال القوة ، وأنه لذلك يكون ما تدعيه بريطانيا من حق على عدن انما يستند إلى القوة وحدها .. »(٣) .

---

(١) محمد صبرى : تاريخ مصر الحديث من محمد على إلى اليوم ، ص ٧١ .

جون . ب . كيلى : بريطانيا والخليج ١٧٩٥ ـ ١٨٧٠ م ، جـ ١ ، ص ٥٦٨ .

(٢) د . فاروق عثمان أباظة : عدن والسياسة البريطانية في البحر الأحمر ، ص ١٨٦ ، ٢٠٢ .

(٣) محمود كامل : اليمن شماله وجنوبه تاريخه وعلاقاته الدولية ، ص ٢٣٦ .

لم يغفل إبراهيم باشا يكن الوالى المصرى في اليمن عن الأحداث التي جرت في عدن من قبل الانجليز ، إذ كتب إلى محمد على بتفاصيل تلك الأحداث في العاشر من ذي القعدة سنة ١٢٥٤ هـ ، الخامس والعشرين من يناير سنة ١٨٣٩ م ، مبلغا إياه احتلال الانجليز لعدن بعد أن خرج منها السلطان الذي لم يعد في استطاعته مقاومة مدافع الانجليز وقواتهم الكبيرة ، وأشار الوالى المصرى إلى أنه يوجد بلدة تسمى بئر أحمد تقع في المنتصف بين عدن ومخا ، وأن الانجليز ينوون السيطرة عليها ، لأنهم قد بدأوا في التباحث مع حاكمها للانضواء تحت نفوذهم ، مما يهدد النفوذ المصرى في تلك الجهات ، إلا أن إجابة محمد على على تلك الرسالة كانت على نفس منهجه السياسي الذي يحاول أن يتبعه بصفة مستمرة مع الانجليز وهو عدم الاصطدام بهم عسكريا ، والتعامل معهم بوسائل سلمية[1] ، ولأن مركز الثقل لسياسته كان الخليج العربي والعراق كما سنوضح ذلك فيما بعد .

لم تكن أهداف وطموحات محمد على في اليمن بشكل عام وفي عدن بشكل خاص ، غير معروفة لدى البريطانيين إذ أن وزير خارجيته قد أبلغ القنصل البريطاني في القاهرة عن قلق الباشا حيال المفاوضات التي كانت تجرى بين الكابتن هينز Haines وسلطان لحج ، مؤكدا له أن عدن ليست منطقة

---

(١) وثيقة رقم ١٠٥ ، عربى ، محفظة ٢٦٤ عابدين ، محافظ الحجاز رقم ٦ ، دار الوثائق القومية بالقاهرة .

مستقلة بحيث يمكن الاستيلاء عليها دون مواجهة أية اعتراضات معللا ذلك بتبعيتها لامام صنعاء حينذاك[1] .

بعد أن تم الاحتلال البريطاني لعدن ، صارت تعليمات الباشا إلى واليه في اليمن تؤكد عليه تتبع الأحداث في جهة عدن ورفعها إلى محمد على أولا بأول[2] ، وهذا يكفينا عن الادلاء بأى تعليق حيال ما يختمر في ذهن الباشا تجاه تلك النواحى ، غير أن ما صرح به بعد ذلك علانية بمنع العمال والصناع وأرباب الحرف من مغادرة مخا إلى عدن[3] ، يؤكد تلك الأهداف والطموحات بشكل واضح .

طالما أن الاحتلال البريطاني لعدن ما هو إلا وسيلة لايقاف التوسع المرتقب لمحمد على في المنطقة ، فقد سارع الكابتن هينز Haines قائد الحملة العسكرية التي قامت بالاحتلال ، بابلاغ إبراهيم باشا يكن باستيلائه على عدن قائلا له : « لى الشرف أن أفيدكم بأن عدن أصبحت ملكا للحكومة البريطانية منذ ٤ ذي القعدة سنة ١٢٥٤ هـ ، ١٩ يناير سنة ١٨٣٩ م وقد حالت مشاغل كثيرة ، دون افادتكم بهذا النبأ السعيد ، وأتمنى

---

(١) د . فاروق عثمان أباظة : عدن والسياسة البريطانية في البحر الأحمر ، ص ١٧٥ .

(٢) وثيقة ٩٤ حمراء ، تركى ، محفظة ٢٦٧ عابدين ، محافظ الحجاز رقم ٧ دار الوثائق القومية بالقاهرة .

صورة الوثيقة رقم ٢٤ حمراء ، عربى ، محفظة ٢٦٧ عابدين ، محافظ الحجاز رقم ٧ ، دار الوثائق القومية بالقاهرة .

(٣) د . عبد الحميد البطريق : من تاريخ اليمن الحديث ١٥١٧ ـ ١٨٤٠ م ، ص ٩٢ ـ ٩٣ .

أن تكونوا متمتعين بكامل الصحة »[1] ، وكأنه يقول له بأن لا يضعها ضمن مخططه التوسعي الذي ينفذه حسب توجيهات محمد علي .

ولكي يقف الكابتن هينز Haines دون أية ظروف طارئة قد تحدث لانتزاع عدن من سيطرة حكومته ، استعمل اسلوب الاغراء بالهدايا والهبات التي بدأ يسبغها على مشائخ القبائل في الاقليم ، محرضا اياهم على عدم دفع الزكاة المفروضة عليهم للإدارة المصرية[2] ، ونجح في ذلك إلى أبعد مدى في استقطاب كثير من القبائل ، إضافة إلى شروعه في نقل التجارة من الموانىء اليمنية التي يسيطر عليها جيش محمد علي إلى عدن .

وهنا نستطيع أن نؤكد أن السبب المباشر لاحتلال عدن من قبل بريطانيا في ذلك الوقت بالتحديد ، إنما هو كاجراء وقائي سريع لايقاف تحركات جيوش محمد على التى أصبحت تسيطر على ساحلى البحر الأحمر ، وبدأت في الوصول إلى السواحل الشرقية من الجزيرة العربية ، ولم يعد ينقصها إلا الامدادات العسكرية البحرية التي ترسل لها عن طريق البحر الأحمر ، لا سيما وأن عدن تملك حينذاك أهمية حربية واقتصادية لوقوعها على الطريق التجاري العالمي الواصل بين الشرق والغرب[3] ، ولعل

---

(١) د . عبد الحميد البطريق : من تاريخ اليمن الحديث ١٥١٧ ـ ١٨٤٠ م ، ص ٩١ ـ ٩٢ .

د . عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم : محمد علي وشبه الجزيرة العربية ، ص ٢٣٤ ـ ٢٣٥ .

(٢) د . فاروق عثمان أباظة : عدن والسياسة البريطانية في البحر الأحمر ، ص ٢١٦ .

(٣) الأستاذ محمد شفيق غربال : منهاج مفصل لدروس العوامل التاريخية في بناء الأمة العربية على ما هي عليه اليوم ، ص ١٤ .

السير روبــرت جـرانت حـاكم بومبـاى Sir, Robert-grant قــد تنبـه إلى ذلك وأشار اليه من طرف خفى ، في رسالة بعثها إلى رئيس مجلس إدارة شركة الهنـد الشرقـية في لنـدن ، أوائـل ذو القعـدة سنـة ١٢٥٣ هـ ، أواخـر فبرايـر سنـة ١٨٣٨ م ، حين قـال : « ان أهميـة عـدن بالنسبـة لنا لا تقدر بثمن إذ أنه يمكن استخدامها كمخزن ومحطـة لتموين السفن التجـارية طيلة فصول السنة ، كما أنها مركز التقاء ، ومرفأ ممتاز لرسو السفن التي تعبر طريـق البحـر الأحـمر ، فضـلا عن أنهـا قـاعدة عسكرية قوية بحيث يمكن بالسيطرة عليهـا أن نحمى ونستفيـد مـن كل تجارة البحر الأحمر والخليـج العـربي ، والساحـل المصرى المواجـه والغنى بمنتـجاته ، وإذا مـا أصبـحـت عـدن ملكا لنا فإنهـا كجبل طـارق تتميز بحصانتهـا ومنعتها من البر ومن البحر على السـواء ، ـ إلى أن قال ـ فهناك امتـان كبـيرتان تتآمران علينـا وتـودان القضاء عـلى قوتنـا في الشرق ، أولهمـا روسيا وهـي تتجـه نحـونا مـن خـلال ايـران ، والثانيـة فرنسا وهـي آتية من خلال مصر ، وحتى نتصدى لهذه التهديدات يتحتم علينا أن نقيم مراكز دفاعية متقدمة فيما وراء نطاق حدودنا »(١) .

لم يكتف البريطـانيون باحتـلال عـدن ، بل استـمروا في بذل الجـهـود المختلفـة لاقتـلاع الخطر الأساسـي الذي دفـعـهم لهـذا الاحتـلال وهو وجـود جيوش محمد على في هـذه النـواحي ، فلقد قام المعتمد السياسي البريطاني

(١) د . فاروق عثمان أباظة : عدن والسياسة البريطانية في البحر الأحمر ، ص ١٥٢ .

في عـــدن الكابـتن هينز Haines باتخـــاذ عــدة ضغــوط اقتصاديـــة على حكومـــة إبراهيم باشا يكن في اليمن ، لكى يؤثر على استقرارها وطموحاتها المستقبلية ، فقـــام بتحويل التجـارة اليمنية من الموانىء التي تسيطر عليها حكومـــة الباشا إلى عـدن ، كما قـام بتحويـل تجارة البن من مخـا إلى عـدن إضـافة إلى ذلك قام بعدة محـاولات لعقد معاهـدات صداقة مع زعماء القبائل بحجة حمايتهم ، وحماية مصالحهم التجارية من تهديدات قوات محمد على(١) .

كانت المعاهدات التي تبرمـها بريطانيا مع مشائخ وسلاطين المنطقة نموذجا سياسيا فريدا امتازت به السياسة البريطانية في تلك الحقبة الزمنية ، للتصدى لأطماع وتوسعات محمد على باشا ، دون أن تثير انتباه أي من الدول المنافسة في المنطقة ، وكذلك أهالي المنطقة أنفسـهم ، إذ أنها كانت توقع معهم معـاهدات حـماية وصداقة تضمن من خـلالها عدم اعتراضـهم لـها في حكم المنطقة مقابل اتاوات سنوية تدفعها لهم ، وليس أدل على ذلك من أن مجموع تلك المعاهدات في الجنوب الغربي منذ احتـلال عدن إلى آخر معـاهدة قبل الاستقلال قد بلغ تسعين معاهدة(٢) .

لم يهدأ بال للحكومـة البـريطانية رغم احـتلالها عدن ، لأن السـاسـة البـريطانيـون كـانوا حـذرين جـدا فـي تعـاملهم مع مـحـمـد على وقـواته التي

---

(١) د . عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم : محمد على وشبه الجزيرة العربية، ص ٢٣٥ ـ ٢٣٧ .

د . فاروق عثمان أباظة : عدن والسياسة البريطانية في البحر الأحمر ، ص ٢١٨ .

(٢) محمود كامل : اليمن شماله وجنوبه تاريخه وعلاقاته الدولية ، ص ٢٣٧ ـ ٢٣٩ .

أصبحت تسيطر على أجزاء كثيرة من اليمن ، وطموحات الباشا التي ينوى تحقيقها في تلك الجهات[1] ، وكان القنصل البريطاني في القاهرة يقوم بتزويد حكومته بالتقارير اللازمة عن الأوضاع التي تجرى في عدن في ظل الإدارة الانجليزية الجديدة ، ومدى استجابة الأهالى لها[2] ، وعندما وصل إلى أسماع القنصل البريطاني في مصر نبأ وجود مبعوث شخصي من قبل محمد على لدى امام صنعاء ، لم يتلكأ في التوجه إلى قصر الباشا ، ليسأل محمد على عن هدف تلك الزيارة التي يقوم بها مبعوثه إلى اليمن ، وليشعره في أثناء تلك المقابلة أن بريطانيا لا يمكنها التغاضي عن التحركات السياسية المدروسة التي يقوم بها الباشا في اليمن ، ويجب عليه إدراك ما يوحي اليه ، وعدم المساس بالمصالح التجارية البريطانية هناك[3] .

من هنا نستطيع أن نقرر ومن خلال ما سبق استعراضه أن الاحتلال البريطاني لميناء عدن الهام ، انما هو ضربة موجهة لمحمد على لايقاف طموحاته وأهدافه في الجزيرة العربية بشكل عام ، واقليم اليمن بشكل خاص فالأهمية الاستراتيجية التي يحتلها عدن ، وتحكمه في المدخل الجنوبي للبحر الأحمر هي خير حاجز لتلك التوسعات التي يعتزم محمد على القيام بها في المنطقة ، لا سيما وأن حكومته في الشام قد بدأت في فرض سيطرتها

---

(1) Document : F.O. 78/373. C/A/61064. No. 21. P.P. 98 - 99, and P.P. 101 - 103.

(2) Document : (I. O. R.) L/P, S/9/112. No. 4. P.P. 37 - 38 .

(3) Document : F.O. 78/404. P.P. 97 - 99.

على الأمور ، لتهدد من جانب آخر ذلك الطريق الهام للمواصلات التجارية البريطانية إلى الهند عبر أراضي العراق والخليج العربي ، وبذلك اهتدى الساسة البريطانيون إلى إيجاد هذا العلاج العسكرى لتحقيق مصالحهم التجارية والاستراتيجية على حد سواء ، وبالوسيلة التي يريدونها ، ليتحكموا بذلك في مداخل البحر الأحمر ويقطعوا طريق الامدادات العسكرية لقوات الباشا التي بدأت تستقر في شرق الجزيرة العربية ، والحاجة إلى الامدادات من حكومتها الأم في مصر لا تزال قائمة ، وخير طريق لارسالها هو البحر ، لأن الطريق البرى طويل وشاق ولا يؤدى نفس المهمة التي يمتاز بها طريق البحر ، إلا أن احتلال عدن كان بداية النهاية لطموحات وأهداف محمد على التوسعية في الجزيرة العربية .

ب ـ حرب الشام الثانية ، معركة نزيب

استمر اشتعال نيران الثورات في قلب الشام ، وفي أماكن مختلفة منها ، منذ معاهدة كوتاهية ـ الهدنة المسلحة ـ ، ورغم أن سياسة محمد على التي انتهجها مع أهل الشام كانت من أهم الدوافع لاشتعال هذه الثورات ، إلا أن أيدى الانجليز كانت وراء هذه الثورات تحيكها ضد حكومة الباشا ، لتقتلعه من المنطقة بأسرها ، وتحقق فيها أهدافها المختلفة(١) .

كانت الدولة العثمانية لا تفتأ منذ دخول قوات محمد على الشام على استثارة أهل الشام ، واستمالة رؤساء العشائر وأصحاب الزعامات والأعيان فيها إلى جانبها في سبيل اخراج محمد على من الشام ، لتصبح الأمور بالنسبة للباشا وحكومته في وضع جد خطير ، ويصبح الوجود المصرى في الشام في غاية الصعوبة ، حتى كانت الشام بأسرها تترقب هزيمة تحل بالباشا وحكومته لتشق عليه عصا الطاعة والخضوع ، ويذهب بعض المؤرخين في هذا الشأن إلى أن حكومة الباشا قد أصابها العجز المادى والعسكرى ، ولم تعد تستطيع امداد جيوشها في الشام بعناصر جديدة ، تقوى من قبضتها هناك(٢) .

---

(١) رزق الله منقريوش الصّدفى : تاريخ دول الإسلام ، جـ ٣ ، ص ٣٢٠ .

(٢) كارل بروكلمان : تاريخ الشعوب الإسلامية ، ص ٥٦٠ ـ ٥٦١ .

رغب محمد على بتشجيع من فرنسا وبمساعدة من سفيرها في الأستانة التوصل إلى اتفاق مرض مع السلطان العثماني يتم بموجبه اعطاء ولا يتى مصر وبلاد العرب لمحمد على باشا إرثاً له ولأولاده من بعده ، وبلاد الشام إلى جبال طوروس له مدة حياته ، ويبدو أن المندوب العثمانى الذي وصل إلى مصر سنة ١٢٥٣ هـ / ١٨٣٧ م ، كان متفقا في هذا الرأى مع الباشا إلا أن الباب العالى رفض الاتفاق ، مما جعل هذا الصلح يتعثر مرّة أخرى ولا يكتب له النجاح[١] .

ولعل بريطانيا التي كانت تبذل جهودا مكثفة ضد الإدارة المصرية في الشام ، كانت أحرص على نشوب حرب جديدة بين الباشا والسلطان لكى تحقق من خلالها ما يعود على مصالحها الاستراتيجية بفوائد مباشرة ليست على الأسس التي أبرمت من خلالها معاهدة انكيار سكليسى Unkiar-Skelessi بين الدولة العثمانية وروسيا .

زاد اصرار السلطان العثماني على ضرورة محاربة محمد على لاجباره على الخضوع لطاعة السلطان وتنفيذ أوامره ، باعتبار أنه أحد الولاة التابعين لدولته ، لا سيما وأن هذا الوالى قد بدأ في التطلع إلى جهات بعيدة من نواحي الدولة العثمانية في محاولة لاخضاعها لنفوذه المطلق ، كشرقى الجزيرة العربية وجنوبها وولاية العراق ، وقد ظهرت نتائج المحاولات التي

(١) رزق الله منقريوش الصدفى : تاريخ دول الإسلام ، جـ ٣ ، ص ٣٢٠ ـ ٣٢١ .
محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ٤٥٢ .

تقوم بها الدولة العثمانية لاستعادة الشام ، بجانب الثورات التي تشتعل في جهات مختلفة من الشام حين أعلنت كثير من المدن والقرى في النواحى الشمالية من الشام انضمامها إلى السلطان العثماني[1] ، كما استمالت الدولة العثمانية إلى جانبها شيخ عشائر شمر الجربا ـ صفوق الجربا ـ لكى يقوم بفتح ثغرة خلفية في جيوش إبراهيم باشا الذي سيتوجه لحرب الدولة العثمانية ، في معركة مقبلة ، خاصة وأن تلك الثغرة ستكون عن طريق الصحراء ، مما يعنى أن القوات النظامية ستجد صعوبة في التصدى لهذه القبائل المهاجمة ، وهو ما تنبه له إبراهيم باشا ، ليطلب من والده ارسال المدد إلى قواته للوقوف أمام هذه الثغرة الجديدة ، أما الولاة العثمانيون في العراق فقد كان ظهور خورشيد باشا في شرقى الجزيرة العربية وتهديده لجنوب العراق كفيلا بتقليل أهمية خطرهم على قوات إبراهيم باشا[2] .

لقد كان اعلان محمد على رغبته في الاستقلال والانفصال عن الدولة العثمانية غير مقبول من السلطان العثماني ، ومن الدول الأوروبية وفي مقدمتها بريطانيا[3] ، و من ثم أخذ كل طرف من ناحيته في الاستعداد لخوض حرب عسكرية أخرى ، وكأنهما يؤكدان أن معاهدة كوتاهية ما هي إلا هدنة مسلحة

---

(١) د . لطيفة محمد سالم : الحكم المصرى في الشام ١٨٣١ ـ ١٨٤١ م ، ص ٦٢ .

(٢) د . عبد العزيز نوار : تاريخ العراق الحديث من نهاية حكم داود باشا إلى نهاية حكم مدحت باشا ، ص ٢٠٥ ـ ٢٠٧ .

(٣) د . السيد رجب حراز : المدخل إلى تاريخ مصر الحديث ، ص ٢٧١ .

د . محمد فؤاد شكرى : مصر والسودان ـ الوضع التاريخي للمسألة ، ص ١٧ .

أعقبت حرب الشام الأولى ، يستعيد كل منهما خلالها قوته ، ويدعم نفوذه ، فقد كان محمد على حريصا على انتهاز الفرصة منذ تلك المعاهدة ، وقبل أن يتم تدريب القوات العثمانية على أيدى الضباط الأوروبيين ، حتى أن البعض كان يعزو الحرائق التي اجتاحت القسطنطينية في سنة ١٢٥٤ هـ ، أوائل سنة ١٨٣٩ م ، إلى تدبير من محمد على نفسه[١] ، بينما قام ابنه إبراهيم باشا قائدا قواته في الشام بتحصين حدود دولته هناك ، وأقام معسكرات وثكنات لجيشه في الشمال ، وأنشأ خطاً دفاعياً عند جبال طوروس[٢] ، بينما أرسل السلطان العثماني جيوشه الكبيرة تحت قيادة حافظ باشا والتي يقدر عددها بسبعين ألف مقاتل ، ويقال في رواية أخرى أن الجيش العثماني قد بلغ مائة ألف مقاتل ، بينما لم يتعد عدد الجنود المقاتلين مع إبراهيم باشا أربعين ألفاً[٣] ، ولقد كانت الحكومة البريطانية التي بعثت بمجموعة من ضباط البحرية الانجليزية في مهمة لاعادة تنظيم الأسطول العثماني[٤] ، تعلم أنه إذا حدثت الحرب بين الباشا والسلطان فلن تكون قائمة بينهما فقط ، وانما سوف تتدخل قوى أوروبية كثيرة ، وربما يحصل الباشا على مكاسب كبيرة كتلك التي نالها في حرب الشام الأولى ، وربما تدخلت روسيا لتنفذ معاهدة

---

(١) د . محمد عبد اللطيف البحراوى : حركة الاصلاح العثماني ، ص ١٥٤ .

(٢) عبد الرحمن الرافعي : عصر محمد على ، ص ٢٧٢ .

(٣) محمد كرد على : خطط الشام ، جـ ٣ ، ص ٦٣ .

(٤) بيير رنوفان : تاريخ العلاقات الدولية في القرن التاسع عشر ، القسم الأول ، ص ١٣٤ .

انكيار سكليسى Unkiar-Skelessi وهو شيء مرفوض في نظر الحكومة البريطانية التي قامت بالتلويح للباشا بأنه إذا استمر في اصراره على قتال السلطان العثماني فإنها ستقوم بمساعدة السلطان بغض النظر عن أي شيء آخر قد يكون بين جيوش الدول الأوروبية[١] .

لقد كان القنصل البريطاني في حلب متتبعا لكامل الأوضاع في الشام حين كتب إلى قنصل حكومته في مصر يقول له : « ان كل ما في سوريا حربى وخاصة في شمالها فقد سافرت إلى أقرب موقع تشغله قوات السلطان ، فوجدت المدافع القوية التي أقامتها القوات المصرية والممتدة على طول الحدود إلى عنتاب ، وانى أرى روحهم عالية ويفوقون قوات السلطان »[٢] .

إذا كان محمد على في هذه الحرب الثانية يتجه بتفكيره اتجاهاً جديداً بعد ما وثق من أن الدول الأوروبية قد رفضت مشروعه الانفصالى عن الدولة العثمانية ، إذ أنه لا يريد الاستقلال ولكنه يريد الوراثة لأسرته ، كما ألمح بذلك إلى القنصل الروسي والفرنسي في مصر[٣] ، فإن السفير البريطاني في الأستانة كان يظن أن بعض رجال الدولة العثمانية الذين يؤيدون محمد على ، انما هم يفعلون ذلك لمجرد الكيد لروسيا[٤] .

---

(1) H.Temperley and L.M.Penson: Foundations of British Foreign Policy, P. 126.

(٢) د . لطيفة محمد سالم : الحكم المصرى في الشام ، ص ٥٩ .

(٣) صبحى وحيده : في أصول المسألة المصرية ، ص ١٤٦ .

(4) Document : F. O. 78/375. ^{X}C/A/61064. P.P. 7 - 9.

دخلت الأزمة بين السلطان العثماني ومحمد على دورها الحاسم في أوائل عــام ١٢٥٥ هـ الموافق لأوائل عــام ١٨٣٩ م ، ورغم أن مــحــاولات من الدبلوماسيين الأوروبيين قد بذلت في بداية الأمر لايقاف أو تأجيل انفجار الحرب ، إلا أن الجيش العثماني عبر نهر الفرات في شهر محرم من عام ١٢٥٥ هـ المصادف لشهر ابريل سنة ١٨٣٩ م(١) ، وهنا يذهب بعض المؤرخين إلى أن بريطانيا هي التي أثارت حرب الشام الثانية ، نظرا لما قام به القنصل الانجليزي في الأستانة من دور خطير في اقناع السلطان العثماني بخوض تلك الحرب ، لأن بريطانيا قد ضمنت وقوف جميع الدول الأوروبية إلى جانبها في هذه الحرب ما عدا فرنسا ، وأن بريطانيا ستقف إلى جانب الدولة العثمانية من أي خطر قد يهددها نتيجة لهذه الحرب(٢) ، ولعل ذلك هو ما أراد اللورد بالمرستون Palmerston الاشارة اليه ، حين كتب يقول : « ان مصلحتنا أن يسترد السلطان سوريا بل ومصر »(٣) .

أرسل إبراهيم باشا إلى والده بمصر يسأله ماذا يكون موقفه إذا هاجمه العثمانيون كما يظهر من تحركاتهم العسكرية ، فرد عليه محمد على ، بأن عليه

---

(١) د . محمد كمال الدسوقى : الدولة العثمانية والمسألة الشرقية ، ص ١٧٩ .

(1) H.Temperley and L.M.Penson: Foundations of British Foreign Policy, P. 122.

(٢) ميخائيل شاروبيم بك : الكافى في تاريخ مصر القديم والحديث ، ص ٦٦ ، حسين مؤنس : الشرق الإسلامي في العصر الحديث ، ص ٢٣٢ .

(٣) محمد صبرى : تاريخ مصر الحديث ـ من محمد على إلى اليوم ، ص ٧٢ .

عدم الاستعجال في فتح باب الحرب مع الدولة العثمانية ، وأن يلتزم جانب الدفاع لا الهجوم ، لكى يثبت للدول الأوروبية أن السلطان العثماني هو البادىء بالحرب وليس هو[١] ، إلا أن رسالة أخرى قد وصلت من إبراهيم باشا إلى محمد على في الاسكندرية ، مؤرخة في أوائل ربيع الأول سنة ١٢٥٥ هـ أواخر شهر مايو سنة ١٨٣٩ م ، تشير إلى أن بعض الفرسان العثمانيين التابعين لجيش حافظ باشا قد هاجموا الفرسان المصريين المعسكرين أمام عنتاب ، وأنهم قد أثاروا القرى الموجودة في منطقة عنتاب ، وقاموا بتسليم الأهالى السلاح والعتاد لمهاجمة القوات المصرية ، وأن قوات حافظ باشا في حالة من الثورة ، استعداداً للحرب كما تقول الرسالة[٢] .

أدرك محمد على أن الحرب واقعة بينه وبين السلطان العثماني ، فكتب إلى إبراهيم باشا آمرا اياه بالتأهب للحرب والاستعداد لخوض غمارها في حين أنه أمر بجمع الجند وارسالهم إلى الشام لمعاونة إبراهيم باشا في الحرب المنتظرة[٣] .

---

(١) ميخائيل شاروبيم بك : المرجع السابق ، ص ٦٥ ، كارل بروكلمان : تاريخ الشعوب الإسلامية ، ص ٥٥٩ .

(2) Document : F. O. 78/374. From Campbell to Palmerston.

(٣) عبد الرحمن الرافعي : عصر محمد على ، ص ٢٧٣ .

احتشد الجيش العثماني والجيش المصرى استعداداً لخوض المعركة التي يعتزم كل منهما الفوز بها ، والقضاء على خصمه فيها ، لانهاء ذلك التوتر الذي ساد علاقتهما منذ حرب الشام الأولى ، وبعد عدة مناوشات ومناورات متفرقة بين الجيشين التقيا في معركة حاسمة بالقرب من قرية نصيبين(١) ، والتي عرفت المعركة باسمها ، وذلك في الحادى عشر من ربيع الثاني سنة ١٢٥٥ هـ الموافق الرابع والعشرين من يونيو سنة ١٨٣٩ م ورغم أن الضابط البروسى فون مُلتِكه Von Moltke قد قام بتدريب الجيش العثماني إلا أن الجيش المصرى الذي تلقى جرعات كبيرة من التدريب على أيدى مدربين فرنسيين ، قد حسم المعركة لصالحه ، لينتصر في هذه المعركة ويكبد الجيش العثماني خسائر كبيرة في الأرواح والمعدات رغم ما أبداه من شجاعة ومقدرة فائقة في أرض المعركة ، وقد أسرت القوات المصرية خمسة عشر ألف رجل بسلاحهم ومهماتهم حتى أن إبراهيم باشا قد قبض على كثير من الأوراق الهامة التي تركت في أرض المعركة ، بعد أن تقهقر العثمانيون ولم يتمكنوا من حملها(٢) .

---

(١) تقع قرية نصيبين على الطريق الواصل بين بيره جك والاسكندرونة ، وموقعها غربي بيره جك القائمة على الضفة اليسرى لنهر الفرات ، وهي غير نصيبين التي بالجزيرة ، وتعرف عادة في كتب الغربيين باسم نزيب .

عبد الرحمن الرافعي : عصر محمد على ، هامش ص ٢٧٣ ، محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ٤٥٣ .

(٢) الميرالاى إسماعيل سرهنك : حقائق الأخبار عن دول البحار ، جـ ١، ص ٦٨٨ ، جورج كيرك : موجز تاريخ الشرق الأوسط ، ص ١٢٢ ، السيد أحمد بن السيد زيني دحلان : الفتوحات الإسلامية بعد مضى الفتوحات النبوية ، جـ ٢ ، ص ١٩٧ ، سهيل زكار : بلاد الشام في القرن ١٩ ، دراسة وتحقيق : مشهد العيان بحوادث سوريا ولبنان . د . ميخائيل مشاقة ، ص ١٧٩ ـ ١٨٠ .

كان السلطان العثماني قد أرسل الأسطول البحرى لحصار الاسكندرية ودك حصونها وقلاعها ، إلا أن قائد الأسطول العثماني توقف في كريت عدة أيام ، قيل أنه تم خلالها تبادل المراسلات بينه وبين محمد على ، استطاع من خلالها الباشا استمالة قائد الأسطول العثماني وخديعته ، ليقدم كامل سفن الأسطول ومعداتها إلى محمد على دون حرب ولا قتال[1] ، ويذهب بعض المؤرخين في تعليل ذلك إلى أن قائد الأسطول العثماني أحمد فوزى باشا كان حاقدا على الباب العالى ، في عدم توليته الصدارة العظمى في الدولة ، وهو المنصب الذي كان ينتظره حينذاك بفارغ الصبر[2] ، بينما يشير القنصل البريطاني في مصر إلى أن السبب الذي دعا قائد الأسطول إلى تسليم اسطوله إلى محمد على هو عداءه الشخصى لخسرو باشا وخوفه من أن يفقد مركزه الوظيفي بعد موت السلطان محمود الثاني ، إضافة إلى رغبته في منصب الصدارة العظمى في الدولة العثمانية[3] ، إلا أن المؤرخين الأوروبيين كانوا أقرب إلى الواقع في تعليلهم للأسباب التي دعت قائد الأسطول العثماني إلى الانضمام إلى محمد على ، حيث أشاروا إلى أن قائد الأسطول كان يعتقد أن عاصمة الدولة العثمانية قد بيعت إلى الروس ، وأن السلطان لم يعد لديه المقدرة

---

(١) ميخائيل شاروبيم بك : الكافى في تاريخ مصر القديم والحديث ، ص ٦٢ .

(٢) رزق الله منقريوش الصدفى : تاريخ دول الإسلام ، جـ ٣ ، ص ٣٢١ .

(3) Document : F. O. 78/374. From Cambpell to Palmerston.

الكافـية على الدفـاع عنها[1] ، وأيا كان الرأى الأرجح في تلك الحالات فإن قائد الأسطول العثماني قد أدرك ضعف الدولة العثمانية أمام تابعها القوى محمد على بعد انتصاره عليها في معركة نصيبين ، وأن تسليم الأسطول العثماني إلى محمد على هو الحل الأمثل في نظر القائد العثماني ، طالما أن الجيوش البرية قد هزمت أمام جيوش الباشا الذي أصبح يهدد القسطنطينية ذاتها .

تكالبت الأحداث المروعة على الدولة العثمانية في تلك الفترة ، ففي التاسع عشر من ربيع الثاني سنة ١٢٥٥ هـ المصادف للأول من يوليو سنة ١٨٣٩ م ، انتقل السلطان محمود الثاني إلى جوار ربه قبل أن تبلغه كارثة هزيمة جيشه في نصيبين[2] ، ورغم أن على رضا الوالى العثماني في العراق ، وكذلك صفوق الجربا ، شيخ عشائر شمر الجربا ، قد قاما بمحاولات عدة للتصدى لأهداف وطموحات محمد على في العراق ، عن طريق اضطهاد من كانوا على صلة بقائده في الجزيرة العربية خورشيد باشا ، أو بامدادهم للجيش العثماني الذي يخوض معركة حاسمة في نصيبين عن طريق الموصل في شمال العراق[3] ، إلا

---

(١) أ . ج . جرانت وهارولد تمبرلى : أوروبا في القرنين التاسع عشر والعشرين جـ ١ ، ص ٣٣٦ .

(1) H.Temperley and L.M.Penson: Foundations of British Foreign Policy, P. 123.

(٢) الميرالاى إسماعيل سرهنك : حقائق الأخبار عن دول البحار ، جـ ١ ، ص ٦٨٨ .

رزق الله منقريوش الصدفى : تاريخ دول الإسلام ، جـ ٣ ، ص ٣٢١ .

(٣) د . عبد العزيز نوار : تاريخ العراق الحديث ، ص ٢٢٤ ـ ٢٢٥ .

د . عبد الحميد البطريق : محمد على ومشروع غزو العراق ، مجلة كلية الآداب الجامعة الأردنية ، عدد ١ ، يناير ١٩٦٩ م ، ص ٥٥ .

أن تلك الجهود والمحاولات لم تؤد إلى نتيجة تذكر ، حيث أن نتائج معركة نصيبين وما تبعها من انضمام الأسطول العثماني إلى محمد على ، ووفاة السلطان العثماني محمود الثاني ، كانت أكبر من أي مساعدة أو خدمات تقدم إلى الدولة العثمانية في تلك الفترة .

تولى الخلافة بعد السلطان محمود الثاني ، ابنه عبد المجيد ، ليتولى الأمر ويبايع بالملك وهو لم يتجاوز السادسة عشر من عمره ، وكانت الدولة حينذاك تموج بالاضطرابات والأحداث الجسام التي خلفتها حرب الشام الثانية ، وكانت معركة نصيبين وما صاحبها من نتائج خطيرة ، كفيلة بزيادة الأعباء الكبيرة على كاهل السلطان الصغير ، الذي أصبحت عاصمة دولته مفتوحة الأبواب ، ولعل مما زاد الأمور تعقيدا اسناد منصب الصدر الأعظم إلى خسرو باشا وهو من ألد الأعداء لمحمد على ، إلا أن ابلاغ السلطان الجديد بهزيمة جيوشه في نصيبين بعد يوم من جلوسه على كرسى الحكم ، وابلاغه بخبر انضمام الأسطول البحرى إلى محمد على بعد عشرة أيام أخر ، لم تفت من عزيمته واصراره ، بل استمر في التصدى لتلك الأوضاع الكبيرة والخطيرة التي أصبحت تعيشها دولته ، وهو ما قل أن يتكرر لمثله من رجال التاريخ[١] .

كانت معركة نصيبين وما تلاها من انضمام الأسطول البحرى العثماني إلى محمد على أكثر من أن تتحمله الدول الأوروبية ، وبالذات بريطانيا صاحبة المصالح الاقتصادية والاستراتيجية في المنطقة ، ولم يكن ذلك

(١) الميرالاى إسماعيل سرهنك : حقائق الأخبار عن دول البحار ، جـ ١ ، ص ٦٨٩ .

بالحدث اليسير على أوروبا بشكل عام ، باستثناء فرنسا التي كانت تميل إلى جانب محمد على في معظم الحالات[1] ، عند ذلك أرسلت الدول الأوروبية مذكرة مشتركة إلى الباب العالى موقعة من سفراء بريطانيا وفرنسا وروسيا والنمسا وبروسيا تطالبه فيها بعدم البت في شأن المسألة المصرية دون علمهم[2] .

أحس محمد على بخطورة الموقف المضاد له ، والذي ستقفه الدول الأوروبية إلى جانب السلطان العثماني ، فكتب إلى الباب العالى يهنىء فيه السلطان بمناسبة اعتلائه كرسى السلطنة ، ويُظهر من خلاله علامات الود والملاينة التي يطلب فيها وضع حد لاراقة دماء المسلمين ، إلا أنه كان يهاجم في رسالته تلك عدوه القديم خسرو باشا[3] .

ولعلنا من هذا نستطيع أن نستخلص أن محمد على لم يكن يريد حقيقة الخروج على السلطان كما ذهب بعض المؤرخين ، وانما هو أراد أن يكون له مكانة مرموقة في الدولة العثمانية ، مع استمراره في الولاء للسلطان العثماني ، ولكن بعد أن يزيح رجال السلطنة في الأستانة ، والذين يعملون على طرفي نقيض مع الباشا ، ولكي يصبح من خلال ذلك من أصحاب الحل والعقد في

---

(١) ج . ج . لوريمر : دليل الخليج ، القسم التاريخي ، جـ ٣ ، هامش ص ١٦٤٠ .

(٢) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ٤٥٥ ــ ٤٥٧ .

رزق الله منقريوش الصدفى : تاريخ دول الإسلام ، جـ ٣ ، ص ٣٢٢ .

(٣) د . لطيفة محمد سالم : الحكم المصرى في الشام ١٨٣١ ــ ١٨٤١ م ، ص ٦٣ .

مصير الدولة العثمانية التي يكن لها الولاء والاخلاص وقد ذهب إلى هذا الاتجاه أحد المؤرخين الذين بحثوا في أصول المسألة المصرية ، حين تطرق إلى مطالبة محمد على للدول الأوروبية بضرورة اقصاء خسرو باشا من منصبه ، وإلى ضرورة اصلاح الدولة العثمانية ، التي يرى أنه هو الجدير باصلاحها ، وانفراده هو بالقدرة على ذلك ، بعد أن تثور الأستانة على خسرو باشا ورجاله ، مؤكداً في نظرته تلك إلى مقدرته على اعلان ثورة إسلامية شاملة فيما لو تصدت له الدول الأوروبية ، كما بعث الباشا برسائل إلى حكام الولايات ، وشيخ الإسلام مقارنا لهم ماضيه بماضى خسرو باشا ، وطالبا معونتهم في اقصائه والعمل على النهوض بالدولة العثمانية(١) .

قررت حكومة السلطان عبد المجيد أن تتناسى الماضى ، وأن تحسم النزاع مع محمد على حقنا لدماء المسلمين ، ومنعا للتدخلات الأجنبية ، فبعث السلطان عارف أفندى إلى محمد على برسائل رسمية يطلب فيها تقديم الطاعة والولاء للسلطان ، وأن يوقف الحرب استعدادا لاجراء مفاوضات سلمية بين الجانبين ، وقد بعث محمد على برسالة سريعة إلى إبراهيم باشا يأمره فيها بايقاف كل الحروب والمناوشات بعد أن بلغته أنباء وفاة السلطان محمود الثاني ، بل ذهب الباشا إلى أبعد من ذلك في تأكيداته للقنصل البريطاني في مصر ، حين أشار إلى أنه واثق بأن كل

---

(١) صبحى وحيده : في أصول المسألة المصرية ، ص ١٤٧ .

الاختلافات سوف تحسم وتستقر الأمور بدون اعتراض القوى الكبرى ، لأنه يعترف بالاحترام الكبير والخضوع للسلطان الصغير[١] .

وقد انتشرت في أوروبا وفي انجلترا بالذات أنباء كثيرة وعلى جانب كبير من الخطورة مفادها أن السلطان الصغير والذي لم يتجاوز من العمر ستة عشر عاما ، ربما يقدم لمحمد على كل ما يطلبه[٢] ، وهذا ما جعل اللورد بونسنبى Lord, Ponsonby القنصل الانجليزي في الأستانة يتعرف على ما هية التحصينات والاستعدادات العسكرية التي تقوم بها حكومة السلطان[٣] ، بينما كان على الجانب الآخر يقوم الكولونيل كامبل Campbell القنصل البريطاني في مصر بمعرفة نوايا محمد على تجاه الدولة العثمانية التي أصبحت في موقف جد خطير ، إلا أن الباشا قد أظهر استعداده لايقاف الحرب ، وأنه قد أمر ابنه إبراهيم باشا بالاستعداد للعودة ، بعد ما علم بتسلم جنود السلطان أوامر من حكومتهم بالانسحاب من حدود سوريا ، وأشار محمد على في مقابلته تلك للقنصل البريطاني إلى أنه سيعيد الأسطول العثماني إلى السلطان حتى ولو رغب قائده في التخلى عنه للباشا[٤] .

---

(1) Document : F. O. 78/374. From Cambpell to Palmerston.

(2) Hurewitz. J.C., : Diplomacy in The Near and middle East, Vol. 1. P. 113.

(3) Document : F. O. 78/374. ^{X}C/A/61064. No. 53.

(4) Document : F. O. 78/374. From Cambpell to Palmerston.

كاد الجانبان أن يتوصلا إلى اتفاق فيما بينهما ، لا سيما وأن السلطان الجديد كاد أن يوافق على التنازل عن الشام ومصر وراثيتين لمحمد على باشا ، بعد أن عفا السلطان عن الباشا فيما ارتكبه من سالف الأعمال في عهد والده ، ولتصبح الحرب بينهما قاب قوسين أو أدنى من النهاية ، إلا أن الدول الأوروبية وعلى رأسها بريطانيا ، لم ترد أن يكون الحل كما يريد محمد على ، لأن ذلك يتعارض جملة وتفصيلا مع مصالحها الاقتصادية والاستراتيجية ، فحالت دون قيام أي صلح بينهما ، لتفرض هي الصلح وفق أهدافها ومصالحها الذاتية(١) .

لقد وضع انتصار جيوش محمد على على جيوش الدولة العثمانية في معركة نصيبين المسألة المصرية والمسألة الشرقية ، ومسألة التوازن الأوروبي عامة موضع البحث والنظر(٢) ، لا سيما وأن تفكير الباشا قد بدأ في الاتجاه إلى الأستانة ، عندما لوح للقنصل الفرنسي في مصر ، بأن نفوذ حكومته قد بدأ في الاتساع والظهور في القسطنطينية ، وذهب إلى أبعد من ذلك حينما أبلغ قناصل الدول الأوروبية لديه ، بأنه سيبادر إلى مساعدة اخوانه في الأستانة فيما لو زحف الروس اليها ، وأنه سيأمر ابنه إبراهيم باشا بالسير إلى الأناضول للدفاع عن الإسلام والمسلمين ، وقد تنبه القنصل الفرنسي لهذه التحركات التي يزمع الباشا على القيام بها ، وأنه قد تحول تحولا خطيرا ، فسارع بالكتابة إلى حكومته مؤكدا لها « أن محمد على سيقدم هذه المرة على العمل وحده مهما

---

(١) د . السيد رجب حراز : المدخل إلى تاريخ مصر الحديث ، ص ٢٧٣ .

د . محمد كمال الدسوقي : الدولة العثمانية والمسألة الشرقية ، ص ١٨٠ .

(٢) عبد الرحمن الرافعي : عصر محمد على ، ص ٢٨٥ .

فعلت الدول ، ويعلن نفسه حامياً للإسلام والمسلمين ، فهو لم ينس عثمانيته ، ولم ينس أنه ملزم بالدفاع عن الأراضي المقدسة وديار المسلمين »[1] .

ورغم أن غموض الموقف في الجبهة الشامية بين قوات محمد على والدولة العثمانية وتأزم الموقف الدولي قد شغل محمد على عن تقديم أية معونة عسكرية لقائده في شبه الجزيرة العربية أو حتى اعطائه الأوامر للتحرك في اتجاه الخليج العربي والعراق ، إلا أن بريطانيا كانت تعلم أن معظم قوات الدولة العثمانية في الجبهة العراقية والشمالية منها بالذات كانت تشد من أزر الجيش العثماني الذي يخوض حرب الشام الثانية ضد قوات الباشا ، مما يعنى تهيئة الطريق أمام تحركات القائد المصري في الجزيرة العربية ، خورشيد باشا ، لذا أسرعت بريطانيا بتعزيز قوتها شمالى الخليج ضد أية اتجاهات مصرية نحوه ، فأرسلت على عجل ثلاث بواخر مسلحة ، انضمت إلى الباخرة الفرات ـ في العراق ، ووقفت هذه البواخر الأربع في أنهار العراق على أهبة الاستعداد لمنع انضمام العراق إلى مصر[2] .

سارع مندوبوا الدول الأوروبية إلى الاجتماع بوزير خارجية الدولة العثمانية بناء على دعوته لهم ، بعد وفاة السلطان محمود الثاني ، وبعد وصول أنباء معركة نصيبين ، وقد أبلغهم الوزير العثماني بأن السلطان قد قرر وضع حد للكوارث التي تثقل كاهل حكومته نتيجة لخروج باشا مصر على الدولة ،

(١) صبحي وحيده : في أصول المسألة المصرية ، ص ١٤٦ ـ ١٤٧ .

(٢) د . عبد العزيز نوار : تاريخ العرب المعاصر « مصر والعراق » ، ص ٤٢٤ ـ ٤٢٥ .

لذلك فهو عازم على ارسال أحد رجال حكومته المخلصين لمقابلة الباشا وتقديم وسام عسكرى اليه ، وصف بأنه كقناع مستعار ، على أن يعطى وعد للباشا بمنحه الحكم الوراثي لمصر ، شريطة أن تعود سوريا فورا إلى السلطان ، ورغم أن الوزير العثماني قد أبلغ مندوبي الدول الأوروبية حرص السلطان على الحصول على موافقة حكوماتهم على ما يتخذه من اجراء ، إلا أن هؤلاء المندوبين لم يبتوا في الأمر قبل أن يعرفوا الاجابة الصحيحة من حكوماتهم التي سيبلغونها بما تم في هذا الاجتماع لمعرفة آرائها الصحيحة في هذا الشأن[1] ، مما يعنى أن الدول الأوروبية التي تتزعمها بريطانيا قد أصبحت هي القاسم المشترك في حل هذه القضية التي أصبحت مسألة أوروبية خالصة ولم تعد قضية خلاف محلي بين الباشا والسلطان .

وقد تعرضت حكومة الباشا في اليمن لهزات عنيفة ، زعزعت مركز حكومته في المنطقة ، وأحدثت له كثيرا من القلق وعدم الارتياح ، إذ قام الحسين بن على بن حيدر بنشاط ملحوظ في تدعيم مركزه في المخلاف السليماني ، وتضامن في ذلك مع حاكم عسير الذي كانت له طموحات في مد سيطرته إلى تهامة ، واستغل القائدان في ذلك انشغال محمد على في حرب الشام الثانية ، وكذلك قيام النزاع بين والى الحجاز وشريف مكة[2] ، أما في الخليج العربي وبالذات أهدافه في جزيرة البحرين والبصرة وبغداد ، فقد تكفل

(1) Document : F. O. 78/375. ^XC/A/61064. P.P. 4 - 6.

(٢) د . فاروق عثمان أباظة : الحكم العثماني في اليمن ١٨٧٢ ـ ١٩١٨ م ، ص ٣٨ .

بمراقبة نشاطه فيها القنصل البريطاني في مصر الكولونيل كامبل Campbell الذي سارع في منتصف سنة ١٢٥٥ هـ ، يوليو سنة ١٨٣٩ م ، إلى ابلاغ الباشا مضمون رسالة وزير خارجية بريطانيا رقم ١٧ ، والتي وصلته تواً محذراً إياه من تبعات تلك التحركات التي يعتزمها في الجزيرة العربية والخليج العربي ، رغم نفيه المتكرر الذي يؤكده للبريطانيين[١] بعدم وجود أي أطماع له هناك .

من الاستعراض السابق لأحداث حرب الشام الثانية وما صاحبها من أحداث سياسية وعسكرية وما أفرزته من نتائج كثيرة على الوضع في المنطقة بشكل عام يظهر لنا أن حرب الشام الثانية كانت بداية النهاية لأهداف ، وطموحات محمد على التي كان يعتزم تحقيقها والسعى إلى بلوغها ، فقد لعبت هذه الحرب وما نتج عنها دوراً خطيراً في افشال تلك المشروعات التي كانت تختمر في ذهن الباشا والتي ينوى تحقيقها ، والعلة في ذلك واضحة وصريحة ، فقد أفرزت تلك الحرب مقدرة جيوش الباشا ومدى ما يتمتع به هو كشخصية سياسية بارعة ، بدأت تلمع في سماء عاصمة الدولة العثمانية مما يعنى أن أهداف ومصالح الدول الأوروبية ستتعرض للأخطار وستقع في مأزق لا يتناسب والاستراتيجية العامة لتلك الدول ، والعلاج الناجح لهذا الخطر هو ايقاف الباشا عند حده ، وتجريده من مكتسباته التي حققها من حربي الشام الأولى والثانية ، واعادته إلى حجمه الطبيعي والٍ لمصر وتابع للدولة العثمانية والسلطان العثماني، وهو ما تحقق بالفعل في معاهدة لندن ، التي سنتطرق للحديث عنها في صفحات لاحقة .

---

(1) Document : F. O. 78/374. From Cambpell to Palmerston.

جـ - الحالــة في الأســتانــــة

منشور كلخانة « بدء تنظيمات »

منذ أن قامت الدولة العثمانية وهي دولة إسلامية ، فالسلطان العثماني خليفة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وخليفة خلفائه ، هكذا اعتبره المسلمون السنيـون وهـو بمقـتضى ذلك لـه حـق الطاعة وشـرف الخلافـة ، وكان مـراد الأول ثالث سـلاطين آل عـثمـان أول من تقـدم ليـؤم المصلين(١) ، ولقـد خـاضت جيوش الدولة العثمانية المعارك تحت شـعار إمـا غـاز ، واما شـهيد ، لذلك كان ينظـر إليهـم على أنـهم خلفـاء للمسلمين ، وأنـهـم امـتداد للخـلافـة العبـاسيـة والأموية ومن قبلهمـا الخلافة الراشدة(٢) ، غير أن الـدولة قد فتحت القسطنطينية وغـزت الروملى ممـا يعنى تغـيـرا في نظام الخـلافـة بانتـقـال بعض العناصـر الجديـدة اليهـا ، إذ أصبح السلطان وارث لأباطـرة القسطنطينيـة ، بـالإضـافـة إلى الخلافة الإسـلامية ، إلا أن الدولة العثمـانية لم تعرف الارسـتقـراطية أو فكرة سيادة جزء من الأمة على جزء آخر كمـا كـان الحـال في أوروبا ، وهـذا يرجع بطبيعة الحال لتأثير الدين الذي حفظ السلطة للسلطان ، ونشر روح المساواة بين المسلمين جميعا ، وعلى ذلك لم يوجد في الدولة العثمانية نبلاء أو طبقية ، فإن كل المسلمين متسـاوون في الحقوق والواجبات ولم يوجد في الدولة طبقة للعبيد

---

(١) د . محمد عبد اللطيف البحراوى : حركة الاصلاح العثماني في عصر السلطان محمود الثاني ١٨٠٨ _ ١٨٣٩ م ، ص ٣٩ .

(٢) د . على حسون : تاريخ الدولة العثمانية ، ص ١٣٨ .

بمفهومها السياسي ، ومن ثم لم توجد طبقة نبلاء فالمساواة حقيقية ، كما أنها نظرية ، وحين يفقد أعلا موظف في الدولة وظيفته فإنه يتساوى مع أي فرد من بين أفراد الدولة(١) .

وقد أعطت الدولة العثمانية لروسيا حق اقامة كنيسة أرثوذكسية في القسطنطينية نفسها ، وقام عليها أساقفة روس ، ليصبح التدخل الروسي هذا بعد ذلك بداية لكثير من المشاكل التي لم تفتأ تقوم بين الدولة العثمانية وروسيا التي تتذرع بحقها في حماية الرعايا المسيحيين الأرثوذكس بيد أنها كانت تهدف في واقع الأمر إلى النيل من سيادة الدولة العثمانية ، وايقاف الاصلاحات التي يبدو أن الدولة تعتزم احداثها(٢) ، بينما لعبت فرنسا نفس الدور حين اعتبرت نفسها حامية للكاثوليك ، فقد كان القنصل الفرنسي في لبنان يمتاز بعناية خاصة من المسيحيين الكاثوليك الذين كانوا يقومون بتخصيص مكان الشرف في كنائسهم له(٣) .

لقد كان الاتحاد الحقيقي للدولة العثمانية في دينها ، لأن الدين هو الرابطة بين الأعلى والأسفل ، والغنى والفقير ، مما يعنى أن استبدال العقيدة أو المساس بها سيقلب الدولة رأسا على عقب ، ورغم أن الانكشارية في الدولة العثمانية كانوا خطرا وعائقا في سبيل اصلاحات السلطان محمود الثاني ، إلا أن

---

(١) د . محمد عبد اللطيف البحراوى : حركة الاصلاح العثماني في عصر السلطان محمود الثاني ١٨٠٨ ـ ١٨٣٩ م ، ص ٢٢ ، ٤٠ .

(٢) د . محمد كمال الدسوقى : الدولة العثمانية والمسألة الشرقية ، ص ١٠٣ .

(٣) د . محمد عبد اللطيف البحراوى : المرجع السابق ، ص ٢٧ .

تميزهم بروحهم الدينية ، وارتباطهم بروابط تربيتهم المشتركة ، وولائهم للدولة والسلطان[١] ، كان كفيلا بمنع القضاء عليهم أو تأخيره على أقل تقدير ، إلا أن إدراك السلطان محمود الثاني للأفضلية التي تتميز بها الأنظمة العسكرية في جيوش أوروبا ، واعجابه بتلك النظم والاصلاحات التي بدأت تنعكس على قوات محمد على باشا في مصر ، تلك القوات التي أصبحت تلعب دورا كبيرا في تدعيم وترسيخ مركز محمد على في الدولة العثمانية ، لاسيما وأن أهدافه وطموحاته قد بدأت تثير الشك والقلق في نفس السلطان محمود الثاني ، لتزيد هذه العوامل مجتمعة من اهتمام السلطان باصلاح العسكرية العثمانية[٢] .

ولعلنا نضع هنا علامة استفهام كبيرة حيال الغاء الانكشارية لنعرف ماهية ذلك من خطأ وصواب ..؟ ! والعلة الكامنة وراء ذلك ؟ ، فإذا كانت الدولة العثمانية في بداية القرن الثالث عشر الهجرى أواخر القرن الثامن عشر الميلادى وأوائل القرن التاسع عشر الميلادى ، في موقف يستدعى نظرا في شئونها ، حيث أفلت من يدها زمام الحياة الاقتصادية ، وبدأت الدول الأجنبية في انشاء علاقات مباشرة من جميع الأنواع بشعوبها وطوائفها غير الإسلامية[٣] ، والدولة العثمانية بحكم نشأتها ، « قد ولدت ونمت على الحدود بين الإسلام والمسيحية البيزنطية ، ومن ثم اعتبر العثمانيون أنفسهم حملة عقيدة وسيف ، وفهموا أنهم

---

(١) د . محمد عبد اللطيف البحراوى : حركة الاصلاح العثماني ، ص ٢٤٥ ، ٢٤٩ .

(٢) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ٤٢٩ .

(٣) الاستاذ محمد شفيق غربال : منهاج مفصل لدروس العوامل التاريخية في بناء الأمة العربية ، ص ٨٥ .

حملة أقوى نظام وأفضل حضارة لأوروبا ، فهم معلمون للأوروبيين ، وهم في حرب مقدسة ، وغزو وحركة نحو الغرب ، ولذلك كان النظام العثماني كله يخدم هذا الغرض ، وهو نظام أبرز ما فيه الشيخ والجندى ، وعلى رأسهما السلطان»[١] .

فقد قدر السلطان محمود الثاني تلك الأخطار الخارجية التي تهدد دولته في ظل الأنظمة العسكرية الجديدة ، والمخترعات الحربية التي لا تتوفر لجنوده ، وأقدم على الغاء الانكشارية ، ليضع بدلاً عنها جيشاً حديثاً أخذا بنظام التجنيد الاجبارى بين المسلمين ، مؤكدا استمرار الدولة على النظم الإسلامية وحدها[٢] .

وحيث أن الدولة العثمانية كانت تخوض حروباً كثيرة مع النمسا مرة ، ومع روسيا مرة أخرى ، فإن حرب الشام الأولى ، قد جاءت في وقت جد خطير ، فالدولة لم تفق بعد من حروبها مع الروسيا ومن قبلها حروب اليونان ، إضافة إلى أنها جاءت مبكرة ، فالدولة العثمانية لم تجد الفرصة الكافية لبناء العسكرية الجديدة ، مما أتاح لمحمد على الانتصار في حرب الشام الأولى والثانية ، مما يعنى هنا أن الغاء الانكشارية لم يكن في الوقت المناسب ، حيث أن الأخطار المحدقة بالدولة العثمانية أكبر من أن يتصدى لها الجيش الجديد الذي يعتزم السلطان محمود الثاني احلاله بدلا من الانكشارية ولقد ظهر الانعكاس الكامل

(١) د . محمد عبد اللطيف البحراوى : حركة الاصلاح العثماني ، ص ١٣ .

(٢) د . محمد عبد اللطيف البحراوى : المرجع السابق ، ص ١٩٠ .

لذلك في حرب الشام الثانية ، فتابع الدولة القوى يهددها من الشام ، والصراع مع روسيا مستمرا رغم وجود معاهدة انكيار سكليسى Unkiar-Skelessi ، والدولة مجهدة في الداخل من جراء الغاء الانكشارية التي لم يستطع الجيش الجديد ملء الفراغ الذي أحدثه الغاؤها .

لقد سبب ضعف الدولة العثمانية واختلال النظم فيها ، مجالا فسيحا للصراع السياسي والاقتصادى ، ليس هذا فحسب بل وصراعا دينيا بين الإسلام والمسيحية ، لأن « جذور المسألة الشرقية كما يعرفها كل امرىء حق المعرفة ، هي وجود الأتراك العثمانيين في أوروبا ، واستيلاؤهم على مدينة القسطنطينية .. وسيطرتهم كمسلمين أسياد على شعوب مسيحية » ، إذا فهى « مشكلة القضاء على قوة الإسلام السياسية[1] ، فالحكومة الأمريكية التي حصلت على موافقة السلطان بدخول سفنها إلى الموانىء العثمانية كافة ، ومرورها عبر المضايق إلى البحر الأسود وتعيين القناصل في المدن العثمانية المختلفة ، سارع دعاة التنصير فيها إلى مزاولة نشاطهم في المنطقة ، حيث أسست في لبنان أول جمعية تنصيرية أمريكية في سنة ١٢٣٨ / ١٢٣٩ هـ الموافق سنة ١٨٢٣ م ، وبدأت في الاتصال بالسكان المحليين ، وبطبع كتابهم

(١) زين نور الدين زين : الصراع الدولى في الشرق الأوسط وولادة دولتى سوريا ولبنان ، ص ٢٢ ـ ٢٣ .

المقدس باللغة العربية ، وفتح المدارس والمعاهد ، فتأسست الكلية البروتستانتية السورية التي تحولت فيما بعد إلى الجامعة الأمريكية في بيروت[١] .

لقد « كانت المسألة الشرقية حينئذ أكثر المشاكل تعقيدا عند الفلاسفة والسياسيين بسبب تأثيرها على المصير السياسي والديني والاجتماعي لأجناس متعددة ، كما كانت تؤثر في تقديم أو تأخر كل من آسيا وأوروبا الشرقية تأثيراً مباشرا » ، يقول فارلى Farley في كتابه Turks and Christians طبعة لندن سنة ١٨٧٦ م : « ان السلطان الحاكم في القسطنطينية هو أيضا خليفة للمسلمين ، واستانبول عاصمة للدولة العثمانية ولكنها في نفس الوقت مركز للخلافة الإسلامية ، كما أن روما عاصمة للديانة المسيحية ، وعلى ذلك فإن المسألة الشرقية مسألة دينية كذلك »[٢] .

وكانت الأنظمة في الدولة العثمانية التي قامت في الأصل على أساس اشتراك الهيئات والسلطات وتوازنها ، قد سمحت للعناصر المختلفة بقدر من الاستقلال والتصرف ، أصبح فيما بعد أساسا للعمل الخاص ، وعندما ضعفت الدولة العثمانية في المركز لم تستطع أن تخضع الغاصبين لسلطانها للقانون والأنظمة ، فلم تعد تستطيع أكثر من بث بذور التفرقة بينهم

---

(١) الدكتور نورى عبد البخيت السامرائى : من تاريخ الوجود الأمريكي في البحر المتوسط ، مجلة المؤرخ العربى ، عدد ٢٣ ، سنة ١٤٠٣ هـ ، ص ٢١٩ ـ ٢٣٥ .

(٢) د . محمد عبد اللطيف البحراوى : حركة الاصلاح العثماني ، ص ٢٧ ، ٦٢ ، ٣٠٣ .

واثارة أحدهم ضد الآخر[١] ، من هنا كانت حركة السلطان محمود الثاني الاصلاحية ، والتي تدل على سعة الأفق وعلى أن هذا التخطيط كان أقرب إلى الصواب ، ولو نعمت دولته بفترة طويلة من الهدوء والاستقرار لاستطاع انجاح مخططه الاصلاحى في الأمور الضرورية ، وقد عبر القنصل البريطاني في مصر الكولونيل هودجز Colonel Hodges ، عن ذلك في رسالة بعثها إلى وزير خارجيته اللورد بالمرستون Palmerston مشيرا إلى أنه لم يسبق لرجل أن مر بظروف صعبة أكثر من السلطان محمود الثاني ، ولو استمر به العمر أكثر من ذلك لاستطاع التغلب على كل أعدائه بما فيهم تابعه القوى محمد على باشا الذي يهدد الدولة العثمانية في الشام[٢] .

فإذا كان السلطان محمود الثاني يعتبر من أعلام الاصلاح العثماني ، لأنه قطع شوطا كبيرا في هذا المجال ، كما اشتدت في عهده قبضة الدولة العثمانية على ولاياتها ، ولم يعد هناك مجال لظهور المغامرين وأصحاب العصبيات المسلحة والولاة الخارجين على الدولة ، واعتبار السلطان محمود الثاني واضع أساس الحكومة المركزية الحديثة في الدولة العثمانية[٣] .

---

(١) الاستاذ محمد شفيق غربال : منهاج مفصل لدروس العوامل التاريخية في بناء الأمة العربية ، ص ١٣٩ .

(2) Document : F. O. 78/375. XC/A/61064. P. 40. No. 1.

(٣) د . عبد العزيز محمد عوض : التنظيمات العثمانية في الولايات العربية ، مجلة الدارة ، العدد الثالث ، السنة الثالثة ، ص ٨٤ ـ ٨٥ .

إلا أن الحالة أصبحت مختلفة تماما عند وفاة السلطان محمود الثاني فالدولة عارية من كل شيء ، حيث فقدت سلطانها القوى ، وهزمت جيوشها الجديدة في معركة نصيبين ، والانكشارية كانت قد اختفت من الساحة ، وكانت ثالثة الأثافى أو القشة التي قصمت ظهر البعير انضمام الأسطول البحرى العثماني إلى محمد على التابع القوى الثائر ، والمنتصر في نصيبين قبل أيام معدودة .

من هنا نستطيع أن نتعرف على الأوضاع التي تسود عاصمة الدولة العثمانية ، وما أنتجته هذه الأوضاع من قوانين وفرمانات سلطانية عرفت باسم منشور كلخانة ـ بدء تنظيمات ـ ، والتي كانت بمثابة قوانين وضعية ، أعطت لأوروبا الفرصة الكاملة لصياغة مواد هذه التنظيمات التي أخرجت الدولة العثمانية عن خطها الإسلامي الصحيح ولأول مرة في تاريخها ، مما يجعلنا نقرر هنا أن حروب محمد على في الشام ، وبالذات حرب الشام الثانية كانت من أكبر الكوارث التي تعرضت لها الدولة العثمانية ، حيث أنها قد أضعفت الدولة ، وضعضعت مركزها الدولى ، وفتحت أمام أوروبا مجالا واسعا لتنفيذ خطتها في الدولة العثمانية ، تلك الخطة التي ترمى إلى تحويل الدولة عن النظم الإسلامية ، وهذا ما تحقق لأوروبا لتقوم بالضغط على السلطان عبد المجيد ، الذي حمل العبء الثقيل بعد والده السلطان محمود الثاني ، ولم يجد من وسيلة أمام تلك الأخطار والكوارث التي تحيط بدولته بُدّاً من اصدار تلك التنظيمات ليكسب تعاطف أوروبا ضد أطماع تابعه القوى محمد على ، الذي بدأ مركزه يزداد رسوخا في الأستانة ذاتها .

قبل أن تحل كارثة معركة نصيبين بالدولة العثمانية كانت المكانة الإسلامية التي تحتلها الدولة العثمانية في العالم الإسلامي بشكل عام وشبه الجزيرة العربية بشكل خاص قد أصيبت بنوع من الضعف منذ ابرام معاهدة انكيار سكليسى Unkiar-Skelessi مع روسيا في الثامن عشر من محرم سنة ١٢٤٩ هـ ، الموافق للسابع من يونيو سنة ١٨٣٣ م ، والتي تمكنت روسيا بموجبها من التدخل في شئون الدولة العثمانية المسلمة[١] ، لتحدث بذلك ردة فعل لدى العالم الإسلامي الذي أظهر استياءه من قيام دولة كافرة بالدفاع عن عاصمة الخلافة المسلمة ، وكان صدى هذه المعاهدة في الجزيرة العربية خطيرا للغاية لأن الحرمين الشريفين يقعان في الجزيرة العربية في مكة المكرمة والمدينة المنورة ، وهما مأوى أفئدة المسلمين في مختلف أنحاء العالم الإسلامي ، ناهيك عن أهل الجزيرة العربية التي ظهرت في أرضهم دعوة التوحيد والاصلاح على يدى الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، وبمساعدة حكام الدولة السعودية .

كانت الامتيازات التي تمنح للرعايا الأوروبيين نقمة على أبناء البلاد ، وعقبة كؤود أمام الدولة العثمانية للقيام بتنفيذ مشروعاتها الاصلاحية ، وحيث أنه كان من الأولى أن تسمى هذه الامتيازات بشروط تنظيم إقامة الأجانب في الدولة العثمانية ، إلا أن تغير الظروف ، وازدياد عدد الأوروبيين المقيمين في الدولة ، وتمكنهم من الاقامة في أي مكان يشاؤون ، واستطاعتهم لمباشرة أي

---

(١) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ٤٥١ .

عمل يريدون قد جعل هذه الامتيازات امتيازات حقاً للأجانب ، ومواثيق مقيدة للدولة العثمانية ، ووبالا على أبنائها(١) .

« نصت الامتيازات الممنوحة للرعايا الفرنسيين في الدولة العثمانية على حق هؤلاء في صنع النبيذ وقراءة الانجيل ، والحرية التامة في اتمام مهمتهم الخاصة بالدين والأماكن المقدسة في القدس ، أو في غيرها من الأماكن التي توجد فيها كنائس كاثوليكية ، وأن يكون للسفير الفرنسي في القسطنطينية كل هذه الامتيازات »(٢) .

فلما أصيبت الدولة العثمانية بخلل كامل بعد معركة نصيبين حين فقدت جيشها وأسطولها وسلطانها ، وأصبحت على حافة كارثة عظيمة لا يعلم مداها إلا الله ، وكان السلطان عبد المجيد الذي خلف والده السلطان محمود الثاني صبي لم يتجاوز السادسة عشر من عمره(٣) ، فقد أصبح محمد علي وكأنه سيد الموقف في الدولة العثمانية بلا منازع ، خاصة وأنه قد أرسل إلى إبراهيم باشا أوامره بايقاف الحرب ضد الدولة ، وألمح إلى القناصل الأوروبيين عزمه على إرسال مندوب من قبله لتتويج السلطان الجديد ، في الوقت الذي سعى فيه قائد

---

(١) الاستاذ محمد شفيق غربال : منهاج مفصل لدروس العوامل التاريخية في بناء الأمة العربية ، ص ١٣٨ .

د . عبد العزيز محمد الشناوي : الدولة العثمانية دولة إسلامية ، جـ ٢ ، ص ٧٥٠ .

(٢) د . محمد عبد اللطيف البحراوي : حركة الاصلاح العثماني ، ص ٢٩ .

(3) Hurewitz. J. C. : Diplomacy in The Near and Middle East, Vol. 1. P. 113.

الأسطول العثماني لدى محمد على لكى يقوم بدور بارز في دار السلطنة العثمانية التي أصبحت في حاجة ماسة إلى جهوده السياسية والعسكرية على حد سواء[١] .

وقد ذهب بعض المؤرخين الغربيين إلى أن الفرصة كانت سانحة لمحمد على للقيام بهجوم على البصرة وبغداد من قبل قائده في شبه الجزيرة العربية خورشيد باشا ، لا سيما وأن الوضع العسكري في الشام أصبح في صالح حكومة الباشا ، وكذلك الوضع السياسي في عاصمة الدولة العثمانية بعد معركة نصيبين ، ومما يؤكد ذلك اتصال القنصل الفرنسي في مصر بالباشا واستفساره منه مباشرة عن أبعاد تلك الاشاعات التي تتردد في العاصمة المصرية عن قيام خورشيد باشا بالزحف على البصرة ، إلا أن محمد على أكد بأن تلك الاشعات لا تستند على أي شيء من الحقيقة ، وأنها مجرد اشاعات كاذبة ، لأن قائده في شبه الجزيرة العربية ما يزال مقيما في الرياض وليس لديه أي تفكير بالهجوم على تلك الجهات[٢] .

كانت هذه الأحداث وتلك المتغيرات ذات تأثير شديد على الحكومة البريطانية والدول الأوروبية ، التي سارع مندوبوها إلى ارسال مذكرة مشتركة إلى الباب العالى في السادس عشر من جمادى الأولى سنة ١٢٥٥ هـ ، الموافق للثامن والعشرين من يوليو سنة ١٨٣٩ م ، وقد وقع على هذه المذكرة سفر اء

---

(1) Document : F. O. 78/374.

(٢) جون . ب . كيلى : بريطانيا والخليج ١٧٩٥ ـ ١٨٧٠ م ، جـ ١ ، ص ٥٥٩ .

كل من بريطانيا وفرنسا وروسيا والنمسا وبروسيا ، وطلبوا فيها من الباب العالى عدم تقرير أي شيء في المسألة المصرية إلا باطلاعهم واتحادهم ، لأنهم على أتم استعداد للتوسط فيما بين السلطان ومحمد على بحل هذه المشكلة[1] ، وكان اجتماعهم بوزير خارجية الدولة العثمانية الذي دُعوا اليه قبل ذلك التاريخ بخمسة وعشرين يوما كان قد أوجد لديهم أفكارا شبه موحدة في التوصل إلى حلول مشتركة لهذه المسألة تخدم مصلحة دولهم في المقام الأول[2] ، لأن تلك الدول كانت تخطط لاضعاف القوة الإسلامية التي تمثلها الدولة العثمانية ، مما يعنى أن القوة الجديدة التي تمثلت في جيش محمد على ، ستكون ذات امكانية فعالة لتجديد القوة الإسلامية ، بصرف النظر عن الأشخاص القائمين بها ، وأهدافهم الأخرى ، وهذا ما لا ترغب تلك الدول في وجوده على مسرح الأحداث .

عاد رشيد باشا الذي كان يحتل منصب سفير فوق العادة للدولة العثمانية في لندن ، ليعين وزيرا للخارجية في بداية عهد السلطان عبد المجيد ، وبعد بضعة أشهر من وفاة السلطان محمود الثاني وكارثة معركة نصيبين التي حلت بالدولة ، وما تبعها من أحداث خطيرة أحاطت بالدولة

(١) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ٤٥٥ .

رزق الله منقريوش الصدفى : تاريخ دول الإسلام ، جـ ٣ ، ص ٣٢٢ .

(2) Document : F. O. 78/375. ^{X}C/A/61064. P.P. 4 - 5. With No. 55.

Document : F. O. 78/375. ^{X}C/A/61064. P.P. 39 - 40. No. 1.

العثمانيــة[1] ، وكان رشيد باشا معجباً بأسلوب الحكم الدستورى البريطاني ، ليصبح مــن أشد الدعاة لــه حماسة ، إضافــة إلى رغبـته الطموحة في كسب بريطانيا وفرنسا إلى جانب حكومته التي باتت مهددة من قبل روسيا ومحمد على في وقت لا تستطيع الوقوف أمام أي منهما دون مساعدة أوروبية مباشرة[2] ، ولعل بريطانيا وفرنسا قد شجعتاه على احداث قوانين وضعية تحقق لهما الأهداف التي تسعيان لتحقيقها[3] ، والتي من أهمها ابعاد الدولة العثمانية عن الخط الإسلامي الصحيح الذي تحاربه أوروبا مجتمعة وبشكل علنى وواضح .

في السادس والعشرين مــن شهــر شعبان سنــة ١٢٥٥ هـ ، الثالث من نوفمبر سنة ١٨٣٩ م ، أعلن خط شريف كلخانة[4] ، في اجتماع كبير عقد في قصر الزهور ، الواقع إلى الجهة الجنوبية من السراى السلطانية على بحر مرمرة ، وقد دعى لحضور الاحتفال بهذا المنشور كبار رجال الدولة وعلماؤها وكبار رجال الدين وممثلوا الشعوب الخاضعة للدولة العثمانية من اليونان والأرمن والكاثوليك واليهود ، كما حضره سفراء جميع الدول الأوروبية ، وقد اطلقت له مائة طلقة ، وطلقة واحدة ، وسبقته إقامة للصلاة ، ثم قرىء خط الكلخانة ، الذي سميت نصوصه بالتنظيمات الخيرية[5] .

---

(١) د . على حسون : تاريخ الدولة العثمانية ، ص ١٤٩ .

(٢) كارل بروكلمان : تاريخ الشعوب الإسلامية ، ص ٥٦١ .

(٣) السيد أحمد بن السيد زيني دحلان : الفتوحات الإسلامية بعد مضى الفتوحات النبوية ، جـ ٢، ص ١٩٩ .

(٤) د . محمد عبد اللطيف البحراوى : حركة الاصلاح العثماني ، ص ٢٧٧ .

(٥) د . محمد فؤاد شكرى : مصر والسودان ، تاريخ وحدة وادى النيل السياسية في القرن ١٩ ، ص ١٦ ، د . محمد كمال الدسوقي : الدولة العثمانية والمسألة الشرقية ، ص ١٩٣ .

ورغم أننا نستطيع أن نقرر هنا وكحقيقة تاريخية أن اعلان تنظيمات ، أو خط شريف كلخانة هو نتيجة مباشرة لحركة الإصلاح في عصر محمود الثانى[1] ، إلا أن هناك تبايناً واضحاً بين الاصلاح والتجديد المقترن باسم السلطان محمود الثاني الذي يعتبر « واضع أساس الحكومة الحديثة في الدولة العثمانية ، الحكومة التي تزعم لنفسها حق السلطان الكامل وهي في نفس الوقت تتكفل بأداء واجبات وتتحمل مسئوليات مما لم يكن للرعية عهد به قبل ذلك »[2] ، وبحيث تبقى الدولة إسلامية ، وتطبق النظام الإسلامي كاملا ، خاصة فيما يتعلق بأهل الذمة ممن يخضعون للدولة العثمانية ، بينما كان منشور كلخانة ـ بدء تنظيمات ـ بداية انحراف الدولة العثمانية عن الخط الإسلامي ، وبداية انحرافها عن النظم الإسلامية ، والعلة في ذلك واضحة وصريحة ، فالدول الأوروبية التي تحارب الإسلام في هذه المرحلة عن طريق اخراج الدولة العثمانية عن النظام الإسلامي بقوانين تسوى بين المسلم وغير المسلم في إدارة الدولة ، استطاعت ابان أزمة محمد على من الضغط على السلطان العثماني ورجال دولته ، حيث بدىء في اصدار قوانين غير إسلامية ، وقرارات قانونية مخالفة للشريعة الإسلامية التي جبلت الدولة العثمانية على نهجها والتمشى بتعاليمها .

---

(١) د . محمد عبد اللطيف البحراوى : حركة الاصلاح العثماني ، ص ٢٧٧ .

(٢) الاستاذ محمد شفيق غربال : منهاج مفصل لدروس العوامل التاريخية في بناء الأمة العربية ، ص ٩٤ .

ولقد كان هذا المنشور يشكل عامل ضعف لقوة الدولة العثمانية في شبه الجزيرة العربية ، ليصبح عاملاً مساعداً لمحمد على باشا في تحقيق آماله وطموحاته التوسعية في شبه الجزيرة العربية والخليج العربي ، لأن الدولة العثمانية قد خرجت عن الخط الإسلامي والنظم الإسلامية التي كانت تدعم مكانتها في المنطقة .

لقد نبه السلطان عبد المجيد في أثناء قراءة منشور كلخانة ـ بدء تنظيمات ـ إلى الأسباب الرئيسية التي أدت إلى تدهور الأوضاع في الدولة العثمانية ، وإلى منهجها الإسلامي الواضح قبل أن تصل إلى ما وصلت إليه الآن ، حين قال : « لا يخفى على عموم الناس أن دولتنا العلية من مبدأ ظهورها وهي جارية على رعاية الأحكام القرآنية الجليلة والقوانين الشرعية المنيفة بتمامها ، ولذا كانت قوة ومكانة سلطتنا السنية ورفاهية وعمارية أهاليها وصلت حد الغاية ، وقد انعكس الأمر منذ مائة وخمسين سنة بسبب عدم الانقياد والامتثال للشرع الشريف ولا للقوانين المنيفة ، بناء على طروء الكوارث المتعاقبة والأسباب المتنوعة فتبدلت قوتها بالضعف وثروتها بالفقر .. »(١) ، وانتقل السلطان بعد ذلك إلى اعلان الضمانات المشهورة لكافة رعاياه في أنفسهم وأعراضهم وأموالهم ، ووعد باصلاح نظام الجباية ونظام التجنيد والقضاء ، عن طريق التشريع ثم بين أن التشريع سيتم بناء على مداولات مجلسين أو هيئتين ، أحدهما للشئون المدنية ويتكون من الوزراء والأعيان ـ المعينين ـ والقضاة ، وآخر للشئون العسكرية من رجالها ، وأن كل قانون تنتهي الهيئتان من اعداده

(١) محمد فريد بك تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ٤٨١ .

يقره ويصدره ، ثم أعلن السلطان أن عهده هذا سيودع في خزانة الآثار النبوية الشريفة ، وأنه سيقسم بالعمل وفق أحكامه بحضور العلماء وأصحاب المناصب ، وأنهم سيقسمون هم أيضا فردا فردا ومن يحنث بعد في يمينه فإنه سيلقى عقابا ، وأن العقوبات سيصدر بها قانون خاص ، كذلك تطرق هذا المنشور لشئون الموظفين واعطائهم المرتبات المجزية والانتظام في دفعها كما تطرق للرشوة وندد بها وبفظائعها ومخالفتها للدين وافسادها للضمائر ، وبعد ذلك اختتم السلطان منشور كلخانة باعلان ما يحتويه من تنظيمات هي أما تعديل للأنظمة القديمة للدولة أو تبديل أنظمة جديدة بها[1] ، ولم ينس السلطان العثماني في نهاية اعلانه لهذا المنشور من التأكيد على تزويد السفراء الموجودين في الأستانة بصورة من هذه الاصلاحات التي سيكون لرعايا دولهم منها نصيب الأسد[2] .

يتبين لنا من استقراء منشور كلخانة ـ بدء تنظيمات ـ الذي أصدره السلطان عبد المجيد ، أن هناك رؤية صحيحة يؤمن بها السلطان الشاب وهي وجهة النظر الإسلامية التي يجب أن تسير عليها الدولة العثمانية كمعتقد ومنهاج حياة ، إلا أن الملاحظ أن الأحداث التي أحاطت بالدولة وما صاحبها من أوضاع داخلية تمثلت في أفكار بعض رجال الدولة الذين نشأوا في أوروبا وأخلصوا لها ، قد أضطرت السلطان الجديد بالإضافة إلى

(١) الاستاذ محمد شفيق غربال . منهاج مفصل لدروس العوامل التاريخية في بناء الأمة العربية ، ص ١٠٤

(٢) محمد فريد بك . تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ٤٨٢ ـ ٤٨٣ .

ضغوط الدول الأوروبية إلى المصادقة على تلك الاصلاحات ، التي جاءت لتخدم مصالح وأغراض الدول الأوروبية في المقام الأول ، والتي صفقت لهذا القانون وما اشتمل عليه من تنظيمات وضعية تحقق لها تطلعاتها في شئون الدولة العثمانية الداخلية ، ولعل استقدام أحد رجال القانون الفرنسي إلى الأستانة ليضع قانونا مدنيا حديثا للدولة العثمانية هو خير شاهد على ذلك[1] ، وكان هؤلاء الأوروبيون أي الملاحظون الخارجيون لأصول المجتمع العثماني يزعمون أن لا صلاح يرجى له إلا بأن يتخلى عن أسسه وان شق ذلك عليه ، ومعنى ما أرادوه هو أن تتخلى الدولة عن خطها الأساسي ، بينما كان الرأي لدى جماهير الأمة أن فساد الأنظمة لا يرجع إلى علة فيها ، ولكنه يرجع إلى سوء تطبيقها ، فإذا ما حاول المسئولون اصلاح التطبيق عادت الأحوال إلى أحسن ما كانت[2] .

مما يعنى أن الصعوبات التي أحاطت بالدولة العثمانية في تلك الفترة كانت فوق طاقة الرجال الذين يودون اعادتها إلى النهج الإصلاحي الصحيح المنطلق من التعليمات والنظم الإسلامية .

لقد كانت حرب الشام الثانية فرصة ثمينة استغلتها أوروبا بشكل عام وبريطانيا بشكل خاص ، لتخلق منها أوضاعاً عثمانية معينة ، وكان من أبرزها استصدار منشور كلخانة ـ بدء تنظيمات ـ والذي يعتبر ثمنا حاضرا تقاضته

---

(١) حسين مؤنس : الشرق الإسلامي في العصر الحديث ، ص ٢٥٥ .

(٢) الأستاذ محمد شفيق غربال : منهاج مفصل لدروس العوامل التاريخية في بناء الأمة العربية ، ص ٨٠ ـ ٨١ .

بريطانيا والدول الأوروبية من السلطان العثماني نظير تسوية النزاع بين محمد على والباب العالى ، والذي يعتبر أول عهد دستورى في تاريخ الدولة العثمانية ، وضع قواعد الاصلاح على المبادىء الأوروبية ، حيث أعطى الذميين من رعايا الدولة نفس الحقوق التي كانت للمسلمين ، مما يعنى خروج الدولة العثمانية عن النهج الإسلامي والنظم الإسلامية التي قامت عليها .

ولقد أدرك السياسي النمساوي الكبير مترنيخ أبعاد منشور كلخانة على الدولة العثمانية وآثاره السيئة التي ستظهر عليها ، عند ذلك قام بتحذير العثمانيين من الخطر الكامن وراء سياسة التنظيمات أو التجديد على النسق الأوروبي لأنها لا تجارى منطق النظام العثماني(١) ، بينما كان السفير البريطاني استراتفورد كاننج Stratford Canning من المتحمسين للتنظيمات الجديدة التي ترتكز على النظم الأوروبية ، مدعماً وجهة نظره تلك بأن الاصلاح العثماني على الطراز الأوروبي هو خير وسيلة لمساعدة الدولة العثمانية للصمود أمام الخطر الروسي(٢) .

لقد استغلت الدول الأوروبية والهيئات التنصيرية ما تضمنه منشور كلخانة من تنظيمات تساعدهم على تحقيق أهدافهم الظاهرة والخفية ، فأمعنت فرنسا في بسط حمايتها على الكاثوليك كلهم ، بينما استمرت روسيا في فرض

---

(١) الأستاذ محمد شفيق غربال : منهاج مفصل لدروس في العوامل التاريخية في بناء الأمة العربية ، ص ٨٣ .

(٢) د . عبد العزيز سليمان نوار : الشعوب الإسلامية ، ص ١٦٨ .

حمايتها على الأرثوذكس ، أما المنصرون البريطانيون والأمريكان فقد استمروا في بذل جهودهم المضنية لتحويل أكبر عدد من مسيحيى الشرق إلى الكنيسة البروتستانتية ، وصاحب هذا النشاط الأوروبي المحموم تيار من القوانين التي كان يستفيد منها المسيحيون بدرجة أكثر من المسلمين(١) .

أما في داخل البلاد فقد واجهت هذه الاصلاحات العثمانية معارضة قوية ، خاصة في تلك الجهات التي تتجاوز فيها عصبيات مذهبية مختلفة ، إسلامية ومسيحية ، ففي شمال العراق وفي جبل لبنان وقعت الصدامات المذهبية ، حيث أن بعض زعامات للأقليات المسيحية في الدولة العثمانية أبدت نوعاً من الارتباط مع الدول الأوروبية نكاية في الزعامات الإسلامية التي كانت لها السلطة المطلقة من قبل ، مما أدى إلى تردى العلاقات وتدهور الأوضاع داخل الدولة(٢) ، من هنا بدأ التعصب القومي الذي يحاربه الإسلام ، لأنه مدعاة لتجزئة الدولة واضعافها ، « وتطور الأمر شيئاً فشيئاً فبدأت تظهر ادعاءات ببطلان شرعية السلاطين العثمانيين كخلفاء للمسلمين وأن الخلافة من حق العرب وحدهم ، ثم قام المبشرون ـ المنصرون ـ البروتستانت بترجمة الانجيل إلى اللغة العربية ، وسعوا في تنشئة رجال الدين النصارى من العرب ، .. ثم ظهر بين النصارى من يقول بأنه لا أمل في اصلاح الدولة العثمانية اصلاحاً يضمن الحرية والمساواة لهم في ظلها ، وأنه لا خير في

(١) د . عبد العزيز نوار : تاريخ العراق الحديث ، ص ٤٧ .

(٢) د . عبد العزيز سليمان نوار : الشعوب الإسلامية ، ص ١٨٦ ـ ١٨٧ .

دولة تقوم على شاكلتها أو تحل محلها تكون الأكثرية للمسلمين فيها ، ولا سبيل لسعادة النصارى إلا تحت حماية دولة أوروبية »[1] .

لقد كان السلطان عبد المجيد الذي أصدر منشور كلخانة يتفق في الرأي مع كبار رجال دولته على أن المجد الذي حققته الدولة العثمانية في عصورها الذهبية ، انما مرده إلى إلتزامها بمبادىء الشريعة الإسلامية ، وانها إذا كان قد أصابها وهن أو اضمحلال في القرون الأخيرة ، فلأنها أهملت لسبب أو لآخر تطبيق مبادىء الشريعة[2] ، إلا أن هناك من يرى أن تلك المحاولات التي قصد بها التجديد على النسق الأوروبي ، ما هي إلا محاولات من قبل السلطان وبعض رجال حكومته من دعاة التجديد لاقناع الدول الأوروبية بأن ثمة اصلاح يجرى في الدولة العثمانية ، لعل ذلك يرفع من سمعتها ويقيها شر التدخلات المختلفة[3] ، إلا أن الرأي الأقرب في هذه الحالة هو أن الأحداث الكبيرة التي أحاطت بالدول خلال العقود الأخيرة هي التي أدت بالسلطان العثماني ورجال دولته إلى وضع هذا المنشور ، الذي أخرج دولتهم عن المسلك الإسلامي الصحيح الذي سارت عليه منذ قيامها .

ويتبين لنا من استعراض ما سبق الاشارة إليه أن حرب الشام الثانية التي انتهت بانتصار جيوش محمد على في معركة نصيبين ، وما تبع ذلك من

---

(١) د . على حسون : تاريخ الدولة العثمانية ، ص ١٣٩ ـ ١٤٠ .

(٢) د . عبد العزيز محمد الشناوى : الدولة العثمانية دولة إسلامية ، جـ ١ ، ص ٦٩ ـ ٧٠ .

(٣) د . محمد أنيس : الدولة العثمانية والشرق العربي ١٥١٤ ـ ١٩١٤ م ، ص ٢١٤ .

فقد الدولة لسلطانها الذي انتقل إلى جوار ربه قبل أن يسمع بكارثة نصيبين ، ثم فقدها لأسطولها البحرى ، لتصبح الدولة عارية تماما بلا جيش ولا سلطان ولا أسطول ، بينما باتت الأستانة مشرعة الأبواب لاستقبال تابعها القوى الذي أصبح رجل الأحداث الأول حينذاك ، مما أوقع السلطان الجديد ورجال حكومته أمام خيارات مختلفة ، أحلاها مر المذاق لرجال الدولة وللدولة العثمانية بشكل عام ، ليصبح منشور كلخانة هو المخرج الوحيد الذي يضمن تماسك الدولة أمام أهداف وطموحات محمد على ، رغم أنه أخرجها عن الخط الإسلامي الذي سارت عليه منذ قيامها ، وأضعف مكانتها في كثير من ولاياتها وخاصة ولاية الشام وشبه الجزيرة العربية ، التي أصبحت في متناول يدى الباشا ، إلا أن الدول الأوروبية وخاصة بريطانيا قد قامت بالمقايضة العاجلة للدولة العثمانية نظير هذا المنشور ، وذلك بعقد معاهدة لندن ، التي أعادت محمد على إلى مصر ، وجردته من أهدافه وطموحاته في الجزيرة العربية والشام ، وهو ما سنتحدث عنه في الصفحات التالية .

د ـ إنجلترا والحل الدولي = معاهدة لندن ١٢٥٦ هـ / ١٨٤٠ م

أخذت الدول الأوروبية تنظر إلى تحركات محمد على وسياسته التوسعية نظرة ملؤها الريبة والتخوّف ، وكانت بريطانيا من أشد تلك الدول قلقا من هذه التحركات التي بدأت تبرز بشكل واضح منذ حرب الشام الأولى ، وما أعقبها من ابرام اتفاقية كوتاهية ، والتي كانت بمثابة هدنة مسلحة زاول خلالها محمد علي كثيراً من أعمال التوسع وتدعيم النفوذ لقوته في المنطقة ، حتى صار مصدر تهديد مباشر لطريق المواصلات البحري والبرى الهام إلى الهند عبر سوريا والعراق والخليج العربي ، لا سيما وأنه صار في مقدوره تهديد الطريق البحرى عبر البحر الأحمر.

وقد رأى بعض رجال السياسة البريطانيون أنه ليس من مصلحة دولتهم في الهند قيام دولة إسلامية قوية على أرض الفرات ، لأنهم يرون أنه من المحتمل اتحاد تلك الدولة مع روسيا لاقتسام فارس ، إضافة إلى أن نفوذ هذه الدولة سوف يمتد إلى شبه الجزيرة العربية دون أدنى شك ليشمل جميع أقطارها وبالتالى تصبح هذه الدولة دولة بحرية هامة ، تستطيع غزو الهند البريطانية وقطع طريق المواصلات الذي يربطها بالدولة الأم في لندن ، ويذهب الساسة الانجليز إلى أبعد من ذلك حين يرون أن قيام دولة إسلامية قوية في تلك المنطقة ، وبزعامة حاكم طموح، إنما يهدف إلى طرد الدولة المسيحية، لأن انتماء الفرس للمذهب الشيعي ، وانتماء بقية سكان المنطقة للمذهب السني لا يشكل

أي حاجز مانع فيما بينهم ، لوجود احساس ديني مشترك بينهم ، يدفعهم لنصرة الدين الإسلامي ، والاتحاد فيما بينهم لأداء هذه المهمة المقدسة[١] .

وفي الجانب الآخر كانت معاهدة انكيار سكليسى ، التي أبرمها السلطان العثماني مع الدولة الروسية ، بعد حرب الشام الأولى مصدر قلق مستمر للسياسة البريطانية ، التي لم تتقاعس في البحث عن وسائل أخرى تواجه بها عمل روسيا في هذه المعاهدة[٢] ، ولقد كان الخوف الذي يراود الساسة البريطانيين من الأطماع الروسية في المضايق ، والمساعدة التي ربما تقدمها فرنسا لمحمد علي في حربه ضد السلطان العثماني والرغبة في المحافظة على طرق المواصلات البريطانية الى الهند ، كل ذلك جعل اللورد بالمرستون Palmerston وزير الخارجية البريطاني يوجه حكومته نحو تدويل ـ المسألة الشرقية ـ وجعل الدول الأوروبية هي المسئولة عن ممتلكات واستقلال الدولة العثمانية[٣] .

وقد كانت بعثة تشزني Chesney البحرية عبر الفرات ذات هدف سياسي مباشر حيث أشار إلى ذلك قائد البعثة حين قال : « إن أهمية الفرات في المواصلات السريعة تتضاءل بالقياس إلى أهميته حاجزاً في سبيل

---

(١) جون . ب . كيلي : بريطانيا والخليج ١٧٩٥ ـ ١٨٧٠ م ، جـ ١ ، ص ٤٧٠ .

(٢) بيير رنوفان : تاريخ العلاقات الدولية في القرن التاسع عشر ، القسم الأول ، ص ١٣٤ .

(3) Hurewitz. J. C.: Diplomacy in The Near and Middle East. Vol.1. P. 111.

روسيا ، حاجزاً يستند إلى تجارة نامية ، مفيدة لنا ولمستعمراتنا الشرقية ، وللبلاد العربية »[١] .

وكانت الحكومة البريطانية تعلم أن أي حرب ستحدث بين محمد علي والدولة العثمانية لن تكون قائمة بينهما فقط ، وانما سوف تتدخل قوى أوروبية أخرى كثيرة ، لأن المنافسة بين السلطان العثماني والباشا ستكون في صالح الباشا الذي لن تقل مكاسبه في الحرب القادمة عن مكاسبه في حرب الشام الاولى ، أما إذا تدخلت القوى الأوروبية إلى جانب السلطان فستكون النتيجة لصالحه لا محالة ، وهذا ما جعل اللورد بالمرستون Palmerston يؤكد وقوف بريطانيا العظمى الى جانب السلطان في الحرب القادمة ، حين طلب منه التريث في عدم الاقدام على الحرب لكي لا يصبح هو البادىء بها ، وبالتالي يؤثر على الاستراتيجية التي تنتهجها بريطانيا أمام الدول الأوروبية الأخرى[٢] .

وقد قامت الحكومة البريطانية بعدة اجراءات هامة في المنطقة لتضمن لطرق مواصلاتها إلى الهند عبر طريق العراق نوعا من الضمانات المطئمنة وذلك بوضع عدة بواخر مسلحة في نهري دجلة والفرات علها بذلك تحول دون انضمام العراق إلى حكومة محمد على في مصر والتي بدأت تتوغل

---

(١) د . زكي صالح : مجمل تاريخ العراق الدولي في العهد العثماني ، ص ٤٧ .

(2) H. Temperley and L. M. Penson : Foundations of British Foreign Policy, P.P. 126 - 127.

في وسط وشرقي الجزيرة العربية ، وكأنها بذلك قد أوجدت خطا فاصلا بين العراق والشام ، حين سيرت بواخرها المسلحة في نهر الفرات ، وأبعدت المنطقة عن متناول روسيا التي تتطلع اليها من خلال معاهدة انكيار سكليسى(١) .

فلما قامت الحرب المصرية الثانية في الشام خلق السلطان العثماني للوزير البريطاني بالمرستون Palmerston فرصة ثمينة لتمزيق معاهدة انكيار سكليسى ، ومسح آثارها ، وذلك بعقد المؤتمر الأوروبي العام في العاصمة البريطانية لندن ، والذي ختم بمعاهدة لندن الشهيرة التي تعتبر في واقع الأمر تحطيما مباشرا ومقصودا لمعاهدة انكيار سكليسى(٢) الثنائية بين روسيا والدولة العثمانية والتي استمر شبحها المخيف يخيم على أذهان الساسة الانجليز ما يقرب من سبعة أعوام .

وقد لعب القناصل الانجليز في الخليج العربي دواً بارزاً لزعزعة نفوذ محمد علي في وسط وشرقي الجزيرة العربية ، أثناء استمرار معارك حرب الشام الثانية بين الدولة العثمانية ومحمد علي ، إذ أشار الكولونيل هنيل Hennell المقيم البريطاني في الخليج ، ومن طرف خفي إلى أهمية حسم ذلك الصراع لصالح السلطان العثماني ، لأن شيخ البحرين وغيره من شيوخ الخليج سينتظرون نتائج الاشتباكات الدائرة بين قوات محمد علي والقوات العثمانية في الشام ، فإذا ما انهزمت قوات محمد علي هناك

---

(١) د . عبد العزيز نوار : تاريخ العرب المعاصر ، مصر والعراق ، ص ٣٩٤ ، ٤٢٣ .

(٢) د . محمد عبد اللطيف البحراوي : حركة الاصلاح العثماني ، ص ٢٦٤ .

فإن الجميع في جبهة الخليج سيقفون موقف العداء من حملة خورشيد باشا التي وصلت إلى هناك كما يؤكد ذلك شيخ البحرين للمقيم البريطاني على حد قوله(١) .

ولعلنا هنا نستطيع أن نقول أن اغتيال معاون خورشيد باشا ووكيله في المنطقة محمد أفندي كان في مصلحة بريطانيا ، وربما لعبت السياسة البريطانية دوراً في قتله رغم أن معظم المؤرخين يؤكدون أن أسلوب محمد أفندي في إدارة شئون الاقليم ، والقسوة التي أدار بها الأمور في المنطقة وما اتبعه من أسلوب العنف والقسوة مع الأهالي ، كلها أدت الى اغتياله(٢) ، إلا أن ذلك لا يمنع من القول بأن أيدي الانجليز قد ساعدت في اغتياله أو التحريض عليه ، لكي يشعروا خورشيد باشا ومن ورائه محمد على في مصر ، بأنهم لن يتركوا له حرية التصرف في الخليج العربي وشئونه ، كيف لا والحكومة البريطانية قد طلبت من ممثلها في مصر الكولونيل كامبل Campbell ، وقبل انعقاد المؤتمر الدولي في لندن ، ابلاغ محمد علي رغبة بريطانيا في جلاء القوات المصرية عن اليمن ، وعندما حاول الباشا انتهاج الأسلوب السياسى في الرد على القنصل البريطاني ، وبأنه سينظر في الأمر حال انتهاء المسألة الشرقية التي تتفاوض بشأنها الدول الأوروبية ، كان الرد البريطاني

---

(١) د . محمد عرابي نخلة : تاريخ الاحساء السياسي ١٨١٨ ـ ١٩١٣ ، ص ٨٩ .

د . فائق حمدى طهبوب : تاريخ البحرين السياسي ١٧٨٣ ـ ١٨٧٠ م ، ص ٢٠٤ .

(٢) د . عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم : محمد على وشبه الجزيرة العربية ، ص ٣٤٤ .

أشد قسوة من الطلب الأول حين أجابه كامبل Campbell : « أن ليس هناك أية علاقة تربط بين المسألة الشرقية ومسألة اليمن ، فبحث المسألة الشرقية يخص الدول الكبرى ، أما مسألة اليمن فهي مرتبطة رأسا بالمصالح البريطانية وحدها ، وأن منطقتي البحر الأحمر والخليج ـ العربي ـ هما مجال بريطانيا الحيوي في تلك المنطقة ، ولذلك فإنها لا تستشير حلفاءها فيما يخصهما »[1] .

لم تفتأ بريطانيا في اتخاذ الاجراءات التي تقلص من نفوذ وطموحات محمد علي سواء في شبه الجزيرة العربية أم في الشام ، فأرسلت لها جاسوسا في الشام ليبث بذور الشقاق والفتنة بين الأهالي ، وأصبح ينتقد حكومة الباشا ويوغر عليها الصدور[2] ، ليكون بذلك عاملاً مساعداً في اشعال نيران الثورة والاضطرابات التي تعيشها الشام من جراء سياسة حكومة الباشا التي تعتبر مسئولة عن كثير من الاضطرابات والثورات التي تأججت في الشام وزعزعت ثقة الأهالي في حكومة الباشا حتى صار من الصعوبة بمكان بقاؤها في الشام ، في الوقت الذي سعى فيه البريطانيون الى كسب ولاء الشهابيين وتعهدوا لبشير الثاني بضمان حكمه إن هو انضم اليهم ضد الباشا[1] .

---

(١) د . عبد الحميد البطريق . من تاريخ اليمن الحديث ١٥١٧ ـ ١٨٤٠ م ، ص ١٠١ .

(٢) سهيل زكار : بلاد الشام في القرن ١٩ ، دراسة وتحقيق « مشهد العيان بحوادث سوريا ولبنان » ، د . ميخائيل مشاقة ، ص ١٨٢ ـ ١٨٣ ، طنوس بن يوسف الشدياق : أخبار الاعيان في جبل لبنان ، ص ٥٩٥ .

(٣) فيليب وفريد الخازن : مجموعة المحررات السياسية والمفاوضات الدولية ، جـ ١ ، ص ٧٣ .

وقد دعا وزير خارجية الدولة العثمانية ممثلي القوى الأوروبية الخمس في الأستانة وهي كل من دولة بريطانيا العظمى ، والنمسا ، وفرنسا ، وروسيا وبروسيا ، إلى الاجتماع في منزله على ضفاف البسفور في النصف الأخير من شهر ربيع الثاني سنة ١٢٥٥ هـ ، الموافق للثالث من يوليو سنة ١٨٣٩ م ، وأكد لهم في هذا الاجتماع احترام السلطان العثماني وتقديره للملوك الذين يمثلونهم ، ورغبته الحارة في تقديره لكل صور التفاهم الطيب التي تربط الباب العالي بحكوماتهم ، ثم أشار بعد ذلك إلى أن السلطان قد قرر بدافع الرغبة في وضع نهاية للكوارث التي تثقل كاهل شعبه من جراء سياسة باشا مصر ، والغضب الذي أورثه ، وأنه قرر ارسال أحد رجاله المحنكين ليقدم للباشا المصري أسفه عما مضى والتأكيد على عربون المحبة في المستقبل مع اعطاء وعد للباشا بمنحه وعائلته الحكم الوراثي لمصر بحيث يحمله الباشا وأحفاده ، كاقطاعية ، شريطة أن تعود سوريا فوراً إلى السلطان ، وعند سؤال وزير خارجية الدولة العثمانية للممثلين عن رأيهم في ذلك ، أخبروه بأنهم يشاركونه في اعادة السلام ، وأنهم راغبون في ذلك كثيرا ، إلا أنهم لم يتلقوا أي تعليمات من حكوماتهم ، لذا فهم غير قادرين على الادلاء بوجهات نظرهم حيال شروط الباب العالي المزمع عرضها على الباشا ، لكنهم لن يدخروا وسعا في نقل المعلومات التي حصلوا عليها الى حكوماتهم(١) ، وقد قام سفيرا بريطانيا في الأستانة ومصر ، بنقل التفاصيل الكاملة إلى اللورد بالمرستون Palmerston وان كان السفير البريطاني

(1) Document : F.O. 78/375. ^XC/A/61064. P.P. 4 - 5 With No. 55.

في مصر قد أظهر نوعا من التفاؤل حيال الهدوء الذي يسود أجواء حكومة محمد علي تجاه السلطان العثماني الجديد ، مما يعني وجود الرغبة في الطاعة والتعاون[١] ، إلا أن اللورد بونسنبي Lord Ponsonby سفير بريطانيا في الأستانة كان حذرا في تعبيراته حيال سلوك محمد علي ، وما قد يقوم به من تحركات لمقاومة الدول الأوروبية ، لا سيما وأنه يرى أن بعض رجال الدولة العثمانية قد تخلوا عنها لاعتقادهم بأن سلطانها قد أُفسِد من قبل روسيا[٢] .

رغم أن محاولات اللورد بالمرستون Palmerston في خلق رابطة أوروبية لمنع محمد علي من الاستفادة من حروبه ضد الدولة العثمانية لم يكتب لها النجاح في بداية الأمر لوجود معارضة فرنسية لصالح محمد علي وكذلك امتناع روسيا عن الانضمام لتلك الرابطة[٣] ، إلا أن تطور الأحداث بعد معركة نصيبين ، وانضمام الأسطول العثماني إلى محمد علي وما أحاط بالدولة العثمانية من أهوال كبيرة بعد أن فقدت سلطانها ، وجيوشها البرية وسفنها الحربية ، لتصبح عاصمتها مشرعة الأبواب أمام تابعها القوي محمد علي باشا ، كل ذلك كان مدعاة لأن تحرص الدول الأوروبية على صون مصالحها الخاصة والمتمثلة وقتئذ في ضرورة المحافظة على كيان الدولة

---

(1) Document : F.O. 78/375. ^{X}C/A/61064. P. 40 No. 1.

(2) Document : F.O. 78/375. ^{X}C/A/61064. P.P. 7 - 9.

(3) H. Temperly and L. M. Penson : Foundations of British Foreign Policy, P.P. 122 - 123.

العثمانية[1] ، وهذا ما أشار إليه أحد المؤرخين حين قال : « .. كلما تقدم إبراهيم نحو عاصمة الدولة كلما اهتز والده في مصر ، وتجمعت حوله الأخطار ، واعتبرت أوروبا محمد علي كنابليون ، وكأنه ملأ مكانه في مصر واتبع نفس سياسته .. »[2] .

أرسل سفراء كل من فرنسا وبريطانيا وروسيا والنمسا وبروسيا مذكرة إلى السلطان العثماني في الخامس عشر من جمادى الأولى سنة ١٢٥٥ هـ ، الموافق للسابع والعشرين من يوليو سنة ١٨٣٩ م ، مذكرة عهد بتحريرها إلى السفير الفرنسي في الأستانة البارون روسان Roussin يعلنون فيها أن الاتفاق بين دولهم قد أصبح أمراً واقعاً وأنهم يدعون الباب العالي الى عدم اقرار أي صلح في المسألة المصرية إلا بعد أخذ مرئيات دولهم بشأن ذلك[3] .

كانت تلك المذكرة انتصاراً لوجهة النظر البريطانية ، التي كان سفيرها في الأستانة يقوم بدور مدروس ومخطط ، لتحقيق المسعى الذي ترنوا إليه حكومته عن طريق الضغط على السلطان من ناحية ، واثارة أهل الشام

---

(١) د . محمد فؤاد شكرى : مصر والسودان ، تاريخ وحدة وادى النيل السياسية في القرن ١٩ ، ص ١٤ .

(٢) د . محمد عبد اللطيف البحراوى : حركة الاصلاح العثماني في عصر السلطان محمود الثاني ١٨٠٨ ـ ١٨٣٩ م ، ص ١٥٣ .

(٣) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ٤٥٦ .

محمد صبرى : تاريخ مصر الحديث من محمد على إلى اليوم ، ص ٧٤ .

على حكومة الباشا عن طريق الجواسيس والعملاء الذين يسيرون في فلك السياسة البريطانية من ناحية أخرى[1] .

أنقضت عدت أشهر كانت حافلة بتبادل الآراء والمقترحات التي يطرحها زعماء وساسة الدول الأوروبية بغية التوصل الى حل للمسألة المصرية التي تعتبر جزءا هاما من المسألة الشرقية ، التي تعتبر ذات آثار عميقة على مستقبل الدول الأوروبية بشكل عام ، إلا أن المسألة المصرية كانت مركز اختلاف في وجهات النظر التي يراها الساسة الأوروبيون حينذاك ، فرئيس الوزراء النمساوي الكونت مترنيخ كان يحارب الثورات الانفصالية ، ولا يميل إلى تشجيعها في الوقت الذي يسعى فيه إلى الحيلولة دون انفراد روسيا بالتدخل في هذه المسألة انطلاقا من معاهدتها الثنائية مع السلطان العثماني المعروفة باسم انكيارسكليسى[2] ، بينما كانت فرنسا تظهر الميل والمساعدة لمحمد علي وترغب في عدم التدخل الأوروبي بين السلطان وتابعه ، ذاهبة الى أن المسألة المصرية يمكن انهاؤها بين التابع ومتبوعه بصورة مباشرة دون أية تدخلات من جانب الدول الأوروبية[3] ، أما روسيا فكان الخوف منها ينطلق على ما ستقوم به حيال الالتزام ببنود معاهدة انكيار سكليسى ـ إلا أن وصول البارون برونوف Brunnow إلى لندن في أواخر سنة ١٢٥٥ هـ ، أواخر سنة ١٨٣٩ م ،

---

(١) د . لطيفه محمد سالم : الحكم المصرى في الشام ١٨٣١ ـ ١٨٤١ م ، ص ٣٥١ .

(٢) محمد على الشيخ : صراع العمالقة في القرن التاسع عشر ، ص ١١٨ ـ ١١٩ .

د . عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم : تاريخ العرب الحديث والمعاصر ص ١٦٢ .

(٣) الميرالاى إسماعيل سرهنك : حقائق الاخبار عن دول البحار ، جـ ١ ، ص ٦٩٠ .

لنقل موافقة حكومته على اعطاء الحرية المطلقة لبريطانيا لاتخاذ ما تراه مناسبا في حل المسألة المصرية ، واستعداد روسيا لغلق المضايق في وجه كل السفن الحربية[1] ، ـ جعل هذا الساسة الانجليز وعلى رأسهم اللورد بالمرستون Palmerston وزير الخارجية ، والعدو اللدود لمحمد علي ، يتنفسون الصعداء بعد أن تم التوافق في وجهات النظر بين بريطانيا وروسيا ، لأن ذلك سيشجع كلا من النمسا وبروسيا في الانضمام إلى صف بريطانيا وروسيا ، وبالتالي عزل فرنسا عن المسألة المصرية نهائيا لأن مواقفها لم تتوافق مع المواقف والأهداف البريطانية ، وقد سلم القنصل البريطاني في مصر رسالة الى محمد علي من اللورد بالمرستون Palmerston ، في تلك الأثناء تتضمن وجهة النظر البريطانية ، والتي لا بد للباشا أن يكون على علم بها في تلك الفترة بالذات[2] .

حاول اللورد بالمرستون Palmerston التوفيق بين وجهة نظر حكومته وحكومة فرنسا ، باقتراح ضم ولاية عكا ـ دون مدينة عكا إلى الباشا مدة حياته ، إلا أن فرنسا رفضت ذلك ، وأصرت على موقفها ، وهو اعطاء ولايتي مصر والشام كلها للباشا ولذريته من بعده[3] ، وزاد من تصلب الموقف الفرنسي تمسك رئيس الوزارة الجديدة فيها المسيو ثييرس Thiers بموقف حكومته

(١) د . محمد كمال الدسوقي : الدولة العثمانية والمسألة الشرقية ، ص ١٨٢ ـ ١٨٣ .

بيير رنوفان : تاريخ العلاقات الدولية في القرن التاسع عشر ، القسم الأول ، ص ١٣٥ .

(2) Document : F. O. 78/377. 61070. No. 1, P. 116.

(٣) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ٤٦٠ ـ ٤٦١ .

رزق الله منقريوس الصدفى : تاريخ دول الإسلام ، جـ ٣ ، ص ٣٢٢ .

السابق[١] ، عندئذ لم يتـردد اللورد بالمرسـتـون Palmerston فـي تـأليب الدول الأوروبية واستجماعها إلى جانبه ضد محمد على وأعوانه الفرنسيين ، وكللت جـهود الوزير البـريطاني بأن انحازت إلى حكومته كل من روسيا والنمسا وبروسيا إضافة إلى الدولة العثمانية ، لتضع هذه الدول مجتمعة كل من محمد علي وفرنسا أمام الأمـر الواقـع ، بعـد أن وقعت الدول الخمس على معاهدة لندن الشـهيرة والتي وضع بالمرستون Palmerston بواسطتها قواعد التسوية للمسألة المصرية التي شغلت الدول الأوروبية والدولة العثمانية ردحاً من الزمن .

في الخامس عشر من جمادى الأولى سنة ١٢٥٦ هـ الموافق للخامس عشر من يوليو سنة ١٨٤٠ م ، وقعت كل من بريطانيا وروسيا والنمسا وبروسيا والدولة العثمانية على معاهدة لندن[٢] ، والتي تألفت من وفاق مبرم بين الباب العالي من جهة والدول الأربع بريطانيا والنمسا وروسيا وبروسيا من جهة أخرى بشأن اعادة السلم في الشرق ، ومن مادة مفردة أو عقد مفرد ملحق بالاتفاق سالف الذكر[٣] .

---

(١) عبد الرحمن الرافعي : عصر محمد على ، ص ٢٩٠ .

(٢) ميخائيل شاروبيم بك : الكافى في تاريخ مصر القديم والحديث ، ص ٨٤ .

(2) Hurewitz. J. C. : Diplomacy in the Near and Middle, East, Vol. 1. P. 116.

(٣) د . السيد رجب حراز : المدخل إلى تاريخ مصر الحديث ، ص ٢٧٥ .

د . محمد فؤاد شكرى : مصر والسودان ـ تاريخ وحدة وادى النيل السياسية في القرن ١٩ ، ص ١٥ .

وقد تضمن الاتفاق تعهد أصحاب الجلالة ملوك الدول الموقعة على هذا الاتفاق بتوحيد جهودهم للعمل متفقين على الزام محمد علي بنص التسوية وروحها وفق الشروط التي يحددها السلطان العثماني في الوثيقة المستقلة الملحقة بهذا الاتفاق ، على أن يعمل كل منهم وفقا للوسائل المتوفرة له ، وفي حالة رفض محمد علي لهذه التسوية التي ستبلغ له من قبل السلطان ، فإن ملوك الدول الأوروبية يتعهدون حالما يطلب منهم السلطان ذلك بأن يتخذوا التدابير المتفق عليها فيما بينهم ، لتنفيذ هذه التسوية وأن يعطوا فورا الأوامر اللازمة لقادة أساطيلهم في البحر المتوسط لتنفيذ طلب جلالته في قطع المواصلات البحرية بين مصر وسوريا ، ومنع ارسال الجند والخيل والسلاح والذخائر والمؤن الحربية بمختلف أنواعها من أحد هذين الاقليمين إلى الآخر ، على أن يقدم قادة الأساطيل الأوروبيون كل المساعدات الممكنة لرعايا السلطان المقيمين على ولائهم وإخلاصهم لجلالته كما أبدى ملوك الدول الأوروبية الموقعون على هذا الاتفاق استعدادهم لتلبية طلب السلطان العثماني للدفاع عن عرشه ، ولصون البوسفور والدردنيل وعاصمة الدولة العثمانية من كل اعتداء فيما لو قام محمد علي بتوجيه جيوشه البرية والبحرية نحو الأستانة ، كما اتفق أصحاب الجلالة ملوك الدول الأوروبية الموقعون على هذا الاتفاق على أن يبقوا تلك القوة التي سيستعملونها لذلك الغرض في مواقعها الدفاعية وفق المدة التي يريدها السلطان العثماني وبعد انتهاء مهمتها ورغبة السلطان في عدم بقاءها تعود الى قواعدها في .

البحر الأسود والبحر المتوسط ، مع ملاحظة أن وضع العاصمة العثمانية والمضايق تحت حماية الدول الأوروبية المشار اليها انما هو تدبير استثنائي لصد كل اعتداء من جانب محمد علي ، وتم بناءاً على طلب من السلطان العثماني ، الذي أكد عزمه الصادق على الحفاظ على القاعدة القديمة والتي تحرم دخول الوحدات الحربية الأجنبية إلى مضيقي البوسفور والدردنيل ، وقد تعهد ملوك الدول الأوروبية باحترام هذه الإرادة السلطانية وبعدم الشذوذ عن هذا المبدأ الذي قررته ، وعلى أن يتم التصديق على الاتفاق ، وتبادل وثائقه في لندن خلال شهرين أو قبل ذلك إذا أمكن(١) .

وقد تضمن العقد المفرد الملحق بالاتفاق المشار اليه آنفا تلك الشروط التي ذكرتها معاهدة لندن ، والتي تكرم بها السلطان العثماني على محمد علي من أجل الصلح والتي كانت « تقوم على أساس أن يحتفظ محمد علي بباشوية مصر فقط وراثة في أسرته ، وبشريطة أن تظل مصر ولاية عثمانية مرتبطة بالدولة بقيود ، مثل دفع الجزية وتحديد الجيش والأسطول ، وأن يحتفظ محمد علي لمدة حياته فقط بحكومة الشام الجنوبية بما فيها عكا ، فإذا لم يقبل هذه الشروط خلال عشرة الأيام الاولى من تاريخ المعاهدة ، تنتزع

(1) Hurewitz. J. C. : Diplomacy in the Near and Middle, East, Vol. 1. P.P. 116 - 119.

د . سليمان بن محمد الغنام : قراءة جديدة لسياسة محمد علي باشا التوسعية ، ص ١٥٧ – ١٥٩ .

منه حكومة الشام الجنوبية وتعطي له باشوية مصر فقط ، فإذا أصر على عصيانه خلال عشرة أيام أخرى ، صار للسلطان الحق في العدول عما عرضه عليه ، وأصبح من حقه التصرف وفقاً لمصلحته ولما تنصحه به الدول ، وقد تعاهدت الدول بموجب الوفاق المبرم بينها على إرغام محمد علي على قبول هذه الشروط »(١) .

لقد أصبحت معاهدة لندن وما شملته من شروط مرفقه ، أمراً واقعاً لانهاء المسألة المصرية التي كانت عبئاً ثقيلاً على الساسة الأوروبيين بصورة عامة ، والساسة البريطانيين بصورة خاصة ، وهذا ما نلحظه عند استقرائنا لبنود هذه المعاهدة وشروطها المرفقة التي كانت توحي بالتحدي السافر من قبل الدول الأوروبية لمحمد علي وقواته ، إذ أنها قد حددت مدة زمنية تتجاوز عشرة أيام من تاريخ تبليغ الباشا بنصوص المعاهدة ، يخضع خلالها لطلبات الدول والسلطان العثماني ويرد الى الدولة العثمانية جزيرة العرب والأماكن المقدسة فيها ، وجزيرة كريت واطنة والشام ، لكي يمنح ولاية مصر وراثية وولاية عكا مدة حياته ، فإن لم يخضع لهذه التسوية يسحب السلطان من الباشا ولاية عكا ويبقى له ولاية مصر وراثية ، ويعطي مهلة زمنية لمدة عشرة أيام أخر ، فان لم يستحب بعد ذلك أخضعته الدول بالقوة ونظرت في أمره من جديد(٢) .

---

(١) د . السيد رجب حراز : المدخل إلى تاريخ مصر الحديث من الفتح العثماني إلى الاحتلال البريطاني ، ص ٢٧٦ .

(٢) محمد صبري : تاريخ مصر الحديث من محمد على إلى اليوم ، ص ٧٦ .

أمين سعيد : تاريخ الدولة السعودية من محمد بن سعود إلى عبد الرحمن الفيصل ، ص ١٥٤ ـ ١٥٥ .

لقد كانت بريطانيا حريصة على اقتلاع محمد علي من الشام ومن شبه الجزيرة العربية منذ أن عرفت أهدافه وطموحاته التي باتت تهدد مصالحها الاستراتيجيه والاقتصادية في المنطقة ، وذلك قبل أن تستجمع الدول الأوروبية ضده ، وقبل أن توقع معها معاهدة لندن سالفة الذكر ، فقد كانت الحكومة البريطانية ، وكان الساسة البريطانيون قد وطدوا العزم على الوقوف ضد محمد علي واعادته إلى ولاية مصر فقط دون غيرها ، فإلى جانب الدسائس واثارة الفتن التي يقوم بها الجواسيس الانجليز بين أهل الشام[1] ،كتب اللورد بالمرستون Palmerston وزير الخارجية البريطاني إلى قنصل حكومته في مصر الكولونيل هودجز Hodges طالبا إليه اعطاء ه معلومات وافية عن الأعداد والكفاءة العامة للجند الذين تمكن محمد علي من حشدهم لحماية الاسكندرية ، وكذلك جيوشه في سوريا ، وكذلك ابداء المرئيات حول القوة التي ستعد لهجوم ناجح على الاسكندرية واحتلالها ، وعن التأثير الذي يمكن أن تخلفه على المدينة ومخازن الأسلحة والقصر والسفن في الميناء[2] ، بينما كان آمر الحملة العسكرية إلى نهر الفرات يتخذ مواقع هامة لحملته تلك على الشاطيء الأيمن لنهر الفرات ، وعلى بعد أربعة أميال من البصرة بناء على تعليمات من حكومته[3] ، في الوقت الذي كان فيه المقيم البريطاني في بغداد الكولونيل تايلور Taylor ، يرفع التقارير تباعاً إلى حكومته

---

(١) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ٤٦٣ .

(2) Document : F.O. 78/377. ^{X}C/A/61070.No. 2. P.P. 3 - 4.

(3) Document : (I. O. R.) L/P, S/9/113. No. 1607, and 1609 and 1583.

مضمنا اياها ما يحيط بذلك الاقليم من أخطار كثيرة ، تأتي في مقدمتها أطماع وطموحات محمد علي وحلفائه الفرنسيين ، مما يهدد المصالح البريطانية في المنطقة(١) ، ورغم ورود أنباء من شبه الجزيرة العربية تفيد بانسحاب قوات خورشيد باشا وتسليم زعامة نجد الى الأمير خالد بن سعود ، إلا أن تايلور Taylor يعتقد بأن خورشيد باشا يعتزم البقاء في نجد في الوقت الحاضر وربما توجه الى بغداد(٢) .

وقد قام القنصل البريطاني في مصر الكولونيل هودجز Hodges بتحريات كاملة أخرى لدى محمد علي ، لمعرفة نواياه وأهدافه التوسعية في اليمن ، وفي ميناء عدن الذي أصبح يخضع للحكومة البريطانية ، وكذلك طموحاته في شبه الجزيرة العربية ، وما ترتب على ذلك من قيام علاقات سياسية قوية مع شاه ايران ، محذرا اياه من تلك التصرفات التي تضر بالمصالح البريطانية ، خاصة في هذه المرحلة الحاسمة كما يقول المسئول البريطاني(٣) .

وبعد إبرام معاهدة لندن قام القنصل البريطاني في سوريا بابلاغ بعض الأعيان والأمراء في الشام بذلك الاتفاق ، وأن الدول الأوروبية عاقدة العزم على اجبار المصريين على الجلاء عن سوريا عاجلاً أم آجلاً ، وأنه من

---

(1) Document : (I. O. R.) L/P, S/9/115. No. 26.

(2) Document : (I. O. R.) L/P, S/9/115. No. 25.

(3) Document : F. O. 78/404. P.P. 97 - 99.

الأفضل لهؤلاء الأمراء والأعيان الالتجاء إلى الدول الأوروبية أو العودة الى طاعة الدولةالعثمانية[1] .

أما فرنسا فقد استطاع وزير خارجية بريطانيا اللورد بالمرستون Palmerston أن يعزلها عن المسألة المصرية تلك ، بعد أن تمكن من توقيع معاهدة لندن مع الدول الأوروبية العظمى دون الرجوع الى فرنسا ، أو أخذ رأيها في الأزمة ، ولم يكتف بذلك بل هددها بحرب عامة رغم أنه كان واثقاً من أنه لن يصل إلى ذلك ، لأن رئيس الحكومة الفرنسية تييرس Thiers لم يكن ليلجأ إلى الحرب إلى جانب محمد علي ، رغم تهديداته للسلطان العثماني ، وإرسال الأماني والوعود الكثيرة إلى محمد علي[2] ، ولعل ذلك ما لحظه القنصل النمساوي في الشام حين أكد لأحد الأعيان بأن دولة الانجليز ودولة النمسا دولتان محاربتان مع الدولة العثمانية ، انما فرنسا تلزم الحياد كأنها قدمت لتشاهد فشل حليفتها وانكسارها[3] ، وقد أعلنها صراحة اللورد Palmerston ، بعد معاهدة لندن بشهرين وبضعة أيام ، حين كتب الى سفيره في باريس والأزمة على أشدها ، لكي يبلغ رئيس الحكومة الفرنسية بأن فرنسا ستخسر الكثير ان هي بدأت حربا ضد انجلترا ،

---

(١) سهيل زكار : بلاد الشام في القرن ١٩ ، دراسة وتحقيق ـ مشهد العيان بحوادث سوريا ولبنان ، د . ميخائيل مشاقة ، ص ١٨٥ .

(٢) بيير رنوفان : تاريخ العلاقات الدولية في القرن التاسع عشر ، القسم الأول ، ص ١٣٨ .

(٣) سهيل زكار : بلاد الشام في القرن ١٩ ، دراسة وتحقيق ـ مشهد العيان بحوادث سوريا ولبنان ، د . ميخائيل مشاقة ، ص ١٨٦ ـ ١٨٧ .

وأنها ستشهد خسارة سفنها ومستعمراتها وتجارتها ، قبل أن تشهد نهاية تلك الحرب ، وأن محمد علي سيكون حينئذ قد أغرق في النيل[١] .

لقد كانت معاهدة لندن أبعد مدى من التوصل الى حل للمسألة المصرية من وجهة نظر بالمرستون Palmerston ، الذي قال : انه من اللازم إعطاء درس لفرنسا وجعلها تفهم عمليا أن كلماتها ورغباتها ليست قانون أوروبا ، ولا شك في أن مصالح بريطانيا في البحر المتوسط ، وطبيعة وزير الخارجية البريطانية ، كانت تكفي لشرح هذا المسلك في السياسة الانجليزية[٢] ، فالتصميم الشخصي الذي يمتاز به بالمرستون Palmerston وقوة بريطانيا البحرية ، جعلته يضرب الحصار البحري على الاسكندرية رغم رفض فرنسا التعاون معه ، ورغم الغضب الذي انتاب المسئولين الفرنسيين وفي مقدمتهم رئيس الوزراء ، والصحافة الفرنسية ، والذين رأوا في استبعاد فرنسا من اتفاقية لندن اهانة شنعاء لحقت بهم ، الا أن ذلك كله لم يغير من الأمر شيئا ، ولم يثن بالمرستون Palmerston عن توجهاته ومخططاته[٣] .

---

(١) د . محمد كمال الدسوقي : الدولة العثمانية والمسألة الشرقية ص ١٨٧ .

(٢) بيير رنوفان : تاريخ العلاقات الدولية في القرن التاسع عشر ، القسم الأول ، ص ١٣٦ ـ ١٣٧ .

(٣) أ . ج . جرانت وهارولد تمبرلي : أوروبا في القرنين التاسع عشر والعشرين ، جـ ١ ، ص ٣٣٧ ـ ٣٣٨ .

أرسلت الدولة العثمانية محمد رفعت بك إلى محمد علي في منتصف سنة ١٢٥٦ هـ الموافق لشهر أغسطس سنة ١٨٤٠ م ، ليبلغ الباشا بقرارات الدول التي وقعتها في معاهدة لندن ، وأنه إذا لم يقبل بشروط تلك المعاهدة خلال عشرة أيام فستسحب منه ولاية عكا ولن يبقى له سوى ولاية مصر ، على أن يوافق على الشروط المدونة في المعاهدة تلك في خلال عشرة أيام أخرى ، وإلا سحبت منه ولاية مصر أيضاً وأرغم على الانسحاب من الشام والجزيرة العربية بالقوة وبمساعدة عسكرية مباشرة من الدول التي وقعتها ، خاصة وأن بريطانيا والنمسا قد قطعتا وعداً صريحاً بتقديم المعونة البحرية للسلطان العثماني إذا رفض محمد علي الشروط المفروضة عليه[١] .

وقد قام محمد رفعت بك ووكلاء الدول الأوروبية في مصر بابلاغ شروط معاهدة لندن لمحمد علي ، وحذروه عواقب الامتناع عن تنفيذ بنود المعاهدة وبعد انقضاء الموعد دون وجود أية بادرة بالموافقة من قبل الباشا أبلغ بالانذار الثاني وهو اعطاءه ولاية مصر فقط ، وسحب ولاية عكا منه ، وأعطي مهلة العشرة أيام الثانية ، وقد حاول الباشا انتهاج سياسة اللين والمداهنة مع السلطان العثماني ، حين كتب إلى السلطان العثماني رسالة مباشرة وسلمها لمندوب الدولة العثمانية محمد رفعت بك عارضا عليه انهاء

---

(١) الميرالاى إسماعيل سرهنك : حقائق الأخبار عن دول البحار ، جـ ١ ، ص ٦٩٠ .

د . محمد كمال الدسوقي : الدولة العثمانية والمسألة الشرقية ، ص ١٨٥ .

د . سليمان بن محمد الغنام : قراءة جديدة لسياسة محمد علي باشا التوسعية في الجزيرة العربية ، ص ١١٦ .

الخلاف بينه وبين الباب العالي دون تدخل الدول الأوروبية ، الا أن ذلك لم يؤد الى نتيجة حاسمة حين اعتبر مندوبوا الدول أن هذا المسلك يعد رفضا لمعاهدة لندن وشروطها من قبل الباشا ، وتم تدوين محضر بذلك ، ليصدر السلطان العثماني فرمانا بخلع محمد علي من ولاية مصر ، ولتصبح الحرب وشيكة الوقوع بين الدول الأوروبية ومحمد علي(١) .

تزعمت بريطانيا الدول الأوروبية والدولة العثمانية في تنفيذ بنود معاهدة لندن ، وساعدتها في ذلك النمسا والدولة العثمانية ، فأرسلت الأساطيل الحربية البحرية لتحاصر سواحل الشام ، وتستولي على المدن والموانيء الهامة ، في حين تم انزال بعض عساكر الدولة العثمانية إلى البر وقد استولت القوات البريطانية على ميناء اللاذقية وبيروت ، وبعد أن أطلقوا النيران على مدينة عكا لمدة ثلاث ساعات متوالية تم لهم الاستيلاء عليها بما فيها من عتاد وذخائر كان إبراهيم باشا يعتمد عليها في المقام الأول، ليبدأ انهزام قواته، وتقهقر جنوده إلى الداخل ، إلا أن العداوة التي كان يظهرها الأهالي ، والثورات التي يقابل بها الجنود المصريون ، والهزائم المتتالية التي بدأت تحل بالقوات المصرية على أيدي جنود الدولة العثمانية وحلفائها من البريطانيين والنمساويين ، جعلت إبراهيم باشا ينسحب بعساكره من الشام إلى مصر ، وليواجه بكثير من الأخطار والصعوبات في الطريق البري إلى مصر كانت سببا في هلاك كثير من جنوده(٢) .

---

(١) عبد الرحمن الرافعي : عصر محمد على ، ص ٢٩٥ ـ ٢٩٧ .

(٢) الميرالاى إسماعيل سرهنك : حقائق الأخبار عن دول البحار ، جـ ١ ، ص ٦٩٠ ـ ٦٩١ .

رزق الله منقريوش الصدفى : تاريخ دول الإسلام ، جـ ٣ ، ص ٣٢٣ .

طنوس بن يوسف الشدياق : أخبار الأعيان في جبل لبنان ، ص ٥٨٨ ـ ٥٨٩ .

في أواخـر شهـر رمضان سـنة ١٢٥٦ هـ الموافـق الثاني والعشريـن من نوفمبر سنة ١٨٤٠ م ، بـلغ الأدميرال تشارلز نابيير , Admiral , Charles Napier وأسطولـه ميـاه الاسكندرية ، مـهددا بلغة الحديد والنار ، ومؤكـدا لمحمد علي بأنـه ما لـم يستسلم للأمـر الواقع ، ويتعـهد بإعادة الأسطول العثماني للباب العالي ، والجلاء عـن سوريـا ، وإلا أرغمتـه الدول الأوروبية على ذلك وحرمته مـن كل شيء حتى ولاية مصـر ، حينئذ لم يجد الباشا بدا مـن التسليم لرغبـة الدول العظمى ، والتمسك بآخـر خيط للأمل وهو التزام القائـد البريطـاني لـه بضمان ولايتـه الوراثيـة لمصر ، وبعد مداولات ، وأخذ ورد ، التـزم المسئول البـريطاني بذلك ليخضـع البـاشـا حينئذ لقـرارات الدول الأوروبيـة بعـد أن ضـمنـت لـه ولايـة مصـر ولايـة وراثيـة ، ليتم الاتفـاق ، والتوقيع على قـرار الانسـحـاب في الثـاني من شـهـر شـوال سنة ١٢٥٦ هـ الموافق للسابـع والعشرين مـن نوفمـبر سنة ١٨٤٠ م[١] .

حاول السلطان العثماني التمسك بقرار عزل محمد علي عن ولاية مصـر نظـرا لعـدم تنفيـذه لشـروط معـاعدة لندن ، وكـادت بريطانيـا أن تتنكر لاتفـاق الباشا مع قائد الاسطول البريطاني نابيير Napier وتحصـر ولايته على مصـر مدة حياته فقط[٢] ، إلا أن وزير خارجية بريطانيا اللورد بالمرستون Palmerston

(١) أ . ج . جرانت وهارولد تمبرلى : أوروبا في القرنين التاسع عشر والعشرين ، جـ ١ ، ص ٣٣٩.
أمين سعيد : تاريخ الدولة السعودية من محمد بن سعود إلى عبد الرحمن الفيصل ، ص ١٥٥ .
رزق الله منقريوش الصدفى : تاريخ دول الإسلام ، جـ ٣ ، ص ٢٢٣ .
(٢) محمد صبرى : تاريخ مصر الحديث من محمد على إلى اليوم ، ص ٧٧ .

قــد أقـر المسئــول البريطــاني على اتفاقــه ذاك ، وسـعى لدى الـدول الأوروبية التي أمـضت مـعـاهــدة لـندن لكي تطلـب مــن البـاب العالي العـدول عـــن قـرار عـزل البـاشـا عن مـصـر ، ولا غـرو في ذلك فـأهداف الوزير البـريطاني ومـخططاتــه ، والتي ختمـهـا باقـتلاع الباشا من الشـام بالقـوة المسلحـة قد تحققـت ولم يعـد هنــاك أي مـجـال للخوف من خطر قد يقوم به البـاشا يهدد مــن خلالــه مـصـالح بريطانيـا في الجزيرة العربية والعراق ومن ثم مصـالحها في الهند ، ولم يقبل البـاب العـالي هذا الاتفاق إلا بعــد تردد واحـجـام ، وتداول عدة مـخاطبات بينه وبين الدول الأوروبية المعنية في اتفاق لندن ، ليصدر بذلك فـرمـان هـمـايوني في الحـادي والعـشـرين من ذي القـعـدة سنة ١٢٥٦ هـ ، المصادف للرابع عشر من يناير سنة ١٨٤١ م ، يمنح بموجبه محمد علي حكم مصر حكماً وراثياً[١] .

ومن ثم تمت تسوية المسألة المصرية في عدد من الفرمانات السلطانية وفـق القـواعد الأسـاسـيـة لمعاهــدة لندن ، ووفق رغـبـات الدول الأوروبيـة التي أبرمت هذه المعاهدة ، وحدد الوضـع الدستوري لحكومة محمد علي في مصـر ، بحيث يدفـع للدولة العـثـمـانيـة ضـريبـة سنوية تصل الى ثلاثين مليـون قـرش ، خفضت بعد ذلك حسب رغبة الدول الأوروبية ، بينمـا حدد جيشه بحيث لا يزيد عـن ثـمـانيـة عـشـر ألف جنـدي ، فـي الوقـت الذي منـع فيــه البـاشـا مـن بناء السفن الحربية الا بموافقة السلطان ، وعلى أن تطبق في مصـر كافة القوانين ونظم الضـرائب المعمول بها في سائر أنحاء الدولة العثمانية ، كما يتعين على

---

(١) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ٤٦٩ ، ٤٧٤ .

محمد علي في مصر الاعتراف بكل المعاهدات التي عقدها الباب العالي مع الدول الأجنبية ، وتعتبر ملزمة لحكومته(١) .

ورغم أن الحكومة الفرنسية قد انضمت إلى معاهدة لندن الشهيرة ، لتسير مع الاجماع الأوروبي في أواخر شهر محرم سنة ١٢٥٧ هـ الموافق للخامس عشر من مارس سنة ١٨٤١ م(٢) ، إلا أن انتصار الحكومة البريطانية ووزير خارجيتها اللورد بالمرستون Palmerston ، قد اكتمل حينما وقعت الدول الأوروبية الخمس بما فيها فرنسا مع الدولة العثمانية ، اتفاقية تاريخية خاصة بالمضايق والتي تم التوقيع عليها في الثالث والعشرين من جمادى الأولى لسنة ١٢٥٧ هـ الموافق للثالث عشر من يوليو سنة ١٨٤١ م ، وقد تعهدت بموجبها الدول العظمى والسلطان العثماني بعدم السماح لأي سفن حربية بدخول مضيقي البوسفور والدردنيل طالما أن الدولة العثمانية في حالة سلم(٣) ، وبذلك وجهت الدبلوماسية البريطانية من خلال هذه الاتفاقية ضربة قاضية لما خلفته معاهدة انكيار سكليسي ، من امتيازات وآثار وقتية حصلت عليها روسيا وأقلقت أوروبا ردحاً من الزمن .

---

(١) د . محمد كمال الدسوقي : الدولة العثمانية والمسألة الشرقية ، ص ١٨٨ ـ ١٨٩ .
كارل بروكلمان : تاريخ الشعوب الإسلامية ، ص ٥٦٥ ، د . السيد رجب حراز : المدخل إلى تاريخ مصر الحديث ، ص ٢٨٠ .

(2) H. Temperly and L. M. Penson : Foundations of British Foreign Policy, P. 130.

(٣) أ . ج . جرانت وهارولد تمبرلي : أوروبا في القرنين التاسع عشر والعشرين ، جـ ١ ، ص ٣٤٠، بيير رنوفان : تاريخ العلاقات الدولية في القرن التاسع عشر ، القسم الأول ، ص ١٤٠ .

وقد حققت بريطانيا من خلال معاهدة لندن وما أعقبها من اتفاقيات دولية ، وانتصارات عسكرية ، ما كانت تطمح اليه من إقتلاع جيوش محمد علي والقضاء على طموحاته وتطلعاته في شبه الجزيرة العربية والخليج العربي .

ورغم أن محمد علي كان قد حاول انتهاج سياسة الملاينة ، واظهار النوايا الحسنة ، فيما يتعلق بالمصالح البريطانية في وسط وشرقي الجزيرة العربية ، وذلك باصدار وذلك باصدار ارادته رقم ٢١ ، في الثاني من شهر رجب سنة ١٢٥٥هـ ، العاشر من سبتمبر سنة ١٨٣٩ م ، إلى قائد قواته هناك خورشيد باشا ، مشيرا اليه فيها بتسليم مقاليد الأمور إلى خالد بن سعود ، واقفال باب المصروفات الذي فتح لنجد والعودة الى مصر ، لأن الوقت ليس وقت المصلحة التي يأملها الباشا ويتمنى تحقيقها[١] ، ولأنه قد أدرك بشكل واضح اعتزام بريطانيا التصدي له ولطموحاته ، إلا أن ذلك لم يحل دون توقيع معاهدة لندن وشروطها التي اشارت بصورة واضحة الى حتمية انسحاب الباشا من الجزيرة العربية ، لا سيما وأن القائد المصري فيها كان يسير على نفس النهج السياسي لمحمد علي ، إذ كان يبدي رغباته واقتراحاته بضرورة الابقاء على الجزيرة العربية كتابعة لحكومة الباشا في مصر ، وترك حامية قوية لمساعدة الامير خالد بن سعود في تدعيم نفوذه والمحافظة على الولاء للحكومة المصرية[٢] .

---

(١) وثيقة تركى ، ارادة رقم ٢١ ، محفظة ٢٦٧ عابدين ، محافظ الحجاز رقم ٨ ، دار الوثائق القومية بالقاهرة .

(٢) وثيقة تركي ، ٢ أصلية ، ١٠٥ حمراء ، محفظة ٢٧٠ عابدين ، محافظ الحجاز رقم ١٠ ، دار الوثائق القومية بالقاهرة .

ولقد كانت التسوية التي قامت بها الدول الأوروبية بزعامة بريطانيا ، وتلك القرارات والشروط التي تم التوقيع عليها في معاهدة لندن الشهيرة وما أعقبها من اتفاقيات دولية ، كفيلة بوضع مصر في موضع ينتهي حتماً بارتباك شئونها ارتباكا يقضي على ما لها من استقلال داخلي محدود[1] ، اذ أن الباشا قد تقلص نفوذه بعد تجريده من كثير من قوته العسكرية والبحرية ، وانتزعت منه جميع الأراضي خارج مصر ، اضافة الى فقده بعض الاستقلال الاداري الداخلي ، لتصبح مصر بعد ذلك مشرعة الأبواب للتدخل الأجنبي وبالتالي وضعها تحت الاشراف أو الوصاية الأوروبية[2] .

لقد عبر دي مارتنس DeMartens ، أحد كبار العلماء في القانون الدولي عن أثر معاهدة لندن وما سمي بالحل الدولي ، على الحكومة المصرية بقوله : « ان الوضع الذي صار لحكومة مصر كما حددته وعينته معاهدة لندن في ١٥ يوليه ١٨٤٠ م يظل قائما ولا يمكن المساس به اطلاقاً ، ولابد من حصول إتفاق الدول سلفاً حتى يمكن تعديله أو إبطاله وإلغاؤه ..»[3] .

---

(١) الاستاذ محمد شفيق غربال : منهاج مفصل لدروس العوامل التاريخية في بناء الأمة العربية ، ص ٩٦ .

(٢) د . محمد فؤاد شكرى : مصر والسودان وتاريخ وحدة وادى النيل السياسية في القرن ١٩ ، ص ٢٠ ــ ٢١ .

جون مارلو : تاريخ النهب الاستعمارى لمصر ، ص ٣٢ .

(٣) د . السيد رجب حراز : المدخل إلى تاريخ مصر الحديث من الفتح العثماني إلى الاحتلال البريطاني ، ص ٢٨١ .

ويظهر لنا من استعراضنا لما سبق التطرق اليه من الموقف البريطاني الذي وقفته حكومة اللورد بالمرستون Palmerston ، ازاء طموحات وأهداف محمد علي باشا في الشام وفي الجزيرة العربية ، يتبين لنا أن الحكومة البريطانية قد وضعت كامل ثقلها السياسي ، ثم العسكري في وجه الباشا ، لكي لا يحقق آماله وطموحاته ، لأن ذلك يتعارض البتة مع مصالح واستراتيجيات بريطانيا في المنطقة وقد تحقق لها ما تصبو اليه حين تمكنت من تأليب الدول الإوروبية على الباشا ، لتصل إلى حل المسألة المصرية حلاً دولياً من خلال معاهدة لندن المعروفة ، ولتكبل الباشا بمجموعة من الفرمانات السلطانية ، التي ترتكز على تلك المعاهدة وتنطلق منها ، وكأن معاهدة لندن تلك ما هي إلا حلا بريطانيا في صورة تجمع أوروبي دولي ، ليأخذ الشرعية القانونية أمام الرأي الأوروبي والدولة العثمانية التي كانت في حاجة إلى هذا التدخل لتوقف أطما ع تابعها القوى الذي بدأ نجمه يسطع على أجزاء مختلفة من أملاك الدولة ، بل تعداها إلى العاصمة العثمانية ذاتها ، إلا أن بريطانيا كانت له بالمرصاد ، لتوقفه عند حده وتعيده الى مصر كأحد الولاة التابعين للدولة العثمانية ، لا يحيد عنها قيد أنملة ، وإلا فالدول الأوروبية التي تقودها بريطانيا جاهزة للتدخل وبشتى الصور ، سواء سياسية كانت أم عسكرية .

هـ ـ انسحاب محمد علي
من شبه الجزيرة العربية

لم تعد الحكومة البريطانية تخفي قلقها المستمر منذ أن حاول خورشيد باشا القائد المصري في وسط وشرقي الجزيرة العربية، دخول البحرين والتقدم بقواته إلى البصرة وبغداد ، لأن بريطانيا كانت تظهر خوفها وخشيتها دائما من تبعات تلك السياسة التي ينتهجها محمد على باشا في سبيل تحقيق طموحاته وأهدافه التوسعية في شبه الجزيرة العربية ، وبخاصة في منطقة الخليج العربي وسواحل اليمن ، وفي البصرة وبغداد ، لأنها ترى في تلك السياسة خطرا جسيما يهدد مصالحها الاستراتيجية والاقتصادية في الهند وطرق مواصلاتها اليها .

ورغم احتلالها لميناء عدن الهام الذي يُمَكِّنُها من السيطرة على مياه البحر الأحمر وجنوبي الجزيرة العربية ، إلا أن تقارير المقيم البريطاني في بغداد الكولونيل تايلور Colonel Taylor ، والذي أكد فيها تطلعات محمد علي نحو الشاطيء الجنوبي للخليج العربي ، ونحو البصرة وبغداد[1] ، قد أخرجت بريطانيا عن سياستها التقليدية في المناورات السياسية لتكشر عن أنيابها مهددة باستخدام القوة ، تجاه أي تقدم يقوم به القائد المصري في الجزيرة العربية خورشيد باشا تجاه البحرين والخليج العربي أو البصرة وبغداد في العراق .

(1) Document : (I. O. R.) L/P, S/9/103. P. 184.

لم يكن محمد علي بمنأى عن أبعاد السياسة البريطانية التي تعمل ليل نهار لاخراجه من الجزيرة العربية والخليج العربي ، مما جعله يضطر الى مجاملة الحكومة البريطانية والتقرب اليها اتقاء لشرها ، لا سيما وأنها قد احتلت ميناء عدن الهام ، وأنذرت حكومة الباشا بالانسحاب من منطقة الخليج العربي وجنوب الجزيرة العربية ، كما وطدت سلطانها مع كثير من الأمراء والمشائخ في تلك المنطقة ، وزادت من حجم تجارتها مع الدولة العثمانية[1] .

ولقد كان محمد علي حريصا منذ حروبه الأولى في الجزيرة العربية على كسب صداقة وثقة البريطانيين ، لأنه يدرك ثقلهم السياسي والاقتصادي بين دول أوروبا[2] ، وعندما طلب القائد المصري في الجزيرة العربية ارسال سفن بحرية من ميناء جدة الى الخليج العربي ، أوضحت حكومة الباشا صراحة للمسئول المصري عدم قدرتها على تلبية طلبه لأنه يتعارض مع رغبة الانجليز الذين لن يوافقوا على ارسال هذه السفن إلى الخليج العربي ، وعليه عدم التعريض بنفسه وبسمعة حكومته ، بل يضع تبعات الأحداث التي تجري هناك على عاتق الأمير خالد بن سعود[3] ، ولم يعقب ذلك إلا صدور الأوامر

---

(١) د . محمد كمال الدسوقي : الدولة العثمانية والمسألة الشرقية ، ص ١٨١ .

ج . ج . لوريمر : دليل الخليج ، القسم التاريخي ، جـ ٢ ، ص ٧١٢ .

(٢) جورج فورستر سادلير . رحلة عبر الجزيرة العربية خلال عام ١٨١٩ م ، ص ١٠٦ .

(٣) وثيقة تركي ، ارادة رقم ٧ ، محفظة ٢٦٧ عابدين ، محافظ الحجاز رقم ٧ ، دار الوثائق القومية بالقاهرة .

مـن حكومـة البـاشـا إلى خـورشـيـد بـاشـا في ٢٥ ربيع الأول سنة ١٢٥٥ هـ الموافق للحادي عشر من يونيو سنة ١٨٣٩ م ، تأمره بعدم التدخل في شئون البحرين وأن يترك الشيخ عبد الله بن أحمد مستقلا يتدبر أمورها بنفسه ، ولكي تثبت حكومة محمد علي حسن نيتها للبريطانيين أعطت صورة من هذه الأوامر للحكومة البريطانية التي سارعت بارسال نسخة منها إلى المقيم البريطاني في الخليج ، لكي يبعثها بدوره إلى شيخ البحرين ، حيث بدأ المقيم البريطاني بعد ذلك في الاعلان عن انفصال البحرين عن السيادة المصرية ، والانضواء تحت السيادة البريطانية[١] ، ثم أتبع ذلك « بتـوزيع منشـورات دعـائيـة في امـارات الخليج يؤكد فيهـا أن السياسة التي ينتـهجـها القـائد خورشـيد انما هي من وحي تفكيره الشخصي وأن محمد علي لا يرضى عن حركات خورشيد ولا عن تصـرفاتـه في بـلاد الخليج »[٢] ، في الوقت الذي صدرت فـيه التـعليمـات إلى المقيم البريطاني في الخليج من حكومـته بأن لا يكون حجر عثرة أمام سلطان مسقط فيما لو أراد أن يغزو البحرين التي أصبح شيخها من مؤيدي النفوذ المصري في المنطـقـة ، إلا أن سلطان مـسقط قد طلب الحـماية البريطانية وتزويده بالسـلاح والرجـال ، لكي يسـتطيع اخـضـاع البـحـرين ، غـير أن هذا الأسلوب لم يكن مرغوباً في السياسـة البريطانيـة مما جعل المقيم البريطاني لا يعطي وعداً بذلك لسلطان مسقط[١] .

(1) Document : F. O. 78/374. No. 42. xC/A/61064.

د . د . فائق حمدى طهبوب : تاريخ البحرين السياسي ١٧٨٣ ـ ١٨٧٠ م ، ص ٢٠٥ .

(٢) أحمد عسه : معجزة فوق الرمال ، ص ٣٩ ـ ٤٠ .

(٣) د . فائق حمدى طهبوب : تاريخ البحرين السياسي ١٧٨٣ ـ ١٨٧٠ م ، ص ٢٠٨ .

حاول محمد على أن يتغلب على المعارضة البريطانية لتوسعه في اليمن ، لا سيما وأن سياستها العدائية تجاه طموحاته وأهدافه قد بدأت تبرز منذ احتلالها لميناء عدن ، وقد عرض عليهم صداقته واستعداده لمراعاة المصالح البريطانية في الجنوب العربي ، ولكن انتصاره في معركة نصيبين ضد الدولة العثمانية كان سببا آخر لتوجه بريطانيا عن طريق ممثلها في القاهرة انذارا للباشا لكي يسحب قواته من جميع بلاد اليمن ، ولما كان جواب الباشا الذي بعثه على لسان وزير خارجيته بوغوص بك يميل الى الغموض وعدم البت فيما طلب منه ، فقد سارع وزير خارجية بريطانيا اللورد بالمرستون Palmerston إلى استدعاء سفير حكومته في مصر الكولونيل كامبل Campbell وتعيين الكولونيل هودجز Hodges سفيرا لبريطانيا في مصر ، مع تزويده بتعليمات جديدة كان على رأسها البعد عن أسلوب المجاملة واستخدام لغة الحزم والعنف مع الباشا لاقناعه بالجلاء عن اليمن(١) .

لم يكن محمد علي ليغفل عن الأحداث الدائرة في اليمن ، بل كان يتتبعها ويبعث الى قائد قواته هناك بتعليمات مباشرة لكي يطلعه على كل ما يجري على أرض اليمن خاصة من قبل السلطات البريطانية التي تحتل عدن(٢) ، غير أن ممثل الحكومة البريطانية في عدن الكابتن هينز Haines بعث برسالة إلى قنصل حكومته في القاهرة مؤكداً له فيها قيام محمد علي

(١) د . عبد الحميد البطريق : من تاريخ اليمن الحديث ١٥١٧ ـ ١٨٤٠ م ، ص ١٠١ ـ ١٠٣ .

(٢) صورة الوثيقة العربي رقم ٢٤ حمراء ، محفظة ٢٦٧ عابدين ، محافظ الحجاز رقم ٧ ، دار الوثائق القومية بالقاهرة .

بتحريض القبائل المجاورة لعدن بالهجوم على الحامية البريطانيـة في عدن وأن الباشا أرسل مبعوثا من قبله يدعى سعيد حسين في مهمة رسمية إلى امام صنعاء ، وفي الثامن عشر من شهر ذو الحجة سنة ١٢٥٥ هـ الموافق للثاني والعشرين من فبراير سنة ١٨٤٠ م ، بعث القنصل البريطاني في مصر برسالة إلى وزير خارجيته اللورد بالمرستون Palmerston أطلعه فيها على كامل المحادثة التي دارت بينه وبين الباشا ، والتي وجه من خلالها تحذيراً صريحاً للباشا لكي يتوقف عن هذا الأسلوب السياسي الذي ينتهجه ضد بريطانيا ومصالحها في المنطقة ، والذي ظهر من خلال إرساله لذلك المندوب ، وتدعيمه لعلاقاته مع شاه ايران في هذه الفترة الحاسمة التي تمر بها حكومته مع الحكومة البريطانية(١) ، في الوقت الذي بعث فيه المقيم البريطاني في بغداد برسالة الى اللجنة السرية في السابع والعشرين من شهر محرم سنة ١٢٥٦ هـ الموافق للحادي والثلاثين من مارس سنة ١٨٤٠م ، شارحاً فيها انقطاع الاخبار عن تحركات قائد قوات محمد علي في وسط الجزيرة العربية خورشيد باشا ، إذ أنه لم يعد يعرف عنها شيئاً(٢) .

ولقد أدرك محمد علي أن احتلال بريطانيا لعدن كان ضربة موجهة إلى مشروعاته وآماله في جنوب الجزيرة العربية ، ولارغامه على الانسحاب من اليمن ، ومن الجزيرة العربية بشكل عام ، وأدرك بشكل قاطع نوايا الحكومة

---

(1) Document : F. O. 78/404. P.P. 97 - 99.

(1) Document : (I. O. R.) L,P S/9/114. No. 13.

البريطانية تجاه طموحاته بعد أن أصبحت التحذيرات والتهديدات تتوالى عليه ، من الممثل البريطاني في مصر كل حين وآخر ، في الوقت الذي تتزعم فيه بريطانيا دول أوروبا لمساندة الدولة العثمانية والتصدي لقوات الباشا التي انتصرت في معركة نصيبين ، عند ذلك أكد محمد على للقنصل البريطاني في مصر الكولونيل هودجز Hodges ، أنه قد قام باستدعاء قواته في شبه الجزيرة العربية ، وأن خورشيد باشا الذي يقود جيشا مؤلفا من ثمانية آلاف جندي نظامي سيصل إلى الاسكندرية قريبا ، أما إبراهيم باشا يكن فقد أعطيت له تعليمات من حكومة الباشا لكي يبقى في مكة المكرمة ، مع فرقته المؤلفة من ستة آلاف جندي نظامي ، وأنه لن يعود إلى مصر إلا إذا فشلت المفاوضات التي يجريها الباشا مع السلطان العثماني كما يقول(١) .

لقد كان محمد علي عازماً على استدعاء قواته في الجزيرة العربية قبل صدور قرارات معاهدة لندن بعشرة أشهر كاملة ، إذ أن ارادته رقم ٢١ في الثاني من رجب سنة ١٢٥٥ هـ ، الموافق للعاشر من سبتمبر سنة ١٨٣٩ م ، قد صدرت إلى خورشيد باشا « بأن يبين له أن ليس الوقت وقت المصلحة التي تصورها وآملها ، وأن أساس وظيفته أن يعمل ما يعمله لجمع الجمال ، حتى إذا أتم ذلك يترك خالد بك هو والعسكر بالذي يكفيه ويكفيهم لادارتهم بايراد تلك ، وينظر في وسيلة ملائمة وبصورة سهلة لتكون جزيرة البحرين وغيرها التابعة لأجدادهم منذ القديم تابعة بطبيعتها للمير المومى اليه ، ثم بعد إتمام ما ذكر يقوم ويأتي لهذا الطرف ، ويغلق باب المصروفات الذي فتح لنجد »(٢) .

(1) Document : F. O. 78/404. P. 99. 22/2/1840.

(٢) وثيقة تركى ، ارادة رقم ٢١ ، محفظة ٢٦٧ عابدين ، محافظ الحجاز رقم ٨ ، دار الوثائق القومية بالقاهرة .

لم تكن رغبة محمد علي في الانسحاب من الجزيرة العربية نابعة من اقتناع ذاتي ، أو لسبب استراتيجي كما يؤوله البعض ، ولكنها كانت استجابة المكره الذي يواجه التهديدات البريطانية المتكررة التي تنذره بين الفينة والأخرى بعدم التوسع في الجزيرة العربية والخليج العربي ، وكان القنصل البريطاني في مصر كفيل بنقل هذه التهديدات التي توجهها حكومته للباشا ، والتي حققت لها في نهاية الأمر بلوغ رغبتها المنشودة ، حين أوعز محمد علي إلى قائدي قواته في الشام وفي الجزيرة العربية بالتراجع إلى الخلف وأن تعتبر الحرب في الشام على وشك الانتهاء ، بينما يكف قائد الجيوش في الجزيرة العربية عن التدخلات في الخليج العربي وبالذات في جزيرة البحرين[١] .

وقد حاول خورشيد باشا قائد قوات محمد علي في الجزيرة العربية ، أن يقنع حكومة الباشا لكي تبقى على عدد كبير من الجنود ، ليقوموا بحفظ الأمن وضمان الولاء مع خالد بن سعود ، ولأن العائد الاقتصادي بعد بضع سنوات سيكون مفيدا ، ولن تدفع الحكومة المصرية لهم أي مرتبات ومصروفات ، بل سيكون ذلك من ايراد البلاد التي سيمكثون فيها[٢] ، إلا أن حكومة محمد علي لم تعد تحتمل أكثر من ذي قبل ، فالحكومة البريطانية التي احتلت عدن لتقف في سبيل أهدافها في جنوب الجزيرة العربية ، والتي أوعزت إلى قائد

---

(1) Document : F. O. 78/374. No. 42. ^{x}C/A/61064.

Document : F. O. 78/374. No. 50. ^{x}C/A/61064.

(٢) وثيقة تركي ، ٢ أصلية ، ١٠٥ حمراء ، محفظة ٢٧٠ عابدين ، محافظ الحجاز رقم ١٠ ، دار الوثائق القومية بالقاهرة .

أسطولها الأدميرال ف . ميتلاند F. Maitland بالسير الى جزيرة البحرين في الخليج العربي[1] ، أصبحت الآن وبعد انتصار الباشا في معركة نصيبين ضد السلطان العثماني ، تقف بكامل ثقلها الى جانب الدولة العثمانية ، وتقوم بتأليب الدول الأوروبية للوقوف في وجه تحركات الباشا وأطماعه التوسعية في الشام وفي الجزيرة العربية .

لقد صدرت ارادة محمد علي في الثالث عشر من ذي الحجة سنة ١٢٥٥ هـ الموافق السابع عشر من فبراير سنة ١٨٤٠ م ، تقضي بانسحاب القوات الموجودة في الحجاز ونجد واليمن[2] ، وقد عمت الفرحة المقيم البريطاني في بغداد الكولونيل تايلور Colonel Taylor ، الذي سارع بالكتابة الى اللجنة السرية ليزف اليها البشرى بتلك الأنباء التي وصلته من عملائه في شبه الجزيرة العربية والتي أبلغته عن وجود انسحاب منقول لقوات خورشيد باشا في نجد ، وتسليم الأمور في المنطقة للأمير خالد بن سعود[3] ، في حين كان المقيم البريطاني في الخليج الكولونيل هنيل Colonel Hennell قد بعث بالسفينة البريطانية Royal Tiger إلى القطيف لتأتيه

(1) Document : F. O. 78/374. No. 42. ^xC/A/61064.

كارل بروكلمان : تاريخ الشعوب الإسلامية ، ص ٥٥٦ .

(٢) وثيقة رقم ١٢٧ أصلية ، ٢١ حمراء ، محفظة ٢٦٩ عابدين ، نقلا عن د . عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم : من وثائق شبه الجزيرة العربية في عصر محمد على ، جـ ١ ، ص ٤٢٥ .

(3) Document : (I. O. R.) L/P, S/9/115. No. 25.

بالأخبار المؤكدة عن صحة هذا الأنسحاب لجيوش محمد على من السواحل الشرقية لشبه الجزيرة العربية ، ومن وسط نجد(١) .

عندما أبلغت الأوامر الصادرة من محمد علي بانسحاب قواته في اليمن ، إلى إبراهيم باشا يكن ، قام الأخير بوضع الترتيبات اللازمة لنقل تلك القوات إلى جدة في سرية تامة لكي يعيق أي تحرك مضاد قد يقوم به أهالي المنطقة اذا علموا بانسحاب القوات المصرية ، وقد غادر إبراهيم باشا يكن وقواته أرض اليمن في السابع من شهر ربيع الأول سنة ١٢٥٦ هـ ، الموافق للتاسع من مايو سنة ١٨٤٠م ، بعد أن سلمت اليمن للحسين بن علي بن حيدر حاكم أبي عريش(٢) ، أما أحمد باشا يكن قائد قوات محمد علي في الحجاز فقد أعد رسالة إلى محمد علي في مصر يطلعه من خلالها على كيفية انسحاب قواته من الحجاز ، وأنه سيحرص على تثبيت الأمور في نواحي الاقليم المتفرقة ، لكي يحول بذلك دون انفجار الوضع في الاقليم عندما يعلم الأهالي بانسحاب قواته وقوات أخيه إبراهيم باشا يكن من اليمن في وقت واحد ، مما يعرقل عليهما مهمة الانسحاب ويفتح المجال أمام أعدائهما لتعقبهما وتحقيق غاياتهم في السيطرة على مهمات الجيش المنسحب التي يصعب الدفاع عنها

(١) د . بدر الدين عباس الخصوصي : دراسات في تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر ، جـ ١ ، ص ١٧٦ .

د . بدر الدين عباس الخصوصي : محمد على والخليج العربي ، مجلة كلية الآداب والتربية ، جامعة الكويت ، عدد ٥ ، يونيو سنة ١٩٧٤ م ، ص ١١٨ .

(٢) د . فاروق عثمان أباظة : عدن والسياسة البريطانية في البحر الأحمر ، ص ٢٢٤ .

د . عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم : محمد على وشبه الجزيرة العربية ، ص ٢١٩ .

د . عبد الحميد البطريق : من تاريخ اليمن الحديث ١٥١٧ ـ ١٨٤٠ م ، ص ١٠٣ .

في حالة الانسحاب ، ثم أشار في رسالته تلك إلى عدم اطمئنانه وقلقه المتزايد من سلوك خورشيد باشا قائد القوات المصرية في نجد ، لأنه لم يتوجه حتى الآن بقواته الى مصر رغم مضي نحو خمسة أشهر على صدور ارادة محمد علي التي تقضي بانسحاب تلك القوات ، غير أن محمد علي توج هذه الملاحظة التي أوردها أحمد باشا يكن بارادته رقم ١٩ في ٢٨ جمادى الأولى سنة ١٢٥٦ هـ في ٢٨ يوليو سنة ١٨٤٠م ، بأن الأمل يحدوه هو إلى انتهاء أزمة حروبه مع الدولة العثمانية والدول الأوروبية قريبا ، فإن لم يتحقق ذلك ولزم الأمر إلى استدعائه فسيبلغ بذلك عاجلا ، وأن عليه الآن المحافظة على سلطة الحكومة في تلك النواحي[1] .

كانت بداية انسحاب قوات محمد علي من شرق الجزيرة العربية ، جلاؤها من اقليم الأحساء الذي كاد أن يحاصره البريطانيون لارغام قوات الباشا للخروج منه ولو بالقوة المسلحة[2] ، إلا أن خورشيد باشا قد أصدر أمره باسناد ولاية الأحساء إلى أحمد بن مبارك ، في شهر صفر سنة ١٢٥٦ هـ المصادف لشهر ابريل سنة ١٨٤٠م[3] .

---

(١) وثيقة رقم ٢٥ أصلية ، ١٩٠ حمراء ، محفظة ٢٦٩ عابدين ، رسالة بتاريخ ٤ جمادى الأولى سنة ١٢٥٦ هـ نقلا عن . د . عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم : من وثائق شبه الجزيرة العربية في عصر محمد على ، مجلد ١ ، ص ٤٣٧ ـ ٤٣٩ .

وثيقة رقم ١٢٧ أصلية ، ٢١ حمراء ، محفظة ٢٦٩ عابدين نقلا عن . د . عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم : المرجع السابق ، ص ٤٢٥ ـ ٤٢٦ .

(٢) ج . ج . لوريمر : دليل الخليج ، القسم التاريخي ، جـ ١ ، ص ٣٥٩ .

د . عبد العزيز نوار المصالح البريطانية في أنهار العراق ، ص ٥٣ .

(٣) عثمان بن بشر : عنوان المجد في تاريخ نجد ، جـ ٢ ، ص ٨٩ .

جون . ب . كيلى . بريطانيا والخليج ١٧٩٥ ـ ١٨٧٠ م ، جـ ١ ، ص ٥٩٠ .

وقد قام خورشيد باشا ، وخالد بن سعود بعده غارات عسكرية في وسط نجد ، علّه يحصل على ما يكفيه من الجمال ، كي يقوم بالانسحاب إلى المدينة المنورة ومنها الى مصر بناء على توجيهات محمد علي ، وعندما فشل في تحقيق هدفه بهذا الأسلوب ، أرسل محمد بن أحمد السديري لكي يحضر له بعض الجمال من عبد الله بن علي بن رشيد رئيس جبل شمر ، الذي بعث بسبعمائة بعير للباشا ، وقد خرج خورشيد باشا من قصره في ثرمدا في شهر ربيع الأول سنة ١٢٥٦هـ ، في حين قام باستدعاء رؤساء عساكره ليلحقوا به مع عساكرهم ، ثم تبعته جميع العساكر التي كانت في ثرمدا في منتصف جمادى الأولى سنة ١٢٥٦ هـ الموافق ١٥ يوليو سنة ١٨٤٠ م ، ليلتم شمل جنود الباشا وقادتهم في الشنانه ، والتي قدم إليه فيها خالد بن سعود ومعه مئتين من الإبل ، في أواخر شهر جمادى الثانية من نفس العام[1] ، وهكذا انسحب خورشيد باشا من وسط الجزيرة العربية في طريقه إلى مصر ، بينما تركت زعامة نجد إلى خالد بن سعود الذي عاد إلى الرياض لكي يتولى مقاليد الأمور بعد رحيل الباشا وقواته .

وحريٌ بنا قبل أن نتطرق الى النتائج التي خلفها انسحاب محمد علي من شبه الجزيرة العربية ، وما أعقب ذلك الانسحاب من أحداث ومستجدات تاريخية خطيرة عاشتها أقاليم الجزيرة العربية المختلفة ، حريٌ بنا أن نناقش دواعي ذلك الانسحاب ، والأوضاع التي كانت تعيشها حكومة الباشا

(١) عثمان بن بشر : عنوان المجد في تاريخ نجد ، جـ ٢ ، ص ٨٩ ـ ٩٠ .

محمد بن عمر الفاخري · الأخبار النجدية ، ص ١٧٥ .

بشكل خاص ، والدولة العثمانية بشكل عام ، باعتبار أن الباشا أحد ولاتها الخارجين عليها ، ولأنه في أوائل القرن الثالث عشر الهجري ، أوائل القرن التاسع عشر الميلادي ، كان يحارب في الجزيرة العربية باسم الدولة العثمانية لا باسمه هو ، غير أن الأوضاع قد تغيرت منذ حروب الشام الأولى التي خاضها الباشا ضد الدولة العثمانية ، حيث تمكن محمد علي من الاتجاه الى الجزيرة العربية هذه المرة ليحقق فيها آماله وطموحاته المختلفة ، وعلى أمل أن يصل إلى العراق من الجنوب لكي يشكل منها مع حكومته في الشام حلقة مكتملة لأهدافه وتوسعاته ، مما يعني أن الدولة العثمانية هذه المرة لن تؤيده في البقاء في الجزيرة العربية والمحافظة عليها وانما ستبذل كل ما تستطيع لكي يتحقق لها انسحاب الباشا من هذه المنطقة ، مما جعل انسحاب محمد علي من شبه الجزيرة العربية يتزامن الى حد ما مع انسحابه من الشام الذي أرغم عليه من قبل الدول الأوروبية والدولة العثمانية وفق معاهدة لندن الشهيرة ، التي أبرمت في الخامس عشر من شهر جمادى الأولى سنة ١٢٥٦ هـ الموافق للخامس عشر من يوليو سنة ١٨٤٠م ، والتي كان من أهم شروطها انسحاب الباشا من سوريا وأطنه وكريت وشبه الجزيرة العربية في مدة عشرة أيام من تاريخ ابلاغه ببنود هذه المعاهدة ، لكي تعطيه الدولة ولاية مصر وراثية وولاية عكا مدة حياته ، وإلا أخضعته الدول بالقوة ونظرت في أمره من جديد[1].

---

(١) محمد صبري : تاريخ مصر الحديث من محمد على إلى اليوم ، ص ٧٦ .

ويذهب كثير من المؤرخين إلى أن محمد علي عندما أصدر توجيهاته الى قواته بالانسحاب من شبه الجزيرة العربية والخليج العربي ، كان لحاجته اليها للدفاع المحتمل عن سورية ومصر ، وللتصدي للدول الأوروبية والدولة العثمانية التي باتت تفكر في تجريده من كامل حقوقه وانتصاراته التي حققها في الشام[1] ، بينما يميل البعض الى أن تفكير الباشا في الانسحاب من الجزيرة العربية ، كان مهارة سياسية بارعة منه ، إذ أراد مجاملة بريطانيا في التخلي عن الجزيرة العربية لكي تغض الطرف عن مشروعاته التوسعية في الشام والعراق[2] .

وإذا كانت الوثائق قد أثبتت أن ارادة محمد علي بشأن الانسحاب من الجزيرة العربية قد صدرت في الثالث عشر من ذي الحجة سنة ١٢٥٥ هـ ، السابع عشر من فبراير سنة ١٨٤٠ م[3] ، أي قبل خمسة أشهر من معاهدة لندن ، والتي اعتزمت الدول تنفيذها بالقوة بعد شهرين من انعقادها أي أن المدة الزمنية بين ظهور الأساطيل الحربية للدول الأوروبية على سواحل

---

(١) ميخائيل شاروبيم بك : الكافي في تاريخ مصر القديم والحديث ، ص ٨٢ .

د . بدر الدين عباس الخصوصي : دراسات في تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر ، جـ ١ ، ص ١٧٦ ، د . على حسون : تاريخ الدولة العثمانية ، ص ١٢٤ .

(٢) د . فؤاد سعيد العابد : سياسة بريطانيا في الخليج العربي خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر ، ص ١٤٢ ، د . صلاح العقاد : التيارات السياسية في الخليج العربي ، ص ١٤٨ .

(٣) وثيقة رقم ١٢٧ أصلية ، ٢١ حمراء ، محفظة ٢٦٩ عابدين ، نقلا عن : د . عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم : من وثائق شبه الجزيرة العربية في عصر محمد على ، مجلد ١ ، ص ٤٢٥ .

الشام وبين الأوامر التي أصدرها الباشا ، لسحب قواته من الجزيرة العربية تصل إلى سبعة أشهر ، وهي مدة طويلة جدا ، لاسيما وأن جيوش الباشا التي انسحبت من شبه الجزيرة العربية لم تتوجه الى الشام على سبيل المثال ، وإنما دعيت للحضور إلى مصر ، يضاف إلى ذلك أن تعداد الجيش المصري الذي كان في صحبة ابراهيم باشا في الشام عندما أرغم على الانسحاب بعد هزيمته من الدول الأوروبية والدولة العثمانية قد قارب سبعين ألف مقاتل(١) .

من ذلك كله نستطيع أن نقول أن التعنت البريطاني والانذارات المتكررة التي تحمل في طياتها أساليب التهديدات المباشرة ، من الحكومة البريطانية لمحمد علي ورفضها القاطع لتنفيذ أي أطماع أو طموحات قد يقوم بها الباشا في شبه الجزيرة العربية والخليج العربي ، كل هذا جعل الباشا يصدر أوامره إلى قواته في مختلف أنحاء الجزيرة العربية لتعود اليه ، لأنها أصبحت مصدر قلق يؤرقه مع السياسة البريطانية ، إضافة إلى تحميل خزانته نفقات طائلة لا قبل له بها(٢) .

كما أن هزيمة جيوش محمد علي في الشام بواسطة الدولة العثمانية برا ،

---

(١) عبد الرحمن الرافعي : عصر محمد علي ، ص ٣٠٢ .

سهيل زكار : بلاد الشام في القرن ١٩ ، دراسة وتحقيق مشهد العيان بحوادث سوريا ولبنان ، د . ميخائيل مشاقة ، ص ١٩٦ .

(٢) عبد الرحمن الرافعي : عصر محمد علي ، ص ٣١١ ـ ٣١٢ .

د . فاروق عثمان أباظة . عدن والسياسة البريطانية في البحر الأحمر ... ، ص ٢٢٣ .

د . عبد الحميد البطريق : من تاريخ اليمن الحديث ١٥١٧ ـ ١٨٤٠ م ، ص ١٠٢ .

وأساطيل بريطانيا والنمسا بحرا[1] ، وما أعقب ذلك من محاصرة الأساطيل البريطانية التي يقودها الادميرال تشارلز نابيير Admiral Charles Napier ، لميناء الاسكندرية ، أدت كذلك وبشكل نهائي إلى موافقة محمد علي باشا على التخلي عن سوريا وأطنه وكريت وشبه الجزيرة العربية ، واعادة الأسطول العثماني إلى السلطان ، ليتم بذلك الانسحاب الكامل والنهائي لمحمد علي من وسط الجزيرة العربية والخليج العربي ومن اليمن والحجاز[2] .

لقد وضعت الحكومة البريطانية كامل ثقلها لارغام محمد علي على الانسحاب الكامل من الشام ومن شبه الجزيرة العربية كلها بدءا من حدودها الشرقية في الخليج العربي إلى حدودها الغربية في البحر الأحمر ، لأن الباشا لم يعد فقط يهدد كيان الدولة العثمانية ، الذي سيؤثر على التوازن الأوروبي بشكل مباشر ، وإنما أصبح مصدر خطر واضح على الأهداف الاستراتيجية ، والمصالح الاقتصادية للحكومة البريطانية في المنطقة ، خاصة فيما يتعلق بطرق مواصلاتها إلى الهند عبر الخليج العربي والعراق ، وفي البحر الأحمر وموانئه الهامة .

---

(١) د . أحمد السعيد سليمان : تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة ، ص ١٦٧ .

(٢) جون . ب . كيلي : بريطانيا والخليج ١٧٩٥ ـ ١٨٧٠ م ، جـ ١ ، ص ٥٩٧ .

وكانت حرب الشام الثانية التي جعلت إبراهيم باشا يقف على الطريق إلى العاصمة العثمانية ، لا يمنعه من التقدم اليها إلا خوفه من تصدي الدول الأوروبية لقواته[١] ، كانت فرصة ثمينة للسياسة البريطانية كي تقوم بتنفيذ مخططاتها الهادفة إلى ازاحة محمد علي عن كل ما يهدد مصالحها الاقتصادية والاستراتيجية على حد سواء ، وقد تحقق لها ذلك من خلال معاهدة لندن التي وافقت عليها الدول الأوروبية والدولة العثمانية ، والتي أعطتها الحق الكامل في استخدام القوة المسلحة لاعادة محمد علي إلى ولاية مصر دون غيرها ، لتقوم عندئذ باتمام ما بدأته حين كانت توجه التهديدات المتكررة والتلويح باستخدام القوة في ما يتعلق بشواطيء الجزيرة العربية ، لتستخدمها بالفعل في اقتلاع الباشا من الشام ، لأن ثقله العسكري ومجاله الحيوي كان ينطلق من الشام ، ولأن الأساليب الدبلوماسية وما رافقها من التهديدات العسكرية البريطانية ، قد أدت الشيء الكثير في اقتلاعه من الجزيرة العربية ، أما القوة العسكرية التي استخدمتها بريطانيا في ارغام الباشا على الانسحاب من الشام وتهديد السواحل المصرية فهي كفيلة أيضا باتمام الانسحاب الكلي والنهائي من شبه الجزيرة العربية كلها .

سارع أهل الشام الى ارسال التهاني الى الباب العالي ، بمناسبة خروج قوات محمد علي من الشام ، وجددوا للسلطان العثماني البيعة

(١) د . صالح محمد العمرو : النزاع التركي المصري على شمال الحجاز وسيناء ، مجلة الدارة ، العدد الأول ، السنة الخامسة ، ص ٨ .

والولاء حين تم اخلاء عكا وأورفة وعينتاب والمرعش وخليل ، وغيرها من الأقاليم التي كان محمد علي باشا قد استولى عليها[١] ، وعلى نفس التعبيرات كان المحضر الذي أعده العلماء والأئمة والخطباء من سكان مدينة أنطاكية ، والذين أكدوا على أن قوات محمد علي قد « فرت تجر من ورائها أذيال الخيبة لجنودها الموجودين في حلب ، وقد تركوا فيها آثار نحوستهم وآثار تخريب وتفريق ، فروا أمام قوة سيوف رجال السلطان القاهرة ، فحمداً وشكراً وثناءاً لله القهار على ما منحنا في ظل السلطان ...»[٢] ، مما يعني أن انسحاب قوات محمد علي من الشام قد شكل المأساة الحقيقية لتقهقر قواته ، حيث كان أهل الشام يحملون أضغاناً وأحقاداً لتلك الجيوش التي قال عنها أحد المؤرخين أن عددها قبل الانسحاب قد بلغ مائتي ألف نسمة لم يصل منهم الى مصر سوى ستين ألفا[٣] ، وقد كان « ابتداء الجيش في الرجوع إلى مصر في - شهر - شوال سنة ١٢٥٦ هـ ، أواسط شهر ديسمبر سنة ١٨٤٠ م ، ووصل الكل إلى القاهرة بعد أن ذاقوا مرارة النصب وتحملوا أنواع الذل والتعب وقاسوا شديد الوصب ، مما تكل عن وصفه الأقلام ولا تحط بنعته الأوهام ، ويكدِّر الأذهان فضلاً عن موت كثير منهم في الطريق »[٤] .

---

(١) وثيقة تركى رقم ١٢١/١/٤ في ٢٩ رمضان سنة ١٢٥٦ هـ ، دارة الملك عبد العزيز بالرياض .

(٢) وثيقة تركى رقم ٤/٢ ـ ٨ بدون تاريخ ، دارة الملك عبد العزيز بالرياض .

(٣) عبد الرحمن الرافعي . عصر محمد على ، ص ٣٠٤ .

(٤) محمد فريد بك · تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ٤٦٨ .

وفي الجزيرة العربية كان لانتشار الأنباء عن انسحاب قوات محمد علي من اليمن والحجاز ، أثر سيء على موقف تلك القوات التي اضطرت إلى أن تتخلى عن كثير من مهماتها في بعض الجهات اليمنية ، لعدم قدرتها على حملها ، لأن الخوف والاضطراب قد بدأ يحيط بتلك القوات المنسحبة خاصة من الجبهات المضادة في الاقليم ، ومن أشهر زعماء هذه الجبهات الحسين بن علي بن حيدر حاكم أبي عريش ، والأمير عايض بن مرعي شيخ قبائل عسير ، الذي أرسل حملة كبيرة بقيادة محمد بن مفرح للمشاركة مع أمير أبي عريش في إخراج القوات المصرية من تهامه واليمن ، كما كان لخروج بعض القبائل التي كانت تتظاهر بالولاء لحكومة الباشا في اليمن والحجاز ، وانضمامها إلى شيخ عسير وحاكم أبي عريش ، أو للشريف محمد بن عون الذي تسلم الأمور في الحجاز ، كان لخروجها كبير الأثر في اثارة الفتنة واشاعة الأراجيف بين الأهالي حيث عمت الفوضى وعدم الاستقرار في ربوع المنطقة ، وأصبحت الأقاليم مسرحا للنهب والتمزق ودعاة السؤ ، فعمت الأهواء والمنازعات ، وانتشرت الفتن في كل مكان ، وكأن قدوم قوات محمد علي إلى المنطقة والخروج منها ما هو إلا دليل على عدم الاستقرار واثارة الحروب والفتن التي لم تهدأ طيلة بقاء قوات الباشا في المنطقة وحتى بعد خروجها منها[1] .

---

(١) د . عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم · محمد على وشبه الجزيرة العربية ١٢٣٤ ـ ١٢٥٦ هـ / ١٨١٩ ـ ١٨٤٠ م ، ص ١٦٤ ـ ١٦٧ ، ٢١٩ ، ٢٢١ ـ ٢٩٩ .

محمد بن أحمد العقيلي : تاريخ المخلاف السليماني ، جـ ١ ، ص ٥١٠ ـ ٥١١ .

د . فاروق عثمان أباظة : الحكم العثماني في اليمن ١٨٧٢ ـ ١٩١٨ م ، ص ٣٨ .

وقـد أشـار الى هـذا أحـد الرحـالـة الغـربيين حـين زار مدينة جدة والمدن اليمنيـة بعد انسحاب قوات محمد علي منها ، واستيلاء الحسين بن علي بن حيدر عليها .. « سُلّمت جدة الى باشا تركي كانت مطالبه الوقحة تزعج الأهـلين ... والحديـدة قد وقعت ضحية حريق هـائل .. ولم يجـد المخا أكثر أمانا للغرباء ، فقد سادها الكآبة ، والخوف »[1] .

وعلى هذا حرص محمد علي على ألاّ يتسبب انهياره في شبه الجزيرة العربيـة عـلى انتشار الفوضى أو التهديـد الأوروبي المسيحـي للحجـاز حتى لا يسؤ مركزه في كل العالـم الاسلامي لذلك كانت قوات الباشا في الحجاز حريصة على حمايـة المدن الساحليـة في البحر الأحمر من أيـة اعتـداءات قـد تقـوم بهـا السـفن البـريطانيـة لهذه المدن ، وليس أدل على ذلك من تلك الرسالة التي بعثها أحمد باشا يكن سر عسكر الحجاز في الثالث عشر من شعبـان سنة ١٢٥٦ هـ ، العـاشر من أكتـوبر سنة ١٨٤٠ م ، والتي أكد من خلالها استعـداده للتصدي لأيـة عدوان قـد يقـوم بـه الانجليز على مدينة جـدة في السـاحل الشرقي من البحـر الأحمر ، أما اذا عاد الى مصر فهو غير مسئول عن المحافظة عليها[2] ، ولعل حرص الباشا وقادتـه حينـذاك كان نابع من إدراكهم لأهمية الحجاز الدينية ومكانتها في ربوع العالم الإسلامي

---

(١) جاكلين بيرين : اكتشاف جزيرة العرب ، ص ٢٤٠ .

(٢) وثيقة رقـم ٥٥ أصلية ، ١٩٥ حمراء ، محفظـة ٢٦٩ عابـدين ، نقلا عن . د . عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم : من وثائق شبه الجزيرة العربية في عصر محمد على ، مجلد ١ ، ص ١٦٧ ـ ١٦٩ .

التي تعطي لقب حامي الحرمين الشريفين يقوم بتلك المهمة ، ورغم أن بعض الحاميات المصرية قد أبقى عليها في بعض الموانيء الشرقية من البحر الأحمر أكثر من أربعين سنة بعد انسحاب قوات محمد علي من الجزيرة العربية ، فإن ذلك ليس لأهمية في تلك الموانيء من الناحية الاستراتيجية أو التجارية وإنما لوقوعها في طريق الحج المصري حينذاك[1] .

لقد كان انسحاب قوات محمد علي من وسط وشرقي الجزيرة العربية بداية حقيقية لاعادة الفوضى والفتن والصراعات المحلية ، والاضطرابات المختلفة إلى تلك الأقاليم ، فلم يمنع بقاء ثمانمائة جندي من قوات خورشيد باشا مع الأمير خالد بن سعود ، أهالي المنطقة من اعلان العصيان ، والمناداة باخراج الأجانب من بلادهم ، إذ أرسلوا إلى الأمير خالد يعبرون له عن استيائهم من هؤلاء الأجانب ، ويطلبون منه التخلص منهم لكي يطيعوا له وينضموا إليه ، وعندما رفض الأمير خالد تلك الطلبات سارع الأهالي بالانضمام إلى الأمير عبد الله بن ثنيان الذي استطاع الاستيلاء على الرياض وإخراج الأمير خالد بن سعود منها ، والذي هرب حينذاك الى القطيف في سرية تامة ، إلا أنه لم يستطع البقاء فيها طويلا حين ثار عليه الأهالي وتآمر عليه بعض قادته[2] ، ومع ذلك فإن حكومة الهند البريطانية لم تزل وجلة من وجود الأمير خالد بن سعود في اقليم الأحساء ، حين قامت بالإيعاز إلى المقيم

---

(١) د . صالح محمد العمرو : النزاع التركى المصرى على شمال الحجاز وسيناء .. ، مجلة الدارة ، العدد الأول ، السنة الخامسة ، ص ٨ ـ ٩ .

(٢) مختارات من سجلات حكومة بومباى ، شركة أرامكو .

S. R. B. G. No. XXIV. P.P. 449 - 450.

البريطاني في الخليج الكولونيل هنيل Hennell لكي يوجه تحذيراً مباشراً إلى الأمير خالد بأن لا يحاول توسيع رقعة نفوذه في منطقة جنوب شرقي الجزيرة العربية ، لأن ذلك سيواجه بمقاومة حربية من السفن البريطانية[١] .

استمر الصراع بين خالد بن سعود وعبد الله بن ثنيان بن ابراهيم ابن ثنيان بن سعود ما يقرب من عامين ، انتهى إلى فرار خالد بن سعود الى الكويت ومنه الى مكة المكرمة حيث توفى فيها سنة ١٢٧٨ هـ \ ١٨٦١ م ، وقيل انه توفى في جدة ، أما ابن ثنيان فقد أصبح الحاكم المطلق في وسط نجد إلا أنه لم يكسب ثقة الأهالي ، حيث بدأ في فرض الضرائب الباهظة عليهم ، وصار يحكم الاقليم حكما يتصف بالاستبداد والقوة ، فاشمأزت من حكمة النفوس وكرهته القلوب ، التي قيض الله لها من هو خير منه ، وهو الامام فيصل بن تركي الذي هرب من القاهرة للمرة الثانية واتجه إلى نجد ليعيد لها شيء من الأمن والأستقرار ، كانت قد فقدته ردحاً من الزمن[٢] .

لقد أخذ مركز بريطانيا في الجزيرة العربية والخليج العربي يزداد قوة وأهمية بعد انسحاب محمد علي منها ، حيث قامت بتدعيم علاقاتها مع أمراء

---

(١) جون . ب . كيلى : بريطانيا والخليج ١٧٩٥ ـ ١٨٧٠ م ، جـ ١ ، ص ٥٩٧ .

(٢) أحمد عبد الغفور عطار : صقر الجزيرة ، جـ ١ ، ص ٩٠ .

مختارات من سجلات حكومة بومباى ، شركة أرامكو بالظهران

S. R. B. G. No. XXIV. P. 449.

إبراهيم بن صالح بن عيسى : تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد ، ص ١٦٥ .

الخليج العربي وشيوخ الساحل الجنوبي ، مستغلة ذلك الفراغ الذي نتج عن انسحاب قوات الباشا من المنطقة ، ولم تستطع الدولة العثمانية التي كان الضعف قد أخذ منها كل مأخذ ، لم تستطع أن تملأ ذلك الفراغ ، وليس أدل على ذلك من أنها لم تجد من تسند له ولاية شبه الجزيرة العربية من شرقها إلى غربها غير علي باشا رضا والي بغداد ، الذي استعان هو الآخر بالسفن البريطانية لتحمل نائبه الى جدة ، وكأنه يتيح الفرصة للبريطانيين لتدعيم نفوذهم في المنطقة دون أن يعلم بذلك ، مما يؤكد لنا أن حرب الشام قد أضعفت الدولة العثمانية ، وزادت من ضعفها ، لِتُضْعِفَ بالتالي من نفوذها في الجزيرة العربية ، وحينما ظهرت بارقة الأمل الوحيدة بظهور الامام فيصل بن تركي للمرة الثانية في وسط الجزيرة ، كانت السياسة البريطانية كفيلة بمجابهتها لكي تحول دون أي توسع للسعوديين في الخليج العربي[1] .

لقد كانت بريطانيا تدرك أن قوات محمد علي عندما تحركت في الجزيرة العربية بعد حرب الشام الأولى ، إنما كانت تسير وفق مخطط كبير ، يهدف إلى تحقيقه محمد علي ، ليحقق من خلاله أهدافه وطموحاته التوسعية فتصدت له بكل الوسائل الممكنة ، من سياسية واقتصادية وعسكرية ، وعندما انسحبت

---

(١) د . محمد عرابي نخلة : تاريخ الاحساء السياسي ١٨١٨ ـ ١٩١٣ م ، ص ٩٨ ـ ١٠٠ .

د . عبد العزيز نوار : تاريخ العراق الحديث من نهاية حكم داود باشا إلى نهاية حكم مدحت باشا ، ص ٢٢٣ ـ ٢٢٤ .

د . عبد العزيز عبد الغني إبراهيم : علاقة ساحل عمان ببريطانيا دراسة وثائقية ، ص ٢٨٣ .

قوات الباشا من شبه الجزيرة العربية وفق مقررات معاهدة لندن الشهيرة ، أدركت بريطانيا أنه لم يعد هناك حاجة إلى بقاء البواخر المسلحة في مياه العراق ، ولم يعد هناك حاجة لتقديم المساعدة الموعودة لآل نعيم في البريمي(١) .

ويتبين لنا من استعراض ما سبق أن طموحات وأهداف محمد علي باشا التوسعية التي خاض في سبيلها حربي الشام الأولى والثانية ضد الدولة العثمانية ، وأرسل من أجلها قواته الى مختلف الجهات والأقاليم في شبه الجزيرة العربية ، يتبين لنا أن تلك الطموحات والأهداف ، والتي اصطدمت بعقبة كؤود تمثلت في المصالح البريطانية في شبه الجزيرة العربية ، وموقعها الاستراتيجي من درة التاج البريطاني - الهند - ، قد وئدت هذه الطموحات والأهداف في مهدها ، وأنها لم تجلب على الجزيرة العربية الا الدمار والهلاك ، خاصة بعد انسحاب قوات الباشا منها بعد معاهدة لندن الشهيرة وأن انسحاب الباشا ذاك قد فتح الباب على مصراعيه للأطماع والأهداف البريطانية ، التي بات تحقيقها سهل المنال في ظل غياب الحكومة الشرعية التي قد تستطيع مجابهة هذا الوافد الجديد ولو بالأساليب السياسية، إلا أن شيئا من هذا لم يتم ، حتى أن جهود الامام فيصل بن تركي التي حاول من خلالها لم الشمل وتوحيد البلاد ، كانت واقعة تحت المنظار البريطاني ، الذي لا يريد لهذه المنطقة إلا

---

(١) جون . ب . كيلي : بريطانيا والخليج ١٧٩٥ ـ ١٨٧٠ م ، جـ ١ ، ص ٥٩٣ ـ ٥٩٤ .
د . عبد العزيز سليمان نوار : المصالح البريطانية في أنهار العراق ، ١٦٠٠ ـ ١٩١٤ م ، ص ٥٣ .

الدمار والهلاك وتشتيت الشمل ليسهل من خلال ذلك تحقيق كل الأهداف والمصالح البريطانية وهو ما تم بالفعل في جميع أرجاء الجزيرة العربية التي أصبحت مسرحا للنهب والسلب والاضطراب ، لتعيش في ذلك الجو المظلم ردحاً من الزمن ، حتى قيض الله لها الامام المجاهد الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن بن فيصل ابن تركي آل سعود ، الذي أعادها لسالف أمجادها وأوجد منها وحدة سياسية قوية تسير على نهج الشريعة السمحاء وفق كتاب الله وسنة رسوله ولا زالت إلى اليوم وستستمر إن شاء الله حتى يرث الله الأرض ومن عليها .

الخاتمة

التحليل والنتائج

بعد تخريب محمد علي للدرعية ، وجه اهتمامه إلى تدعيم قوته في الحجاز لأهميتها الدينية ، ومكانتها لدى سلطان الدولة العثمانية ، والذي يحرص على لقب حامي الحرمين الشريفين ، لترتفع مكانته في العالم الإسلامي ، غير أن ذلك الاهتمام لم يحفظ لإقليم الحجاز أمنه واستقراره بل استمرت الفتن والثورات طيلة بقاء جنود الباشا ، وزاد من تدهور الأحوال ما كان يقوم به الجنود من أعمال مختلفة ، تتسم بالبطش والقسوة ، وكان لليمن نصيب وافر من تلك الثورات والقلاقل التي تعيشها المنطقة .

وهكذا كانت الاحوال في شبه الجزيرة العربية بشكل عام ، ووسطها بشكل خاص منذ سقوط الدرعية وحتى قيام حرب الشام الأولى ، بمعنى أن المنطقة كانت في وضع لا تحسد عليه ، حيث عادت إلى سالف عهدها المتسم بأنواع الفوضى والاضطراب ، بعد أن فقدت الدولة الشرعية القوية التي تستطيع أن تحفظ الأمن وتقيم النظام في ظل العقيدة الإسلامية الواضحة ، والمتمثلة في الدولة السعودية الأولى .

ومع هذا فقد كانت العلاقة التي تربط محمد علي باشا بالسلطان العثماني محمود الثاني مبنية على الشك والريبة ، منذ أن أسندت ولاية مصر إلى محمد علي ، الذي حاول أن يكسب ثقة السلطان في أكثر الأحيان مبديا له علامات التذلل والخضوع ، في الوقت الذي يسير فيه لتحقيق أهدافه وطموحاته ، وهذا ما ظهر واضحا في طلبه إسناد ولاية الشام إليه عندما كلّف بمهمة الجزيرة العربية ، معللا ذلك بأهمية الشام لنجاح مهماته في

الجزيرة العربية ، غير أن السلطان العثماني ورجال دولته كثرت شكوكهم حول ذلك ، وأخذوا في تبادل الآراء والأفكار حول نوايا محمد علي وطموحاته ، إلا أن قيام الباشا بحملاته ضد الجزيرة العربية بناء على تعليمات السلطان العثماني ، قد أعطت نوعا من الطمأنينة والثقة للطرفين ، وقد حاول محمد علي في هذه الحملات أن يؤكد ولاءه واخلاصه للسلطان في أكثر من مرة خاصة عندما ظهرت السياسة البريطانية كعنصر فعّال في أحداث الجزيرة العربية .

وفي حروب اليونان كان محمد علي يرمى إلى تأكيد ولائه وتعبيته للسلطان محمود الثاني ، ليحقق من خلال ذلك أهدافه وطموحاته المتمثلة في أخذ جزيرة كريت وولاية الشام ، مكافأة له على الاشتراك في هذه الحرب ، ومساعدة السلطان العثماني فيها ، مما يؤكد أن محمد علي قد أصبح فعلا نداً قويا للسلطان ، وهو ما تحقق بالفعل بعد ذلك ، حين رفض مساعدة السلطان في حروبه ضد روسيا ، التي انتهز الباشا خروج الدولة منها منهكة القوى ، ليقوم بحرب الشام الأولى التي يرمي من خلالها في تحقيق أطماعه وطموحاته ، لتأخذ حينذاك العلاقة مع السلطان العثماني بعداً آخر لم يكن مألوفا بينه وبين تابعه القوي ، الذي أدار ظهره للدولة العثمانية ، واتجه الى أوروبا كحاكم مستقل إلى حد ما ، ومع ذلك كله نجد أن السلطان العثماني كان يرى في خروج محمد علي عصيانا يستلزم اصدار فتوى شرعية لما يجب اتخاذه حياله ، أما محمد علي فهو لايزال يعترف بولائه للسلطان ، ويدفع له الجزية السنوية ، ويخطب باسمه في المساجد رغم المعارك التي يخوضها ضده في الشام .

وقد أثرت كل هذه الموضوعات وتأثرت فيما عرف بالمسألة الشرقية ، وسياسة الدول الأوروبية نحو الدولة العثمانية ، والتي عرفت بخطة التدخل وسياسة التكامل ، والتي كانت دول أوروبا تنظر من خلالها للدولة العثمانية من زاوية مصالحها الخاصة ، لكن بريطانيا بعد حروب نابليون اتبعت سياسة مزدوجة نحو ممتلكات الدولة العثمانية ، حيث أقامت بريطانيا علاقات سياسية مع الدولة العثمانية تهدف من خلالها إلى المحافظة على كيان الدولة ، لكي تضمن سلامة مصالحها في الهند وفي الخليج العربي ، والبحر الأحمر ، ولكي تحول دون التغلغل الروسي المتوقع في تلك الجهات ، ولتحافظ بذلك على التوازن الأوروبي ، وقد أوضحنا سياسة روسيا والنمسا وفرنسا تجاه الدولة العثمانية وما طرأ على سياسة هذه الدول من متغيرات تاريخية تنطلق أصلا من مصالحها الذاتية ، وهو ما أظهرته إلى حيز الوجود حروب اليونان التي اعتزمت روسيا من خلالها دخول الحرب إلى جانب الثوار ، إلا أن وقوف الدول الأوروبية الأخرى في وجه هذا التدخل ، قد أنهى تلك الثورة بتدخل أوروبي مشترك ضد الدولة العثمانية في معركة نفارينو Navarino الشهيرة ، إلا أن هذه المعركة قد تبعتها حرب طاحنة قامت بها روسيا ضد الدولة العثمانية ، ليتقدم الساسة الفرنسيون حينذاك بمشروع تحالف مع روسيا لاقتسام أملاك الدولة العثمانية ، وإعادة تخطيط حدود الدول الأوروبية في ضوء هذا التقسيم ، إلا أن معاهدة أدرنة حالت دون تحقيق هذا المشروع .

ورغم أن بريطانيا كانت قلقة من معاهدة أدرنة ، إلا أن سياسة روسيا هي الأخرى قد تبدلت من الرغبة في اقتسام أملاك الدولة إلى الرغبة في

المحافظة عليها ، ولكن ذلك بات سرا على الحكومة البريطانية - طوال العشر سنوات التي أعقبت معاهدة أدرنه - ، والتي انزعجت ابان حروب الشام الأولى ، التي نتج عنها عقد تحالف دفاعي هجومي بين الدولة العثمانية وروسيا في اتفاقية انكيار سكليسي Unkiar - Skelessi ، حتى أن معاهدة ميونيخ - جريتز MunchenGratz التي وقعتها النمسا مع روسيا بعد معاهدة انكيار سكليسي في أقل من ثلاثة أشهر ، والتي تنص على المحافظة على كيان الدولة العثمانية ، وأن تقسيم أملاكها لن يتم الا عند الضرورة ، وبالاتفاق مع النمسا ، تلك المعاهدة لم يستطع المستشار النمساوي اقناع فرنسا وبريطانيا بالدخول فيها ، لأن الساسة الانجليز والفرنسيين لا يثقون حينئذ في سياسة روسيا تجاه الدولة العثمانية ، وهكذا بدأ لنا من خلال ذلك أن سياسة الدول الأوروبية تجاه الدولة العثمانية قد اتسمت بالغموض والتناقض ، لتظهر خطة التدخل وسياسة التكامل في تلك السياسات الأوروبية في تلك الفترة .

ولكن حرب الشام الأولى وما سبقها من تدعيم محمد علي لقوته السياسية والاقتصادية داخل مصر أولا ، وخارجها ثانيا ، مما جعله ينطلق في تحقيق طموحاته وأهدافه من هذه القوة ، أضافت عاملا تاريخيا جديدا للأحداث الكبيرة التي تشهدها المنطقة ، ولأن محمد علي كان يدرك أهمية الشام لمصر في نواحي استرتيجية واقتصادية ، فقد بات يتحين الفرص المناسبة ليضم الى ولايته ولاية الشام ، حتى أنه لم ينس ذلك أثناء حملاته الأولى إلى شبه الجزيرة العربية التي كلف بها من قبل الدولة العثمانية

وحاول مع السلطان العثماني حينئذ لكي يمنحه ولاية الشام ، لكي يتم مهمة الحجاز كما يقول ، إلا أن ذلك لم يوصله إلى هدفه ، ليساوم بعد ذلك على شرائها من الدولة العثمانية التي أصبحت تدرك أهداف وخطورة محمد على لترفض هذا الطلب مرة أخرى .

غير أن الحيلة لم تعدم الباشا ليستميل اليه رجالات الشام البارزين ليكسب ثقتهم وولاءهم ، ثم حاول محمد علي أن يحصل على الشام لقاء اشتراكه في حروب اليونان كما أوضحنا ، تلك الحروب التي فتحت عيني الباشا على ما تعيشه الدولة العثمانية من وضع خطير بعد الغاء الانكشارية حين أصبحت الدولة العثمانية عارية من القوة الحربية التي تقف في وجه هذا التابع القوي ، ثم ظهرت الفرصة الثمينة للباشا بعد حروب الدولة مع روسيا والتي لم يدخلها الباشا إلى جانب الدولة ، فالجيش الجديد الذي لم يصل بعد إلى مرحلة الاستعداد في التدريب والتسليح ليملأ الفراغ الذي تركه الغاء الانكشارية ، وحروب البلقان التي زادت من ارباك الأحوال في الدولة العثمانية ، أعطت الضوء الأخضر لمحمد علي كي يحقق أهدافه وأطماعه في الشام عن طريق الحرب ، لاسيما وأنت مركزه قد أصبح أقوى من السلطان نفسه .

وقد استغل محمد علي هروب مجموعة من الفلاحين إلى والي عكا ، ليجعل منهم ذريعة لإعداد الجيوش والعتاد ويسيرها لغزو الشام لتحقيق الأهداف والطموحات التي تختلج في نفسه منذ أمد بعيد في تلك الجهات .

وبعـد الاستعدادات الحربية سير الباشا قواته التي بدأت في الاستيلاء على مـدن الشام الواحـدة تلو الأخرى ، بعد أن استطاع إبراهيم باشا قائد هذه القوات استمالة الأمير بشير الشـهابي ، إلى جانبه ضد قـوات الدولة العثمانية التي غيرت هـذه الحرب مفاهيمهـا في القتال ، فهي لم تعتد على قتـال المسلمين ، ولا تعرف إلا قتـال الكفار مما سهل مـهمـة إبراهيم باشا وقواتـه ليتفـوق وبسرعة كبيرة على قـوات الدولة العثمانية التي بدأت في التقـهقـر ، ولعل خـير دليل على مـا ذهبنـا إليه في ذلك هـو أن السلطان العثماني قد اعتبر محمـد علي مـن الولاة الخارجين على سلطـان الدولة ، وعـقـد له مـجلسا من العلمـاء يفتي بتجـريده وابنه من المناصب والرتب التي منحت له من الدولة .

وقد سقطت مدينة عكا في أيدي قوات الباشا ، ولكنها لم تكن الهدف النهائي للباشا لتسير منها قواتـه إلى دمشق وبيروت وحلب ، ولتنتصر في معركة قويـة على قـوات حسين باشا في مضيق بيـلان الذي يعتبر من المواقع الاستراتيجيـة للسيطـرة على سوريـا الشمالية ، إلا أن خاتمة المطاف كان تفوق جيوش ابراهيم باشا على جيوش الدولة العثمانية التي يقودها الصدر الأعظم رشيد محمد باشا في معركة قونية الشهيرة ، والتي اعتبرت تحـولاً حاسماً لصالح محمد علي في حرب الشام الأولى التي خاضـها ضد الدولة العثمانية.

كان مـن أهـم نتائـج هـذه الحـرب أنـها فتحـت المجـال للتدخل الأوروبي في شئـون الدولة العثمانية ، وزادت من اجهاد الدولة قبل أن تأخذ الفرصة

الكاملة لبناء عساكرها الجديدة التي حاول السلطان محمود الثاني احلالها محل الانكشارية التي قضى عليها في وقت غير مناسب ، لأن أضرارها على الدولة نفسها مع بقائها كانت أخف وطأة من تلك الأحداث التي لحقت بالدولة بعد الغاء الانكشارية ذاتها .

ولم يجد السلطان العثماني من وسيلة لايقاف تابعة القوى أفضل من الارتماء في أحضان عدوه التقليدي قيصر روسيا ، لأن بريطانيا وفرنسا قد وقفتا موقفا حياديا حينذاك ، وتوقفت قوات إبراهيم باشا عند كوتاهية حينما رأت الأساطيل الروسية تتجه نحو الشاطيء الآسيوي للبوسفور .

ان التنظيمات التي قامت بها حكومة الباشا في الشام قد أفرزت آثارا مختلفة كانت سببا في زيادة الأعباء على تلك الحكومة ، وأثرت بطرق مختلفة على تحركات الباشا نحو العراق وشبه الجزيرة العربية من الشام ، وقد تكشفت طموحات الباشا من خلال هذه الحرب ، حيث اختلف كثير من المؤرخين حولها غير أننا استطعنا أن نقرر من خلال ذلك على صدق ولاء محمد علي للسلطان العثماني ، وعدم رغبته في إقامة دولة عربية محضة ، إنما كانت أهدافه تنطلق من تحقيق آمال وطموحات ذاتية له في المنطقة العربية التي تشمل شبه الجزيرة العربية والشام والعراق ، اضافة الى مصر والسودان ، التي ثبت دعائمه فيها كوالٍ قوى من ولاة الدولة العثمانية .

ولا شك أن معاهدة كوتاهية لم تكن سوى هدنة مسلحة تم توقيعها بين السلطان العثماني ومحمد علي ، وكلاهما ينظر لها كفرصة سانحة يستطيع من خلالها استعادة قوته وتدعيم أركان حكومته ، لينطلق بعد ذلك في سبيل تحقيق آماله وغاياته .

كشف كل ذلك موقف الدول الأوروبية تجاه السلطان العثماني ومحمد علي ، والتي لم يهدأ لها بال حتى تم ابرام معاهدة كوتاهية تلك ، وتوقف الصراع بين السلطان وتابعه ، وكأن تلك المعاهدة أو الهدنة المسلحة بتعبير أدق ، إنما هي اجراء أرغم عليه الطرفان ، وقبلاه لتحقيق أهدافهما من ورائه كل حسب مخططاته وتوجيهاته .

وتعتبر معاهدة انكيار سكليسي Unkiar - Skelessi مع روسيا التي أعقبت معاهدة كوتاهية ، فرصة ثمينة للدولة العثمانية تستكمل من خلالها استعداداتها في الوصول إلى أهدافها العسكرية والسياسية ضد محمد علي رغم أن تلك المعاهدة كانت تمثل وصمة عار أثرت فيما بعد على مكانة السلطان محمود الثاني ، لأنها أول معاهدة تحمي بموجبها دولة كافرة قصر السلطان المسلم ، الذي تزعزعت مكانته في العالم الاسلامي ، وفي الجزيرة العربية بوجه خاص ، كما أن تلك المعاهدة قد أزعجت الدول الأوروبية ، وخاصة بريطانيا التي رأت في محمد علي سببا رئيسيا لادخال الروس في شئون الدولة العثمانية ، مما قد يحدث انقلابا في التوازن الأوروبي إضافة إلى أهداف الباشا التوسعية التي ستهدد المصالح الاستراتيجية والاقتصادية لبريطانيا في أملاك الدولة العثمانية ، وخاصة في ما له صلة بطرق مواصلاتها إلى الهند عبر الشام والعراق وشبه الجزيرة العربية ، وهو ما كان الباشا يطمع بالفعل الى تحقيقه أثناء الهدنة المسلحة ، معاهدة كوتاهية ، حين بعث بقواته مرة أخرى وباسمه هو إلى الجزيرة العربية ، ليحقق فيها أهدافه وتطلعاته ، إلا أن الموقف البريطاني ضد هذه الأهداف ظهر واضحا حينذاك ، وهو ما تحدثنا عنه تحت عنوان

إنجلترا وسياسة منتصف الطريق ، ونظرية القشرة الواقية للهند ، وهو ما يتعلق بعلاقة بريطانيا مع محمد علي فيما يجري علـى أرض الشـام والجزيرة العربية والعراق .

اتضح لنا ذلك الموقف العدائي الذي اتسمت به سياسة بريطانيا تجاه الباشا ، وحرصها الشديد على سلامة القشرة الواقية للهند ، المتمثلة في شبه الجزيرة العربية والعراق والشام ، حيث بدأت السياسة البريطانية حينئذ في مرحلة من عدم التوازن في كيفية الوصول إلى حل سريع وحاسم لهذا الخطر الجديد ، فهناك من يدعو إلى الحل الديبلوماسي السلمي مع الباشا وهناك من يرى أن التدخل الحربي هو العلاج الناجح لهذا الخطر لايقافه عند حدّه .

كان للجزيرة العربية والخليج العربي أثر بالغ على المصالح البريطانية منذ أمد بعيد ، وما نتج حيالها من صراعات استعمارية مختلفة بين فرنسا وبريطانيا ، وقد أصاب الهلع بريطانيا من قيام الدولة السعودية الأولى بمناصرة القواسم في الخليج ، لتقوم ازاء ذلك بارسال الحملات العسكرية المسلحة لتقضي على المجاهدين من القواسم بحجة القضاء على القرصنة ، ثم تتبع ذلك بتكبيل مشائخ المنطقة بمعاهدات مزعومة بحجة الحماية لكي تخلق لها مبرراً للتدخل في شئون المنطقة دون اثارة أي من الدول الأوروبية ، ولذلك عم الارتياح الأوساط البريطانية عندما تم سقوط عاصمة الدولة السعودية الأولى في أيدي قوات إبراهيم باشا ، وقاموا بمحاولات لاحتواء الباشا في سبيل القضاء على قوة القواسم حلفاء السعوديين في الخليج بعمل حربي مشترك ، وهذا طبعا في سبيل تحقيق مصالحهم الاقتصادية والاستراتيجية المباشرة ، لأن خوفهم من

تحركات الباشا يتساوى مع خوفهم من السعوديين والقواسم ، واستمرت المحاولات البريطانية في فرض السيطرة على الموانيء الهامة في البحر الأحمر والخليج العربي ، للوقوف في وجه أطماع وأهداف محمد علي ، وكان تحركها السياسي الحذر في الشام بعد حروب محمد علي الأولى هناك ، وما تبع ذلك من تقارير خطيرة بعثها القناصل الانجليز إلى حكومتهم يؤكدون فيها وصول قوات الباشا الى مواقع استراتيجية في الجزيرة العربية ، وبشكل خاص في مداخل البحر الأحمر وفي الخليج العربي ووصولها إلى أجزاء هامة من اقليم الشام ، لتأخذ حينذاك السياسة البريطانية بعداً آخر في ضرورة التصدي لتحركات الباشا في شبه الجزيرة العربية ، رغم أن محمد علي حاول التأكيد للساسة البريطانيين من أنه حريص على عدم الاضرار بالمصالح البريطانية ، إلا أن ذلك لم يجد نفعا مع وزير الخارجية البريطاني اللورد بالمرستون Lord ,Palmerston، الذي وقف بكل قوة أمام أهداف وطموحات محمد علي، التي يرمي إلى تحقيقها في الجزيرة العربية والشام والعراق، إلى أن وصل الوزير البريطاني غايته المنشودة في إقتلاع محمد علي من تلك الجهات بعد أن مارس معه أساليب سياسية واقتصادية مختلفة ، ولوّح له في أكثر من مرة أن حكومة بريطانيا لن تقف مكتوفة الأيدي أمام تحركات محمد علي في المنطقة، وأنها ستستخدم القوة المسلحة لايقاف هذه التحركات إذا دعت الحاجة، وأظهرت بوادر ذلك باحتلال عدن في البحر الأحمر وجزيرة خرج في الخليج العربي، إضافة إلى وضع ثلاث بواخر مسلحة في ميناء البصرة، في الوقت الذي كبلت شيوخ المنطقة بنوع من معاهدات الحماية، امتازت به السياسة البريطانية في تلك الفترة للتصدي لتحركات محمد علي في الجزيرة العربية .

شهد الحجاز حركة عصيان لقوات محمد علي في الحجاز أثناء حرب الشام الأولى ، بقيادة محمد أغا « تركجه بيلمز » ، أحد ضباط قوات محمد علي الغير نظامية التي بقيت في الحجاز بعد الحروب الأولى التي خاضها الباشا في الجزيرة العربية لحساب الدولة العثمانية ، وجاء توقيت هذه الثورة في وقت جد خطير بالنسبة لمحمد علي الذي كان يخوض حربا ضد الدولة العثمانية في الشام ، إلا أن حرص الباشا على الاحتفاظ بسيطرته على الجزيرة العربية قد جعله يقضي على هذه الثورة والقائمين بها ، بعد أن استنفذ معهم الأساليب الديبلوماسية التي عرفت عن محمد علي ، فوجه لهم قوة حربية بقيادة أحمد باشا يكن لتستأصل جذورهم وتعيد هيبة حكومته إلى تلك الجهات ، لاسيما وأن قواته في الشام قد حالفها النصر في معاركها الأولى ، وعندما انسحب الثوار الى اليمن لم يتركهم محمد علي ينعمون بالبقاء هناك خاصة وأن الدولة العثمانية كانت سعيدة بقيام هذه الثورة ، حين أصدر السلطان العثماني فرمانا بتعيين قائد هذه الثورة واليا على الحجاز ، غير أن قوات محمد علي استطاعت أن تلغي مفعول هذا الفرمان حين هزمت الثوار في الحجاز وتتبعتهم إلى اليمن .

تبع ذلك تحرك الثوار في الحجاز ، ثم هروبهم الى اليمن وتحالفهم مع علي بن مجثل الذي لم يلبث أن اتجه للتعاون مع أحمد باشا يكن ضد الثوار ، الذين تلقوا نكسة على يدي سلطان لحج وعدن ، حين قتل منهم أربعين رجلا جاؤوا لاستلام الميناء ، غير أن السلطان غدر بهم وقتلهم ، وقد تحدثنا عن الأعمال التي قام بها قائد الثوار في المدن اليمنية ومحاولاته المختلفة التي بذلها لبسط نفوذه هناك ، وعن مصير هؤلاء الثوار بعد أن حاصرتهم قوات محمد

علي في اليمن ، ليجدوا أن خير وسيلة لنجاتهم هو الالتجاء إلى السفن البريطانية في المخا ، حيث تولت هذه السفن حماية قائد الثوار ومن وصل معه من جنده ، وأبحرت بهم إلى ميناء بومباي في الهند ، لتوصل الحكومة البريطانية فيما بعد قائد هؤلاء الثوار إلى البصرة ، وليسند له منصب قيادي كبير في تلك الولاية العثمانية ولا غرو في ذلك إذا عرفنا أن الحكومة البريطانية كانت قلقة جداً لأي تحرك تقوم به قوات محمد علي في أي جزء من أجزاء الجزيرة العربية التي تعتبر قشرة واقية للهند .

تركت هذه الثورة آثارها الايجابية على أهداف وطموحات محمد علي في الجزيرة العربية ، وكأنها أصبحت عامل استعجال لتحقيق هذه الأهداف والطموحات ، دون أن تثير تحركات الباشا عامل الشك لدى الحكومة البريطانية في بداية الأمر ، لأنه اتجه لاخماد هذه الثورة ليس إلا ، وكما يردد هو دائماً ، لكن السياسة البريطانية لم تكن لتغفل عن تحركات الباشا تلك بعد ذلك ، وكان تعيين محمد أغا « تركجه بيلمز » في منصب قيادي في ولاية بغداد دليلاً على أن مصلحة تلك الولاية والتي تهم بريطانيا في المقام الأول ، لابد أن يحرص على حمايتها رجل من أعداء محمد علي ومن المناوئين له ، لكي يحول دون تطلعاته إلى تلك الولاية ، ولكي يسعى للتصدي له في شبه الجزيرة العربية من أجل أن لا يحقق فيها أهدافه وطموحاته المبيتة والتي ستضر بالمصالح البريطانية دون شك ، وهذا ما قام به محمد أغا ـ تركجه بيلمز ـ الذي عين حاكما للبر والبحر على السفن الموجودة في البصرة ، غير أنه لم يؤد المهمة على الوجه الأكمل ، ولم يستطع التصدي لتحركات جيوش الباشا التي وصلت فيما بعد إلى وسط

الجزيرة العربية وسواحل الخليج العربي ، ليصبح مصير هذا الضابط الثائر مجهولا فيما بعد ، لأنه لم يعد من المؤثرين في الأحداث الجارية حينذاك ، وهذا ما تطرقنا اليه في نهاية ذلك الفصل .

إن من أهم مظاهر التأثر والتأثير في حروب الشام هي تلك الأحداث التاريخية التي جاءت في أواخر عهد مؤسس الدولة السعودية الثانية الامام تركي بن عبد الله بن محمد بن سعود ، الذي جاء في وقت قنطت فيه الجزيرة العربية ، وأصبحت مسرحا للفوضى والسلب والنهب ، ليعيد لها الأمن والاستقرار وينشيء الدولة السعودية الثانية ، بعد أن استفاد من التجارب السابقة التي أحاطت بآل سعود في دولتهم الأولى ، كما أن قيام حرب الشام الأولى قد ساعده إلى حد كبير ، حيث أن القبضة العسكرية التي كان يطبقها محمد علي في وسط الجزيرة العربية قد خفت نوعا ما ، ليتولى الامام تركي بن عبد الله طرد البقية الباقية من الحاميات العسكرية التي تركها الباشا حينذاك ، وليقوم بعدئذ بتدعيم أركان حكومته في حائل والقصيم وعسير ، ووسط اقليم نجد بشكل عام ، لينطلق بعد ذلك إلى الأحساء وسواحل الخليج العربي ، وليبسط حماية دولته على البحرين التي دفعت له الزكاة التي كانت تدفعها للدولة السعودية الأولى .

بذل الامام تركي بن عبد الله جهودا جبارة لتدعيم أركان الدولة الناشئة والقضاء على التمردات التي كان يقوم بها العربان في أنحاء متفرقة من أقاليم الدولة ، ليعيدهم إلى دستور دولته الخالد كتاب الله وسنة رسوله ، وبعد جهود مضنية ، وتضحيات كبيرة تمكن الامام تركي من بناء دولته وتدعيم أركانها ،

ليعم الأمن والايمان أرجاء الدولة الفتية ، ولتصبح ذات قوة ومكانة في المنطقة ، لما يتمتع به الامام من روح طيبة ، ودهاء سياسي رفيع أكسبه احترام الجميع ، غير أن استشهاد الامام تركي ابن عبد الله بن محمد بن سعود ، قد أثار كثير من الاضطراب والفوضى في المنطقة ، لا سيما وأنه قد جاء في وقت كان الأمير فيصل بن تركي يقوم باخماد بعض الثورات التي قام بها أهالي سيهات وتاروت على الساحل الشرقي ، وبمساعدة من شيخ البحرين ، إلا أن الامام فيصل بن تركي الذي تقلد مهام الحكم سرعان ما تمكن من السيطرة على مجريات الأمور .

وحاول الامام فيصل بن تركي اعادة بناء الدولة السعودية الثانية منذ أن كان قائدا في جيش والده ، إلى أن أصبح الحاكم المطلق في الدولة ، ليقوم حينذاك بجهود مضاعفة في سبيل بناء دولته وتدعيم أركانها حيث خاض عدة معارك حاسمة ، أعادت للدولة هيبتها ومكانتها ، بعد أن اقتص من قاتل أبيه وأعوانه ، بمسلكه السياسي المتميز الذي عرف به الامام فيصل بن تركي ، ثم افتتح عهده بمؤتمر دعا اليه قضاة الدولة ورؤساء القبائل والاقاليم فيها ، حثهم من خلاله على اتباع المسلك الإسلامي القويم ، ثم سار بعد ذلك بدولته في سياسته المعروفة والتي جمعت بين القوة واللين ، إلى أن أعاد الدولة الى مجدها وقوتها التي كانت عليها في أواخر عهد والده ، ولكن حرب الشام الأولى كانت حينذاك قد انتهت بمعاهدة كوتاهية ـ الهند المسلحة ـ التي أتاحت الفرصة لمحمد علي كي يلتفت وبقوة الى الجزيرة العربية ، لكي يحقق فيها أهدافه وطموحاته ، وينطلق منها إلى

العـراق والشـام بشكل دائـري مـن الجنـوب ، اتضح هـذا مـن تحـركـات خـورشيد باشا ، وما سبقه مـن حمـلات ، ومصاحـبة الأمير خـالد بن سعود الذي كان أسيرا في مصر لهـذه الحملات ، ليجعل منه محمد علي وسيلة لتحقيـق غاياتـه ، ولم يكن الامام فيصل بغـافل عـن تلك التحركات ، حين حـاول انتهـاج الدبلوماسيـة مع والي الحجـاز ، ومع قادة تلك الحمـلات عله يتفادى التصـادم المسلح معـــهم ، غير أن ذلك لم يجـد نفعا ليضطر الامام فيصل إلى أن يخـوض عدة معارك مع تلك القوات ، التي تصدت للامام فيصل ، بعد أن وصلهـا المدد مع خـورشيـد باشـا وكذلك بـعد وصـوله ، ليدرك الامـام فـيصل حـينذاك أن من المصلحـة له ولقواتـه التسليم لكي يحـافظ على دماء وأموال من بقي معه من جنده ، ثم أشرنا في ختام ذلك الحديث الى ما كان يتمتع به الامـام فـيصل من صـفـات وأخلاق نـادرة قل أن توجد في أقـرانه ، وتعتـبر عـودته إلى بلاده بعـد مـعـاهدة لندن التي أرغـمت مـحـمـد علي على الانسحاب من الجزيرة العربية ، واعادته بناء دولته مرة ثانية ، تاكيدا قاطعا لما ذهبنا اليه في ذلك .

ظل الموقـف في الشام يؤثر في تطـــور أحوال الدولة السعودية الثانية ، لأن حـرب الشـام الأولى التي خـاضـهـا محمد علي ضـد الدولة العثمـانية قد خففـت كما قلنـا مـــن القبضـــة العسكريـــة للباشا ، التي كان يفرضـهـا على شبـه الجزيرة العـربية وبـالذات في وسطهـا وشرقـهـا المتمثل في اقليم نجد والاحسـاء ، وأدرك الامام تركي بن عبـد الله هـذا الحـدث التاريخي الهام ، الذي ظهـر على الحاميـات العسكريـة في نجـد ، والتي أصبحت في موقف

لا تحسد عليه ، ليقوم الامام تركي حينئذ بتوحيد معظم أقاليم الجزيرة العربية ، ويعيد بناء الدولة السعودية الثانية ، منتهزاً فرصة انشغال محمد علي بحروب الشام الأولى ضد الدولة العثمانية ، وكانت تحركات الامام تركي في عالية نجد ، لكبح جماح المتمردين من العربان ، لأن حكومة الحجاز التابعة لحكومة محمد علي في مصر ، لا تستطيع إرسال قوات إلى وسط نجد ، رغم قلقها المتزايد الذي عبر عنه محافظ مكة في رسالة بعثها إلى محمد علي ضمنها معلومات وافية عن تحركات الامام تركي في عالية نجد[1] بيد أن اشتعال حرب الشام الأولى ، وتحول الثقل العسكري لحكومة الباشا الى الشام أولا ، أتاح الفرصة للامام تركي بن عبد الله ليتحرك في مختلف أقاليم الجزيرة العربية ، ويدعم نفوذه فيها ، وهو ما تحقق سنة ١٢٤٨ هـ / ١٨٣٢ م ، حين وصلت قوات الامام إلى الاحساء ، وقضت على مختلف العناصر المناوئة هناك ، ليبقى الامام في الاقليم مدة قاربت الشهرين ، تقبل خلالها البيعة والولاء وفروض الطاعة له ولدولته[2] .

أدرك محمد علي خطورة تحركات الامام تركي تلك ، فطلب إلى والي الحجاز أن يبعث إلى الإمام من يحذره من نتيجة هذه التحركات التي لن ترضى عنها حكومة الباشا ، والتي ستقف حيالها بالقوة المسلحة ، ولكن ادراك الامام تركي لأوضاع حكومة محمد علي في الشام جعله يسير قدما في تدعيم دولته ، فأرسل من قبله أميرا وقاضيا للبريمي وساحل عمان ، ووقع

---

(١) وثيقة رقم ٦٤ ، محفظة ١٣ بحر برا ، دار الوثائق القومية بالقاهرة .

(٢) عثمان بن بشر : عنوان المجد في تاريخ نجد ، جـ ٢ ، ص ٤٣ ـ ٤٤ .

اتفاقية مع سلطان مسقط يدفع بموجبها الزكاة للدولة السعودية ، ورغم أن الحكومة البريطانية أبدت قلقها تجاه امتداد نفوذ الامام تركي في تلك الجهات من الجزيرة العربية ، وحاولت التصدي له بعقد اتفاقيات ثنائية مع شيوخ الساحل العماني ، فقد كان الامام تركي بارعاً في التعامل السياسي حين عرض على البريطانيين استعداده لاقامة علاقات سياسية معهم ، لكي يحفظ لدولته الناشئة استقلاليتها ومكانتها أمام تلك التيارات السياسية المتصارعة التي تموج بها المنطقة ، لاسيما وأن الحرب في الشام بين الدولة العثمانية ومحمد علي لازالت مستمرة ومشتعلة[١] .

وهكذا لم يعد محمد علي في الجزيرة العربية بنفس القوة التي توجه بها اليها أبان حروبه ضد الدولة السعودية الأولى ، ولا غرو في ذلك فقد كانت الأوضاع التي عاشتها حكومته في الشام لا تساعده في التوجه إلى الجزيرة العربية بنفس القوة التي أشرنا اليها سلفاً ، وقد أتاح ذلك الوضع الذي تعيشه حكومة محمد علي في الشام للدولة السعودية الثانية في أواخر عهد الامام تركي بن عبد الله ، وفي السنوات الأربع التي حكم الدولة فيها الامام فيصل بن تركي ، أتاح ذلك للدولة السعودية فرصة التطور والبناء ، حيث بدأت أقاليم الجزيرة العربية تنعم بالأمن والاستقرار في ظل الدولة السعودية الثانية ، وبدأ الامام فيصل بن تركي بعد استشهاد والده في تدعيم أركان دولته وتوسيع نفوذها ، غير أن ذلك قد زاد في قلق محمد علي الذي أصبح يدرك أن قيام

---

(١) مختارات من سجلات حكومة بومباى

S. R. B. G. No. XXIV. P. 440.

الدولة السعودية الثانية وبهذه القوة سيشكل عقبة أمام طموحاته وأهدافه في وسط الجزيرة العربية وسواحلها الشرقية ، ان لم يهدد تلك الأهداف في الحجاز واليمن ، حينذاك سارع بارسال الحملات العسكرية التي اتخذت من الأمير خالد بن سعود وسيلة لتحقيق غاياتها ، لأن ولاء ذلك الأمير لمحمد على أصبح شبه مؤكداً للباشا ورجال حكومته ، وقد حاول الإمام فيصل أن يتلافى الاصطدام بتلك الحملات ، وينهج معها منهجاً دبلوماسياً ولكن ذلك المنهج لم يصل الى نتيجة حاسمة ، لينتهي الأمر إلى استسلام الامام فيصل بن تركي وبسط نفوذ حكومة محمد علي على وسط الجزيرة العربية وسواحلها الشرقية على يد القائد خورشيد باشا .

أما عن علاقة الدولة السعودية الثانية بالدولة العثمانية فقد بدأت ابان حروب الشام الأولى ، حين استقبل الامام تركي رسالة من والي بغداد من قبل الدولة العثمانية ، أثناء إقامته على ماء الرمحية سنة ١٢٤٧هـ / ١٨٣١ م والتي حملت في طياتها كثيرا من علامات الصداقة والمحبة التي أظهرها الوالي العثماني للامام تركي ودولته الناشئة ، وقد رد الامام تركي على هذه الرسالة برسالة مماثلة وببعض الهدايا التي حملها أحد رجاله المعروفين وهو حمد بن يحيى بن غيهب ، رئيس بلدة شقراء(١) .

وحين ننظر بعين الباحث المنصف إلى الغاية البعيدة لهذه الرسالة التي بعثها والي بغداد من قبل الدولة العثمانية ، نجد أن ذلك ناتج

(١) عثمان بن بشر : عنوان المجد في تاريخ نجد ، جـ ٢ ، ص ٤٢ .

عن العداء المتزايد الذي ظهر بين الدولة العثمانية ومحمد علي ، إبان حروب الشام الأولى ، لأن الامام تركي بن عبد الله الذي أصبحت الدولة العثمانية وولاتها في بغداد يخطبون وده ، هو ابن الدولة السعودية الأولى التي قضت عليها جيوش الدولة العثمانية ، قبل أقل من خمسة عشر عام خلت ، ولكن ذلك عندما كان محمد علي أحد الولاة التابعين لها ، أما الآن فهو من الولاة الخارجين على سلطان الدولة العثمانية ، ولا بد حينئذ من التصدي له ، وأشرنا من خلال ذلك إلى أن علاقات الدولة السعودية الثانية لابد أن تكون قوية مع الدولة العثمانية ، في نظر رجال الدولة العثمانية على الأقل ، لأن ذلك سيخدم العثمانيين في التصدي لأطماع وأهداف محمد علي في الجزيرة العربية ، التي سينطلق منها إلى العراق ، وهذا شيء مؤكد إذا تحقق له النصر النهائي في الشام .

ويمكن أن نصف هذه العلاقة بأنها لم تتعد التحريض من قبل ولاة الدولة العثمانية لأئمة الدولة السعودية الثانية للتصدي لقوات محمد علي في الجزيرة العربية ، والتي لم تصل إلى المساعدة العسكرية المباشرة ، وعللنا ذلك لأن الأوضاع في الشام والمواجهة بين الدولة ومحمد علي فيها ، لم تكن تستطيع الدولة من خلالها اعطاء المساعدة للدولة السعودية الثانية ، التي يعتبر تصديها لجيوش محمد علي في وسط الجزيرة العربية من مصلحة الدولة العثمانية في المقام الأول .

وتشير الرسالة التي بعثها أحد التجار النجديين المقيمين في الكويت ، والتي طلب فيها من الامام فيصل ، اعلان تبعيته للدولة العثمانية ، والحصول

على أمـر سلطـاني عن طـريق والي بغـداد[1] ، إلا أن فيصل بن تركي كان على درجة كبيرة من الذكاء ، حين أخذ في انتظار الدليل الفعلي على صدق نوايا ولاة الدولة العثمانية في تلك العلاقات ، والمتمثل في المساعدة العسكرية للوقـوف ضـد قـوات محـمـد علي ، قبل أن يعلن آراءه تجاه ذلك ، غيـر أن مسـاعـدة الدولـة العـثـمانيـة وولاتهـا في بغداد لم تتـعـد الوعـود والرسـائل التشـجيعية التي يبعثونها للامام فيصل ، لكن الامام فيصل كان أذكى من أن يقع في أساليب الأماني والتسويف التي لم يعمل الولاة العثمانيون في العراق أكثر منها في ايجاد علاقات مع الدولة السعودية الثانية ، بينما بدأت قوات محـمـد علي تصل طلائعـهـا الى نجـد ، وتعـايشت الدولـة السعودية الثانيـة حينئذ مع الأحـداث التي تحيط بها مـن منطلق القوة والاستقلال الذي حفظ لها مكانتها حينـذاك ، حتى رمى محـمـد عـلي بثقلـه العسكري أمـام تلك الدولة الناشئـة ، التي لم يف ولاة الدولـة العثمانية بما رددوه من وعود وأماني في سبيل التصدي لقـوات محمد علي التي بـدأت تتعمق في الجزيرة العربية في طريقها للدوران إلى البصرة وبغداد ، كما نبه الى ذلك الامام فيصل بن تركي حين دارت بينه وبين الولاة المذكورين المكاتبات ، ولم يمنع الباشا من تحقيـق أطماعـه في تلك الجهـات إلا الموقـف الدولي الذي تزعمتـه بريطانيا فيما بعد في معاهدة لندن الشهيرة .

---

(١) المرفق العربي للوثيقة التركية رقم ٦٦ حمراء ، محفظة ٢٦٤ عابدين ، محافظ الحجاز رقم ٥ ، دار الوثائق القومية بالقاهرة .

لعب محمد علي دورا كبيرا لتحقيق آماله وطموحاته من خلال التجارة في الخليج العربي والمحيط الهندي ، لأن محمد علي رجل تاجر بطبيعته وكانت له مميزات ذاتية في اقتصاد حكومته في مصر ، وهو ما عرف بنظام الاحتكار التجاري الذي بدأ تطبيقه في مصر ، ليسيطر من خلاله على التجارة الداخلية والخارجية في وقت واحد ، ولكن بريطانيا جابهت محمد على ، لكى لا يستقر نظامه الاحتكاري المعمول به في مصر في أقاليم الشام ، وتوج هذا الموقف البريطاني باتفاقية بلطة ليمان التجارية بين الدولة العثمانية وبريطانيا والتي كانت ذات أهداف سياسية واقتصادية تهدف في مجموعها إلى التصدي لمحمد علي وتحركاته سواء في الشام أم في الجزيرة العربية وسواحلها الشرقية والغربية .

اختمرت منذ وقت طويل في ذهن محمد علي أهدافه فيما يتعلق بالجزيرة العربية ، وسواحلها المهمة سواء في الخليج العربي أم في البحر الأحمر ، وهو ما تبلور ابان حروب الشام الأولى التي صاحبتها ثورة الجند الغير نظاميين الذين لجأوا إلى اليمن ليكونوا عامل استعجال يوجه الباشا إلى اليمن ، وحينئذ سارع محمد علي بارسال أحد رجاله لشراء البن من مخا وارساله إلى السويس ، حينما تم له الاستيلاء على قاعدة تجارة البن هناك ، وبعد أن تم ابرام معاهدة كوتاهية ، الهدنة المسلحة ، لم يتردد الباشا في ارسال قواته لليمن ، لأن ذلك يضمن له تحقيق الأهداف التجارية التي يأملها سواء في المنتجات اليمنية ، أو فيما يتحقق له من مكوس التجارة من الموانيء اليمنية الهامة ذات المواقع الاستراتيجية ، ولكي يضمن عدم

وجود معارضة له من بريطانيا حاول أن ينشيء علاقات تجارية مع حكومة الهند البريطانية ، في الوقت الذي أكد للقنصل البريطاني في مصر الكولونيل باتريك كامبل Patrick, Campbell أنه لا ينوي توسيع مشروعاته خارج البحر الأحمر ، ولن يمس المصالح الاقتصادية البريطانية هناك بأي أذى(١) .

من ثم اهتم الباشا بالسيطرة على المناطق التي تجود فيها زراعة البن ، لأنه كان يعتزم احتكار تجارة هذا المحصول الهام الذي يمتاز به اليمن ، والى فرض الضرائب الباهظة على التجار التابعين لشركة الهند الشرقية ، وقد طلب حاكم اليمن من قبل محمد علي السماح له بتوسيع رقعة نفوذه ، وطلب بعض الامدادات العسكرية والبشرية ليتمكن من تحقيق أهداف حكومته ، في الوقت الذي كان أهالي وأعيان حضرموت يطلبون من حكومة الباشا الدخول إلى مناطقهم ، ونشر سلطة الحكومة هناك ، لتنظيم شئونهم وأشرنا حيال ذلك إلى الموقف البريطاني تجاه هذا التحرك الذي تقوم به قوات محمد علي في جنوب الجزيرة العربية ، والذي تَمثَّل في تقارير الضباط الانجليز العاملين في شركة الهند البريطانية هناك ، وما تبع هذه التقارير من تحذيرات شديدة اللهجة على لسان وزير خارجية بريطانيا اللورد بالمرستون Lord, Palmerston غير أن تلك التهديدات والتحذيرات لم تغير من خطط حكومة الباشا في اليمن ، التي استمرت في السيطرة على تجارة البن ، وعائدات الموانيء اليمنية الهامة ، وزاد من ذلك منع الباشا للسفن البريطانية القادمة من

(1) Document : F. O. 78/3185; 61070. P. 52.

بومباي من عبور البحر الأحمر شمالي جدة ، ولو أن ذلك يعتبر نهجا سياسياً قديماً سارت عليه الدولة العثمانية في اتخاذ اليمن كحجاب واقٍ للحجاز وللحرمين الشريفين في مكة المكرمة والمدينة المنورة(١) .

لقد أدركت بريطانيا خطورة تحركات جيوش محمد علي في البحر الأحمر وجنوب الجزيرة العربية ، ووجدت أن العلاج الناجح هو احتلال عدن ، لتحافظ بذلك على مصالحها الاستراتيجية والاقتصادية في تلك الجهات وفي الهند ، ولذلك يعتبر هذا من اجراءات متنوعة ، كتحريض الأهالي بعدم دفع الزكاة لحكومة الباشا ، وتحويل تجارة البن إلى ميناء عدن الذي يسيطرون عليه ، ومحاولات استجلاب العمال والصناع وأرباب المهن إلى عدن ، وقد حاولت حكومة الباشا التصدي لهذه الاجراءات البريطانية .

وزادت مخاوف بريطانيا حين اتضحت أهداف وطموحات محمد علي في الخليج العربي ، وحين بعث بقواته العسكرية التي يقودها خورشيد باشا ، والتي كانت تضع اقليم الاحساء في الخليج العربي من أولويات أهدافها لأهمية ذلك الاقليم من الناحية الاقتصادية ، لأنه لا بد لهذه القوات من مورد اقتصادي ، لكي لا يؤثر وجود هذه القوات على جهد حكومة الباشا الذي تقوم به تجاه قواتها المتمركزة في الشام ، وإدراك قائد قوات محمد علي لأهمية البحرين ، سواء من الناحية الاستراتيجية أو التجارية ، ومحاولاته المختلفة التي بذلها لأخذ الزكاة السنوية من حكام البحرين بحجة أنهم

(1) Document : F. O. 78/228; 60952. NO. 62.

كانوا يدفعونها لآل سعود ، ثم ما تبع ذلك من توقيع معاهدة مع شيخ البحرين ، تلتزم حكومة الباشا بموجبها بحماية البحرين ضد أي عدوان خارجي ، على أن تدفع البحرين ضريبة سنوية لحكومة الباشا ، وهكذا تكشفت الأهداف التجارية والأطماع الاقتصادية التي كانت حكومة الباشا في شرق الجزيرة العربية تأمل في تحقيقها في عدة جهات مختلفة في الخليج العربي ، سواء في الساحل العماني وسلطنة عمان أم في الكويت والبصرة وجنوب العراق ، ولم تتردد تلك الحكومة في إرسال مبعوثيها إلى تلك الجهات في سبيل تحقيق أهدافها ، سواء ما كان منها ذا طابع سياسي أو اقتصادي ، لأن في كلا الحالتين مكسب لها ، وهذا بطبيعة الحال ما أثار حفيظة الساسة الانجليز الذين باتوا يرصدون تحركات الباشا وحكومته في الجزيرة العربية ، ويتلقون التقارير المتتابعة من قناصلهم في المنطقة ، وجواسيسهم الذين يعملون لحسابهم ، وهذا ما أشرنا اليه في موضعه .

وبعد كل هذا أصبحت بغداد هي مأمل الباشا لكي تنضم إلى حكومته ، فإن تعذر فتحها عن طريق الشام فالجزيرة العربية هي الطريق البديل للوصول للعراق عن طريق الجنوب ، لتلتف حكومته نحو الشام من الشرق عن طريق بغداد ، وقد أخذت بشائر النصر التي حققها الباشا في حروب الشام الأولى ، مأخذ الفخر والعزة من نفس محمد علي الذي عبر حينذاك للجند الثائرين في الحجاز عن مكنونات نفسه ، وعن أهدافه في

الجزيرة العربية والعراق والشام التي ستلتحق بحكومته ، وأن الثوار لن يجدوا ملجأ يفرون اليه كما ذكر الباشا نفسه(١) .

وعندما أدرك محمد علي أن الامام فيصل لن يخضع لنفوذه وسيطرة حكومته صمم على اخضاعه بالقوة ، ليسيطر على وسط الجزيرة العربية وشرقها ، وينطلق منها إلى الخليج العربي وبغداد ، ولم تعدم الباشا الحيلة السياسية في اعطاء حملاته العسكرية طابع الشرعية ، حين أفرج عن الأمير خالد بن سعود الذي كان أسيرا في مصر ، وسيره مع تلك الحملات ليكسب من خلاله ثقة الأهالي الذين لن يترددوا في الاستجابة له ، باعتبار أنه أحد أفراد الأسرة السعودية صاحبة الحكم في تلك البلاد ، وإن لم يتحقق له الولاء الكامل فسيكون أداة للشقاق مع الامام فيصل ، الذي كسب ثقة أهالي البلاد ، وهذا ما حدث بالفعل ، وكلا الأمرين في صالح الباشا ومخططاته ، وقد أدت آثار حرب الشام الأولى والانتصارات التي حققها محمد علي هناك ، إلى أن مركزه ازداد قوة ، وجعلته يثق في تحقيق أهدافه في الجزيرة العربية ، ويحقق فيها طموحاته العسكرية والسياسية ، وهو ما ظهر واضحا على سلوك الباشا نفسه ، حين أبلغ القنصل البريطاني في القاهرة خضوع كامل الجزيرة العربية وسواحلها الشرقية لنفوذ حكومته ، وذلك قبل استسلام الامام فيصل ببضعة أشهر(١) .

---

(١) وثيقة رقم ٨٢٣ ، دفتر ٤٠ معية تركى ، ص ١٣٠ ، دار الوثائق القومية بالقاهرة .

(٢) جون . ب . كيلى . بريطانيا والخليج ١٧٩٥ ـ ١٨٧٠ م ، جـ ١ ، ص ٥٠٦ ـ ٥٠٧ .

وقد سارع خورشيد باشا في بسط نفوذه على الاحساء ، حين قام بتعيين أحمد السديري أميراً على ذلك الاقليم ، ليكسب ثقة الأهالي هو الآخر ، لما يعرف عن السديري من استقامة وصلاح ، ولكن الباشا سرعان ما غير من نهج حكومته هناك ، حين بعث محمد رفعت أفندي ، ليقوم بامارة الأحساء وتبع ذلك بالاستيلاء على موانيء الاحساء المهمة ، ليصبح خضوع الاحساء والساحل الشرقي للجزيرة العربية لحكومة محمد علي أمراً مؤكداً .

بدأت أطماع محمد علي في البحرين تنطلق من أن تلك الامارة كانت تدفع الزكاة لآل سعود ، ثم تطور الأمر ليأخذ طابع التهديد العسكري المباشرة على لسان خورشيد باشا[1] ، ليتمكن بعد ذلك مندوب حكومة الباشا من عقد اتفاقية ثنائية مع شيخ البحرين يخضع بموجبها لحكومة محمد علي ويدفع لها الزكاة السنوية كما هو معتاد من أيام الدولة السعودية الأولى ، وبذلك وضع محمد على حكومة بريطانيا أمام الأمر الواقع فيما يتعلق بأهدافه في البحرين ، حين سلك في تحقيق ذلك منهجا سياسيا فريدا استطاع من خلاله تحقيق رغباته وطموحاته دون أن يصطدم بالحكومة البريطانية هناك[2] .

وحيث أن البحرين كانت تمثل في أهداف الباشا قاعدة الانطلاق إلى الشمال باتجاه العراق ، وقاعدة الانطلاق إلى الأسواق الشرقية التي تزيد

(1) Document : F. O. 78/374.^{X}C/A/ 61064.

(٢) وثيقة رقم ١٦٥ حمراء ، محفظة ٢٦٧ عابدين ، محافظ الحجاز رقم ٧ ، دار الوثائق القومية بالقاهرة .

من مكانة حكومته الاقتصادية ، فقد حاول خورشيد باشا أن يؤكد للمقيم البريطاني في الخليج بأن خضوع البحرين لحكومته لن يؤثر على المصالح البريطانية في الخليج العربي ولن يمسها بسوء ، غير أن السياسة الدولية التي كانت تحيط بحكومة محمد علي في القاهرة ، ودخوله حرب الشام الثانية ضد الدولة العثمانية ، جعلته يصدر أمرا الى خورشيد باشا لكي لا يتدخل في شئون البحرين ، ويعطي حرية التصرف في شئونها للشيخ عبد الله بن أحمد ، وأعطى محمد علي حكومة بريطانيا صورة من ذلك الأمر ليكسب ثقتهم ويتلافى الاصطدام معهم ، خاصة في تلك المرحلة الحاسمة التي تمر بها حكومته .

أما عن خطط محمد علي بالنسبة للبصرة والمحمرة وبغداد ، وبشكل عام عن خطته تجاه جنوب العراق ، فان الباشا كان يرمي من خلالها إلى مد نفوذه إلى تلك الجهات لكي يحقق منها تكاملاً مع حكومته في الشام ، لا سيما وأنه لم يستطع اخضاعها لسيطرته عن طريق الشام ، فكان الحل الأمثل هو غزوها عن طريق الجزيرة العربية والتي عرفنا تحركاته فيها من خلال تقدمه للأحساء والبحرين ، ولأن محمد على كان يعرف الموقف البريطاني تجاه تحركاته في تلك الجهات ، فقد سلك سياسة معينة ، عله يصل من خلالها إلى تحقيق تلك الأهداف والطموحات دون أن يصطدم بالحكومة البريطانية في الخليج العربي .

وقد حاول محمد علي قبل نشوب حرب الشام الأولى أن يتدخل في شئون الولاة العثمانيين في العراق لكي يضمن ولاء من تسند له تلك الولاية غير أن ذلك النهج لم يتحقق لادراك الباب العالى لمخططات محمد علي حينذاك ، ولكن أهداف وطموحات الباشا في العراق ظهرت الى حيز الوجود بشكل علني إبان ثورة الجنود الغير نظاميين في الحجاز ، التي قامت خلال حرب الشام الأولى[١] ، كذلك فإن قائد قوات الباشا في الشام قد عبر من رغبة حكومة والده في الوصول الى بغداد ، حين سئل أثناء حصاره لمدينة عكا ، وهذا ما أكدته الوثائق البريطانية التي صدرت من القناصل الانجليز في المنطقة[٢] .

وكان من السياسات التي انتهجها الباشا لمد نفوذه نحو العراق تزويد يحيى الجليلي بالمساعدات لكي يعود إلى ولاية الموصل ، الذي سبق للدولة العثمانية أن عزلته منها ، كما حاول استمالة صفوق الجربا - شيخ عشائر شمر الجربا - الذى خلع هو الآخر طاعة الدولة العثمانية ، وانضم إلى حكومة محمد علي ، غير أن سياسة حكومة ابراهيم باشا في الشام التي أثارت القلاقل والثورات في مختلف أنحاء الاقليم ، قد حالت دون شك في امكانية غزو العراق عن طريق الشام ، ورغم أن محمد علي كان قد أفصح للقنصل البريطاني في مصر الكولونيل كامبل Campbell عن رغبته الأكيدة في تدعيم العلاقات بين اقليمي العراق وسوريا ، وهو ما أكده القنصل البريطاني بنفسه في رسالة بعثها

(١) وثيقة رقم ٨٢٣ ، دفتر ٤٠ معية تركى ، ص ١٣٠ ، دار الوثائق القومية بالقاهرة .

(2) Document : F. O. 78/246; 61070. NO. 42.

إلى وزيـر خـارجيته اللورد بالمرستون Palmerston ، بعـد مـعـاهدة كوتاهـية ، الهدنـة المسلحـة[١] ، وعنـدمـا تمكن قـائـد قـوات مـحـمـد على في وسـط الجزيرة العربية ، من تدعيم نفوذ حكومة الباشا في نجد والأحساء والبحرين ، بـدأت تطلعات مـحمـد علي إلى العـراق تأخـذ مـجـالا أوسع لتحقيقها وابرازها إلى حيز الواقـع ، إلا أن اصـطـدامـهـا بالمصالح البريطانية التي كانت مدركة لهـذه التطلعـات حتى قبـل وصـول قـوات الباشا الى وسط الجزيرة العربية ، قد حال دون تحقيقها رغم أن خورشيد باشا قد حاول ارسال مبعوثية إلى البحرين والكويت والمحمرة ، وحـاول أن يركز في اتفاقـة مـع شيخ البحرين على البنـد الذي يعطـيه حريـة التحـرك باتجـاه إمـارات الساحـل العمـاني أو البصرة وبغداد ، ولم يكتف قائد قوات محمد علي في الجزيرة العربية بتلك الجـهـود ، بل بدأ يسـتـميل اليه قبـائـل المنتـفـق في جنوب العراق ، ووضع له جواسيس وعملاء في تلك الجهات ، حتى تلقى في نهاية الأمر رسالة من أحدهم تؤكد له انفتـاح المجال أمـام قواته ، وأن أهل العـراق سـينضـمـون اليه حـال وصوله إلى هناك[٢] ، حينذاك سارع خورشيد باشا بالكتابة إلى حكومة محمد علي في القاهرة ، يطلب اليها الموافقة على غزو العراق ، لأنها ملك يضاهى ملك مـصـر ، وأشار القـائد المصرى لموقف البريطانيين تجاه تلك التـحـركات ، وأنه سـيجـد بديـلا لطريـق البـحـر ، وهـو الطريـق البـري الذي تسـيطر عليـه قوات

(1) Document : F. O. 78/228; 60952. NO. 72.

(٢) صورة المرفق العربي للوثيقة رقم ٤ حمراء ، محفظة ٢٦٧ عابدين ، محافظ الحجاز رقم ٧ ، دار الوثائق القومية بالقاهرة .

الباشا ومؤيديها ، وهو أسهل أمنا ، وأقرب مسافة ، كما يذكر ذلك خورشيد باشا[1] ، وهكذا توفرت البراهين والأدلة لدينا على أن تقدم قوات محمد علي في وسط الجزيرة العربية وفي اتجاه الأحساء والخليج في هذه المرة كان الغرض منه العراق ، لاكمال الدائرة التي تكون الشام نصفها ، لكن الموقف البريطاني المتصلب تجاه أي تحركات قد يقوم بها خورشيد باشا تجاه البصرة وبغداد كان للباشا بالمرصاد ، وساعدهم على ذلك تعقد الوضع الدولي الذي أعقب حرب الشام الثانية ، ذلك الوضع الذي تمكنت بريطانيا من خلاله من تأليب الدول الاوروبية الكبرى ضد الباشا في معاهدة لندن الشهيرة ، التي إقتلعته من الجزيرة العربية ، وقطعت عليه أهدافه وطموحاته في العراق والشام ، ليضطر محمد علي في ذلك الحين إلى إصدار ارادته إلى قائده في الجزيرة العربية لكي يعود إلى مصر ، لأن الوقت لم يعد وقت المصلحة التي يتصورها خورشيد باشا ويأمل في تحقيقها محمد علي[2] .

اختلف المؤرخون حول مدى الاخلاص والولاء الذي كان يسير من خلاله خورشيد باشا ، وهل كانت له أطماع شخصية أم أنه يسير وفق سياسة حكومته في مصر ، وقد استطعنا أن نتوصل الى تأكيد ذلك المنهج الذي يسير عليه خورشيد باشا ، وأن بعد المسافة وعدم إنتظام البريد ، ومضى زمن طويل

---

(١) وثيقة رقم ٤ حمراء ، محفظة ٢٦٧ عابدين ، محافظ الحجاز رقم ٨ ، دار الوثائق القومية بالقاهرة .

(٢) ارادة نمرة ٢١ ، محفظة رقم ٢٦٧ عابدين ، محافظ الحجاز رقم ٨ ، دار الوثائق القومية بالقاهرة .

دون تلقي أية أخبار من حكومته ، هو السبب الذي أوجد هذا الاختلاف في التعليلات التي ذهب اليها المؤرخون ، أما خورشيد باشا فقد كان يسير وفق سياسة حكومة محمد على ، التي ترمي الى تحقيق أهدافها وطموحاتها دون أن تثير حولها الشبهات ، لكي لا تصطدم بذلك العدو اللدود المتمثل في الحكومة البريطانية ، ورجال سياستها في مصر والشام والخليج العربي والعراق ، والذين كانوا يرقبون تحركات الباشا على كافة الاتجاهات ، سواء ما كان منها عسكرياً أم سياسياً ، وليس أدل على ذلك مما كان يرفعه هؤلاء القناصل إلى حكومتهم عن محاولات محمد علي التي يعتزم من خلالها إقامة علاقات ودية مع إيران التي تتربص بالولاية العثمانية في العراق[1] ، وهذا دون شك يعطي دلالة واضحة على مدى ما يتمتع به الباشا من مكر ودهاء سياسي ، حاول من خلاله أن يصل إلى تحقيق آماله وطموحاته .

إن مرحلة الحوار البريطاني حول الحرب أم الديبلوماسية ، أو بتعبير أدق تلك المرحلة التي مرت بها السياسة البريطانية ، يمكننا أن نسميها مرحلة عدم التوازن السياسي ، بدأ ذلك من موقف وزير خارجية بريطانيا اللورد بالمرستون Lord, Palmerston وسفير حكومته في الأستانة اللورد بونسنباي Lord, Ponsonby وكذلك موقف القناصل البريطانيين في كل من مصر والخليج العربي وبغداد ، إضافة إلى حاكم بومباي الجديد جيمس كارناك James Carnac وغيرهم من رجال السياسة البريطانية

(1) Document : (I. O. R.) L/P, S/9/111. P.P. 695 - 696.

Document : (I. O. R.) L/P, S/9/115. No. 26.

وقد تجلى موقف هؤلاء الساسة في تلك الخطابات والتقارير التي يقومون باعدادها ، خاصة منذ أن قامت حرب الشام الأولى بين محمد على والدولة العثمانية ، إلى أن انتهى بهم المطاف الى الحل الدولي في معاهدة لندن الشهيرة ، في جمادى الاولى سنة ١٢٥٦ هـ الموافق لشهر يوليو سنة ١٨٤٠ م .

وعلى الرغم من أن وزير خارجية بريطانيا في بداية الأحداث كان يكتفي باحالة ما يرد اليه من تقارير الى حكومة الهند ، غير أن الملاحظات التي دونها هنري أليس على تقرير السفير البريطاني في الأستانة ستراتفورد كاننج Strat Ford Canning الذي طالب بشن هجوم على مصر ، لايقاف خطر محمد على على المصالح البريطانية قد تركت أثراً سريعاً في سلوك الوزير البريطاني ، الذي ذهب إلى القول بأنه من الواجب ارغام محمد على على الانسحاب من سوريا وحصر نفوذه على مصر فقط ، وقد كان هنري أليس كثير التشاؤم من قيام دولة إسلامية على أرض الفرات ، لأن نفوذها سيصل إلى الجزيرة العربية ، وتصبح بذلك دولة بحرية هامة تهدد طرق المواصلات البريطانية الى الهند عبر البحر الأحمر والخليج العربي ، والمقصود بذلك بطبيعة الحال هي حكومة محمد علي التي كان يخشاها البريطانيون ، حيث أن المقيم البريطاني في بغداد قد شارك هنري أليس عندما أبدى تخوفه من حكومة محمد علي في رسالة وجهها للقنصل الانجليزي في سورية(١) .

---

(1) Document : (I. O. R.) L/P, S/9/93. P.P. 344 - 345.

كان القلق وعدم الارتياح هو طابع السياسة البريطانية ، فوزير الخارجية يؤكد على أن حكومته لن تسمح بالمساس بكيان الدولة العثمانية ، ورجال البحرية الهندية في الخليج العربي والمحيط الهندي يقومون بأعمال المسح والمراقبة لتحركات محمد علي ، وأي جبهة مناوئة لحكومة الباشا تجد الدعم والتأييد من الحكومة البريطانية ، وخير مثال لذلك تلك العناية التي لقيها قائد الجند الغير نظاميين ، الذين ثاروا في الحجاز إبان حرب الشام الأولى ، إلى أن وصل إلى البصرة ، وقُلِّد فيها منصباً بحرياً قيادياً .

وكان هناك تيار سياسي بين رجال السياسة البريطانية يذهب الى امكانية الاستفادة من قوات محمد علي للوقوف ضد التحرك الروسي ، والتعاون معه لخدمة المصالح الاستراتيجية والاقتصادية لبريطانيا[١] ، غير أن وزير الخارجية البريطاني لم يتجه مع هذا الرأي ، اذ أنه قد أصبح على درجة كبيرة من الكراهية لمحمد علي بعد أن أفرزت حربه الأولى في الشام ضد الدولة العثمانية معاهدة انكيارسكليسي ، التي جلبت الخطر الروسي الى عاصمة الدولة العثمانية ، وهو ما لا يحبذه الوزير البريطاني ، وكان المقيم البريطاني في بغداد من أشد المؤيدين لأفكار وزير خارجيته ، لأنه يؤمن أن أطماع الباشا ستمتد إلى الجزيرة العربية والعراق ، وتهدد مصالح بريطانيا هناك ولا بد من الوقوف ضده ولو بالقوة المسلحة[٢] .

(1) Document : F. O. 78/224; 61070. No. 57.

Document : F. O. 78/228; 60952. No. 62.

Document : F. O. 78/246; 61070. No. 42.

(2) Document : (I. O. R.) L/P, S/9/97.No. 67. P.P. 358 - 360.

وقد نهجت السياسة البريطانية تجاه تحركات محمد علي في المنطقة عدة طرق مختلفة لايقافه ، ففي بداية الأمر أوجدوا لهم مصالح تجارية في أنهار العراق ، وقاموا بارسال بعثة ملاحية يغلب عليها الطابع الحربي المسلح ، ولكنها مع ذلك حصلت على فرمان من السلطان العثماني يجيز لها اجراء مسح شامل لأنهار العراق ، وكادت الحكومة البريطانية أن تتدخل بالقوة لارغام محمد علي على السماح لهذه البعثة بانجاز مهمتها حينما حاول قائد قواته في الشام إيجاد بعض العراقيل أمامها ، إلا أن التهديدات البريطانية أدت مفعولها لتحول دون أي تدخل عسكري يرغم من خلاله الباشا بالسماح لتلك البعثة ، ليس ذلك فحسب بل وتقديم المساعدة اللازمة لرجال البعثة ، وفي الوقت الذي كان فيه المقيم البريطاني في الخليج يبعث التقارير المتتالية إلى حكومته ، كان الضابط البحري هينز Haines يقوم هو الآخر بمراقبة تحركات قوات الباشا في اليمن وفي سواحل البحر الأحمر ، أما الكابتن جيمس ماكنزي James MaCkenzie فقد كان تقريره شاملاً ومفصلاً عن أهداف وتحركات محمد علي في شبه الجزيرة العربية(١) ، وشاركه في أخطار هذه التحركات السفير البريطاني في الأستانة اللورد بونسنباي Lord Ponsonby مشيرا إلى أنه لا بد من موقف حازم تجاه هذا الخطر الذي يهدد المصالح البريطانية(٢) .

---

(١) نقلا من مجلة الدارة ، العدد الثاني ، السنة الأولى ، ص ١٨٥ .

(1) Document : F. O. 78/3185. P.P. 22 - 23.

(2) Document : F. O. 78/306. No. 257. 61070.

ثم اتجهت السياسة البريطانية إلى الضغط الاقتصادي لكي تحول بين محمد علي وأهدافه التوسعية حين وقعت معاهدة بلطة ليمان Balta Liman مع الدولة العثمانية ، تلك المعاهدة التجارية التي كانت ذات أهداف سياسية واقتصادية في آن واحد ، غير أن وصول قوات محمد على إلى السواحل الشرقية لشبه الجزيرة العربية أخرج وزير خارجية بريطانيا عن سياسته التقليدية المنطلقة من المناورات السياسية ، ليبعث بالتهديد والوعيد على لسان قنصل حكومته في القاهرة ، الذي نقل إلى محمد على ذلك التهديد البريطاني الذي أكد من خلاله للباشا أن الحكومة البريطانية لن تسمح ببقاء قواته في الجزيرة العربية ، وستقف أمام تحركاته تلك بكل حزم وقوة(١) ، بينما أعطيت التعليمات إلى قائد الأسطول البريطاني في المياه الهندية بالتحرك نحو الخليج العربي ، وطلب إلى حاكم الهند مراقبة أوضاع شبه الجزيرة العربية وما يجري فيها .

أصابت تحركات محمد علي في شرقي الجزيرة العربية السياسة البريطانية بالحمى ، نرى ذلك فيما كتبه المقيم البريطاني في الخليج ، الكابتن هينيل Hannell الذي تقدم باحتجاج رسمي باسم حكومته إلى خورشيد باشا قائد قوات محمد علي في الجزيرة ، أكد له فيه عدم رضى حكومته عن تلك التحركات ، في الوقت الذي أرسل مبعوثا من قبله إلى الكويت والبصرة والمحمرة للتأكد حول ما يشاع عن وجود عملاء للباشا في تلك الجهات

---

(1) H.Temperley and L.M. Penson: Foundations of British Foreign Policy P. 127.

في حين أنه سارع بنفسه إلى عقد معاهدات مع شيوخ الساحل العماني ، استعد من خلالها بتزويدهم بالسلاح والذخيرة للوقوف في وجه تحركات محمد علي وقواته ، مما يؤكد لنا أن انبثاق قوة محمد علي في الجزيرة العربية ، قد وضع بريطانيا أمام حدث خطير لم تمر به في سياستها من قبل ، تلك السياسة التقليدية التي كانت تحرص من خلالها بريطانيا على عدم الاصطدام بعرب الجزيرة في الداخل ، لتصبح عندئذ السياسة البريطانية في مرحلة عدم التوازن السياسي ، حيث مرت بمرحلة من الحوار بين الساسة الانجليز ، يتداولون من خلاله كيفية التصدي لهذا الخطر الجديد ، وماهية الحل الناجع له ، لتصبح معاهدات الحماية التي تبرمها بريطانيا مع شيوخ وأمراء الجزيرة العربية هي موضة العصر التي فرضها انبثاق قوة محمد علي في الجزيرة العربية على السياسة البريطانية ، ولقد ذهب المقيم البريطاني في الخليج إلى أبعد من ذلك حين أشار إلى أن أمراء الخليج العربي ينظرون إلى حرب الشام الثانية حينذاك نظرة خاصة ، وأن انتصار قوات محمد علي فيها معناه انضمامهم اليه ، أما انهزامها فيعني وقوفهم ضد قائده في الجزيرة العربية ، وطالب حكومته بالتصدي لتحركات محمد علي في الساحل العماني ، لكي لا يلحق بالبحرين الذي وقع اتفاقية مع خورشيد باشا ، ورغم أن جيمس كارناك James Carnac ، حاكم بومباي الجديد قد أيد المقيم البريطاني في الخليج على ما دونه في تقريره ، إلا أن حاكم الهند كان يرى أن حكومة لندن هي التي تملك زمام القضية ، وتستطيع البت فيها ، ولا بد حينئذ من أخذ موافقتها على أي اجراء يمكن القيام به ، وفي ذلك

الوقت كان العقيد تايلور Taylor المقيم البريطاني في بغداد يدعو إلى استخدام القوة ضد تحركات محمد علي ، وذلك عن طريق تزويد والي بغداد بالأسلحة والدخيرة والضباط البريطانيين المدربين[١] ، وهو المسلك الذي أصبح يختمر في ذهن اللورد بالمرستون Palmerston وزير الخارجية البريطاني ، الذي طلب إلى قنصل حكومته في القاهرة الكولونيل هودجز Hodges تزويده بمعلومات كاملة عن قوة محمد علي في الاسكندرية ، وعن القوة التي يمكن لها احتلال ذلك الثغر البحري الهام ، وكأنه قد عزم على خوض حرب عسكرية ضد الباشا في عقر داره[٢] .

كذلك تجلى ذلك في تصريح وزير خارجية بريطانيا الذي أضاء الطريق لحكومة الهند البريطانية كي تتدخل عسكريا ، اذا دعت الظروف لإرغام محمد علي في الجزيرة العربية على الانسحاب منها ، وما سبق ذلك التصريح من وصول تلك السفن المسلحة إلى ميناء البصرة ، وألقينا شيئا من الضوء على موقف الحاكم البريطاني العام في الهند ، وموقف حاكم بومباي الجديد ، ونظرة كل منهما ازاء هذه القضية ، وهل هي من اختصاصات الحكومة البريطانية في لندن ، أم حكومة الهند البريطانية ، لنخلص في النهاية إلى أن هذه المرحلة التي أسميناها مرحلة الحوار البريطاني حول الحرب أم الديبلوماسية تجاه تحركات محمد علي في الجزيرة العربية ، قد جعلت أفكارهم وآراؤهم متضاربة ، فهل تكون القوة المسلحة هي الحل

(1) Document : (I. O. R.) L/P, S/9/103. No. 7. P.P. 184 - 187.

(2) Document : F. O. 78/377. No. 2. 61070. P.P. 3 - 4.

الناجع لهذا الخطر الذي يهدد مصالحهم في المنطقة وفي الهند ، أم أن هناك حلا يمكن اللجوء اليه لا سيما وأن محمد علي سياسي بارع يتعامل معهم بنفس المستوى الذي يتعاملون به معه ، لذلك كان الحل الدولي هو نهاية المطاف للوقوف في وجه الباشا ، وهو ما تحقق بالفعل في معاهدة لندن التي تحدثنا عنها بعد ذلك .

لقد عبرنا عن حقيقة تاريخية حين أسمينا هذه الفترة بأنها فصل من فصول المسألة الشرقية ، لأن احتلال عدن كان جزءا من الحل الذي توصلت اليه السياسة البريطانية للتصدي لأطماع وأخطار محمد علي التوسعية في الجزيرة العربية ، والطرق التجارية المؤدية إلى الهند ، وسبق ذلك الاحتلال احتلالاً لجزيرة خرج عند رأس الخليج العربي للوقوف في وجه أي تحرك للباشا باتجاه العراق ، ولتضمن سلامة مواصلاتها عبر البحر الأحمر في حالة فقدانها السيطرة على طريق الخليج العربي ، ولعل في محاولات الشراء التي عرضتها بريطانيا على سلطان لحج وعدن مغزى آخر تهدف إليه السياسة البريطانية لكي تضمن عدم منازعة محمد علي لها في عدن ، إذا تنازل سلطانها عن ملكيتها بطريق الشراء ، وأشرنا الى الرغبة التي كان يبديها محمد على في الاستقلال عن الدولة العثمانية ورفض السلطان العثماني لهذه الرغبة ، التي عول محمد علي من خلالها إلى انتهاز فرصة عدم اكتمال الجرعات التدريبية للجيش العثماني الجديد الذي خلف الانكشارية .

يذهب بعض المؤرخين إلى أن الحكومة البريطانية كانت قد قامت بارسال عدد من الضباط لإعادة تنظيم الأسطول العثماني ابان حروب الشام ، وأنها حذرت محمد علي من قتال السلطان العثماني ، وأنها ستقوم بمساعدته بصرف النظر عن ما يترتب على ذلك من صراع قد ينشب بين جيوش الدول الأوروبية[1] ، وعندما دخلت الأزمة بين السلطان العثماني ومحمد علي مرحلتها الحاسمة ، حاول بعض الديبلوماسيين الأوروبيين ايقاف تلك الحرب ، ولكن يبدو أن كلا الجانبين كان يرغب في الحرب ، فمحمد علي يريد تحقيق أهدافه وتطلعاته على حساب الدولة ، والدولة العثمانية تريد استعادة الشام من أيدي تابعها القوى ، ولكي تغلق أمامه باب أطماعه في العراق ، وتتمنى في الوقت ذاته اقتلاعه من مصر وشبه الجزيرة العربية ، وهناك طرف ثالث وخفى يتمثل في الحكومة البريطانية التي تريد الاقتراب من الحل الدولي أياً كانت نتيجة هذه الحروب ، ونقرر ذلك من خلال الدور الخطير الذي لعبه السفير البريطاني في الاستانة ، الذي ضمن وقوف جميع الدول الأوروبية إلى جانب حكومته باستثناء فرنسا التي لن يضير موقفها أمام الاجماع الأوروبي

كانت معركة نصيبين والتي تعرف عند الكتاب الغربيين باسم نزيب ، ذات نتائج حاسمة ، حين تغلب فيها محمد علي للمرة الثانية على جيش الدولة العثمانية ، وزاد من سوء الأحوال أن قائد الأسطول العثماني قد

(1) H.Temperley and L.M. Penson: Foundations of British Foreign Policy P. 126.

سلم كامل اسطوله إلى محمد علي في ثغر الاسكندرية ، وجاءت بعد ذلك وفاة السلطان محمود الثاني ، الذي مات قبل أن يعلم بكارثة نصيبين ، لتزيد تلك الوفاة في ذلك الوقت من تعقيد الموقف المحرج الذي بدأ يحيط بالدولة العثمانية ، ولم يخفف من ذلك الا تلك المحاولات التي قام بها وإلى بغداد بمساعدة صفوق الجربا ، شيخ عشائر شمَّر الجربا ، للتصدي لأهداف وطموحات محمد علي التي بدأت تحاصر ولايته من الشام ومن الجزيرة العربية.

تولى السلطان عبد المجيد السلطنة والخلافة العثمانية وهو لم يتجاوز السادسة عشر من عمره ، في وقت باتت الأخطار تهدد الدولة من كل جانب ، فلم تعد روسيا هي العدو المرتقب بل أصبحت أبواب العاصمة العثمانية مفتوحة أمام جيوش محمد علي ، ليصبح الأمر حينئذ جد خطير ، وهو ما لحظته الدول الأوروبية التي كانت تعتبر بقاء الدولة العثمانية حافظا للتوازن الأوروبي ، لتسارع بارسال مذكرة مشتركة للباب العالي ، تطلب من خلالها عدم البت في المسألة المصرية دون علمهم ، ويمكننا أن نقرر أن محمد علي لم يكن يرغب الخروج عن سلطان الدولة العثمانية ، بقدر ما كان يحرص على ايجاد مكانة له بين رجال الدولة ، تحفظ له حق الولاية الوراثية في مصر والشام ، ولكي يستطيع وكما صرح مراراً المشاركة في النهوض بالدولة العثمانية التي يسيطر عليها خسرو باشا وأقرانه ، وقد بعث محمد على برسالة إلى قائد قواته في الشام لكي يوقف الحرب عندما بلغته الأنباء عن وفاة

السلطان محمود الثاني ، في الوقت الذي أكد فيه للقنصل البريطاني في القاهرة أن جميع الأمور والاختلافات مع الدولة العثمانية سوف تحسم ، وتحل بشكل عادل ، لأنه يعترف بالاحترام والخضوع للسلطان عبد المجيد . ولكن لا بد للقوى الأوروبية من الابتعاد عن السلطان ومحمد علي ، لكي تحل خلافاتهما بشكل مرض دون تدخل خارجي[١] ، غير أن القلق والاضطراب قد بدأ يعم الأوساط الأوروبية ، وخاصة الحكومة البريطانية ، التي كانت تخشى من تقديم تنازلات كبيرة لمحمد علي ، ربما يقدمها له السلطان عبد المجيد ، الذي لم يتجاوز السادسة عشر من عمره[٢] ، ورغم أن السلطان العثماني ومحمد علي كادا أن يتوصلا إلى اتفاق ينهي خلافاتهما ، إلا أن ذلك يتعارض مع المصالح الاستراتيجية والاقتصادية للدول الأوروبية بشكل عام ، وبريطانيا بشكل خاص ، مما يعني أن هذا الإتفاق لن يكون مقبولا لدى الدول الأوروبية التي سارع مندوبوها إلى الاجتماع بوزير خارجية الدولة العثمانية ، الذي ألمح لهم عن هذا الاتفاق ، الذي تحرص عليه دولته ، وترغب في موافقة الدول الأوروبية عليه ، إلا أن هؤلاء المندوبين لم يعطوا اجابات واضحة ، حتى تأتيهم التعليمات من حكوماتهم[٣] ، فإذا كانت بريطانيا قد بعثت بثلاث بواخر مسلحة إلى العراق لإدراكها أن قوات الدولة العثمانية

(1) Document : F. O. 78/374. No. 50 and 51. ^XC/A/61064.

(2) Hurewitz. J. C. : Diplomacy in the Near and Middle East Vol. 1. P.113.

(3) Document : F. O. 78/375. C/A/61064. P.P. 4 - 6.

في ولاية بغداد كانت تساند الجيش العثماني الذي يخوض حرب الشام الثانية ولا بد حينئذ للحكومة البريطانية من التصدي لتحركات قائد قوات محمد علي في شبه الجزيرة العربية ، بينما كان قناصلها في مصر والخليج العربي يقومون بدور بارز للوقوف أمام تلك التحركات التي ينتهجها الباشا ، عند ذلك ندرك ان التعليمات التي ستأتي من الدول الأوروبية لمندوبيها في الأستانة ، ستكون الحكومة البريطانية هي المرتكز الرئيسي فيها ، لأنها تسعى دائما للوقوف ضد أهداف وتطلعات محمد علي ، الذي كانت حرب الشام الثانية تأكيدا على قوة جيشه ، ونبوغ شخصيته ، ولكن تلك الحرب جعلته يقف وجها لوجه أمام السياسة البريطانية التي وجدت أن خير وسيلة للتصدي له ، دون الاخلال بالتوازن الأوروبي ، ودون التأثير على مصالحها الاقتصادية والاستراتيجية هو الحل الدولي ، وهو ما حصل بالفعل في معاهدة لندن .

كانت الدول الأوروبية تنتهز الأزمات الكبرى التي تمر بها الدولة العثمانية وتضغط على السلطان للحصول على تعديلات جوهرية لصالح الرعية المسيحية في الدولة ، ومن أهم هذه الأزمات هي تلك الأزمة بين الدولة ومحمد علي إبان حروب الشام ، ومن ثم صدور خط كلخانة ، الذي يعتبر من أهم نتائج هذه الفترة ، لذلك كان لا بد من الحديث عن الحالة في الأستانة وعن منشور كلخانة ــ بدء تنظيمات ــ ، بعد أن ألقينا شيئا من الايضاح عن تكوين الدولة العثمانية ومنهجها الديني منذ قيامها إلى أن بدأت الدول الأوروبية كروسيا وفرنسا تتدخل في شئون مواطني الدولة بحجة حماية

المسيحيين الأرثوذكس والكاثوليك ، وأشرنا من خلال ذلك إلى ما كان يتمتع به الانكشارية من روح دينية أكسبتهم الولاء للدولة ، رغم ما كانوا يقومون به من ثورات أضرت بالدولة على المدى البعيد ، لنتساءل عند ذلك عن قرار الغاء الانكشارية الذي أقدم عليه السلطان محمود الثاني ، لأن الأخطار المحدقة بالدولة والحروب التي تخوضها كانت أكبر من أن يتصدى لها الجيش الجديد الذي أقامه السلطان محمود الثاني ، وهو ما ظهر بالفعل في حربي الشام الأولى والثانية التي خاضتها الدولة العثمانية ضد تابعها القوى محمد علي .

وهكذا استطاعت الدول الأوروبية التي شاركت في صياغة مواد التنظيمات اخراج الدولة العثمانية عن خطها الإسلامي الصحيح ، ولأول مرة في تاريخها ، مما يعني وبشكل قاطع أن حرب الشام التي خاضها محمد علي ضد الدولة العثمانية كانت ذات آثار عكسية على الدولة العثمانية ، ليس في العاصمة فحسب بل وفي الجزيرة العربية التي كان تدخل محمد علي فيها إبان حروب الشام سببا في بروز السياسة البريطانية التي وقفت لتحركات الباشا في الجزيرة العربية ، وذلك بتحويل مسألة الصراع بين الباشا والدولة العثمانية الى مسألة دولية ، وكانت سببا رئيسيا في اعلان منشور كلخانة ـ بدء تنظيمات ـ ، التي تتوافق مع سياسة أوروبا بشكل عام ، لأنها تخرج الدولة العثمانية عن الخط الإسلامي بقوانين وضعية تسوى بين المسلم وغير المسلم في الدولة وهو ما تنشده أوروبا ، وقد تطرقنا بالحديث إلى إدراك رجال

الدولة العثمانية للأسباب الكامنة وراء تدهو الأوضاع في الدولة ، والتي من أهمها بعد الدولة عن النهج الإسلامي الصحيح ، لنصل في النهاية إلى القول بأن بدء تنظيمات ـ منشور كلخانة ـ ، لم يؤد إلى اندماج الأقليات كما كان يؤمل من نصوصه ، بل على العكس تماما ، إذ أنه قد خلق نوعا من الفوضى في الدولة العثمانية ، لتنتشر الهيئات التنصيرية في أنحاء متفرقة من ولايات الدولة ، مستغلة هذا المنشور لمصالحها الذاتية ، في الوقت الذي أضعف ذلك المنشور من مكانة الدولة العثمانية في الجزيرة العربية والعراق ، ليصبح باستطاعة محمد علي تنفيذ أهدافه وطموحاته في تلك الجهات لاكمال حلقة تطلعاته التوسعية التي يرمي إلى تحقيقها ، منطلقا من مصر إلى الحجاز ووسط الجزيرة العربية ، ثم الخليج العربي والعراق ، لتكتمل الحلقة بالشام ، ولم يمنع محمد علي من ذلك إلا نتاج هذه الأحداث التي أعقبت حرب الشام الثانية ، والتي تزعمت فيها بريطانيا الدول الأوروبية لتحويل المسألة إلى مسألة دولية ، انتهت باقتلاع الباشا من الشام ومن الجزيرة العربية وفق معاهدة لندن التي ألبت فيها بريطانيا دول أوروبا ضد محمد علي وتطلعاته ، وحافظت من خلالها على التوازن الأوروبي ، وعلى مصالحها الاقتصادية والاستراتيجية في الجزيرة العربية والخليج العربي والهند ، دون أن تظهر بمظهر العداء السافر أمام المجتمع الدولي .

وتحدثنا عن الموقف الأوروبي بشكل عام وموقف بريطانيا بشكل خاص منذ حرب الشام الأولى ، وما تبعها من معاهدات مختلفة ، كمعاهدة كوتاهية الهدنة المسلحة ، ومعاهدة انكيارسكليسي ، تلك المعاهدة التي زادت من

قلق الساسة الانجليز الذين ما فتئوا في البحث عن وسيلة لتحطيمها ، وقد أشرنا إلى الاجراءات التي لجأت اليها الحكومة البريطانية في استمالة أعيان الشام[1] ، وارسال الجواسيس والعملاء إلى هناك لبث بوادر الفتنة والشقاق ، بينما كانت السياسة البريطانية تعمل على قدم وساق في تأليب الدول الأوروبية ضد محمد علي الذي أصبح في نظر الأوروبيين كنابليون في تهديد التوازن الأوروبي ، لأن الحل الدولي المتمثل في تأليب الدول الأوروبية ضده قد أعطى مفعوله الكامل في حروب اليونان ، حين هزم الباشا في نافارينو Navarino ، دون أن يخل ذلك بالتوازن الأوروبي ، ويحدث نوعاً من التصادم ، فيجب حينئذ تجربته في حروب الشام هذه ، لا سيما وأن هذا الحل الدولي يأتي عقب عصر المؤتمرات التي امتازت بها أوروبا في تلك الفترة ، مما يعني أن التوصل إلى الحل سيكون أمراً سهلاً وميسوراً ، ورغم أن فرنسا قد وقعت على المذكرة الأوروبية المشتركة ، التي أعدها سفير فرنسا في الأستانة البارون روسان Roussin والتي يدعون من خلالها الباب العالي إلى عدم ابرام أي صلح حول المسألة المصرية إلا بعد أخذ مرئياتهم ، رغم ذلك فإن فرنسا لم توقع على معاهدة لندن التي أبرمت في الخامس عشر من جمادى الأولى سنة ١٢٥٦ هـ الموافق الخامس عشر من يوليو سنة ١٨٤٠ م ، وذلك نتيجة لتباين المصالح والغايات في المسألة المصرية التي تعتبر جزءا من المسألة الشرقية ، مما يؤكد أن السياسة البريطانية قد استطاعت أن تفوز بقصب السبق حين تمكنت من استقطاب الدول الأوروبية حولها ، وعزلت فرنسا عن معترك الأحداث .

(1) Document : F. O. 78/404. P.P. 97 - 99.

عبرت معاهدة لندن ومحتوياتها عن الوفاق بين الدول التي وقعت المعاهدة وهي بريطانيا وروسيا والنمسا وبروسيا والدولة العثمانية ، والمادة المفردة الملحقة بالاتفاق ، التزمت فيها جميع الدول تلك على ارغام محمد علي على قبول شروط ذلك الوفاق ، لتصبح حينذاك معاهدة لندن أمراً واقعاً تلتزم به الدول الموقعة لحل المسألة المصرية التي أرهقت أوروبا بشكل عام وبريطانيا بشكل خاص ردحاً من الزمن ، وهذا ما يظهر من خلال بنود تلك المعاهدة التي لم تكتف بالحل الدبلوماسي ، بل شملت الحل العسكري ، لإخضاع الباشا ، إذا هو لم يستجب لتلك الشروط في مدة زمنية قياسية ، وهو ما يؤكد ما ذهبنا اليه من أن هذا الحل الدولي ، وهذه المعاهدة هي انتصار واضح لوجهة النظر البريطانية التي تسعى بكل وسيلة إلى اقتلاع محمد علي من الشام معترك الأحداث ، ليسهل بالتالي اقتلاعه من شبه الجزيرة العربية ، وهو ما تحقق للسياسة البريطانية في معاهدة لندن سالفة الذكر ، وفي وقت واحد .

وأخيراً وجد محمد علي نفسه مرغما على الجلاء عن الشام ، ووقع مع القائد البريطاني الأدميرال تشارلز نابيير Admiral , Charles Napier اتفاقا بذلك في الثاني من شهر شوال سنة ١٢٥٦ هـ المصادف للسابع والعشرين من نوفمبر سنة ١٨٤٠ م ، وصدر الفرمان السلطاني بمنح محمد علي حكم مصر حكما وراثيا بعد تردد واحجام تدخلت من خلاله الدول الأوروبية ليصدر ذلك الفرمان ، ثم اتبع بفرمانات أخرى تم بموجبها تسوية المسألة

المصرية بشكل نهائي ، وانضمت فرنسا إلى معاهدة لندن بعد ذلك ، ومن ثم الوقيع على اتفاقية المضائق التاريخية ، لنخلص في النهاية إلى ما حققته بريطانيا من انتصار ساحق تمكنت بموجبه من اقتلاع محمد علي من شبه الجزيرة العربية ومن الشام ، لتضمن سلامة القشرة الواقية للهند ، وتحافظ على طرق مواصلاتها التجارية اليها رغم أن الباشا حاول أن يتعامل مع الساسة الانجليز بنفس النهج السياسي ، إلا أن ذلك لم يجد نفعا أمام الاصرار البريطاني المنطلق من مصالحهم الذاتية ، والتي استطاعت السياسة البريطانية الحفاظ عليها بهذا الحل الدولي ، لكي تضمن سلامة موقفها مع دول أوروبا ، وتحافظ على التوازن الأوروبي في تلك المرحلة ، لكي لا تتعرض مصالحها الاستراتيجية والاقتصادية للخطر .

أما بخصوص شبه الجزيرة العربية فقد امتلأت بالفوضى والفتن والصراعات المحلية ، إبان انسحاب محمد علي من شبه الجزيرة العربية ، وفي أعقاب معاهدة لندن سنة ١٢٥٦ هـ / ١٨٤٠ م وتبع ذلك تغلغل النفوذ البريطاني الذي لم تستطع الدولة العثمانية أن تتصدى له ، لأنها قد بلغت مرحلة من الأضطراب أعجزتها عن أن تملأ ذلك الفراغ الذي تركه انسحاب الباشا الذي كان وجوده في الجزيرة العربية يشكل حاجزا لتلك الأطماع الاستعمارية التي تخطط لها بريطانيا في الجزيرة العربية ، رغم أن الأوضاع في داخل الجزيرة العربية ابان وجود قوات الباشا كانت في أسوأ وضع عرفته المنطقة طوال تاريخها الحديث ، لأن تلك القوات كانت تشارك في أعمال السلب

والنهب التي تموج بها الجزيرة العربية ، ولكن انسحابها من المنطقة أصبح ضغثاً على أبالة ، وزاد الأمر سوءاً وانحطاطاً ، وكان الأمل الوحيد في إعادة الأوضاع إلى طبيعتها هو ظهور الامام فيصل بن تركي بن عبدالله بن محمد بن سعود مرة ثانية ، حيث أعاد بناء الدولة السعودية الثانية رغم أنه لم يسلم من التدخل البريطاني الذي يحرص دائما على تحطيم المنطقة ، ونشر الفوضى في أنحائها المختلفة ليحقق من خلال ذلك أهدافه الاستعمارية المبيتة .

وفي الختام فإننا نتساءل ماذا كان يحدث لو لم تتعرض الدولة العثمانية للدعوة السلفية والدولة السعودية الأولى والثانية ، وماذا كان يحدث لو لم توجد قوات محمد علي ، تذرع شبه الجزيرة من غربها إلى شرقها وجنوبها وشمالها ، ثم هي تنسحب بمقتضى الحل الدولي تاركة شبه الجزيرة العربية ، ممتلئة بالفوضى والاضطراب ، لقد أتاح كل ذلك الفرصة للنفوذ والاستعمار البريطاني ، لكن التاريخ بعد ذلك يثبت أن الحل التاريخي الحتمي لانقاذ شبه الجزيرة العربية هو عودة السلفية والدولة السعودية في مرحلتها الثالثة .

المَلاحِق

الملاحق

١ - صور للوثائق التالية :

أ - وثيقة عربي مرفق بالوثيقة التركي رقم ٦٦ حمراء ، محافظ الحجاز رقم ٥ .

ب - وثيقة رقم ١/٢-٩٤ ، رقمها الأصلي ١٩٥٧٨ .

ج - وثيقة رقم ٨٢٣ ، دفتر ٤٠ معية تركي ، ص ١٣٠ .

د - Document:F.O.78/228.No.72.

هـ - Document:F.O.78/306.No.257.

و - Document;(I.O.R.)L/P,S/9/97.No.67.

ز - Document:(I.O.R.)L/P,S/9/115.No,26.

ح - نص معاهدة لندن باللغة الانجليزية .

٢ - الوثائق والمخطوطات والمصادر والمراجع .

٣ - الفهرس .

الملاحق

١ - صور للوثائق التاليــة :

أ - وثيقة عربى مرفق بالوثيقة التركى رقم ٦٦ حمراء ، محافظ الحجاز رقم ٥ .

ب - وثيقة رقم ١/٢-٩٤ ، رقمها الأصلى ١٩٥٧٨ .

ج - وثيقة رقم ٨٢٣ ، دفتر ٤٠ معية تركى ، ص ١٣٠ .

د - Document:F.O.78/228.No.72.

هـ - Document:F.O.78/306.No.257.

و - Document;(I.O.R.)L/P,S/9/97.No.67.

ز - Document:(I.O.R.)L/P,S/9/115.No,26.

ح - نص معاهدة لندن باللغة الانجليزية .

٢ - الوثائق والمخطوطات والمصادر والمراجع .

٣ - الفهـــرس .

وثيقة عربى ، مرفق بالوثيقة التركى رقم ٦٦ حمراء ، محفظة رقم ٢٦٤ عابدين ، محافظ الحجاز رقم ٥ ، دار الوثائق القومية بالقاهرة ،

رسالة من عبد الله الغداغ الى الامام فيصل بن

[illegible]

١/٢-٩٤

19578

ب

وثيقة رقم ١/٢-٩٤ ، رقمها الأصلي ١٩٥٧٨ دارة الملك عبد العزيز بالرياض .

تقرير من الصدر الاعظم الى السلطان العثماني ، عن اجتماع مجلس الشورى للنظر في أمر طلب محمد علي باشا ضم أيالة الشام اليه ، وقد ابدى أعضاء مجلس الشورى خوفهم من ضم الشام الى الباشا لتعاظم نفوذه .

[illegible]

[illegible]



وثيقة رقم ٨٢٣ ،دفتر ٤٠ معية تركى ، ص ١٣٠ ،دار الوثائق القومية بالقاهرة .

رسالة من محمد على الى قادة الجند الثائرين فى الحجاز ينبئهم من انتصار قواته فى الشام ،وأن بغداد ستلحق بدولته قريبا كما يقول . ..

١

[illegible] — [illegible] of [illegible]
[illegible]
of the late [illegible]

[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

In regard to the request of Mr
[illegible] with the Pasha in favour
of the establishment of posts between Damascus
and Baghdad, I have written to that gentleman
to inform him, that although [illegible]
[illegible] would be
want of respect both towards Ibrahim Pasha
and the governor general of Syria, [illegible]
troubling their [illegible]
[illegible] that [illegible]
had both the will and the power to [illegible]
[illegible]

د

Document: F.O.78/228.No.72

رسالة من القنصل البريطانى فى مصر الكولونيل كامبل Campbell الى وزير خارجيته اللـــورد بالمرستون Palmerston يؤكد فيها أن محمد على ،أكد له حرصه على توطيد الدعائم بين سوريا وبغداد ،وهو بذلك يعبر عـــن طموحاته فى العراق من طريق الشام.

[illegible]

[illegible]

[illegible] to the establishment of [illegible] between Damascus and Baghdad, [illegible]

[illegible]

With the highest consideration and respect,

I have the honour to be
Sir,
Your Excellency's
most obedient humble
servant
[illegible]

113

Therapia, October 30. 1837

My Lord,

Mr Consul Lander, who is always attentive to his duty, acquainted me with his last communication with the Pasha of the Dardanelles upon the subject of the act of Piracy committed against the British vessel "Hope" and states that the Pasha informed him that a man of war Cutter had been sent to Tenedos to await the arrival

Viscount Palmerston G.C.B.

Document:F.O.78/306.No.257

رسالة من السفير البريطانى فى الأستانة اللورد بونسنبى Ponsonby الى وزير خارجية حكومته اللورد بالمرستون Palmerston يؤكد فيها أنه لا توجد قوة يمكنها الوقوف أمام محمد على ، ولا بد من اتخاذ قرار بريطانى حاسم حيال تلك التحركات التى أصبحت تهدد المصالح البريطانية فى الهند .

٢

arrival of the Capitan Pasha, in order to inform that Admiral of the several piratical crimes committed lately on the Coast, and to request that more effectual measures may be taken for the protection of trading vessels.

The Consul also called the Pasha's attention to the fact that two Ottoman Man of war Schooners quitted the Straits on the very day the "Hope" was attacked, and that the weather was quite fine at the time. The Pasha replied

that

that those two vessels were not
under his command and he
could not interfere.

I have the honour to be with the
greatest respect,
My Lord,
Your Lordship's
most obedient
humble Servant
[illegible]

Send a force against them under the Kiahyah, who is likely to commence his march.

I am anxiously awaiting advices of ulterior events from Constantinople, Syria, & Egypt; but, in the mean time, may I suggest the expediency of instructing the Resident in the Persian Gulph to comply with a requisition for the services of a Vessel of War, should such at any time in the course of events become necessary. I have the honor to be,

Sir,

Your obedient Servant,

(Signed) R. Taylor, Lt Col.

P.R. Turkish Arabia

Document :(I.O.R.)L/P,S/9/97.No.67.

و

رسالة من المقيم البريطانى فى بغداد الكولونيل تايلور Taylor الى السكرتير العام لحكومة بومباى ، يرى فيها أنه لا بد من التصدى لاطماع محمد على فى العراق و شبه الجزيرة العربية ولو بالقوة المسلحة .

(This reckless advance of Persia on Curdistan, in a time of profound peace, appears not to be the result of the single determination of the Shah. An Agent of Mahomed Ali, who has just left the Court of Persia, is not, I believe, innocent of an adverse impulse in this affair.) France, too, who has lately poured into this Cabalic numbers of her military travellers, as well as many of her officers, & Mechanics into Persia, and is influenced by a strongly awakened interest of very recent date in these countries, is, I fear, not less interested in

Document:(I.O.R.)L/P,S/9/115,No.26

رسالة من المقيم البريطاني في بغداد الكولونيل تايلور Taylor الى الشعبة السرية، يؤكد فيها أن هناك تحركات ايرانية تجاه البصرة وبغداد بعيد مغادرة أحد المبعوثين التابعين لمحمد علي باشا والي مصر.

who shall commit an act contrary to the present regulations be the object of Divine malediction, and be deprived forever of every kind of [protection] happiness.

49. CONVENTION (LONDON) FOR THE PACIFICATION OF THE LEVANT: AUSTRIA, GREAT BRITAIN, PRUSSIA AND RUSSIA WITH THE OTTOMAN EMPIRE

15 July–17 September 1840

(Ratifications exchanged, London, 17 September 1840)

[Convention and attached instruments signed on 15 July 1840 from Great Britain, *Parliamentary Papers, 1841*, vol. 29, pp. 691–93, 696–98, 700; self-denying protocol signed in London on 17 September 1840 from Thomas Erskine Holland, comp., *The European Concert in the Eastern Question* (Oxford, 1885), p. 97]

An Anglo-Russian rapprochement over the Eastern Question was reached in the last week of December 1839. Tsar Nicholas I agreed to abandon Russia's preferential position, as defined at Hünkâr Iskelesi (Doc. 40), by assenting to Palmerston's condition that the fleets of Russia and the maritime powers should be allowed simultaneous entry into the Sea of Marmara, as an exceptional measure in case of need to defend the integrity of the Ottoman Empire. In return, Palmerston accepted the Russian condition that the powers should act in concert in the Ottoman-Egyptian dispute. The British government did not endorse these arrangements for more than six months and then only after Palmerston had threatened to resign, for with France still giving its blessing to Mehmed 'Ali the action implied the dissolution of the existing Anglo-French alliance. At the meeting of 8 July 1840 when the British Cabinet took the decision in support of Palmerston, Lords Clarendon and Holland formally appended their dissent to the minute communicated to Queen Victoria (text in Sir H. Maxwell, *The Life and Letters of . . . [the] Fourth Earl of Clarendon* (London, 1913), vol. 1, pp. 196–97; and H. Temperley, *England and the Near East*, pp. 86–88). The principal instruments were signed a week later; to these were added a self-denying protocol on 17 September 1840. Sir C. Webster, *The Foreign Policy of Palmerston 1830–1841*, vol. 2, pp. 644–94; Temperley, *op. cit.*, pp. 111–16; F. Charles-Roux, *Thiers et Méhémet-Ali*, chaps. 1–3; Maxwell, *op. cit.*, vol. 1, chaps. 7–8; also references to Doc. 52.

1. CONVENTION

ART. 1. His Highness the Sultan having come to an agreement with their Majesties the Queen of the United Kingdom of Great Britain and Ireland, the Emperor of Austria, King of Hungary and Bohemia, the King of Prussia, and the Emperor of all the Russias, as to the conditions of the arrangement which it is the intention of His Highness to grant to Mehemet Ali, conditions which are specified in the Separate Act hereunto annexed; Their Majesties engage to act in perfect accord, and to unite their efforts in order to determine Mehemet Ali to conform to that arrangement; each of the High Contracting Parties reserving to itself to co-operate for that purpose, according to the means of action which each may have at its disposal.

ART. 2. If the Pasha of Egypt should refuse to accept the above-mentioned arrangement, which will be communicated to him by the Sultan, with the concurrence of Their aforesaid Majesties; Their Majesties engage to take, at the request of the Sultan, measures concerted and settled between Them, in order to carry that arrangement into effect. In the meanwhile, the Sultan having requested his said Allies to unite with him in order to assist him to cut off the communication by sea between Egypt and Syria, and to prevent the transport of troops, horses, arms, and warlike stores of all kinds, from the one province to the other; Their Majesties the Queen of the United Kingdom of Great Britain and Ireland, and the Emperor of Austria, King of Hungary and Bohemia, engage to give immediately to that effect, the necessary orders to their naval Commanders in the

ح

نص معاهدة لندن المعقودة بين كل من بريطانيا وروسيا والنمسا والدولة العثمانية فى الخامس عشر من جمادى الأولى سنة ١٢٥٦هـ الموافق الخامس عشر من يوليو سنة ١٨٤٠م ،
نقلا من كتاب :
J.C.Hurewitz, Diplomacy, in The Near and Middle East, Vol.1.p.p.116-119.

Mediterranean. Their said Majesties further engage, that the naval Commanders of their squadrons shall, according to the means at their command, afford, in the name of the Alliance, all the support and assistance in their power to those subjects of the Sultan who may manifest their fidelity and allegiance to their Sovereign.

ART. 3. If Mehemet Ali, after having refused to submit to the conditions of the arrangement above-mentioned, should direct his land or sea forces against Constantinople, the High Contracting Parties, upon the express demand of the Sultan, addressed to their Representatives at Constantinople, agree, in such case, to comply with the request of that Sovereign, and to provide for the defence of his throne by means of a co-operation agreed upon by mutual consent, for the purpose of placing the two Straits of the Bosphorus and Dardanelles, as well as the Capital of the Ottoman Empire, in security against all aggression.

It is further agreed, that the forces which, in virtue of such concert, may be sent as aforesaid, shall there remain so employed as long as their presence shall be required by the Sultan; and when His Highness shall deem their presence no longer necessary, the said forces shall simultaneously withdraw, and shall return to the Black Sea and to the Mediterranean, respectively.

ART. 4. It is, however, expressly understood, that the co-operation mentione in the preceding Article, and destined to place the Straits of the Dardanelles and of the Bosphorus, and the Ottoman Capital, under the temporary safeguard of the High Contracting Parties against all aggression of Mehemet Ali, shall be considered only as a measure of exception adopted at the express demand of the Sultan, and solely for his defence in the single case above-mentioned; but it is agreed, that such measure shall not derogate in any degree from the ancient rule of the Ottoman Empire, in virtue of which it has at all times been prohibited for ships of war of Foreign Powers to enter the Straits of the Dardanelles and of the Bosphorus. And the Sultan, on the one hand, hereby declares that, excepting the contingency above-mentioned, it is his firm resolution to maintain in future this principle invariably established as the ancient rule of his empire; and as long as the Porte is at peace, to admit no foreign ship of war into the Straits of the Bosphorus and of the Dardanelles; on the other hand, their Majesties the Queen of the United Kingdom of Great Britain and Ireland, the Emperor of Austria, King of Hungary and Bohemia, the King of Prussia, and the Emperor of all the Russias, engage to respect this determination of the Sultan, and to conform to the above-mentioned principle. . . .

2. SEPARATE ACT

§ 1. His Highness promises to grant to Mehemet Ali, for himself and for his descendants in the direct line, the administration of the Pashalic of Egypt; and His Highness promises, moreover, to grant to Mehemet Ali, for his life, with the title of Pasha of Acre, and with the command of the fortress of St. John of Acre, the administration of the southern part of Syria, the limits of which shall be determined by the following line of demarkation:—

This line, beginning at Cape Ras-el-Nakhora, on the coast of the Mediterranean, shall extend direct from thence as far as the mouth of the river Seisaban, at the northern extremity of the Lake of Tiberias; it shall pass along the Western shore of that Lake, it shall follow the right bank of the river Jordan, and the western shore of the Dead Sea; from thence it shall extend straight to the Red Sea, which it shall strike at the northern point of the Gulf of Akaba, and from thence it shall follow the western shore of the Gulf of Akaba, and the eastern shore of the Gulf of Suez, as far as Suez.

The Sultan, however, in making these offers, attaches thereto the condition, that Mehemet Ali shall accept them within the space of ten days after communication thereof shall have been made to him at Alexandria, by an agent of His Highness; and that Mehemet Ali shall, at the same time, place in the hands of that agent the necessary instructions to the Commanders

٣

of his sea and land forces, to withdraw immediately from Arabia, and from all the Holy Cities which are therein situated; from the Island of Candia; from the district of Adana; and from all other parts of the Ottoman Empire which are not comprised within the limits of Egypt, and within those of the Pashalic of Acre, as above defined.

§ 2. If within the space of ten days, fixed as above, Mehemet Ali should not accept the above-mentioned arrangement, the Sultan will then withdraw the offer of the life administration of the Pashalic of Acre; but His Highness will still consent to grant to Mehemet Ali, for himself and for his descendants in the direct line, the administration of the Pashalic of Egypt, provided such offer be accepted within the space of the ten days next following; that is to say, within a period of twenty days, to be reckoned from the day on which the communication shall have been made to him; and provided that in this case also, he places in the hands of the agent of the Sultan, the necessary instruction to his military and naval Commanders, to withdraw immediately within the limits, and into the ports of the Pashalic of Egypt.

§ 3. The annual tribute to be paid to the Sultan by Mehemet Ali, shall be proportioned to the greater or less amount of territory of which the latter may obtain the administration, according as he accepts the first or the second alternative.

§ 4. It is, moreover, expressly understood, that, in the first as in the second alternative, Mehemet Ali (before the expiration of the specified period of ten or of twenty days), shall be bound to deliver up the Turkish Fleet, with the whole of its crews and equipments, into the hands of the Turkish Agent who shall be charged to receive the same. The Commanders of the Allied Squadrons shall be present at such delivery.

It is understood, that in no case can Mehemet Ali carry to account, or deduct from the tribute to be paid to the Sultan, the expences which he has incurred in the maintenance of the Ottoman Fleet, during any part of the time it shall have remained in the ports of Egypt.

§ 5. All the Treaties, and all the laws of the Ottoman Empire, shall be applicable to Egypt, and to the Pashalic of Acre, such as it has been above defined, in the same manner as to every other part of the Ottoman Empire. But the Sultan consents, that on condition of the regular payment of the tribute above-mentioned, Mehemet Ali and his descendants shall collect, in the name of the Sultan, and as the delegate of His Highness, within the provinces of the administration of which shall be confided to them, the taxes and imposts legally established. It is moreover understood, that in consideration of the receipt of the aforesaid taxes and imposts, Mehemet Ali and his descendants shall defray all the expences of the civil and military administration of the said provinces.

§ 6. The military and naval forces which may be maintained by the Pasha of Egypt and Acre, forming part of the forces of the Ottoman Empire, shall always be considered as maintained for the service of the State.

§ 7. If, at the expiration of the period of twenty days after the communication shall have been made to him (according to the stipulation of § 2), Mehemet Ali shall not accede to the proposed arrangements; and shall not accept the hereditary Pashalic of Egypt, the Sultan will consider himself at liberty to withdraw that offer, and to follow, in consequence, such ulterior course as his own interests, and the counsels of his Allies may suggest to him.

§ 8. The present Separate Act shall have the same force and validity, as if it were inserted, word for word, in the Convention of this date. It shall be ratified, and the ratifications thereof shall be exchanged at London at the same time as those of the said Convention. . . .

3. PROTOCOL

In affixing his signature to the Convention of this date, the Plenipotentiary of the Sublime Ottoman Porte declared:

That in recording by Article IV. of the

said Convention the ancient rule of the Ottoman Empire, by virtue of which, it has been at all times forbidden to Foreign Vessels of War to enter within the Straits of the Dardanelles and of the Bosphorus, the Sublime Porte reserves to itself, as heretofore, to deliver passes to light vessels under Flag of War, which may be employed according to custom, for the service of the correspondence of the Legations of Friendly Powers.

The Plenipotentiaries of the Courts of Great Britain, Austria, Prussia, and Russia, took note of the above Declaration, for the purpose of communicating it to their respective Courts.

4. RESERVED PROTOCOL

The Plenipotentiaries of the Courts of Great Britain, Austria, Prussia, Russia, and Turkey, having, in virtue, of their full powers, concluded and signed this day a Convention between their respective Sovereigns, for the pacification of the Levant;

Considering that, in consequence of the distances which separate the Capitals of their respective Courts, a certain space of time must necessarily elapse before the ratifications of the said Convention can be exchanged, and before orders founded thereupon can be carried into execution;

And the said Plenipotentiaries being deeply impressed with the conviction, that by reason of the present state of things in Syria, the interests of humanity, as well as the grave considerations of European policy which constitute the object of the common solicitude of the Contracting Parties to the Convention of this day, imperiously require that, as far as possible, all delay should be avoided in the accomplishment of the pacification which the said Convention is intended to effect;

The said Plenipotentiaries, in virtue of their full powers, have agreed, that the preliminary measures mentioned in Article II. of the said Convention, shall be carried into execution at once, without waiting for the exchange of the ratifications; the respective Plenipotentiaries recording formally, by the present Instrument, the consent of their Courts to the immediate execution of these measures.

It is moreover agreed between the said Plenipotentiaries, that His Highness the Sultan will proceed immediately to address to Mehemet Ali, the communication and offers specified in the Separate Act annexed to the Convention of this day.

It is further agreed, that the Consular Agents of Great Britain, Austria, Prussia, and Russia, at Alexandria, shall place themselves in communication with the Agent whom His Highness may send thither to communicate to Mehemet Ali the above-mentioned offers; that the said Consuls shall afford to that Agent all the assistance and support in their power; and shall use all their means of influence with Mehemet Ali, in order to persuade him to accept the arrangement which will be proposed to him by order of His Highness the Sultan.

The Admirals of the respective squadrons in the Mediterranean shall be instructed to place themselves in communication with the said Consuls on this subject.

5. SELF-DENYING PROTOCOL

The Plenipotentiaries of the Courts of Great Britain, Austria, Prussia, and Russia, after having exchanged the ratifications of the Convention concluded on the 15th of July last, have resolved, in order to place in its true light the disinterestedness which has guided their Courts in the conclusion of that Act, to declare formally:

That in the execution of the engagements resulting to the Contracting Powers from the above-mentioned Convention, those Powers will seek no augmentation of territory, no exclusive influence, no commercial advantage for their subjects, which those of every other nation may not equally obtain.

The Plenipotentiaries of the Courts above-mentioned have resolved to record this Declaration in the present Protocol.

The Plenipotentiary of the Ottoman Porte, in paying a just tribute to the good faith and disinterested policy of the allied Courts, has taken cognizance of the Declaration contained in the present Protocol, and has undertaken to transmit it to his Court.

الوثائق والمخطوطات
والمصادر والمراجـــع

الوثائق والمخطوطات
والمصادر والمراجع

مخطوطة عربية :

١ ـ اسكندر ابكاريوس اسكندر : نوادر الزمان في وقائع جبل لبنان . دار الكتب القومية ، بالقاهرة ، شعبة المخطوطات ، تاريخ تيمور ، وهي نسخة خزائنية مهداة من المؤلف نفسه ، لأحمد تيمور باشا .

رقمها ٥٧٧ .

عدد أوراقها : ٩٢ ورقة .

متوسط عدد الأسطر بالورقة الواحدة ١٢ سطرا .

طول الورقة : ٢٠ سم ، وعرضها ١٧ سم .

نوع الخط في المخطوطة ، خط حديث نسخي ، مشوب بخط رقعى وثلثى .

نسخها المؤلف بيده ، وبدون مساعدة أحد ، في مدينة بيروت سنة ١٢٨٦ هـ ، الموافق سنة ١٨٦٩ م .

وتقع المخطوطة في تسعة فصول ، يتحدث الفصل الأول منها عن جبل لبنان ، وما وقع فيه من الغى والطغيان .

المصادر العربيــة :

٢ ـ إبراهيم بن صالح بن عيسى : تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد ، ووفيات بعض الأعيان وأنسابهم ، وبناء بعض البلدان ، من سنة ٧٠٠ هـ إلى سنة ١٣٤٠ هـ .

منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ، بالرياض ، الطبعة الأولى ، سنة ١٣٨٦ هـ / ١٩٦٦ م .

٣ ـ إبراهيم فصيح بن السيد صبغة الله بن الحيدري البغدادي ، عنوان المجد في بيان أحوال بغداد والبصرة ونجد . دار منشورات البصرى ، مطبعة دار البصرى ، بغداد ، ت : ٨٩٢٧٩ ،

ويوجد نسخة من الكتاب في مكتبة جامعة الملك سعود بالرياض ، قاعة الجزيرة العربية ، وقد كتب المؤلف كتابه هذا في سنة ١٢٨٦ هـ .

٤ ـ السيد أحمد بن السيد زينى دحلان : الفتوحات الإسلامية ، بعد مضى الفتوحات النبوية ، طبع بالمطبعة العامرة الشرفية ، بشارع الخرنفش بمصر ، الطبعة الأولى سنة ١٣٢٣ هـ .

يقع الكتاب في جزأين ، والجزء الثاني منه يحتوى على ٣٥٦ صفحة ، ويبدأ بالحديث عن جنكيز خان وتملكه بخارى وينتهى بالحديث عن السلطان عبد الحميد الثاني ، وللكتاب خاتمة تحدث فيها المؤلف عن الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه وحسن سيرتهم ومؤلف الكتاب كان مفتى السادة الشافعية في مكة ، والكتاب يوجد بمركز البحث العلمي بجامعة أم القرى بمكة المكرمة .

٥ ـ إسماعيل سرهنك : حقائق الأخبار عن دول البحار ، طبع بالمطبعة الأميرية، ببولاق مصر ، سنة ١٣١٢ هـ ، الطبعة الأولى .

مؤلف الكتاب الميرالاى إسماعيل سرهنك ، كان ناظر المدارس الحربية، والجزء الأول من الكتاب يقع في ٧٧٢ صفحة ، ويشتمل على أربعة عشر بابا ، وكل باب يحتوى على مجموعة فصول ، وهو موجود بمكتبة مركز البحث العلمي بجامعة أم القرى بمكة المكرمة .

٦ ـ الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني : صفة جزيرة العرب . منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة بالرياض ، سنة ١٣٩٤ هـ / ١٩٧٤ م .
وقد قام بتحقيق الكتاب محمد بن على الأكوع الحوالى ، وأشرف على طبعه حمد الجاسر ، ويقع الكتاب في ٥٨٣ صفحة إضافة إلى تمهيد وترجمة للمؤلف وثلاث صفحات مصورة من المخطوط .

٧ ـ أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور : الافريقى المصرى ت ٧١١ هـ . لسان العرب ، منشورات دار صادر ، بيروت ، بدون تاريخ ، ويقع الكتاب في خمسة عشر جزءا ، وقد كتب أحمد فارس ، صاحب الجوائب مقدمة الطبعة الأولى من الكتاب في ١٧ رجب سنة ١٣٠٠ هـ .

٨ ـ خليل مردم بك : أعيان القرن الثالث عشر ، في الفكر والسياسة والاجتماع. طبع ونشر لجنة التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ، سنة ١٩٧١ م . انتهى المؤلف من تاليف هذا الكتاب فى ٢٦ رمضان سنة ١٣٣٤هـ ، ويوجد منه نسخة بمركز البحث العلمى بجامعة أم القرى بمكة المكرمة .

٩ ـ رزق الله منقريوش الصدفى : تاريخ دول الاسلام ، طبع بمطابع الهلال ، بالفجالة بمصر ، سنة ١٣٣٦هـ / ١٩٠٨ م . ويقع الكتاب في ثلاثة أجزاء يحتوى الجزء الثالث منها على ٣٨٧ صفحة ويوجد بمكتبة مركز البحث العلمي بجامعة أم القرى بمكة المكرمة .

١٠ ـ سهيل زكار : بلاد الشام في القرن التاسع عشر ، روايات تاريخية معاصرة لحوادث عام ١٨٦٠ م ومقدماتها في سورية ولبنان . نشر وتوزيع دار حسان للطباعة والنشر ، دمشق ، الطبعة الأولى ١٩٨٢ م / ١٤٠٢ هـ ، يقع الكتاب في ٤٤٠ صفحة ، وهو دراسة وتحقيق لكتاب « مشهد العيان بحوادث سوريا ولبنان » تأليف الدكتور ميخائيل مشاقة ، الذي طبع للمرة الأولى سنة ١٩٠٨ م بالقاهرة ، حيث أشرف على طبعه حينذاك ملحم خليل عبدو ، وأندرواس حنا شخاشيرى ، وكلاهما لبنانى الأصل ، وقد ألحق المحقق بالكتاب أربعة ملاحق ، أولهما من مذكرات محمد أبو السعود الحسيبى ، والثانى شهادة لحسين أبو شقراء عن حوادث سنة ١٨٦٠ هـ ، أما الثالث فهو فصل من كتاب أنطوان ظاهر العقيقي عن نفس الحوادث أما الملحق الرابع فهو نص من كتاب الترجمانة الكبرى في أخبار المعمور برا وبحرا ، لأبي القاسم الزياني ، ١١٤٧ ـ ١٢٤٩ هـ / ١٧٣٤ ـ ١٨٣٣ م .

١١ ـ طنوس بن يوسف الشدياق الحدثي المارونى : أخبار الأعيان في جبل لبنان ، طبع في بيروت سنة ١٨٥٩ م ، بالمكتبة العمومية لإبراهيم صادر ، بيروت ، وطبعه بطرس البستانى . والكتاب يشتمل على ثلاثة أقسام في مجلد واحد ، ويقع في ٧٢٠ صفحة ويوجد بمكتبة مركز البحث العلمي بجامعة أم القرى بمكة المكرمة .

١٢ ـ ضارى بن فهيد الرشيد : نبذة تاريخية عن نجد ، منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ، الرياض ، رمضان سنة ١٣٨٦ هـ / ديسمبر سنة ١٩٦٦ م . والكتاب عبارة عن رواية شفهية أملاها ضارى بن فهيد على الأستاذ وديع البستاني سنة ١٣٣١ هـ /

١٩١٣م ، وقد أضيف إلى الكتاب فصل من كتاب القول السديد في أخبار امارة الرشيد للأستاذ سليمان الدخيل ، وكذلك ملحق من كتاب قلب جزيرة العرب للأستاذ فؤاد حمزة .

١٣ ـ عبد الرحمن الجبرتي الحنفي : عجائب الآثار في التراجم والأخبار ، طبع في المطبعة العامرة الشرفية ، شارع الخرنفش ، مصر سنة ١٣٢٢ هـ على نفقة حسين أفندى شرف الكتبى ، ويقع الكتاب في أربعة أجزاء ، وقد قام بتصحيحه إبراهيم بن الشيخ حسين الفيومي الزرباوي ، ويتكلم المؤلف في كتابه عن الأحداث التاريخية على نظام التتابع الزمني بالسنوات الهجرية ، إلى أن ينتهى بالحديث في آخر الجزء الرابع بحوادث شهر ذو القعدة سنة ١٢٣٦هـ، أغسطس سنة ١٨٢١ م ، وللكتاب من هذه الطبعة نسخة بمكتبة مركز البحث العلمي بجامعة أم القرى بمكة المكرمة .

١٤ ـ عبد الرحمن بن خلدون المغربي : المقدمة ، منشورات دار احياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، الطبعة ، الرابعة ، بدون تاريخ ، ويشتمل الكتاب على المقدمة فى فضل علم التاريخ وتحقيق مذاهبه ، وثلاثة كتب الأول منها فى العمران ، والثاني فى أخبار العرب وأجيالهم ، والثالث فى أخبار البربر ، ويقع الكتاب فى ٥٨٨ صفحة .

١٥ ـ عثمان بن عبدالله بن بشر الحنبلي الناصرى التميمى النجدى : عنوان المجد فى تاريخ نجد ، منشورات مكتبة الرياض الحديثة بالرياض ، وطبع فى المطبعة اليوسفية ٢ شارع دار الكتب بمصر ، يقع الكتاب فى جزئين وبمجلد واحد ، ومؤلف الكتاب من قبيلة بنى زيد المعروفة فى بلدة شقراء من بلدان الوشم ، وله عدة مؤلفات ، من بينها هذا الكتاب الذى يقع في ٣٩٧ صفحة ، ويتحدث فيه المؤلف بعد المقدمة

...

عن أحوال نجد بعد دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ، وعن تاريخ الدولة السعودية الأولى والثانية ، إلى أن وصل سنة ١٢٦٧ هـ ، وقد اتبع المؤلف فى كتابه نظام الحوليات ، ويعود بين الفينة والأخرى إلى سنوات سابقة يذكر المؤلف فيها بعض الأحداث التاريخية الهامة ، وحصر السوابق تلك من سنة ٨٥٠ الى سنة ١١٥٦ هـ

١٦ ـ عثمان بن عبدالله بن بشر النجدى الحنبلى : عنوان المجد فى تاريخ نجد، منشورات دارة الملك عبدالعزيز بالرياض ، رقم ٢٧ ، الطبعة الرابعة ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م ، مطابع دار الهلال بالرياض ، حقق الكتاب وعلق عليه عبدالرحمن بن عبداللطيف بن عبدالله آل الشيخ ، ويقع الكتاب فى الجزئين كل جزء فى مجلد مستقل ويشتمل الجزء الأول على ٤٨٥ صفحة ، وينتهى بالحديث عن حوادث سنة ١٢٣٧ هـ ، بينما يشتمل الجزء الثانى على ٥٩٨ صفحة ، وينتهى بالحديث عن حوادث سنة ١٢٦٧ هـ ، ويشتمل الكتاب أيضا على السوابق التي دونها ابن بشر فى تاريخه .

١٧ ـ محمد بن عمر الفاخرى : الأخبار النجدية ، نشر وطبع لجنة البحوث والتأليف والترجمة بجامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية بالرياض، الكتاب العاشر ، وطبع بمطابع الجامعة ، الكتاب كان مخطوطة كتبها الفاخرى ، وابتدأها بذكر أحداث سنة ٨٥٠ هـ إلى نهاية أحداث شهر ربيع الأول سنة ١٢٨٨ هـ وقد توقف المؤلف عند احداث جمادى الأولى سنة ١٢٧٧ هـ وأكمل ابنه عبد الله الجزء المتبقى إلى التاريخ المذكور سلفا ، وقد قام الدكتور عبد الله بن يوسف الشبل بدراسة وتحقيق هذه المخطوطة والتعليق عليها .

١٨ ـ محمد بن عبد الله بن عبد المحسن آل عبد القادر الانصارى الأحسائى ، تحفة المستفيد بتاريخ الأحساء في القديم والجديد ، طبع بمطابع الرياض ، وأشرف على طبعه وعلق عليه بعض الحواشى الأستاذ حمد الجاسر ، الطبعة الأولى سنة ١٣٧٩ هـ/١٩٦٠ م .

١٩ ـ محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، منشورات دار النفائس ، بيروت ، الطبعة الثانية ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م . قام بتحقيق الكتاب الدكتور احسان حقى ، ويقع الكتاب فى ٨٣٢ صفحة ، وفيه يتطرق إلى تاريخ الدولة العثمانية بالتسلسل الزمنى لكل سلطان ، وينهى المؤلف كتابه عند آخر سلاطين الدولة العثمانية عبد المجيد ابن عبد العزيز ، وقد أضاف المحقق ثلاثة عشر ملحقا .

٢٠ ـ ميخائيل شاروبيم بك : الكافى فى تاريخ مصر القديم والحديث ، طبع فى المطبعة الكبرى الأميرية ببولاق ، بمصر ، الطبعة الأولى سنة ١٣١٨ هـ/١٩٠٠ م . ومؤلف الكتاب كان رئيس النيابة العمومية بمحكمة المنصورة الأهلية ، ومفتشا بنظارة المالية حينذاك ، ويقع الكتاب فى أربعة أجزاء ، يشتمل الجزء الرابع منها على خمسة وعشرين فصلا فى ٥٢٠ صفحة .

٢١ ـ شهاب الدين أبى عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموى الرومى البغدادى ، معجم البلدان ، منشورات دار صادر ودار بيروت للطباعة والنشر ، ١٤٠٤ هـ/١٩٨٤ م . يقع الكتاب فى خمسة مجلدات ، ويتحدث عن مواقع البلدان وفق ترتيب حروف الهجاء في اللغة العربية .

المراجع العربية :

٢٢ ـ أحمد السعيد سليمان : تاريخ الدول الإسلامية ، ،معجم الأسر الحاكمة ، طبع فى دار المعارف بمصر ، ٧ شعبان سنة ١٣٨٩ هـ ، ١٩ أكتوبر سنة ١٩٦٩ م ، مؤلف الكتاب أستاذ اللغات الشرقية بكلية الآداب ، بجامعة القاهرة ، والكتاب يقع في جزئين ، يشمل الجزء الأول منه على ثمانية فصول فى ٣٤٠ صفحة .

٢٣ ـ أحمد عبدالغفور عطار : صقر الجزيرة ، طبع ونشر شركة استاندارد للطباعة العربية ، مصر ، بدون تاريخ ، الجزء الأول من الكتاب يقع في ٣٠٨ صفحة ، وقد قدم له محمد حسين هيكل باشا ، وقد تحدث المؤلف في هذا الجزء عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب وعن آل سعود في الدولة الأولى وكذلك عن الدولة السعودية الثانية وفترة الفوضى التي أعقبت عهد الإمام فيصل بن تركي في فترة حكمه الثانية ، كما تحدث المؤلف في هذا الجزء عن الملك عبد العزيز وجهاده لتأسيس المملكة العربية السعودية ، وقد ختم المؤلف هذا الجزء بالحديث عن معارك تربه سنة ١٣٣٧ هـ .

٢٤ ـ أحمد عزت عبد الكريم : دراسات في تاريخ العرب الحديث ، طباعة ونشر دار النهضة العربية، بيروت ، ١٩٧٠ م . يقع الكتاب في ٤٨٨ صفحة، ويشتمل على ستة فصول ومقدمة ، تحدث فيها المؤلف عن العلاقات بين الشرق العربي وأوروبا بين القرنين ١٦ ـ ١٩ ، وعن التقسيم الإداري لسوريا في العهد العثماني ، وكذلك تحدث عن دمشق في القرن ١٨ ، وعن مصر في القرن ١٩ ، وعن المسألة الجزائرية من

تأسيس النيابة إلى الاحتلال ، وأخيرا تحدث المؤلف عن القضية الفلسطينية ومعالمها الرئيسية .

٢٥ ـ أحمد عسه : معجزة فوق الرمال ، بدون مكان للنشر ، الطبعة الثالثة ١٣٩١ ـ ١٣٩٢ هـ / ١٩٧١ ـ ١٩٧٢ م . ويقع الكتاب في ٨٥٣ صفحة ، وبه عدد جيد من المصورات الملونة والخرائط والجداول والرسوم البيانية ، والكتاب محاولة علمية ، جيدة للتعريف بالمملكة العربية السعودية من قيام الدولة السعودية الأولى ، وحتى الوصول إلى جهود الملك عبد العزيز ، كما يتطرق الكتاب إلى الحديث عن عهد الملك فيصل ابن عبد العزيز ودراسة الأنظمة في المملكة العربية السعودية من اقتصادية وإدارية وسياسية وتعليمية .

٢٦ ـ أحمد فضل بن على محسن العبدلى : هدية الزمن في أخبار ملوك لحج وعدن ، طبع ونشر دار العودة ، بيروت ، الطبعة الثانية ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م ، والطبعة الأولى من الكتاب كانت سنة ١٣٥١ هـ . ويشتمل الكتاب على تسعة عشر فصلا إضافة إلى مقدمة المؤلف وبعض الجداول والوثائق العثمانية ، وهو يتحدث عن تاريخ عدن ومدنه منذ القدم حتى سنة ١٣٤٩ هـ ، أيام السلطان عبد الكريم فضل .

٢٧ ـ أحمد مصطفى أبو حاكمه : تاريخ الكويت ، القسم الأول ، الجزء الثاني ، طبع ونشر لجنة تاريخ الكويت ، بمطبعة الحكومة الكويتية سنة ١٣٩٣ هـ / ١٩٧٣ م . ويقع هذا الجزء في ٢٧٦ صفحة وهو يتحدث عن تاريخ الكويت منذ سنة ١٨١٥ م وحتى سنة ١٨٦٦ م ، ويشتمل على ستة فصول وملاحق ، يبدأها المؤلف بالحديث عن مصادر تاريخ

الكويت ويختمها بالحديث عن التجارة بشكل عام في الخليج ونصيب الكويت منها .

٢٨ ـ أسد رستم : إدارة الشام ، بحث قدم في ذكرى إبراهيم باشا ، قامت بنشرها الجمعية الملكية للدراسات التاريخية بمناسبة انقضاء مائة عام على وفاته ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة سنة ١٩٤٨ م .

٢٩ ـ أمل إبراهيم الزياني : البحرين بين الاستقلال السياسي والانطلاق الدولي، الطبعة الثانية ١٩٧٧ م ، رقم الإيداع بدار الكتب ٧٦/٤٣٨٠ ، الكتاب عبارة عن رسالة ماجستير تقدمت بها المؤلفة في العلوم السياسية من كلية الاقتصاد بجامعة القاهرة ، ويشتمل الكتاب على ثمانية فصول في بابين إضافة إلى الفصل التمهيدى وفهرس المراجع وقائمة الملاحق، والخلاصة ، والكتاب علمي وموثق بشكل جيد .

٣٠ ـ أمين الريحاني : ملوك العرب ، طبع ونشر المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، الطبعة الأولى للمجموعة ، سنة ١٩٨٠ م . يأتي الكتاب في سلسلة الأعمال العربية الكاملة لأمين الريحاني ، وقام بالتقديم والتحقيق لها أمين البرت الريحاني ، ويقع المجلد الأول في ٩٦٠ صفحة ويشتمل على جزئين ، تطرق فيهما المؤلف لعدة موضوعات في سلسلة رحلاته المعروفة في الجزيرة العربية .

٣١ ـ أمين الريحاني : نجد وملحقاته وسيرة عبد العزيز بن عبد الرحمن آل فيصل آل سعود ملك الحجاز ونجد وملحقاته ، منشورات الفاخرية بالرياض ، بالاشتراك مع دار الكاتب العربي في بيروت ، الطبعة الخامسة ، سنة ١٩٨١ م . الكتاب يقع في ٤٩٤ صفحة ، ويحتوى

على اثنين وخمسين فصلا ، وهو عبارة عن معايشة حيّه عاصر فيها المؤلف الملك عبد العزيز وروى عنه جل محتويات الكتاب ، إضافة إلى اعتماده على كتاب ابن بشر وغيره من الكتب ، أشار إليها المؤلف في بداية الكتاب تحت عنوان الأسانيد .

٣٢ ـ أمين سعيد : تاريخ الدولة السعودية من محمد بن سعود إلى عبد الرحمن الفيصل ١١٥٨ ـ ١٣٠٧ هـ ، وعهد الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل ، ١٣١٩ ـ ١٣٧٣ هـ . مطبوعات دارة الملك عبدالعزيز رقم ٩ ، طبع في مطابع دار الهلال للأوفست بالرياض ، بدون تاريخ . يقع الكتاب في ٤٨٤ صفحة ، ويشتمل على ثلاثة أجزاء في مجلد واحد ، وقد تحدث المؤلف في الجزء الأول عن ظهور الشيخ محمد بن عبد الوهاب ومناصرة الأسرة السعودية له ، كما تحدث في هذا الجزء عن الدولة السعودية حتى الإمام عبد الرحمن بن فيصل بن تركى . أما الجزء الثاني فقد تحدث فيه المؤلف عن الملك عبد العزيز وكفاحه لتأسيس المملكة العربية السعودية ، ليتحدث أخيرا في الجزء الثالث عن العهد السعودى الحاضر .

٣٣ ـ بدر الدين عباس الخصوصي : دراسات في تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر ، الجزء الأول ، منشورات ذات السلاسل ، مطابع الرأى العام التجارية بالكويت ، الطبعة الأولى ، سنة ١٩٧٨ م . يقع هذا الجزء في ٢٣٧ صفحة ويشتمل على أربعة فصول ومقدمة ، وتحدث المؤلف في هذه الفصول عن الغزو الأوروبي للخليج ، وعن المشيخات العربية على الساحل الغربي للخليج كما يقول ، ثم تحدث عن ظهور

المصريين على سواحل الخليج ، وأخيرا عن موقف بريطانيا تجاه المنطقة ومعاهدة السلام البحري الدائم سنة ١٨٥٣ م .

٣٤ ـ جاد طه : سياسة بريطانيا في جنوب اليمن ، طبع ونشر دار الفكر العربي ، القاهرة ١٩٦٩ م ـ ١٩٧٠ م . والكتاب رسالة دكتوراه تقدم بها المؤلف إلى جامعة عين شمس ، وهي موثقة بالمصادر والمراجع المختلفة . ويبتدىء المؤلف حديثه في هذا الكتاب عن المنافسة الدولية في جنوب الجزيرة العربية ١٧٩٨ ـ ١٨٣٦ م ، ويختتمه بالحديث عن أسلوب الحكم البريطاني في الجنوب اليمني ، بعد أن تحدث عن اتفاقية الحدود سنة ١٩١٤ م بعد انسحاب العثمانيين منها .

٣٥ ـ جرجي زيدان : تاريخ مصر الحديث ، من الفتح الإسلامي إلى هذا العصر ، طبع في مطبعة الهلال في مصر سنة ١٩٢٥ م ، الطبعة الثالثة . يقع الكتاب في جزئين من مجلد واحد ، ويتحدث المؤلف في الجزء الثاني عن تاريخ مصر من الفتح العثماني إلى سنة ١٩١١ م .

٣٦ ـ جلال يحيى : المجمل في تاريخ مصر الحديثة ، نشر المكتب الجامعي الحديث بالاسكندرية ، وطبع بالمطبعة العصرية ، بدون تاريخ ، ومقدمة المؤلف بتاريخ ١٩٨٢ م ، يقع الكتاب في ٤٩٣ صفحة ، ويشتمل على أربعة وعشرون فصلا تحدث فيها المؤلف عن الاقطاع وضعفه ، وعن رأسمالية الدولة والرأسمالية العقارية ، وعن ثورة يوليو والتحرير ، وقد جزأ هذه الفصول بين ستة أبواب لكل باب منها أربعة فصول .

٣٧ ـ حافظ وهبه : جزيرة العرب في القرن العشرين ، طبع ونشر لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، الطبعة الخامسة سنة ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٧ م . وقد تحدث المؤلف عن الجزيرة العربية جغرافيا وتاريخيا من

خلال معايشته لها كسفير للمملكة في لندن ، وتطرق في الحديث إلى العادات والأخلاق في الجزيرة ، وعن الملك حسين وعلاقته مع بريطانيا كما تحدث عن الدولة السعودية وعن شخصية الملك عبدالعزيز وشجاعته وعن حروبه وسياسته الداخلية والخارجية .

٣٨ ـ حسن أحمد إبراهيم : محمد على في السودان ، طبع ونشر دار التأليف والترجمة والنشر ، جامعة الخرطوم ، بدون تاريخ . الكتاب عبارة عن رسالة ماجستير تقدم بها المؤلف لجامعة الخرطوم سنة ١٩٦٥ م ، ويتحدث المؤلف عن أسباب فتح محمد على للسودان وعن جلب العبيد منه ، والأغراض التي استخدمهم فيها ، كما تحدث عن محمد على والتنقيب عن المعادن في السودان ، والتجارة في واردات السودان .

٣٩ ـ حسين مؤنس : الشرق الإسلامي في العصر الحديث ، نشر لجنة الجامعيين لنشر العلم ، والمكتبة التجارية الكبرى بالقاهرة ، طبع بمطبعة حجازي ، بالقاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٩٣٨ م . يقع الكتاب في ٤٦٤ صفحة ، ويشتمل على ثلاثة أقسام ، ويغلب عليه الأسلوب الأدبي ، رغم أنه يعتمد على مراجع أجنبية وعثمانية وفارسية كثيرة .

٤٠ ـ حمد الجاسر : المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية ، « المنطقة الشرقية » ، منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ، الرياض، الطبعة الأولى ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م مطبعة نهضة مصر بالقاهرة ، يتحدث المؤلف في هذا المعجم عن المواقع والأمكنة في اقليم المنطقة الشرقية « البحرين » قديما ، والكتاب معجم جغرافي في سلسلة المعجم الجغرافي للمملكة العربية السعودية ، ويقع في عدة أجزاء .

٤١ ـ خير الدين الزركلي : الأعلام ، جـ ٢ ، قاموس تراجم ، الطبعة الثالثة ، مطبعة كوستاتوسي ، القاهرة ١٣٩٨ هـ .

٤٢ ـ رأفت الشيخ : في تاريخ العرب الحديث ، منشورات مكتبة الدراسات التاريخية والعلاقات الدولية ، دار الثقافة للطباعة والنشر ، القاهرة ، الطبعة الثالثة ، ١٩٨٠ م . يقع الكتاب في ٣٦٨ صفحة ، ويشتمل على خمسة عشر فصلاً في أربعة أبواب تحدث المؤلف فيها عن الحكم العثماني للوطن العربي ، وعن الحركات الاستقلالية في الوطن العربي، وكذلك عن الدعوات السلفية في الوطن العربي ، وأخيرا تحدث عن الاستعمار في الأقطار العربية .

٤٣ ـ زاهية قدورة : تاريخ العرب الحديث ، طبع ونشر دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ١٩٧٥ م ، يشتمل الكتاب على تسعة عشر فصلا ، تحدثت المؤلفة في كل فصل عن دولة من الدول العربية في تاريخها الحديث بشكل مستقل ما عدا الفصل الأول فقد خصصته المؤلفة للحديث عن اعطاء لمحة تاريخية وجغرافية لشبه الجزيرة العربية ، وأضافت ملحقا للكتاب تحدثت فيه عن دور الجامعية في المجتمع العربي المعاصر .

٤٤ ـ زكى صالح : مجمل تاريخ العراق الدولي في العهد العثماني ، من منشورات معهد الدراسات العربية العالية ، جامعة الدول العربية ، طبع بالمطبعة الفنية الحديثة ، ١٩٦٦ م . يقع الكتاب في سبعة فصول تحدث المؤلف فيها عن الامتيازات البريطانية في الدولة العثمانية وعن التنافس الفرنسي البريطاني في المنطقة من ١٧٩٨ ـ ١٨٠٩ م ، كما

تحدث عن النفوذ البريطاني في الخليج العربي وفارس ، وعن الخطر الروسي ، وكذلك عن سكة حديد بغداد وعلاقات الدولة العثمانية مع المانيا ، ليختتم كتابه بالحديث عن الديبلوماسية والحرب بين الدول في تلك المنطقة .

٤٥ ـ زين نور الدين زين : الصراع الدولي في الشرق الأوسط وولادة دولتي سوريا ولبنان ، طبع ونشر دار النهار للنشر ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٩٧٧ م . يقع الكتاب في ٣٢٨ صفحة ، ويشتمل على اثنى عشر فصلا ، تحدث فيها المؤلف عن الشرق العربي جغرافيا ، واستراتيجيا ثم تحدث عن المسألة الشرقية ومراحلها ، وكذلك المؤتمرات والاتفاقات السرية وما أعقبها من أوضاع في سوريا ولبنان ، ويشتمل الكتاب على بعض الخرئط وملاحق للمعاهدات التي تهم تلك المرحلة .

٤٦ ـ سعد بن عبد الله بن جنيدل : عالية نجد ، منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ، الرياض ، مطبعة نهضة مصر بالقاهرة ١٣٩٨ هـ/ ١٩٧٨ م . يشتمل الكتاب على ثلاثة أجزاء ، وهو عبارة عن معجم جغرافي للمواقع المكانية الهامة في عالية نجد ، ضمن سلسلة المعجم الجغرافي للمملكة العربية السعودية .

٤٧ ـ سليمان بن محمد الغنام : قراءة جديدة لسياسة محمد على باشا التوسعية ، ١٨١١ ـ ١٨٤٠ م ، في الجزيرة العربية والسودان واليونان وسوريا ، منشورات تهامة ، الطبعة الأولى ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م ، طبع بمطابع دار البلاد بجدة . يشتمل الكتاب على أربعة فصول وتمهيد وتقديم وملحقين يشمل أحدهما بعض المقتطفات من تقرير الدكتور بورنج والآخر يشمل ثلاث معاهدات واتفاقيتين ـ وخط شريف

بمنح ولاية مصر لمحمد على . وقد تحدث المؤلف عن غزو محمد على للجزيرة العربية وعن حروب السودان واليونان والشام ، ليختتم فصول الكتاب بالحديث عن معاهدة لندن ومعاهدتي انكيارسكليسي وكوتاهية.

٤٨ ـ السيد رجب حراز : محاضرات في تاريخ العرب الحديث والمعاصر ، الناشر دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٧٩ ـ ١٩٨٠ م . يقع الكتاب في ٢١١ صفحة ، ويشتمل على ستة فصول تحدث فيها المؤلف عن الفتح العثماني للمشرق العربي ، وعن الإدارة العثمانية فيه، ثم تحدث عن حركة الاصلاح العثمانية وآثارها في المشرق العربي ، وكذلك عن بريطانيا والمسألة العربية وعن ثورة العرب ومراسلات الحسين مع الانجليز ، والكتاب مطبوع على الآلة الكاتبة ، ويبدو أنه فعلا محاضرات ألقاها المؤلف من مدرجات الجامعة ، لأنه لم يقدم له ولم يضع له مراجع معينة .

٤٩ ـ السيد رجب حراز : المدخل إلى تاريخ مصر الحديث من الفتح العثماني إلى الاحتلال البريطاني ، ١٥١٧ ـ ١٨٨٢ م . نشر دار النهضة العربية ، القاهرة ، طبع بمطابع دار المحامي للطباعة بالقاهرة ، ١٩٧٠ م . وقد تحدث المؤلف في الكتاب عن مصر العثمانية المملوكية ، وعن الحملة الفرنسية على مصر ، ثم تحدث عن بداية المسألة المصرية وتدعيم ولاية محمد على ، ثم عن بناء الدولة الحديثة في عهد محمد على ، كما تحدث عن مصر من ١٨٤٨ ـ ١٨٦٣ م ، وعن مصر من ١٨٦٣ ـ ١٨٨٢ م ، الكتاب يقع في ٤٠٧ صفحة .

٥٠ ـ سيد نوفل : الخليج العربي أو الحدود الشرقية للوطن العربي ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت ، الطبعة الأولى ، يونيو ١٩٦٩ م . يقع الكتاب في ٥٢٨ صفحة ، ويشتمل على خمسة أقسام ومقدمة ، تحدث المؤلف فيها عن منطقة الخليج وعن الكويت ، وساحل عمان بشكل خاص وأورد بعض الوثائق المتعلقة بالمنطقة خاصة عن الكويت وساحل عمان، ثم تحدث عن اتحاد امارات الخليج العربي .

٥١ ـ صالح محمد العجيري : التقويم العام لتواريخ ٢٠٠٠ عام ، طبع بمطبعة حكومة الكويت سنة ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٧ م . يقع الكتاب في ثلاثة أقسام ، تحدث فيها المؤلف عن التقويم اليومي للقرن العشرين ، وعن مداخل السنين الهجرية بالتاريخ الميلادي ، ثم تقويم العشرين قرنا ، ويتضمن الكتاب بعض الجداول المهمة لتحويل التاريخ الهجري للميلادى وبالعكس خلال ٢٠٠٠ سنة ، أي من أول سنة هجرية إلى سنة ٢٠٠٠ هجرية .

٥٢ ـ صبحى وحيده : في أصول المسألة المصرية ، ملتزم التوزيع مكتبة الانجلو المصرية طبع في مطبعة مصر ، ١٩٥٠ م . يقع الكتاب في ٢٨٥ صفحة ، ويشتمل على مقدمة وخمسة مواضيع تحدث فيها المؤلف عن تاريخ مصر القديم والحديث في أسلوب أدبي فلسفي لاذع .

٥٣ ـ صلاح الدين المختار : تاريخ المملكة العربية السعودية في ماضيها وحاضرها ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٣٧٦ هـ / ١٩٥٧ م . يقع الكتاب في مجلدين ، والمجلد الأول

يتحدث عن المملكة العربية السعودية جغرافيا ، ثم عن البيت السعودي المالك منذ مؤسسها الإمام محمد بن سعود إلى ظهور ابن رشيد ، واحتلاله للرياض ، كما يتحدث عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب ودعوته السلفية .

٥٤ ـ صلاح العقاد : التيارات السياسية في الخليج العربي . طباعة ونشر مكتبة الانجلو المصرية ، شارع محمد فريد القاهرة ، بدون تاريخ للطباعة ، مقدمة المؤلف في سبتمبر سنة ١٩٦٥ م . يقع الكتاب في ٣٥٠ صفحة ، وسبعة عشر فصلا ، بدأها المؤلف بالحديث عن الأوضاع الداخلية للخليج والغزو البرتغالى ، وختمها بالحديث عن النفط ومشكلات الحدود وعن الخليج والسياسة الدولية .

٥٥ ـ عبد الحميد البطريق : التيارات السياسية المعاصرة ، ١٨١٥ ـ ١٩٦٠ م . دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٧٤م . الكتاب يشتمل على ستة وعشرون فصلا ويقع في ٤٧٨ صفحة ، وقد تحدث فيه المؤلف عن مؤتمر فينا سنة ١٨١٤/١٨١٥ م وما أعقبه من صراعات ومؤتمرات أوروبية ، ليختتم كتابه بعد ذلك بما أسماه الحرب الباردة منذ نهاية الحرب العالمية الثانية ، وحتى مؤتمر المنتفعين في لندن ١٩٥٦ م ، كما يقول .

٥٦ ـ عبد الحميد البطريق : من تاريخ اليمن الحديث ، ١٥١٧ ـ ١٨٤٠ م . معهد البحوث والدراسات العربية ، ١٩٦٩ م . يقع الكتاب في ١٢٣ صفحة ، ويشتمل على ثمانية فصول تحدث فيها عن اليمن من القديم

إلى الحديث مرورا بعصر العثمانيين والمماليك ليختتم الكتاب بالحديث عن التوسع المصرى في اليمن وسياسة بريطانيا هناك ، ثم ما أسماه المؤلف بالجلاء عن اليمن ، والكتاب يعتمد على كثير من الوثائق والمراجع المهمة وبه ملاحق وخرائط جيدة تهم الموضوع .

٥٧ ـ عبد الرحمن الرافعي : عصر محمد على . دار المعارف ، القاهرة ، الطبعة الرابعة ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م ، طبع بمطابع دار المعارف . يعتبر الكتاب ، الجزء الثالث من تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم في مصر ، ويقع الكتاب في ٥٩٥ صفحة ، في سبعة عشر فصلا ، وقد تحدث المؤلف في هذا الكتاب عن محمد على منذ وصوله إلى الحكم وجهوده في تدعيم مركزه وعن اصلاحاته وفتوحاته كما يقول المؤلف وأخيرا تحدث الكتاب عن إبراهيم باشا .

٥٨ ـ عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم : تاريخ العرب الحديث والمعاصر . نشر دار المتنبى للنشر والتوزيع ، الدوحة قطر ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م ، مطبعة الجبلاوى بمصر . الكتاب يتحدث في سبعة أبواب تقع في ٣٨٤ صفحة عن العثمانيين والبلاد العربية ، وعن حركات الاصلاح السلفى في البلاد العربية والتيارات الفكرية ويقظة الوعى القومي كما يقول المؤلف ، كما تحدث الكتاب عن نفوذ الحكام المحليين أبان الحكم العثماني وعن الزحف الاستعمارى للمنطقة العربية حينذاك ، ليختتم الكتاب الحديث عن العرب في منتصف القرن ١٩ وحتى اشتعال الحرب العالمية الأولى ثم عن العرب في تاريخهم المعاصر .

٥٩ ـ عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم : محمد على وشبه الجزيرة العربية . دار الكتاب الجامعي ، القاهرة ، الطبعة الأولى ١٩٨١ م ، مطبعة الجبلاوي بالقاهرة . يتكون الكتاب من مقدمة وخمسة أبواب تشتمل على ثلاثة عشر فصلا ، وتسعة وخمسون ملحقا ، وقد تحدث الكتاب عن فترة حكم محمد على في شبه الجزيرة العربية وتناولها بشيء من التحليل والدراسة واعتمد في ذلك على عدد لا بأس به من الوثائق .

٦٠ ـ عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم : من وثائق شبه الجزيرة العربية في عصر محمد على ، ١٢٣٤ ـ ١٢٥٦ هـ / ١٨١٩ ـ ١٨٤٠ م . الناشر دار المتنبى للنشر والتوزيع ، قطر ، طبع بمطبعة الجبلاوى ، طبعة ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م . يقع الكتاب في مجلدين ، يشتمل الجزء الأول منهما على ٨١٥ صفحة ويحتوى على وثائق عبارة عن رسائل صادرة من محمد على إلى حاكم عام الحجاز وحكامه الآخرين في الجزيرة العربية وقادة قواته العاملين في تلك الجهات ، أو تقارير ومراسلات من هؤلاء الحكام والموظفين والقادة يشيرون فيها إلى أحوال المناطق التي يعملون بها والأوضاع التي تسودها ، وقد استخرجها المؤلف من دار الوثائق القومية في القلعة في القاهرة ، وبوبها إلى عشرة فصول تتحدث عن الحجاز ، وتمردات العربان والأشراف فيها وكذلك تتحدث عن عسير وعن ثورة الجند الغير نظاميين في الحجاز وعن اليمن ونجد والبحرين والساحل العماني وكذلك مسقط والبصرة .

٦١ ـ عبد العزيز سليمان نوار : تاريخ العراق الحديث من نهاية حكم داود باشا إلى نهاية حكم مدحت باشا . الناشر دار الكتاب العربي للطباعة والنشر بالقاهرة ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٨ م . الكتاب عبارة عن رسالة نال بها المؤلف درجة الدكتوراه سنة ١٩٦٣ م ، ويشتمل على مقدمة وأحد عشر فصلا ، وموثق توثيقا علميا بمصادر ومراحع عربية وأجنبية ووثائق جيدة ، وقد ابتدأ المؤلف كتابه بالحديث عن الفتح العثماني للعراق وظهور المماليك وأزمة التوسع المصري .. ، واختتمه بالحديث عن بواكير الحركة العربية في العراق ، بعد أن تكلم عن عهد مدحت باشا في العراق من ١٨٦٩ ـ ١٨٧٢ م .

٦٢ ـ عبد العزيز سليمان نوار ، وعبد المجيد نعنعي : (التاريخ المعاصر ـ أوروبا ، من الثورة) الفرنسية إلى الحرب العالمية الثانية . دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٧٣ م . يقع الكتاب في ٦٣٠ صفحة ، ومجموعة من الخرائط المهمة ، ويشتمل على ثمانية عشر بابا ، بدئت بالحديث عن الثورة الفرنسية ونابليون مرورا بمؤتمر فينا سنة ١٨٤٨ م، إلى الأزمات الدولية التي سبقت الحرب العالمية الثانية .

٦٣ ـ عبد العزيز سليمان نوار : الشعوب الإسلامية ، الأتراك العثمانيون ، الفرس ، مسلموا الهند . طبع ونشر دار النهضة العربية ببيروت ، ١٩٧٣ م . الكتاب يقع في ٥٩٧ صفحة ، ويشتمل على ثلاثة أبواب في سبعة عشر فصلا ، تحدث المؤلف في الباب الأول عن العثمانيين في ستة فصول وعن الفرس في الباب الثاني في ثمانية فصول ، كما تحدث في البالب الثالث عن مسلمي الهند وتاريخ امبراطورية المغول

في ثلاثة فصول وختم المؤلف كتابه ببعض الملاحق عن سلاطين الدولة العثمانية ومن عاصرهم من شاهات الفرس وأباطرة مغول الهند وخرائط العالم الإسلامي .

٦٤ ـ عبد العزيز سليمان نوار : المصالح البريطانية، في أنهار العراق، ١٦٠٠ ـ ١٩١٤ م ، دراسة وثائقية للتطورات التي أدت إلى احتكار بريطانيا للملاحة في العراق . ملتزم الطبع والنشر ، مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٦٨ م ، القاهرة . يقع الكتاب في سبعة فصول وخاتمة وبعض الملاحق والوثائق ، ويتحدث عن تاريخ العراق ومقوماته ونمو المصالح البريطانية الملاحية في العراق وما ترتب على هذه المصالح من متغيرات تاريخية .

٦٥ ـ عبد العزيز نوار : تاريخ العرب المعاصر ، مصر والعراق ، طبع ونشر دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٧٣ م . يقع الكتاب في ٥٨٤ صفحة، ويشتمل على ثلاثة أبواب وعدد من الخرائط والملاحق ، وقد تحدث الكتاب عن الوطن العربي في القرن ١٩ ، وعن مصر من الحملة الفرنسية إلى عصر الجمهورية العربية المتحدة ، كما تحدث عن العراق منذ الحكم العثماني سنة ١٥٣٤ وحتى ١٩٥٨ م .

٦٦ ـ عبد العزيز عبد الغني إبراهيم : علاقة ساحل عمان ببريطانيا « دراسة وثائقية » . مطبوعات دارة الملك عبد العزيز رقم ٢٥ ، ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م الرياض ، طبع بمطابع دار الهلال بالرياض . يحتوى الكتاب على أثنى عشر فصلا وستة عشر ملحقا ، ومقدمة وخاتمة والكتاب سبق أن نشر بمركز دراسات الخليج العربي بجامعة البصرة عام ١٩٧٨ م ، تحت عنوان : بريطانيا والساحل العماني ـ دراسة في

العلاقات التعاهدية ، وأضاف له المؤلف فصلا عن اتفاقية ١٨٩٢ م ، وبعض الإضافات ، ليطلق عليه الاسم الحالى ، وقد تحدث الكتاب عن الغزو البرتغالى ، ثم النفوذ البريطاني وما صاحب هذا النفوذ من أحداث تاريخية مختلفة أثرت بشكل مباشر في أوضاع المنطقة ، ويختتم المؤلف كتابه بالحديث عن تدعيم السيطرة البريطانية على الساحل المهادن ، والحديث عن معاهدة ١٨٩٢ م ومشكلات الحدود .

٦٧ ـ عبد العزيز محمد الشناوى : الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها . ملتزم الطبع والنشر مكتبة الانجلو المصرية ، مطبعة جامعة القاهرة ١٩٨٠ م . يقع الكتاب في جزئين ، ويشتمل على ثلاثة وثلاثين فصلا ، وقد تحدث المؤلف عن الدولة العثمانية ونشأتها وحملات التشهير بها ، ثم تحدث عن الخصائص العامة لها وعن سياستها العليا في ضوء خصائصها العامة ، كما تحدث عن الهيئات الحاكمة في الدولة وعن مراكز القوى فيها ، ثم تحدث في الجزء الثاني عن حملات التشهير بالدولة وعن الخدمات التي قدمتها الدولة العثمانية للإسلام والعرب ، ليختتم المؤلف هذا الجزء من الكتاب بالحديث عن بعض الآراء المحايدة في حكم السلطان عبد الحميد الثاني .

٦٨ ـ عبد الفتاح أبو عليه : الدولة السعودية الثانية ، ١٢٥٦ ـ ١٣٠٩ هـ / ١٨٤٠ ـ ١٨٩١ م . طبع ونشر مؤسسة الأنوار للنشر والتوزيع بالرياض ، بدون تاريخ ، وقدم له الشيخ حمد الجاسر ، ١٣٨٩ هـ . يشتمل الكتاب على ثمانية فصول وخمسة ملاحق عبارة عن نصوص وثائق وبعض الخرائط ، ويتحدث الكتاب عن الإمام فيصل بن تركى في

فترة حكمه الأولى وعن الأوضاع في نجد عقب الحكم المصرى ، ثم يتحدث عن حكم الإمام فيصل في فترة حكمه الثانية وعن علاقات الدولة الخارجية في عهده ، كما تحدث الكتاب بعد ذلك عن الفتن والفوضى منذ عام ١٢٨٢ ـ ١٣٠٩ هـ التي شهدتها الجزيرة العربية ، وتحدث عن علاقات الدولة السعودية في تلك الفترة ، ليختتم الكتاب فصوله بالحديث عن أنظمة الحكم والإدارة وعن الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الدولة .

٦٩ ـ عبد الله بن محمد بن خميس : المجازبين اليمامة والحجاز ، منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة بالرياض ، مطبعة نهضة مصر بالقاهرة ، بدون تاريخ . الكتاب يقع في ٤٤٤ صفحة ويشتمل على بعض الخرائط الجغرافية وفهارس للموضوعات والأماكن والأعلام ، وهو يتحدث عن المواقع التاريخية والمشهورة من اقليم اليمامة إلى اقليم الحجاز .

٧٠ ـ عبد الله بن محمد بن خميس : معجم اليمامة ، طبع بمطابع الفرزدق بالرياض ، الطبعة الثانية ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م . يقع الكتاب في جزئين ، الجزء الأول منهما من حرف الألف إلى حرف الراء في ٦٥٣ صفحة ، والجزء الثاني من حرف السين إلى حرف الياء في ٦٢٠ صفحة ، وهو معجم جغرافي عن اقليم اليمامة في سلسلة المعجم الجغرافي للمملكة العربية السعودية .

٧١ ـ عبد الواسع يحى الواسعي اليماني . تاريخ اليمن المسمى فرجة الهموم والحزن في حوادث وتاريخ اليمن . الدار اليمنية للنشر والتوزيع

الطبعة الثالثة ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م . يقع الكتاب في ٤٩٥ صفحة ، ويشتمل على اثنين وعشرين فصلا ، وهو يتحدث عن تاريخ اليمن وجنوب الجزيرة العربية منذ القدم ، وحتى بداية القرن العشرين .

٧٢ ـ على حسون : تاريخ الدولة العثمانية ، طبع ونشر المكتب الإسلامي ، دمشق ، الطبعة الأولى ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م . يشتمل الكتاب على ثمانية أبواب إضافة إلى المقدمة ومصادر الكتاب وبعض الصور الملونة والخرائط ، وتحدث الكتاب عن نشأة الدولة العثمانية وفتوحاتها وعن السلطان محمد الفاتح وفتح القسطنطينية ، كما تحدث عن الدولة في أوج قوتها وعن عوامل الضعف والانحطاط وعن الدولة خلال تلك المرحلة ، ثم تحدث عن السلطان عبد المجيد الثاني والسلطان محمد رشاد وعن تركيا العلمانية .

٧٣ ـ فاروق عثمان أباظة : الحكم العثماني في اليمن ، ١٨٧٢ ـ ١٩١٨ م . طبع في دار العودة ، بيروت ، الطبعة الثانية ١٩٧٩ م . الكتاب عبارة عن رسالة ماجستير تقدم بها المؤلف إلى كلية الآداب ، بجامعة الاسكندرية سنة ١٩٦٦ م وتشتمل على ستة فصول ومقدمة وخاتمة وتعتمد على بعض الوثائق والمصادر ، وقد تحدث المؤلف عن علاقة العثمانيين باليمن قبل ١٨٧٢ م ، وعن عودتهم لها سنة ١٨٧٢ م ، ثم تحدث عن نظام الحكم العثماني في اليمن قبيل العهد الدستورى ، وعن السياسة العثمانية هناك في مطلع العهد الدستورى ١٩٠٨ ـ ١٩١١ م وعن موقف العثمانيين في اليمن في أعقاب الصلح مع الامام يحيى سنة ١٩١١ ـ ١٩١٤ م ، ليختتم بعد ذلك الكتاب بالحديث عن العثمانيين في اليمن في أثناء الحرب العالمية الأولى ١٩١٤ ـ ١٩١٨ .

٧٤ ـ فاروق عثمان أباظة : عدن والسياسة البريطانية في البحر الأحمر ، ١٨٣٩ ـ ١٩١٨ م . الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٦ م ، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب ، يشتمل الكتاب على سبعة فصول وبعض الملاحق الهامة ، والكتاب يتناول في مجمله أثر وجود البريطانيين في عدن وسياستهم في منطقة البحر الأحمر منذ احتلالهم لعدن في سنة ١٨٣٩ م وحتى نهاية الحرب العالمية الأولى ١٩١٨ م ، وقد اعتمد على كثير من الوثائق الانجليزية والفرنسية وبعض الوثائق الايطالية والالمانية والاسبانية إضافة إلى الوثائق العثمانية المترجمة .

٧٥ ـ فائق حمدى طهبوب : تاريخ البحرين السياسى ١٧٨٣ ـ ١٨٧٠ م . منشورات ذات السلاسل ، الكويت ، طبعة ١٩٨٣ م . والكتاب رسالة ماجستير تقدم بها المؤلف إلى جامعة الكويت سنة ١٩٧٤ م ، ويشتمل على ستة فصول وخاتمة وعدد من الملاحق ، وقد تحدث عن البحرين جغرافيا وعن بداية الصراع حولها وتفاقمه ، ثم تحدث عن التنافس المصرى البريطاني في الخليج وعن الحماية البريطانية للبحرين ، والتدخل البريطاني المباشر وتقسيم المنطقة ، والكتاب موثق توثيقا علميا .

٧٦ ـ فؤاد سعيد العابد : سياسة بريطانيا في الخليج العربي ، خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر . منشورات ذات السلاسل للطباعة والنشر والتوزيع ، الكويت ، ١٩٨١ م . يشتمل الكتاب على خمسة فصول وخاتمة ، ويتحدث عن التنافس الاستعماري الأوروبي في الخليج العربي وعن نشاط بريطانيا في المنطقة وحملاتها العسكرية

المتتابعة ، ثم موقفها من النشاط المصرى على سواحل الخليج وفي مسقط والساحل المهادن بوجه خاص .

٧٧ ـ لطيفة محمد سالم : الحكم المصري في الشام ، ١٨٣١ ـ ١٨٤١ م . نشر فى دار الكتاب الجامعي بالقاهرة ، وطبع بمطبعة الجبلاوى بمصر الطبعة الأولى سنة ١٩٨٣ م . يقع الكتاب في ثمانية فصول ومقدمة وخاتمة ، ويتحدث عن مراحل التواجد المصرى في الشام وعن الإدارة والقضاء والسياسة المالية هناك وعن النظام الزراعى والاحتكار التجارى ، كما يتحدث الكتاب فى آخر فصوله عن مضادات السياسة المصرية بمختلف أنواعها .

٧٨ ـ محمد بن أحمد العقيلي : تاريخ المخلاف السليماني ، من منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة بالرياض ، مطبعة نهضة مصر ، بالقاهرة ، الطبعة الثانية ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م يحتوى الكتاب على جزئين ، ويقع الجزء الأول منهما فى أحد عشر فصلا ، تحدث فيها المؤلف عن جنوب الجزيرة العربية وتهامة والمخلاف السليماني ويختتم فصول هذا الجزء بالحديث عن السعوديين والدعوة الاصلاحية فى المخلاف السليمانى وتهامة اليمن .

٧٩ ـ محمد أنيس : الدولة العثمانية والشرق العربى ، ١٥١٤ ـ ١٩١٤ م . نشر مكتبة الانجلو المصرية ، وطبع فى دار الجيل للطباعة ، بدون تاريخ . يقع الكتاب فى تسعة أقسام تتحدث عن العثمانيين والشرق العربى وعن بناء الدولة العثمانية فى أوروبا ونظم الحكم العثماني ، كما يتحدث الكتاب عن الفتوحات العثمانية فى الشرق العربي ، وعن الأستعمار

الأوروبى كذلك ثم عن حركة التنظيمات العثمانية والحركات القومية فى الشرق الأدنى ، ويختتم الكتاب بالحديث عن الشرق العربى والحرب العالمية الأولى .

٨٠ ـ محمد بديع شريف وآخرون : دراسات تاريخية فى النهضة العربية الحديثة . جامعة الدول العربية ، الادارة الثقافية ، مطبعة الرسالة ، عابدين بدون تاريخ . اشترك مع المؤلف فى هذا الكتاب كل من الدكتور زكي المحاسني والدكتور أحمد عزت عبدالكريم ، ووضع خطته وقام بمراجعتها الأستاذ محمد شفيق غربال مدير معهد الدراسات العربية العالمية ، والكتاب يقع فى ٥٧٨ صفحة ويشتمل على قسمين ، دراسات عامة ، ودراسات خاصة ، إضافة إلى شرح خطته التي سار عليها فى منهجه .

٨١ ـ محمد سعيد المسلم : ساحل الذهب الأسود ، دراسة تاريخية ، انسانية لمنطقة الخليج العربى . منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، الطبعة الثانية ، مقدمة المؤلف فى ١٨ أغسطس ، ١٩٦٠ م .

٨٢ ـ محمد شفيق غربال : منهاج مفصل لدروس فى العوامل التاريخية فى بناء الأمة العربية على ما هي عليه اليوم . جامعة الدول العربية ، معهد الدراسات العربية ، مطبعة نهضة مصر، الفجالة ، القاهرة ، ١٩٦١ م. يشتمل الكتاب على ثلاث أقسام تتحدث عن العالم العربى فى أوضاعه الراهنة ، كما تتحدث فى استعراض متوازن للتاريخ العثماني والتاريخ الأوروبى ، وبصفة خاصة فى مواضع اتصال النفوذ العثماني والنفوذ الأوروبى بالعرب ، ثم أختتم الكتاب في القسم الثالث بالحديث عن موضوعات عربية خاصة شملت مايأتي :

١ ـ متى وكيف أصبحت الأقطار العربية ولايات عثمانية ، ٢ ـ دراسات في أنظمة الحكم فى الأقطار العربية قبل عصر التنظيمات وبعده ، ٣ ـ الغزو الاوروبى ، ٤ ـ تكوين الأوطان العربية ونمو الوعى القومى العربى من سنة ١٨٠٠ م .

٨٣ ـ محمد صالح البنداق : التقويم الهادى . منشورات دار الأفاق الجديدة ، بيروت ، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م . والكتاب دراسة علمية وتاريخية عن التقاويم ، وجداول موافقة التاريخين الهجرى والميلادى لمدة ١٦٤٠ عام هجرى ، كما يبين كيفية البحث عن اسم اليوم والتاريخ ليوم معين .

٨٤ ـ محمد صبرى : تاريخ مصر الحديث من محمد على إلى اليوم . نشر وطبع فى مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة ، الطبعة الأولى سنة ١٩٢٦ م . يشتمل الكتاب على ستة أبواب تحدث فيها المؤلف عن تاريخ مصر من حكم الرومان والعرب والمماليك والعثمانيين مرورا بالمرحلة الفرنسية ، ثم أسهب بالحديث عن محمد علي وخلفائه خاصة عصر اسماعيل وتوفيق والثورة العرابية ، وختم الكتاب بالحديث عن مصر فى عهد الاحتلال .

٨٥ ـ محمد عبداللطيف البحراوى : حركة الاصلاح العثماني فى عصر السلطان محمود الثاني ١٨٠٨ ـ ١٨٣٩ م . توزيع دار التراث ، شارع الجمهورية ، الطبعة الأولى ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م طبع بمطابع المختار الإسلامى ـ دار السلام ، الكتاب يقع فى ٣١٠ صفحة ، ويشتمل على سبعة فصول ومقدمة إضافة إلى أربعة ملاحق ، وقد تحدث الكتاب

عن الدولة العثمانية وأصولها وتطور نظمها ، ومدى حاجتها للاصلاح ، ثم تحدث عن الإصلاح في الداخل والخارج وعن مولد حركة الإصلاح ومعناها وعن حركة الإصلاح قبل محمود الثاني وبيان النقطة التى بدأ منها ذلك السلطان حركته الاصلاحية ، كما تحدث عن انقلابات استانبول سنة ١٨٠٧ ـ ١٨٠٨ م ، وعن عصر محمود الثاني وتغير الظروف الخارجية ، وحركات الاصلاح المعاصرة والمجتمع العثماني ، ليختتم الكتاب بالحديث عن اصلاحات محمود الثاني ونقد لخطة الاصلاح ذاك وتقييمه ليصل المؤلف أخيرا إلى نتائج عامة أعطت ميزة فريدة للكتاب الذي أعطى صورة كاملة للدولة العثمانية منذ قيامها وصورة واضحة لنظمها .

٨٦ ـ محمد بن عبد الله بن بليهد النجدى : صحيح الأخبار عما في بلاد العرب من الآثار . الطبعة الثانية سنة ١٣٩٢ هـ / ١٩٧٢ م . علق على الكتاب وكتب بعض هوامشه محمد محى الدين عبد الحميد . يتضمن الكتاب خمسة أجزاء في مجلدين ، الجزء الأول والثاني والثالث في مجلد ، والجزء الرابع والخامس في مجلد ، ولكل جزء مقدمة بقلم المؤلف ما عدا الجزء الثاني .

٨٧ ـ محمد عبد الله ماضى : النهضات الحديثة في جزيرة العرب «١» في المملكة العربية السعودية . طبع ونشر دار احياء الكتب العربية ، عيسى البابى الحلبى وشركاه ، القاهرة ، الطبعة الثانية ١٣٧٢ هـ / ١٩٥٢ م . الكتاب يتحدث عن عدة مواضيع رئيسية في نهضة المملكة العربية السعودية منذ ظهور الشيخ محمد بن عبد الوهاب ودعوته

السلفية والدولة السعودية الأولى والثانية ثم يتحدث المؤلف عن عصر الدولة السعودية الثالثة، وقسم تاريخ الملك عبد العزيز إلى أربع مراحل، ويتضمن الكتاب بعض المعاهدات والوثائق ذات الصلة بمواضيع الكتاب .

٨٨ ـ محمد عرابى نخلة : تاريخ الاحساء السياسى ، ١٨١٨ ـ ١٩١٣ م . منشورات ذات السلاسل ، الكويت ، ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م . الكتاب يشتمل على خمسة فصول وخاتمة ، وهو عبارة عن رسالة للماجستير في التاريخ الحديث ، تقدم بها المؤلف إلى جامعة الكويت ، ١٩٧٤ م ، وتحدث فيها عن تاريخ الاحساء السياسى في الفترة من ١٨١٨ ـ ١٩١٣ م وبشكل خاص عن الدولة المصرية في حكم محمد على والدولة السعودية الثانية والدولة العثمانية ، تلك القوى السياسية التي لعبت دورا هاما في تاريخ المنطقة ، ثم تحدث المؤلف عن اصطدام هذه القوى ببريطانيا وعن الاحساء في ظل الحكم السعودي المباشر من ١٨٤٣ ـ ١٨٧١ م ـ وعن الحملة العثمانية على الاحساء والوجود العثماني في الاحساء ما بين عامى ١٨٧١ ـ ١٩١٣ م .

٨٩ ـ محمد على الشيخ : صراع العمالقة في القرن التاسع عشر ، طبع بمطابع دار العلم للطباعة والنشر بجدة ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م . يقع الكتاب في ثلاثة أبواب ، تطرق المؤلف للحديث من خلالها عن مؤتمر فينا ١٨١٤ ـ ١٨١٥ م ، وعن الاحتلال الفرنسي لتونس ١٨٧٨ ـ ١٨٨١ م ، وأخيرا تطرق المؤلف للحديث عن الصراع البريطاني الفرنسي حول الخليج ١٧٩٨ ـ ١٨٤٠ م .

٩٠ ـ محمد فؤاد شكرى .. وآخرون ، بناء دولة مصر محمد على « السياسة الداخلية » مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٣٦٧ هـ / ١٩٤٨ م ، الطبعة الأولى ، دار الفكر العربي . الكتاب يقع في ٨٤٧ صفحة وبعض صفحات التصدير والفهارس ، ويشتمل على قسمين وبعض الخرائط والمراجع والفهارس ، وقد تحدث المؤلفون في القسم الأول عن محمد على وحكومته وسياستها ومصادرها ونظمها وعن الباشا في سنواته الأخيرة ، أما القسم الثاني فكان يشتمل على بعض التقارير المهمة من القناصل ورجال السياسة الأوروبيين الذين كتبوها حول محمد على وحكومته ، والكتاب يعتمد على وثائق وتقارير معاصرة ويعتبر من الكتب الهامة لتلك الفترة .

٩١ ـ محمد فؤاد شكرى : مصر والسودان ، تاريخ وحدة وادى النيل السياسية في القرن التاسع عشر ، ١٨٢٠ ـ ١٨٩٩ م . مكتبة الدراسات التاريخية ، دار المعارف بمصر ، الطبعة الثالثة ، سنة ١٩٦٣ م . يشتمل الكتاب على عدة موضوعات قسمها المؤلف إلى أربعة عشر موضوعا بدأها بالحديث عن منشأ الوحدة السياسية ١٨٢٠ ـ ١٨٤٠ م ، مرورا بتسوية المسألة المصرية ، وأنهاها بالحديث عن اتفاق الحكم الثنائي ١٨٩٩ م .

٩٢ ـ محمد فؤاد شكرى : مصر والسودان ، الوضع التاريخي للمسألة . ملتزم الطبع والنشر دار الفكر العربي ، تصدير المؤلف ، القاهرة ديسمبر ١٩٤٦ م . تحدث الكتاب عن مصر والسيادة على السودان ، وقسم الوثائق إلى وفاق وخط شريف ونحو ذلك .

٩٣ ـ محمد كرد علي : خطط الشام . طبع في مطبعة الترقي ، دمشق ، سنة ١٣٤٣ هـ / ١٩٢٥ م . يقع الكتاب في ثلاثة أجزاء ، والجزء الثالث يتحدث عن العهد العثماني من سنة ١٢٠٠ هـ حتى صك الانتداب على شرقي الأردن وعهد أنقره سنة ١٩٢١ م .

٩٤ ـ محمد كمال الدسوقي : تاريخ أوروبا الحديث ، ١٨٠٠ ـ ١٩١٨ م . نشر وطبع في مطبعة النهضة الجديدة بالفجالة بالقاهرة ، بدون تاريخ. يشتمل الكتاب على ستة أبواب تحدث فيها المؤلف عن نابليون بونابرت والملكية الدستورية في فرنسا وعن الوحدة الايطالية والدول العظمى ١٨٩٠ ـ ١٩١٤ م ، وأخيرا تحدث عن الحرب العالمية الأولى.

٩٥ ـ محمد كمال الدسوقي : الدولة العثمانية والمسألة الشرقية . منشورات دار الثقافة للطباعة والنشر بالقاهرة ١٩٧٦ م . يشتمل الكتاب على اثنى عشر بابا إضافة للمقدمة والمراجع ، وهو يتحدث عن الموضوعات المرتبطة بالعلاقات الدولية الأوروبية في العصر الحديث ومدى تأثرها بالدولة العثمانية وتأثر الدولة العثمانية بها ، وقد بدأ المؤلف أبواب الكتاب بالحديث عن توسع الدولة العثمانية ١٢٣٢ هـ ـ ١٥١٢ م ، وأنهاه بالحديث عن البلقان والحرب العالمية الثانية ١٩٣٨ ـ ١٩٤١ م .

٩٦ ـ محمد بن ناصر العبودي : بلاد القصيم . منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ، الطبعة الأولى ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م . يقع الكتاب في ستة أجزاء ، وهو من ضمن سلسلة المعجم الجغرافي للمملكة العربية السعودية ، ويتحدث عن المواقع المكانية في إقليم القصيم وفق ترتيب الحروف الهجائية .

٩٧ ـ محمود بهجت سنان : البحرين درة الخليج العربي . الطبعة الأولى ١٣٨٣ هـ / ١٩٦٣ م ، طبعة بمساعدة مالية من المجمع العلمي العراقي .

٩٨ ـ محمود شاكر : البحرين « الأحساء ـ الكويت ـ البحرين ـ قطر » من منشورات المكتب الإسلامي ، الطبعة الأولى ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م ، بيروت ، الكتاب يأتي في سلسلة مواطن الشعوب الإسلامية رقم ١٤ في آسيا ، وهو يتحدث في ايجاز مفيد عن الأحساء والبحرين والكويت وقطر جغرافيا وتاريخيا .

٩٩ ـ .محمود صالح منسي : حركة اليقظة العربية في الشرق الآسيوى ، ملتزم الطبع والنشر دار الفكر العربي ، ١٣٩٥ هـ / ١٩٧٥ م . يشتمل الكتاب على سبعة عشر فصلا في خمسة أبواب ، ويتحدث المؤلف عن الشرق العربي في ظل الحكم العثماني وعن العهد الحميدى ١٨٧٦ ـ ١٩٠٨ م ، وعن عهد الاتحاديين ١٩٠٨ ـ ١٩١٤ م ، كما يتحدث عن الشرق العربي في الحرب العالمية الأولى وسياسة بريطانيا المخادعة في تلك المنطقة حينذاك وما نتج عنها من آثار استعمارية على المنطقة .

١٠٠ ـ محمود كامل : الدولة العربية الكبرى . طبع في دار المعارف بمصر ، الطبعة الثانية ١٩٦٦ م . وقد قسم المؤلف الكتاب إلى ثلاثة أقسام في خمسة عشر فصلا في مجلد واحد .

١٠١ ـ محمود كامل : اليمن شماله وجنوبه تاريخه وعلاقاته الدولية . دار بيروت للطباعة والنشر ، بيروت ١٩٦٨ م . يشتمل الكتاب على قسمين وفهرس تحليلي لمنهاج البحث العلمي في تاريخ الجنوب العربي ، وقد

تحدث المؤلف في القسم الأول عن عصر ما قبل التاريخ في الجنوب العربي إلى العصر الحميرى الأول والثاني ، ثم تحدث في القسم الثاني عن اليمن منذ عهد الخلفاء الراشدين إلى ١٩٤٨ ـ ١٩٦٧ م .

١٠٢ ـ مديحة أحمد درويش : سلطنة عمان في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر . نشر وتوزيع دار الشروق بجدة ، الطبعة الأولى ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م ، طبع بمطابع دار الشراع في بيروت . يشتمل الكتاب على خمسة فصول وبعض المعاهدات المهمة واللوحات والخرائط ذات الصلة بالموضوع ، ويتحدث الكتاب عن عمان قبل القرن الثامن عشر وعن الصراع الأوروبي في الخليج وعمان والوضع الداخلي في عمان خلال القرنين ١٨ ، ١٩ ، وأخيرا يتحدث الكتاب عن بريطانيا وعمان في القرن ١٩ ، وعن النفوذ البريطاني والصراع الفرنسي في عمان .

١٠٣ ـ موضى بنت منصور بن عبد العزيز آل سعود : الملك عبد العزيز ومؤتمر الكويت ، ١٣٤٢ هـ / ١٩٢٣ ـ ١٩٢٤ م . منشورات تهامة بجدة ، الطبعة الأولى ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م ، طبع بمطابع دار عكاظ للطباعة والنشر بجدة ، الكتاب عبارة عن رسالة ماجستير ، يشتمل على أربعة فصول ومقدمة وخاتمة ، وقد تحدثت المؤلفة عن أهمية هذا الموضوع وعن قيام سلطنة نجد وملحقاتها وعن الاشراف والحرب العالمية الأولى، كما تحدثت عن علاقة سلطنة نجد بجيرانها وعن مؤتمر الكويت سنة ١٣٤٢ هـ / ١٩٢٣ ـ ١٩٢٤ م .

١٠٤ ـ نبيل عبد الحي رضوان : الدولة العثمانية وغربى الجزيرة العربية ، بعد افتتاح قناة السويس ، ١٢٨٦ ـ ١٣٢٦ هـ / ١٨٦٩ ـ ١٩٠٨ م .

منشورات تهامة بجدة ، الطبعة الاولى ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٣ م ، طبع بمطابع سحر بجدة . الكتاب رسالة ماجستير فى التاريخ الحديث ، تقدم بها المؤلف إلى جامعة الملك عبد العزيز بمكة سنة ١٤٠٠ هـ وتشتمل على خمسة فصول ومقدمة وخاتمة وتتحدث عن الوضع فى غربى الجزيرة قبيل افتتاح قناة السويس وعن جهود الدولة العثمانية لتأمين الحجاز بعد افتتاح القناة وعن عوائق استكمال نفوذ الدولة العثمانية على الساحل الغربى للجزيرة العربية ، كما تتحدث الرسالة عن سكة حديد الحجاز ، إضافة إلى ذلك فهي تشتمل على وثائق وخرائط ذات صلة بالموضوع .

١٠٥ ـ نورية محمد ناصر الصالح : علاقات الكويت السياسية بشرقي الجزيرة العربية والعراق العثماني ، ١٨٦٦ ـ ١٩٠٢ م . منشورات دار ذات السلاسل ، الطبعة الأولى ١٩٧٧ م ، المطبعة العصرية ، الكويت . يقع الكتاب في أربعة فصول ومقدمة وخاتمة ويشتمل على بعض الوثائق الانجليزية والمصادر ، وقد تحدثت المؤلفة عن نشأة وتطور الكويت حتى عام ١٨٦٦ م ، وعن علاقته بنجد منذ ١٨٦٦ ـ ١٩٠٢ م ، كما تحدث عن علاقة الكويت بالبحرين وقطر وعلاقاته بالعراق العثماني في تلك الفترة .

المراجع المترجمة للغة العربية :

١٠٦ ـ أحمد حسن جودة : المصالح البريطانية في الكويت حتى عام ١٩٣٩ م. منشورات مركز دراسات الخليج العربي بجامعة البصرة ، مطبعة الارشاد ، بغداد سنة ١٩٧٩ م . مؤلف الكتاب من جامعة قاريونس ، ليبيا ، وقام بترجمة الكتاب حسن على النجار ، وهو يشتمل على تمهيد وستة فصول .

١٠٧ ـ أ . ج . جرانت وهارولد تمبرلى : أوروبا في القرنين التاسع عشر والعشرين ١٧٨٩ ـ ١٩٥٠ م . نشر وطبع في مؤسسة سجل العرب ، القاهرة ، ترجم للعربية عن الطبعة السادسة سنة ١٩٦٧ م . قام بترجمة الكتاب بهاء فهمى ، وراجعه د . أحمد عزت عبد الكريم ، ويشتمل على جزئين في مجلدين .

١٠٨ ـ أرنولد توينبى : تاريخ البشرية . نشر وطبع الأهلية للنشر والتوزيع ، بيروت ١٩٨٢ م . مترجم الكتاب الدكتور نقولا زيادة ، ويشتمل الكتاب على جزئين .

١٠٩ ـ بنواميشان : عبد العزيز آل سعود ، سيرة بطل ومولد مملكة . نشر وطباعة دار الكاتب العربي، بدون تاريخ . قام بترجمة الكتاب عبد الفتاح ياسين ، وهو يشتمل على خمسة أجزاء في مجلد واحد .

١١٠ ـ بيير رنوفان : تاريخ العلاقات الدولية « القرن التاسع عشر ، ١٨١٥ ـ ١٩١٤ م . نشر دار المعارف في مصر ، طبع في المطبعة العصرية بالاسكندرية سنة ١٩٨٠ م. ترجم الكتاب الدكتور جلال يحيى، والكتاب يحتوى على قسمين، يتحدث القسم الأول عن الفترة من ١٨١٥ م إلى ١٨٧١ م والقسم الثاني عن الفترة من ١٨٧١ ـ ١٩١٤م .

١١١ ـ جاكلين بيرين : اكتشاف جزيرة العرب ، خمسة قرون من المغامرة والعلم . نقل الكتاب إلى العربية قدرى قلعجى ، وقدم له الشيخ حمد الجاسر . منشورات ، الرياض ، ودار الكاتب العربي بيروت ، بدون تاريخ .

١١٢ ـ جورج انطونيوس : يقظة العرب تاريخ حركة العرب القومية . نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر بيروت ـ نيويورك ، دار العلم للملايين ، بيروت الطبعة الأولى ١٩٦٢ م . قدم للكتاب الدكتور نبيه أمين فارس وترجمه الدكتور ناصر الدين الأسد والدكتور احسان عباس .

١١٣ ـ جون . ب . كيلى : بريطانيا والخليج ١٧٩٥ ـ ١٨٧٠ م . ترجمة محمد أمين عبد الله ، منشورات وزارة التراث القومي والثقافة بسلطنة عمان، وطبع بمطبعة عيسى البابى الحلبى وشركاه ، راجعه وأشرف على طبعه الاستاذ عبد المنعم عامر .

١١٤ ـ ج . ج . لوريمر : دليل الخليج ، القسم التاريخي . طبع على نفقة الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني أمير دولة قطر بمطابع على بن على بالدوحة ، رمضان سنة ١٣٩٥ هـ / سبتمبر ١٩٧٥ م والترجمة العربية من الكتاب في ثلاثة مجلدات تشتمل على ثمانية فصول وتقع في ١٧٥١ صفحة ، وناشر الطبعة الانجليزية أ ر خ مقدمته في ١٠ أكتوبر سنة ١٩١٤ م .

١١٥ ـ الكابتن ج . فورستر سادلير : رحلة عبر الجزيرة العربية خلال عام ١٨١٩ م . ترجم الكتاب أنس الرفاعي ، نشر وتحقيق سعود بن

غانم الجمران العجمى الكويت ، طبع بمطابع دار الفكر ، دمشق سوريا ، الطبعة الأولى ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م .

١١٦ ـ جورج كيرك : موجز تاريخ الشرق الأوسط من ظهور الإسلام إلى الوقت الحاضر . ترجم الكتاب عمر الاسكندرى وراجعه الدكتور سليم حسن ، نشر مركز كتب الشرق الأوسط ، سلسلة الألف كتاب ١١٤ ، طبع دار الطباعة الحديثة في مصر ، بدون تاريخ ، كلمة المترجم في ١٢ مارس ١٩٥٧ م .

١١٧ ـ جون مارلو : تاريخ النهب الاستعماري لمصر ، ١٧٩٨ ـ ١٨٨٢ م . نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب ، وطبع بمطابعها سنة ١٩٧٦ م . وقام بترجمة الكتاب الدكتور عبد العظيم رمضان ، وقد اشتمل الكتاب على اثنى عشر فصلا إضافة إلى مقدمة المؤلف ومقدمة المترجم .

١١٨ ـ جى . بى . كيلى : الحدود الشرقية لشبه الجزيرة العربية . منشورات دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر ، طبع سنة ١٩٧١ م ، قان بتعريب الكتاب والتعليق عليه خيرى حماد .

١١٩ ـ سنت جون فيلبى : تاريخ نجد ودعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية . منشورات المكتبة الأهلية ، بيروت ، طبع دار الشمالى للطباعة ، بيروت ، بدون تاريخ ، ترجم الكتاب إلى اللغة العربية عمر الديراوى .

١٢٠ ـ سيديو : خلاصة تاريخ العرب تهذيب وترجمة كتاب العالم . طبع بمطبعة محمد أفندى مصطفى بحوش قدم سنة ١٣٠٩ هـ ، الطبعة الأولى ، وقد أمر بترجمته وتهذيبه سعادة على باشا مبارك ناظر المعارف العمومية بمصر سابقا .

١٢١ ـ الدكتور فيليب حتى : تاريخ العرب « مطول » . ترجمة الدكتور أدورد جرجى ، والدكتور جبرائيل جبور . طبع ونشر دار الكشاف للنشر والطباعة والتوزيع بيروت ، لبنان ، جمادى الأولى ١٣٧٠ هـ شباط ١٩٥١ م .

١٢٢ ـ فيليب وفريد الخازن : مجموعة المحررات السياسية والمفاوضات الدولية ، عن سوريا ولبنان من ١٨٤٠ ـ ١٩١٠ م . تعريب فيليب وفريد الخازن صاحبى جريدة الأرز ، طبع في مطبعة الصبر في جونيه سنة ١٩١١ م . ويشتمل على ثلاثة مجلدات .

١٢٣ ـ كارل بروكلمان : تاريخ الشعوب الإسلامية . نقلة إلى العربية نبيه أمين فارس ، منير البعلبكى ، طبع ونشر دار العلم للملايين ، بيروت الطبعة السادسة ، شباط ١٩٧٤ م .

١٢٤ ـ الدكتورة نجلاء عز الدين : العالم العربي . ترجمة محمد عوض إبراهيم وآخرون ، قدم له حسن جلال العروسى ، قدم له الدكتور وليم أرنست هوكنج . طبع ونشر دار أحياء الكتب العربية بمصر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر ، القاهرة ـ نيويورك ، الطبعة الثانية ١٩٦٢ م .

١٢٥ ـ هـ . أ . ل . فيشر : تاريخ أوروبا في العصر الحديث ، ١٧٨٩ ـ ١٩٥٠ م . تعريب أحمد نجيب هاشم ، وديع الضبع . طبع ونشر دار المعارف بمصر ، الطبعة السابعة ، ١٩٧٦ م .

الدوريات والمقالات :

١٢٦ ـ بدر الدين عباس الخصوصي : محمد على والخليج العربي ، ١٨٣٨ ـ ١٨٤٠ م ، دراسة موثقة . مجلة كلية الآداب والتربية ، جامعة الكويت ، العدد الخامس ، يونيو ١٩٧٤ م ، جمادى الأولى ١٣٩٤ هـ . الصفحات ٩٩ ـ ١٣٢ من المجلة .

١٢٧ ـ صالح محمد العمرو : النزاع التركي المصري على شمال الحجاز وسيناء وتدخل الحكومة البريطانية ١٨٨٤ ـ ١٩٠٦ م . مجلة دارة الملك عبد العزيز بالرياض ، العدد الأول ، السنة الخامسة ، ربيع الثاني ١٣٩٩ هـ / مارس ١٩٧٩ م ، الصفحات ٦ ـ ٣٤ من المجلة .

١٢٨ ـ عبد الحميد البطريق : محمد على ومشروع غزو العراق ، مجلة كلية الآداب، الجامعة الأردنية ، المجلد الأول ، العدد الأول، يناير ١٩٦٩ م ، الصفحات ٤٩ ـ ٦٠ من المجلة.

١٢٩ ـ عبد العزيز نوار : مصر والخليج العربي في القرن ١٩ . مجلة الهلال : مجلة شهرية تصدر عن دار الهلال بمصر ، أسسها جرجى زيدان سنة ١٨٩٢ م ، العدد الحادى عشر ، السنة ٧٢ ، أول نوفمبر سنة ١٩٦٤ م ، ٢٦ جمادى الآخرة ١٣٨٤ هـ ، الصفحات ١٥٦ ـ ١٦٨ .

١٣٠ ـ عبد العزيز عبد الغني إبراهيم : بداية الامتيازات الامريكية في الشرق الأوسط . مجلة دارة الملك عبد العزيز بالرياض ، العدد الأول ، السنة الثامنة شوال ١٤٠٢ هـ / يوليو ١٩٨٢ م ، الصفحات ٩١ ـ ١٠٦ من المجلة .

١٣١ ـ عبد العزيز محمد عوض : التنظيمات العثمانية في الولايات العربية . مجلة دارة الملك عبد العزيز بالرياض ، العدد الثالث ، السنة الثالثة ، شوال ١٣٩٧ هـ / سبتمبر ١٩٧٧ م ، الصفحات ٨٢ ـ ٩٢ من المجلة .

١٣٢ ـ عبد الله الصالح العثيمين : حول كتاب الدولة السعودية الثانية للدكتور أبو عليه . مجلة دارة الملك عبد العزيز بالرياض ، العدد الأول ، السنة الثالثة ربيع الأول ١٣٩٧ هـ / فبراير ١٩٧٧ م ، الصفحات ٢٤٤ ـ ٢٧١ من المجلة .

١٣٣ ـ عبد الله بن محمد بن خميس : الشعر الشعبي ومعالم الجزيرة . مجلة العرب ، العدد السادس ، السنة الأولى ، ذو الحجة ١٣٨٦ هـ / مارس ١٩٦٧ م ، وهي مجلة شهرية يرأس تحريرها حمد الجاسر ، وتطبع في دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر بالرياض .

١٣٤ ـ محمد حسين زيدان : الوثائق تتكلم . مجلة دار الملك عبد العزيز بالرياض ، العدد الثاني ، السنة الأولى ، جمادى الثانية ١٣٩٥ هـ / يونيو ١٩٧٥ م ، الصفحات ١٦٠ ـ ٢١٣ من المجلة .

١٣٥ ـ نورى عبد البخيت السامرائي : من تاريخ الوجود الامريكي في البحر المتوسط ، أواخر القرن ١٨ ، وأوائل القرن ١٩ . مجلة المؤرخ العربي ، العدد الثالث والعشرون ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م ، طبعت بمطابع جامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض ، وهي مجلة تصدرها الأمانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب بغداد ، العراق ، المقال يشمل الصفحات ٢١٩ ـ ٢٣٥ من المجلة .

الوثائق العثمانية :

أ ـ وثائق عثمانية مترجمة إلى العربية : في دارة الملك عبد العزيز بالرياض .

١ ـ وثيقة رقم ٥٠/١ ـ ٢٤٨ ، ورقمها الأصلى ١٩٥٩٣ ـ أ / A/19593 في ٢١ ربيع الأول سنة ١٢٣٠ هـ ، رسالة من محمد على إلى السلطان العثماني يبلغه عدم حاجته إلى ولاية الشام ، ويوضح سبب مطلبه لتلك الولاية من قبل .

٢ ـ وثيقة رقم ٢/١ـ ٢٢٠، بدون تاريخ ورقمها الأصلى ١٩٥٩٤ ـ أ/ /A 19594 رسالة من رئيس الكتاب إلى والى الشام ، يسأل عن مراد محمد على من أيالة الشام .

٣ ـ وثيقة رقم ٢/١ ـ ٩٤ في سنة ١٢٣٢ هـ تقريبا ، ورقمها الأصلى : ١٩٥٧٨/ 19578 من الصدر الأعظم إلى السلطان العثماني ، تقرير عن اجتماع مجلس الشورى للنظر في أمر طلب محمد على أيالة الشام ، وخوفهم من ضمها له .

٤ ـ وثيقة رقم ١/٥ ـ ١٥٩ في ١٢٢٥/١/١٩ هـ ، ورقمها الأصلى ١٩٥٩٠/ 19590 رسالة من محمد على إلى الصدر الاعظم .

٥ ـ وثيقة رقم ١٣٨/١/٥ في ١٢٢٦ هـ تقريبا، ورقمها الأصلى ٣٢٢٨/ 3228 من محمد على يتحدث عن نفسه ويشكر الدولة العلية العثمانية على ما ناله من تقدير في ظلها .

٦ـ وثيقة رقم ١٢١/١/٤ في ٢٩ رمضان ١٢٥٦ هـ ، من محمد صادق من أنطاكية يعبر عن ابتهاج الأهالى بانسحاب جيش محمد على .

٧ ـ وثيقة رقم ٨/٢/٤ بدون تاريخ ، من علماء وأهالى أنطاكية يباركون طرد جنود محمد على من الشام .

ب ـ وثائق تركية وعربية في دار الوثائق القومية بالقاهرة ، وتشتمل على ثلاثة أنواع :

أولاً : الوثائق الموجودة بمحافظ عابدين سابقا ، محافظ الحجاز حاليا .

ثانياً : دفاتر معية تركى ، وهى دفاتر السجلات للمراسلات التي ترد من والى محمد على .

ثالثاً : محافظ بحر برا ، وبها الرسائل التي تصدر وترد من والى قادة محمد على في الجزيرة العربية .

أولاً : محافظ عابدين « الحجاز حاليا » :

١ ـ وثيقة رقم ٣٣ أصلى، ١٦ حمراء في ٢ جمادى الأولى ١٢٥٤ هـ ، محفظة ٢٦٤ عابدين ، محفظة الحجاز رقم ٥ من خورشيد باشا إلى صاحب الدولة والعاطفة .

٢ ـ المرفق العربي للوثيقة ٦٦ حمراء ، في ١٦ رمضان ١٢٥٣ هـ ، المحافظ السابقة ، من عبد الله الفداغ إلى فيصل بن تركى آل سعود.

٣ ـ وثيقة رقم ٣٧ أصلى ، ١٩٧ حمراء ، في ٩ جمادى الآخرة ١٢٥٤ هـ المحافظ السابقة ، من خورشيد باشا إلى صاحب الدولة والعاطفة .

٤ ـ وثيقة رقم ٦٩ أصلى ، ٢٦٤ حمراء في ٢٥ جمادى الآخرة ١٢٥٤ هـ محفظة ٢٦٣ عابدين ، محفظة الحجاز رقم ٥ ، من محرم أغا محافظ المدينة المنورة إلى الباشمعاون الخديوى .

٥ ـ وثيقة رقم ١٠٥ في ١٠ ذو القعدة ١٢٥٤ هـ ، محفظة ٢٦٤ ـ عابدين، محفظة الحجاز رقم ٦ ، من إبراهيم توفيق إلى الباشمعاون الخديوى .

٦ ـ وثيقة رقم ٢ أصلى ، ٣٧ حمراء ، في ١٩ محرم ١٢٥٥ هـ ، محفظة ٢٦٧ عابدين ، محفظة الحجاز رقم ٧ ، من خورشيد باشا في الرياض إلى ولى النعم صاحب الدولة .

٧ ـ وثيقة رقم ٤ أصلى ، ٣٨ حمراء ، في ١٩ محرم ١٢٥٥ هـ ، نفس المحفظتين السابقتين ، والمرسل والمرسل إليه .

٨ ـ وثيقة رقم ٧ أصلى ، ٥٠ حمراء ، في ٢١ محرم ١٢٥٥ هـ ، المحفظتين السابقتين ، والمرسل والمرسل إليه .

٩ ـ وثيقة رقم ٩٤ حمراء ، في ٧ صفر ١٢٥٥ هـ محفظة ٢٦٧ عابدين ، ومحفظة الحجاز رقم ٧ ، من إبراهيم توفيق إلى صاحب الدولة .

١٠ ـ ارادة نمرة ٧ في ١٩ ربيع الأول سنة ١٢٥٥ هـ ، نفس المحفظتين السابقتين ارادة عن عدم رضا الانجليز بارسال السفن عن طريق البحر إلى الخليج العربي .

١١ ـ وثيقة رقم ٢٤ حمراء ، في ١٠ ربيع الثاني سنة ١٢٥٥ هـ ، نفس المحفظتين السابقتين ، من إبراهيم توفيق إلى باشمعاون .

١٢ ـ صورة المرفق العربي للوثيقة رقم ١٢٧ حمراء في ١٧ جمادى الأولى ١٢٥٥ هـ نفس المحفظتين السابقتين ، صورة الجواب المرسل إلى قنصل الانجليز وترجمة كتاب القنصل ، وصورة الكتاب المرسل إلى عبد الله الخليفة .

١٣ ـ صور المرفق للوثيقة رقم ٤ حمراء في ٢٧ جمادى الأولى ١٢٥٥ هـ، نفس المحفظتين السابقتين ، منشور عبارة عن تقرير من خورشيد باشا في ثرمدا إلى ولى النعم .

١٤ ـ وثيقة رقم ١٧ أصلى ، ١٦١ حمراء في ٢٨ جمادى الأولى ١٢٥٥ هـ ، نفس المحفظتين السابقتين ، من محافظ المدينة المنورة إلى باشمعاون .

١٥ ـ وثيقة رقم ١٦٥ حمراء في ٢٩ جمادى الأولى ١٢٥٥ هـ ، نفس المحفظتين السابقتين ، من خورشيد باشا في ثرمدا إلى صاحب الدولة .

١٦ ـ وثيقة رقم ٤ حمراء في غرة جمادى الثاني ١٢٥٥ هـ ، محفظة ٢٦٧ عابدين ومحفظة الحجاز رقم ٨ ، من خورشيد باشا سر عسكر نجد إلى باشمعاون .

١٧ ـ وثيقة رقم ٤١ حمراء ، ١١ جمادى الآخرة ١٢٥٥ هـ نفس المحفظتين السابقتين ، من خورشيد باشا إلى رئيس معاوني الخديوى.

١٨ ـ ارادة نمرة ٢١ في ٢ رجب سنة ١٢٥٥ هـ ، نفس المحفظتين السابقتين ، ارادة بغلق باب المصروفات عن نجد والعودة إلى مصر .

١٩ ـ وثيقة رقم ٤١ أصلى ، ٩ حمراء في ٣ شعبان سنة ١٢٥٥ هـ ، محفظة ٢٦٧ عابدين ، ومحفظة الحجاز رقم ٨ ، من خورشيد باشا إلى باشمعاون .

٢٠ ـ وثيقة رقم ٢ أصلى ، ١٠٥ حمراء في ٢٥ محرم ١٢٥٦ هـ ، محفظة ٢٧٠ عابدين ، محفظة الحجاز رقم ١٠ ، من خورشيد باشا في ثرمدا إلى صاحب الدولة .

ثانياً : دفاتر معية تركى :

٢١ ـ وثيقة رقم ٨٢٣ ، دفتر ٤٠ معية تركى ، ص ١٣٠ ، في ٩ صفر ١٢٤٨ هـ ٨ يوليو ١٨٣٢ م ، خطاب من محمد على إلى تركجه بيلمز ومن معه من قادة الثورة في الحجاز .

٢٢ ـ وثيقة رقم ٨٢٤ ، دفتر ٤٠ معية تركى ، ص ١٣٠ ، في ٩ صفر ١٢٤٨ هـ ٨ يوليو ١٨٣٢ م ، خطاب من محمد على إلى حسن أغا الارزنجانى وكيل الحرمين .

٢٣ ـ وثيقة رقم ٨٢٨ ، دفتر ٤٠ معية تركى ، ص ١٣٠ ، في ٩ صفر ١٢٤٨ هـ ٨ يوليو ١٨٣٢ م ، خطاب من محمد على إلى أمير مكة المكرمة الشريف محمد بن عون .

٢٤ ـ وثيقة رقم ١٥٦ ، دفتر ٤٤ معية تركى ، ص ٢٤ ، في ٢٤ صفر ١٢٤٨ هـ ٢٣ يوليو ١٨٣٢ م ، مرسوم صادر من محمد على إلى تركجه بيلمز وزينل أغا ويكمزجى زاده .

ثالثاً : محافظ بحر برا :

٢٥ ـ وثيقة رقم ١٢٤ ، محفظة بحر برا ، رسالة بتاريخ ١٦ ذى الحجة ١٢٤٠ هـ الأول من أغسطس ١٨٢٥ م ، من تركجه بيلمز ، إلى محمد على .

٢٦ ـ وثيقة رقم ٦٤ ، محفظة ١٣ بحر برا ، رسالة بتاريخ ٢٥ شعبان ١٢٤٥ هـ التاسع عشر من فبراير ١٨٣٠ م من الشريف محمد بن عون ، أمير مكة إلى محمد على ، يبلغه فيها عن تحركات الامام تركى بن عبد الله بن محمد بن سعود ، في عالية نجد ، وجمعه للزكاة من قبائل عتيبة .

٢٧ ـ وثيقة رقم ٥٦ ، محفظة ١٧ بحر برا ، رسالة بتاريخ ٢١ ربيع الثاني ١٢٤٨ هـ السابع عشر من سبتمبر ١٨٣٢ م ، رسالة من أحمد باشا يكن إلى محمد على ، عن هروب الجنود الثائرين في الحجاز إلى اليمن .

- English, Documents :   الوثائق الانجليزية :

1 - Public Record Office, P. R. O. "Foreign Office. F. O.".

Ruskin Avenue, Kew

Richmond

Langdale Room

دار السجلات العامة :

- F. O. 78/224. No. 57.
- F. O. 78/227. No. 9, 10, 24, 28.
- F. O. 78/228. No. 62, 72.
- F. O. 78/246. No. 42.
- F. O. 78/247. -
- F. O. 78/257. No. 2, 26.
- F. O. 78/306. No. 257.
- F. O. 78/318. No. 24, 25.
- F. O. 78/373. No. 374. No. 3, 14, 20, 21.
- F. O. 78/374. No. 34, 35, 42, 43, 50 - 53.
- F. O. 78/375. -
- F. O. 78/377. No. 1, 2.
- F. O. 78/404. -
- F. O. 78/3185. -

هذه الوثائق عبارة عن مجموعات كبيرة من الرسائل السرية والتقارير السياسية التي تتحدث عن العلاقات البريطانية العثمانية ، وعن علاقات بريطانيا مع محمد على وانبثاق قوته ، وعن موقف السياسة البريطانية منها حينذاك .

2 - INDIA, OFFICE, RECORDS. "I. O. R.".

and, INDIA, OFFICE, LIBRARY. "I. O. L.".

197 Black friars Road, and, Great Russell Street, London.

من سجلات وزارة الهند ، ومكتبة وزارة الهند .

- L/p, S/9/93. No. 29.
- L/p, S/9/95. No. 31, 52, 53.
- L/p, S/9/96. No. 4.
- L/p, S/9/97. No. 67.
- L/p, S/9/103. No. 7.
- L/p, S/9/110. No. 14.
- L/p, S/9/111. -
- L/p, S/9/112. No. 4.
- L/p, S/9/113. No. 44, 1583, 1607, 1609.
- L/p, S/9/114. No. 13.
- L/p, S/9/115. No. 25, 26.

هذه الوثائق تمثل مجموعة كبيرة من الرسائل السرية التي يبعثها القناصل الانجليز في الخليج العربي وبغداد ومصر ، إلى حكومتهم في لندن وبومباى ويتداولونها فيما بينهم ، وتدور محتويات هذه الرسائل حول علاقات بريطانيا بحكومة محمد على التي بدأت في بسط نفوذها على الجزيرة العربية ، لتهدد المصالح الاستراتيجية والاقتصادية لحكومة بريطانيا هناك .

3 - Selections From The Records of The Bombay Government. No. XXIV - NEW Series.

مختارات من سجلات حكومة بومباى رقم ٢٤ ، شركة أرامكو بالظهران ، المملكة العربية السعودية .

Historical and Other Information, Connected With the Province of Oman, Muskat, Bahrein, and Other Places in The Persien Gulf.

معلومات تاريخية تتعلق بعمان ، ومسقط ، والبحرين وغيرها من الأماكن في « الخليج الفارسي » .

Chrondogical Table of Events from 1716 to 1843, Connected with the Government of Muskat, and The Arab-Tribes of the Persian Gulf. P. P. 437 - 455.

الحوادث من ١٧١٦ إلى ١٨٤٣ م ، تتعلق بحكومة مسقط والقبائل العربية على « الخليج الفارسي » .

- English, References المراجع الانجليزية :

1 - Temperley, "Harold".

and,

Penson "Lillian. M.".

Foundations of

British Foreign Policy

or

Documents, Old and New

Cambridge, At the University Press

1938

2 - Hurewitz. "J. C.".

Diplomacy

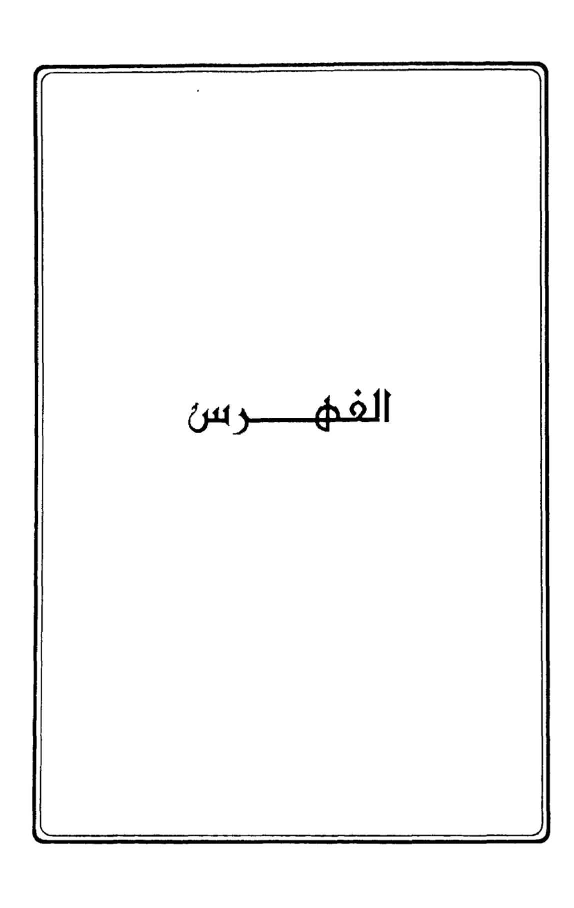
in the

Near and Middle East

Adocumentary Record 1535 - 1914.

Volume 1.

New York, 1956.



الفهـــرس

مطابع جامعة أم القرى

مطابع جامعة أم القرى